اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

البحث الدلالي

في

التبيان في تفسير القرآن

لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

(ت ٤٦٠ هـ)

أطروحة تقدمت بها

ابتهال كاصد ياسر الزيدي

إلى مجلس كلية التربية للبنات جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ المساعد

الدكتور علي جميل السامرائي

ذو القعدة ١٤٢٤ هـ　　　　كانون الثاني٢٠٠٤م

الإهداء

إلى...

مَن غمراني بينبوع حنانهما وصدق دعواتهما

والديّ الحبيبين

سندي وسكن روحي ورفيق دربي

زوجي أبي أحمد

نور عينيّ ورمز وجودي ولديّ

أحمد وتقى

أهدي ثمرة جهدي

شكر وامتنان

لابدّ قبل كل شيء أن أفتتح عملي هذا بأصدق تعابير الشكر والامتنان لكلّ من غمرني وجاد عليّ بعلمه فأحاطني بطوق العرفان بالجميل وها أنا ذا أحمل نفحات شكري بين كفّي وأنحني إجلالاً واحتراماً إلى كلٍّ من :

الدكتور علي جميل السامرائي الذي نلت بتواصلي معه تلمذةً وإشرافاً فوزاً كبيراً ، لكبير فضله وعظيم منزلته في دوحة الخلق الرفيع والمتابعة العلمية الجادة والمخلصة في تصحيح هفواتي وتقويم خطوات عملي ، فله من الله جزيل الأجر والثواب ومني أخلص الودّ والوفاء .

وإلى شيخي ووالدي الدكتور كاصد ياسر الزيدي الذي سقاني العلم ورباني على الفضيلة ورفدني بالعون في بحثي هذا ، فأسأل الله أن يمده بالصحة والعمر المديد وأن يحفظه ذخراً لنا .

وإلى الأستاذ الفاضل الدكتور كريم حسين ناصح الذي غمرني بفضله وعلمه وتوجيهه ، فجزاه الله خير مايجزي به عباده الصالحين .

وإلى الدكتور عبد الرحمن مطلك الجبوري والدكتور صادق حسين كنيج اللذين أفاداني بملاحظهما وإرشاداتهما القيمة ، وأعاناني ببعض المصادر ، سائلة المولى لهما التوفيق وجزيل الثواب .

وإلى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل الذين سيتفضلون بقراءة البحث ورفده بملاحظهم وآرائهم السديدة التي تجعله إن شاء الله في أحسن تقويم .

وإلى كلّ من مدّ لي يد العون وأهداني من ثمار معرفته وصدق دعواته .

إلى كلّ هؤلاء أولي الفضل والكرم دعواتي . وهي قصارى ما أمتلك . بأن يمنحهم العلي القدير أمناً وسروراً ويظلهم بظلال الرحمة والحبور ويرزقهم حسن العاقبة ويجعل ما قدّموه نوراً يسري بين أيديهم يوم الحساب .

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	أ . ج
التمهيد : الطوسي ومفهوم الدلالة :	١ . ٢٨
١. حياة الطوسي وآثاره	١.٦
٢. مفهوم الدلالة :	٧ . ٢٨
أ . مفهوم الدلالة لدى علماء العربية	٧ . ١٣
ب . مفهوم الدلالة لدى المحدثين	١٤.١٦
ج . مفهوم الدلالة لدى الطوسي	١٧. ٢٨
١. تداخل المصطلح	١٧.٢٠
٢. اعتباطية الدليل اللساني	٢٠.٢٥
٣. عناصر المثلث الدلالي	٢٦ . ٢٧
٤. منهج الطوسي في استنباط الدلالة	٢٧ . ٢٨
الباب الأول : الدلالة الإفرادية	٢٩ . ٢١١
الفصل الأول : الدلالة الصوتية والصرفية	٣٠ . ١٠٣
توطئة	٣٠
المبحث الأول : الدلالة الصوتية	٣١ . ٦٤
أولاً : الدلالة الصوتية المطّردة	٣٤ . ٥٧
(١) التغير الفونيمي التركيبي	٣٤ . ٤٩
أ . الاستبدال الفونيمي في الصوامت	٣٦ . ٤١
الاستبدال في عين الكلمة	٣٦. ٣٨
الاستبدال في لام الكلمة	٣٨ . ٤١
ب . الاستبدال الفونيمي في الصوائت	٤١ . ٤٩
الاستبدال بين الضمة والكسرة	٤٢ . ٤٣

الاستبدال بين الضمة والفتحة	٤٧ . ٤٤
الاستبدال بين الكسرة والفتحة	٤٩ . ٤٧
(٢) التغير الفونيمي فوق التركيبي	٥٧ . ٤٩
التنغيم	٥٢ . ٤٩
مظاهر التنغيم عند الطوسي	٥٧ . ٥٢
ثانيا : الدلالة الصوتية غير المطردة	٥٩ . ٥٧
ثالثاً : الأثر الفني لتلاؤم جرس الأصوات	٦٤ . ٥٩
المبحث الثاني : الدلالة الصرفية	١٠٣ . ٦٥
أولا : دلالات الأسماء	٩٤ . ٦٧
(١) المشتقات	٧٤ .٦٧
أ . اسم الفاعل	٦٧
ب . صيغ المبالغة	٧٤ . ٦٨
(٢) المصادر	٧٨ . ٧٤
(٣) تناوب الصيغ	٨٥ . ٧٨
أ . نيابة فاعل عن مفعول	٨٠ . ٧٩
ب . نيابة مفعول عن فاعل	٨٠
ج . نيابة فعيل	٨١ . ٨٠
د . نيابة المصدر عن المشتق	٨٣ . ٨١
هـ . نيابة المشتق عن المصدر	٨٥ . ٨٣
(٤) الجموع	٨٧ . ٨٥
(٥) المقصور والممدود	٨٩ . ٨٧
(٦) المذكر والمؤنث	٩٤ . ٨٩
ثانياً : دلالات الأفعال	٩٨ . ٩٤
(١) فَعَلَ وأفعَلَ	٩٦ . ٩٤
(٢) فَعَلَ وفَعَّل	٩٧ . ٩٦
(٣) فعل وفَعَّل	٩٧
(٤) فعل وافتعل	٩٨ . ٩٧
(٥) فاعل وتفاعل	٩٨

ثالثاً : دلالة الحروف الزائدة (المورفيمات)	٩٨ . ١٠٣
الفصل الثاني : العلاقات الدلالية بين الألفاظ	١٠٤ . ١٥٤
توطئة	١٠٤
المبحث الأول : الترادف والفروق الدلالية	١٠٥ . ١٢١
المبحث الثاني : الاشتراك اللفظي والتضاد	١٢٢ . ١٤١
(١) الاشتراك اللفظي	١٢٢ . ١٣١
(٢) التضاد	١٣٢ . ١٤١
المبحث الثالث : التقابل الدلالي	١٤٢ . ١٥٤
(١) التقابل بالضد	١٤٦ . ١٤٧
(٢) التقابل بالنقيض	١٤٧ . ١٤٨
(٣) التقابل بالخلاف	١٤٨ . ١٥٣
الفصل الثالث : التغير الدلالي	١٥٥ . ٢١١
توطئة	١٥٥ . ١٦٠
المبحث الأول : تخصيص الدلالة	١٦١ . ١٨٧
أولاً : الألفاظ العرفية	١٦٢ . ١٧٧
(١) الألفاظ العرفية العامة	١٦٥ . ١٦٩
(٢) الألفاظ العرفية الخاصة	١٦٩ . ١٧٧
ثانياً : الألفاظ الإسلامية	١٧٧ . ١٨٧
(١) الألفاظ الإسلامية العامة	١٨٠ . ١٨٢
(٢) الألفاظ الإسلامية الخاصة	١٨٢ . ١٨٧
المبحث الثاني : تعميم الدلالة	١٨٨ . ١٩٤
المبحث الثالث : تغير المجال الدلالي	١٩٥ . ٢١١
(١) الانتقال من مجال حسي إلى مجال حسي آخر	٢٠١ . ٢٠٣
(٢) الانتقال من مجال حسي إلى مجال معنوي	٢٠٣ . ٢٠٨
(٣) الانتقال من مجال معنوي إلى مجال حسي	٢٠٨ . ٢١١
الباب الثاني : الدلالة التركيبية	٢١٢ . ٣٣٤
توطئة	٢١٢ . ٢١٣

الفصل الأول : الدلالة النحوية	٢١٤ . ٢٨٥
توطئة	٢١٤
المبحث الأول : دلالة معاني الكلام	٢١٥ . ٢٤٣
أولاً : الخبر	٢١٥ . ٢٢٦
أغراض الخبر	٢١٦ . ٢١٧
دلالة الخبر	٢١٧ . ٢٢٠
المعاني الداخلة على الخبر	٢٢١ . ٢٢٦
ثانياً : الإنشاء	٢٢٧ . ٢٤٣
(١) الإنشاء الطلبي	٢٢٧.٢٣٩
أ . دلالة الأمر	٢٢٧ . ٢٣٠
ب . دلالة النهي	٢٣١ . ٢٣٣
ج . دلالة الاستفهام	٢٣٣ . ٢٣٧
د . دلالة النداء	٢٣٨ . ٢٣٩
(٢) الإنشاء غير الطلبي	٢٣٩ . ٢٤٣
المبحث الثاني : دلالة الجملة	٢٤٤ . ٢٦٥
(١) دلالة الجملة الاسمية	٢٤٦ . ٢٤٧
(٢) دلالة الجملة الفعلية	٢٤٨ . ٢٥٠
(٣) دلالة الجملة الشرطية	٢٥١ . ٢٥٤
عوارض بناء الجملة	٢٥٥ . ٢٦٥
١. التقديم والتأخير	٢٥٥ . ٢٥٩
٢ . الحذف	٢٥٩ . ٢٦٣
٣ . الفصل والوصل	٢٦٣ . ٢٦٥
المبحث الثالث : دلالة الإعراب	٢٦٦ . ٢٧٤
(١) ما يحتمله اللفظ من أوجه الرفع	٢٦٩ . ٢٧٠
(٢) ما يحتله اللفظ من أوجه النصب	٢٧٠ . ٢٧١
(٣) ما يحتمله اللفظ من أوجه الرفع ولنصب	٢٧١ . ٢٧٣
(٤) ما يحتمله اللفظ من أوجه الرفع والجزم	٢٧٣

(٥) ما يحتمله اللفظ من أوجه الرفع والجر	٢٧٣ . ٢٧٤
(٦) ما يحتمله اللفظ من أوجه النصب والجر	٢٧٤
(٧) ما يحتمله اللفظ من أوجه الرفع والنصب والجر	٢٧٤
المبحث الرابع دلالة حروف المعاني	٢٧٥ . ٢٨٥
١. حروف الجر	٢٧٦ . ٢٧٩
٢. حروف الجزم	٢٧٩
٣. حروف الشرط	٢٧٩ . ٢٨١
٤. حروف العطف	٢٨١ . ٢٨٢
٥. قد	٢٨٢ . ٢٨٣
٦. اللامات الناصبة	٢٨٣ . ٢٨٥
الفصل الثاني : السياق ودلالاته	٢٨٦ . ٣٣٤
توطئة	٢٨٦
المبحث الأول : السياق وأنواعه	٢٨٧ . ٣٠٣
(١) السياق اللفظي	٢٩٠ . ٢٩٥
(٢) السياق الحالي	٢٩٦ . ٢٩٩
(٣) السياق العقلي	٣٠٠ . ٣٠٣
المبحث الثاني : أثر السياق في توجيه الدلالة	٣٠٤ . ٣٣٤
(١) التناسب الدلالي	٣٠٤ . ٣١١
أ . تناسب الآيات	٣٠٥ . ٣٠٨
ب . تناسب الألفاظ	٣٠٨ . ٣١١
(٢) العموم والخصوص	٣١٢ . ٣٢٧
أ . ألفاظ العموم	٣١٣ . ٣١٧
ب . ألفاظ الخصوص وأدلته	٣١٧ . ٣٢٠
ج . أغراض العموم والخصوص	٣٢٠ . ٣٢٢
د . خصوص السبب وعموم المعنى	٣٢٢ . ٣٢٧
(٣) أساليب أخر	٣٢٨ . ٣٣٤
أ . السياق ودلالة الأمر	٣٢٨ . ٣٣١

ب . السياق ودلالة المشترك اللفظي	٣٣١ . ٣٣٤
الخاتمة	٣٣٥ . ٣٣٩
المصادر والمراجع	٣٤٠ . ٣٧٥
مختصر باللغة الإنكليزية	

المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين حمداً كثيراً لاينقطع أبداً ولاتحصي له الخلائق عدداً وأفضل الصلاة والسلام على حبيبه المختار، وآل بيته الكرام الأطهار، وصحبه المنتجبين الأبرار .

وبعد ،

لايزال مداد أهل العلم وطالبيه يخطّ أنوار القرآن العظيم الذي لاتنقضي عجائبه ولايخبو سناه ، ولاُيحاط بسرّ إعجازه ، ولاتزال لغتة مدار درس الدارسين ومحطّ رحال الباحثين ، فهي إحدى جوانب إعجازه ، بل من أهمّها وأبرزها ، ولايزال ميدان البحث فيها واسعاً لا تدرك نهاياته ، ومجال النظر والتأمل فيها بعيد المدى ، يسلب الأفئدة ، ويأخذ بمجامع الألباب .

ويعدّ البحث الدلالي من أهم وسائل الكشف عن أسرار لغة هذا السفر الجليل ومواطن إعجازه ، ولذا سعى المفسرون للوصول إلى ذلك ، فقدّموا تفاسيرهم القّيمة التي كانت لهم ذكراً خالداً ، وهي لنا أعلام هداية وأنوار مضيئة تنير ما استخفى من كلام الله عزّ وجلّ .

وقد وجدت أنّ الكشف عن جوانب هذا البحث الدلالي موضوع جدير بالدراسة، واخترت لذلك واحداً من أهّم التفاسير في العربية هو : التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، وقد اجتمعت لهذا الإختيار أسباب عدّة ،

أولها : أّني لم أشأ الخروج عن دائرة الدراسات القرآنية التي كانت محطّ دراستي في الماجستير إذ تناولت الأصوات اللغوية في كتب معاني القرآن .

وثانيها : أنّ العمل في البحث الدلالي يهيء لي الإلمام بعلوم العربية كافة ، إذ يتطرق إلى أصواتها وصرفها ونحوها ومعجمها وسياقاتها ، ثّم أّنه وسيلة للموازنة بين جهود القدماء والمحدثين في علم الدلالة، والوقوف على أصالة جهد علماء العربية الأوائل .

وثالثها:أنّ هذا التفسير هو الأقرب إلى نفسي، فقد عشت معه وبين جنباته منذ صغري، إذ كان موضوع دراسة والدي للدكتوراه، فقد تناول منهجه في التفسير والجوانب النحوية والبلاغية فيه .

ورابعها: أنّ الدراستين اللتين تناولتا هذا التفسير . وهما دراسة الدكتور كاصد ياسر الزيدي ودراسة الدكتور عبد علي حسين في جامعة الكوفة . لم تعرّضا إلى الجانب الدلالي في التفسير إلاّ بشيء مقتضب ، ووجدت فيه مادةً دلاليةً غزيرة ومنّوعة جديرة بالدراسة ، فعقدت العزم بعد التوكّل على الله ،وبعد موافقة أساتذتي الأفاضل على العمل في هذا البحث .

وقد اقتضت منهجية البحث أن تكون هذه الدراسة في تمهيد وبابين بخمسة فصولٍ ، وجاء **التمهيد** على محورين أساسيين، **أحدهما** : نبذة عن حياة الطوسي وآثاره والقيمة العلمية لتفسيره ، **والآخر** : حول مفهوم الدلالة بدءاً بعلماء العربية القدماء ثم المحدثين ، ووصولاً إلى أبعاد هذا المفهوم لدى الطوسي في ضوء علم اللغة الحديث .

واختصّ **الباب الأول** بدلالة اللفظ المفرد ، وكان في ثلاثة فصول ، تناول **الأول** الدلالتين الصوتية والصرفية في مبحثين ، عرض الأول الجهود الدلالية للطوسي في الجانب الصوتي للقرآن الكريم ، على حين عرض المبحث الثاني جهوده الدلالية في الجانب الصرفي ، وما يتعلق بدلالات الأسماء والأفعال والحروف وتناوب الصيغ .

واختصّ **الفصل الثاني** بالعلاقات الدلالية بين الألفاظ المفردة ،وشمل ثلاثة مباحث : الترادف ، والإشتراك والتضاد ، والتقابل الدلالي .

وتناول **الفصل الثالث** التغير الدلالي في الألفاظ ، وضم ثلاثة مباحث أيضاً ، أولها: تخصيص الدلالة ، والثاني : تعميم الدلالة ، والثالث : تغيّر المجال الدلالي .

أمّا **الباب الثاني** فقد كان حول الدلالة التركيبية التي جاءت على فصلين ، **أحدهما** الدلالة النحوية وهو في أربعة مباحث ، ضمّت : دلالة معاني الكلام ، ودلالة الجملة العربية بأنواعها وعوارضها ، ودلالة الإعراب وأثره في المعنى ، ثم دلالة الحروف بأنواعها .

وكان **الفصل الثاني** من باب الدلالة التركيبية عن السياق ودلالاته ، وجعلته في مبحثين : الأول عن معنى السياق وأنواعه، وجهود الطوسي في الإفادة من السياقات الدلالية في تفسير القرآن الكريم . والآخر عن أثر السياق في توجيه الدلالة من حيث التناسب الدلالي ، والعموم والخصوص ،وأساليب أخر .

وأعقبت هذه الفصول **خاتمة** أبانت عن أهم النتائج التي توصّل إليها البحث ، وكشفت عن ملخص الجهود الدلالية للطوسي .

واعتمد البحث على مصادر ومراجع كثيرة ومنوعة في اللغة والتفسير والنحو والصرف والصوت ،أهمها تفسير التبيان ، وكتب معاني القرآن وتفسير الطبري والطبرسي والقرطبي وغيرها .

وأمات الكتب النحوية مثل :الكتاب، والمقتضب، والأصول في النحو ، والخصائص ، وأهّم المعجمات العربية مثل : العين ، والصحاح ، والمقاييس ، ولسان العرب ، وأشهر كتب أصول الفقه ، مثل المعتمد، والمستصفى ،هذا فضلاً عن أهم الكتب اللغوية والدلالية الحديثة .

ولا يخلو أي بحث دراسي من بعض الصعوبات ، وقد عانيت منها شيئاً ليس بالقليل ذللها لي ايماني بالله وثقتي بعونه لي ، ورغبتي المتواصلة في طلب العلم ، ومثابرتي في الوصول إلى مبتغاي بدقّة وتثّبت . ومن تلك الصعوبات سعة المادة وشمولها لموضوعات فقهية وأصولية وفلسفية ولسانية لم يسبق لي دراستها، وأعانني على فهمها القراءة المتواصلة والصبر الطويل .

ومن أهم المشاكل الأخرى التي واجهتني ولا زالت تواجه كل طالب علم هي صعوبة الحصول على المصادر ، بسبب الظروف الحالية التي يمرّ بها بلدنا العزيز ، نسأل الله أن يفك أسرنا ويعيد لنا عزتنا ويحفظ أهلينا.

وكم كان هاجسي وقد اخترت هذه الدراسة وخطوت فيها تلك الخطى الحثيثة ، أن أوفّق لتقديم دراسة غاية المنى فيها أن أقدّم بها شيئاً يقربني إلى الله زُلفى وأنا أخدم كتابه الجليل ، وأنال بها رضاه جلّ علاه ، وأن تكون جديرة بمكانة الشيخ الطوسي رحمه الله .

فإن نجحت فـ (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله وسع عليم) [المائدة : ٥٤] ، وإن كان في البحث هنات وهفوات فمن نفسي وتقصيري ، وليس لي إلا أن أقول (إن أردت إلا الإصلح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) [هود : ٨٨] ، واستغفر الله أولاً وآخراً ، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين .

الباحثة

ابتهال كاصد ياسر الزيدي

التمهيد

الطوسي ومفهوم الدلالة

١. حياة الطوسي وآثاره

٢. مفهوم الدلالة:

أ. مفهوم الدلالة لدى علماء العربية

ب. مفهوم الدلالة لدى المحدثين

ج. مفهوم الدلالة لدى الطوسي

(١)

حياته وآثاره:

أ . حياته[١] :

هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي[٢]،الملقّب بالطوسيّ نسبةً إلى مدينة طوس بخراسان ، وهي من المدن الشهيرة بكونها مركزاً دينياً وعلمياً ، إذ دُفن فيها الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم . عليهما السلام . (ت ٢٠٣ هـ) كما دُفن فيها الخليفة العباسي هارون الرشيد(ت ١٩٣ هـ) . وتخرّج فيها عدد من أهل العلم ، أمثال:أبي حامد الغزالي(ت٥٠٥هـ)[٣] ،ومحمد بن محمد الطوسي (ت٦٧٢هـ) الذي نبغ في الرياضيات والعلوم العقلية[٤] ، وعبد العزيز بن محمد الطوسي (ت٧٠٦هـ) من مشاهير فقهاء الشافعية، وله كتب في الأصول[٥] .

ولد الطوسي في شهر رمضان سنة (٣٨٥هـ) ، ونشأ في طوس ، وقضى فيها مدّة شبابه الأولى، حيث تلقّى تعليمه الأولي هناك ، ثّم رحل إلى بغداد سنة(٤٠٨هـ)[٦]، إذ كانت آنذاك تزخر بالمدارس العلميّة والإسلاميّة، وتعيش ازدهاراً فكرياً وعلمياً وأدبياً .

تتلَمذ لعدد من الشيوخ والعلماء ، أشهرهم: أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بابن المعلّم والملقّب بالشيخ المفيد(ت٤١٣هـ) ، فقيه الشيعة وأستاذهم ورئيسهم . كان له مجلسٌ في الفقه وعلوم الشريعة وعلم الكلام وغيرها ، يحضره أكابر أهل العلم . وقد عاصَر كلاًّ من أبي بكر الباقلاني(ت٤٠٣هـ) والقاضي عبد الجبار المعتزلي(ت٤١٥هـ)، وكان بينهم مناظرات علمية حفظتها كتب التاريخ[٧] .

وبعد وفاة الشيخ المفيد انتقل إلى مجلس علي بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف المرتضى(ت٤٣٦هـ)،شقيق الشريف الرضي(ت٤٠٦هـ) نقيب الطالبيين آنذاك. وكان المرتضى

---

[١] ينظر :الفهرست: الطوسي١٨٩ـ١٩١، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ابن الجوزي ٢٥٢/٨، ومعجم البلدان : ياقوت الحموي٤٩/٤، والكامل في التاريخ: ضياء الدين بن الأثير٢٤/١٠، والرجال: ابن داود٣٠٦/١ ،وطبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي٥١/٣، ولسان الميزان : ابن حجر العسقلاني١٣٥/٥، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي٥/ ٩٥، وطبقات المفسرين:السيوطي٢٩،وبغية الوعاة : السيوطي٢٦٢/٢، وتاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان١٠٢/٣، وأعيان الشيعة:محسن الأمين٣٠٣/١/١،٢٨٢،١٢ـ٣٠٤، والأعلام : خيرالدين الزركلي٣١٥/٦، ، وحياة الشيخ الطوسي (مقدمة التبيان في تفسير القرآن) : أغا بزرك الطهراني ، والشيخ الطوسي: حسن الحكيم٢٩ـ٧٩ ، ومنهج الطوسي في تفسير القرآن الكريم : كاصد ياسر الزيدي٢ـ٣٢، والبحث اللغوي والنحوي في تفسير التبيان: عبد على حسين ٤ـ٦ .

[٢] الفهرست ١٨٩.

[٣] معجم البلدان٤٩/٤ .

[٤] الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي ١٤٩/٢ ، وينظر: الأعلام ٢٥٧/٧ـ٢٥٨ .

[٥] طبقات الشافعية الكبرى١٢٥/٦ ، وينظر :الأعلام١٥١/٤ .

[٦] حياة الطوسي للطهراني ص ب .

[٧] روضات الجنّات :الخوانساري٢١٩/٦ .

أكثر أهل زمانه أدباً وعلماً وفضلاً[1]، فلازمه الطوسي زمناً طويلاً . ولّما توفي انتقلت رئاسةُ المجالس العلمّية إلى الطوسي نفسه ، وصارت داره التي بالكرخ مقصداً لطلاب العلم والفضلاء يأتونها يتتلمذون له ويحضرون دروسه ، ويسعَون لحلّ المشكلات وإيضاح المسائل ، وقد بلغ عدد تلاميذه ثلاثمائة من مختلف الطوائف الإسلامية[2].

وتولّى ذلك اثنتي عشرة سنة بين(٤٣٦.٤٤٨)، لقّب بعدها بشيخ الطائفة وعدّتها، وزاد الإقبال على دروسه ، ممّا دفع الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ) إلى أن يمنحه (كرسّي الكلام) ، هذا الكرسي الذي لم يكن يحظى به إلاّ من برَزَ علُمه وكُبر شأُنه وفاقَ أقرَانه[3].

وقد عاش الطوسي عصراً مليئاً بالصراع الفكري بين أصحاب المذاهب الكلامّية والفقهّية، الصراع الذي كان يخبو ويلتهب بين الحين والآخر، وقد ذاق الطوسي مرارته ، إذ تعرّضَتْ دارُه للهجوم ، وأُحرِقَت كتُبه بمحضرٍ من الناس ،وسُرِقَ كرسّي المناظرة منه[4].

ولكنّ هذا لم يُثنِ الشيخ عن هدفه السامي في خدمة الدين والأمة، ولم يُزعزع ثقتَه بالمستقبل ، فظلّ مُنكّباً على التأليف وإعطاء الدروس العلمية .

ولّما اشتدّت الاضطرابات اضطّر للسفر إلى مدينة النجف مُجاوراً لقبر أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ ومُتّمماً نشاطه العلمي الذي عُرف به في بغداد ، فازدهرت على إثر ذلك مدينة النجف وصارت مَحطّ رجال العِلم من كلّ حدَبٍ وصَوب، ولذا يُعدّ الطوسي ((أوّل من جعل النجف مركزاً علمياً))[5]، إذ صارت مُتخصّصة بدراسة الفقه والحديث والأصول والعلوم الإسلامية الأخرى، وغَدَتْ من أوسع الجامعات العلمّية وأهمها .

وظلّ الطوسي في النجف يُدرِّس ويُملي مُحاضراته بصورةٍ منتظمةٍ حتى تُوفي سنة(٤٦٠هـ) ليلة الاثنين ، في الثاني والعشرين من المُحرّم ، ودُفنَ في داره التي جعلت فيما بعد مسجداً عُرفَ باسمه وأضحى مدرسةً علمّيةً كبرى ، يتلقّى فيها طلبة العلم العلوم المختلفة وينهلون الفضلَ إلى يومنا هذا ، وقد تخرّج فيها كبار علماء النجف .

ب . ثقافته وآثاره:

(١) بغية الوعاة ٢٦٢/٢.
(٢) ينظر:الرجال ٣٠٦/١ ،وحياة الشيخ الطوسي للطهراني ص د .
(٣) حياة الشيخ الطوسي للطهراني د .
(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٨ /١٧٩.
(٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة:أغا بزرك الطهراني١٤/٢.

تنّوعت ثقافة الطوسي وتعدّدت المصادر التي استقى منها علَمه، فلم يقتصر على موردٍ واحدٍ في توسعة آفاق عقليّته الَمرنة والموهوبة ،ولم يقتصر على طائفة معينة من الشيوخ ، بل أخذ ينهل من مختلف المذاهب، فضلاً عن مذهبه الذي ينتمي إليه وهو مذهب الشيعة الإمامية[1].

وللطوسي شخصية مميّزة تتّحد فيها الطاقة الذهنية والمواهب الفطرية والقدرة على التحليل والنفاذ إلى حقائق الأمور ممّا رفعه إلى مراحل متقدّمة في التفكير والإحاطةبعلوم مختلفة تثقّف بها وأفاد منها. ولكّنه لم يكن مقلّداً وإنّما كان مجتهداً مميّزاً في علوم الفقه والأصول والتفسير واللغة .

وقد ترك الطوسي مؤلّفات جمَّة لم تزل تحتل مكانةً ساميةً بين آلاف الأسفار الجليلة التي ولّدتها عقول علماء العربيةوتُعدّ مؤلّفاته من المنابع الأولى والمصادر الموثّقة التي خلّدت ذكره وذكر سابقيه ؛ لأنّها خُلاصة الكتب اللغويّة والتفسيريّة والفقهّية والكلاميةّ القديمة ،إذ كانت في متناول يده أكبر المكتبات في بغداد قبل أن تُحرَق وَيضيعَتراثها الغزير، فقد أفادَ من كلّ ذلك وألّف في شتى العلوم من الفقه وأصوله و العقائد والكلام والتفسير والحديث والرجال والأدعية والعبادات وغيرها[2].

وتربو هذه المؤلّفات على الخمسين مؤلّفا أغلبها مطبوع ، وقليلٌ منها لا يزال مخطوطاً ، وبعضها لم يصل إلينا . وقد ذكَر أكثَرها في كتابه (الفهرست)[3] ،وأشار إليها في تفسيره (التبيان) في أكثر من موضع ، وسنذكر طائفةً منها مرتّبة على حروف الُمعجم[4]:

١. الأبواب: سُّمي بذلك ؛ لأنّه مُرتّب على أبوابٍ بعدد الرجال الذين رَووا عن النبّي محمد صلّى الله عليه وآله وسلم . والأئمة الاثني عشر وَمن تأخَّر عنهم من الُرواة ،وسُّمي أيضاً كتاب (الرجال) .
٢. اختيار الرجال: وهو تهذيب لكتاب (رجال الكشي)أبي عمرو بن عمر بن عبد العزيز ، الذي كان كثير الأغلاط فعَمَد الطوسي إلى تهذيبه.
٣. الاستبصار فيما اختُلِف من الأخبار : وهو من المصادر الأصيلة في الحديث ،والُمعَوَّل عليها لدى الشيعة في استنباط الأحكام الشرعّية منذ عصر الطوسي حتى يومنا هذا.
٤ . أصول العقائد: وهو كتاب كبير في الأصول .

---

[1] لسان الميزان ٥ / ١٣٥ ، وطبقات المفسرين ٢٩ ، وينظر : منهج الطوسي ف ١٢ ـ ١٦ .
[2] مقدمة التبيان للطهراني ن .
[3] ينظر: ١٨٩ ـ١٩٠ .
[4] ينظرتفصيل هذه المؤلفات في:مقدمة التبيان للطهراني ي ـ أ و ، ومنهج الطوسي ١٦ـ٢٥ .

٥ . الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد: وهو فيما يجب على العباد من أصول العقائد والعبادات الشرعية على وجه الاختصار.
٦ . التبيان في تفسير القرآن وهو الأثر الثمين الذي خلّفه، وعليه مدار درس هذا البحث
٧ . تهذيب الأحكام : وهو من كتب الأصول القديمة المُعوَّل عليها لدى الشيعة.
٨ . الجُمل والعقود : وهو في العبادات .
٩ . الخلاف في الأحكام : ويُسّمى أيضا مسائل الخلاف، تناول فيه مسائل الخلاف الفقهية بين المذاهب الإسلامية .
١٠ . الفهرست: ذكر فيه أصحاب الكتب والأصول الذين سبقوه وعاصروه.
١١ . له جملة كتب حملت عنوان المسائل،نحو : المسائل الرَجّبية، والحلّبية،والدّمشقّية والرازّية والقُمّية، وهي في التفسير والفقه والوعيد . وكتبٌ أخرى كثيرة زخَرت بها كتب التراجم والتاريخ .

القيمة العلمية لتفسير التبيان:

يعدّ هذا التفسير من أهم كتب الطوسي وأشهرها وأكثرها تميّزاً ، فقد ألّفه على وفق منهجٍ جديدٍ ومُبتكرٍ لم يُسبق إليه ، إذ جعله على أبوابٍ منفردةٍ يَختصُّ كلٌّ منها بواحدٍ من مباحث التفسير وعلوم القرآن كالقراءات وحُججها والمعاني والإعراب واللغة وأسباب النزول وغيرها[١].

وقد أشار الطوسي نفسه إلى تميّز تفسيره من سواه في مقدّمته ، إذ بيّن أنّ تفسيره هو أوّل ((كتابٍ يحتوي على تفسير جميع القرآن ويشتمل على فنون معانيه))[٢]، وذكر أنّه لم يكن من التفاسير المُطيلة إلى حدّ الملل ، أو المُختصَرة إلى حدّ الإبهام .

وانتقد منهج سابقيه من المفسّرين وذكَر بأنّ ((مَن شرعَ في تفسير القرآن من علماء الأمة، بين مُطيلٍ في جميع معانيه واستيعاب ما قيل فيه من فنونه كالطبري وغيره ، وبين مُقصّرٍ اقتصر على ذكر غريبه ومعاني ألفاظه))[١] ، ويبدو أنّه يشير إلى مؤلّفات ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) المختصَرة في التفسير .

---

[١] منهج الطوسي ١٩ .
[٢] التبيان ١ / ١ .
[١] التبيان ١ / ١ .

وبيّن أنّ تفسيره لم يقتصِر على جانبٍ واحدٍ من جوانب التفسير، بل كان شاملاً جامعاً ، وليس مثل الفرّاء(ت٢٠٧هـ) والزجّاج(ت٣١١هـ) ، اللذين أفرَغا وُسعهما فيما يتعلّق بالإعراب والتصريف ، ومثل أبي علي الجّبائي[٢](ت٣٠٣هـ) الذي استكثر في تفسيره من علم الكلام فأدخلَ فيه ما لايليق به[٣] .

ولم يغفَل ذكر التفاسير التي يَراها جّيدة ، مثل تفسيري أبي مسلم الأصفهاني(ت٣٢٢هـ) وعلي بن عيسى الرّماني(ت٣٨٤هـ) ، اللذين سلكا في مؤلّفيهما َسلكاً جميلاً ُمقتصداً . وبعد كلّ ذلك أشار إلى أّنه قد شَرع في تأليف تفسيرِه على وجه الإيجاز والاختصار لكلّ فنٍ من فنونه فلا يطيل كثيراً ولا يختصر مقصّراً[٤].

وأورد السبب الذي دعاه إلى تأليف كتابه إذ سمع جماعةً ((يرغبون في كتابٍ ُمقتصدٍ يجتمع ُ على جميع فنون علم القرآن من القراءة والمعاني والإعراب والكلام عن المتشابه والجواب عن مطاعن الُملحدين فيه وأنواع المبطلين كالُمجّرة والُمشّبهة والُمجسّمة وغيرهم ...))[٥] ، وكأّنه بذلك ُيلخّص الأبواب التي اعتمد عليها في تفسيره .

والتبيان من التفاسير التي ُعنيت بالدرس النحوي عنايةً فائقةً حتى أّنه يعدّ مصدراً مهّماً من مصادر النحو عاّمة والمذهب الكوفي خاصّة . وقد أشار إلى أهمّية هذا التفسير كثير من علماء العربية من أمثال الصفدي[٧] (ت٧٦٤ هـ) ، تاج الدين السبكي[٦](ت٧٧١هـ) ،وابن حجر العسقلاني[٨] (ت٨٥٢هـ) ، وابن تغري بردي[٩] (ت ٨٧٤هـ)، وجلال الدين السيوطي[١٠] (ت٩١١هـ) .

واعتمدت بعض التفاسير على (التبيان) ، ولاسّيما مجمع البيان للطبرسي(ت٥٤٨هـ) ، الذي استقى منه ُجلّ مادته وصرّح بذلك في مقدّمته وأشار إلى أنّ التبيان هو((الكتاب الذي ُيقتَبس منه ضِياء الحقّ ،ويَلوح عليه َرواء الصِدق، وقد تضمّن من المعاني ، الأسرار البديعة واحتضن من الألفاظ ، اللغة الوسيعة ،ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها ، ولا بتنميقها دون تحقيقها، وهو القُدوة أستضيء بأنواره وأطأ مواقع آثاره))[١] . فضلاً عّما ورد متناثراً في التفاسير الأخرى.

---

(٢) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن أبي السكن الجبّائي ، رأس المعتزلة وشيخهم وكبيرهم ،ينظر طبقات المفسرين للداودي١٨٩/٢.
(٣) التبيان ١ /١ .
(٤) التبيان ١ / ٢ .
(٥) التبيان ١ / ٢ .
(٧) الوافي بالوفيات ٢ / ٣٤٩ .
(٦) طبقات الشافعية الكبرى ٤ / ١٢٦ .
(٨) لسان الميزان ٥ / ١٣٥ .
(٩) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥ / ٨٢ .
(١٠) طبقات المفسرين ٢٩ .
(١) مجمع البيان ٢٠/١ .

وقد طُبِع (التبيان) طبعتين الأولى في إيران ما بين سنتي (١٣٦٠هـ . ١٣٦٤هـ) وهي مليئة بالأخطاء اللغوّية والطبعّية ، والثانية في النجف الأشرف ما بين (١٩٥٧ـ ١٩٦٣) في عشرة أجزاءٍ ، وهي طبعة جيّدة بتحقيق أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب القصير ، إلا أنّها لم تخلُ من بعض الأخطاء المطبعّية أيضاً ، أشارَ إلى شيءٍ منها الدكتور كاصد ياسر الزيدي في أثناء دراسته للتفسير[٢]، وقد وقفت الباحثة على طائفة أخرى منها أشارت إليها في أثناء البحث[٣] .

ولأهمّية هذا التفسير علمياً ودلالياً فقد عمد الشيخ أبو عبدالله محمد بن إدريس الحلّي(ت٥٩٨هـ) إلى اختصاره وتجريده مّما فيه من القراءات واللهجات والإعراب والشرح اللغوي ، والاقتصار على المعنى المراد من الآيات في مؤلّفٍ من مجلّدين سمّاه: المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان ، أو منتخب التبيان .

(٢)
مفهوم الدلالة

ويشتمل على ثلاثة جوانب :

أ . مفهوم الدلالة عند علماء العربية:

حين نستكشف مادة (دلل) واشتقاقاتها في المعجمات اللغوية، لانجدُ ذِكْراً لعِلم الدلالة(**Semantics**) بالمفهوم الاصطلاحي الحديث ، وإنّما نقف على المفهوم العام لهذا اللفظ ، فالدليل : هو ما نستدلُّ به ، مّما يرشد إلى المطلوب .ودلّه على الطريق يدلُّه دَلالة ودِلالة ودلولة : أي أوصلَه إلى معرفته به ، وأدلَلْتُ الطريق إهتديتُ إليه[١] .

وهي بهذا المعنى لا تختصّ باللغة فقط ، وإنّما هي عامّة في كلّ ما يوصِل إلى المدلول. وفي ذلك يقول الجاحظ(ت٢٥٥هـ): ((ومتى دَلّ الشيء على معنًى ، فقد أخبرَ عنه وإن كان صامتاً ، وأشارَ إليه وإن كان ساكناً))[٢].

والدَلالة موجودة في اللغة منذ نشأتها، فاللغة كلّها دَلالات من حيث هي رموز وألفاظ ، ولكلّ لفظٍ دَلالته اللغوّية المُقترنة به منذُ وضعه الأصلي، فمتى سُمِع اللفظُ انتقلتْ صورتُه الذهنّية

---

[٢] منهج الطوسي ٢٠ .
[٣] ينظر: ص٧٩ ، ١٣٦ ، ١٨٦ ، ٢٢٨ ، ٢٥٦ ، ٣٠٧ ، ٣٢٣ من الرسالة .

إلى العقل . ويمكن القول إنّ هذه الدَلالة موجودة في القرآن الكريم وقبلَه في عصر ما قبل الإسلام ؛لأنّ القرآن خاطَبَ أهل ذلك العصر بلُغتهم ، وجاءتْ ألفاظه على أصول لغة عصرهم .

ولابدّ قبل البدء بتحديد مفهوم الدلالة في التراث العربي من التفرقة بينه وبين مصطلح المعنى ، فالدلالة هي مُحصِّل مجموع المعاني اللغوّية التي يتضّمنها اللفظ ، وهي وسيلة الوصول إلى المعنى ، فبها يومَأ إلى مفهوم اللفظ . أمّا المعنى فواحد من المفاهيم الدلالية التي يشير إليها اللفظ ، لذا تعدّ الدلالة أوسع من المعنى[٣] وأشمل .

وقد كشفت الدراسات اللغوية الحديثة كثيراً من أصول علم الدلالة في ذَخائر التراث العربي الإسلامي ، بخلافٍ يسيرٍ في فَهم حقيقة المصطلح وتحديده من ((فَرقٍ في المَدخَل أو في أسلوبِ معالجة اللغة))[٤] .

ولم يكن البحث الدلالي مُقتصراً على اللغويين فحسب ، بل تناوله بالدراسة علماء ومفكّرون من ميادين شتى، كالأصوليين والبلاغيين والفلاسفة والمناطقة والمفسّرين وعلماء النفس والاجتماع والاقتصاد وغيرهم من العرب والهنود واليونان ، إذ أدْلى كلٌّ منهم دلَوه وكان له منهجُه الخاصّ في تناول الألفاظ ودَلالاتها[١] .

ولتعدّد هذه الطوائف الفكرية ومناهجها في الدراسة ، نشأ الخلاف في تحديد الدلالة ومفاهيمها وطرائق دراستها ، فضلاً عن أنّ شمول الدلالة وتداخلها بالعلوم الإنسانية كافّة قد أدّى إلى اختلاف مفاهيمها[٢] ، ولكنّ هذا الخلاف يصُبُّ في مسارٍ واحدٍ ؛ لأنّ المفهوم العام للدَلالة عند الجميع واحدٌ ، غير أنّ كلّ طائفةٍ تتناولها بأسلوب خاصّ بها وتختلف عن غيرها بملاحظاتٍ واعتباراتٍ متباينةٍ .

وتعود بُذور البحث الدلالي القديم إلى اللغويين والنحويين بالدرجة الأولى وأقدمها في ذلك إشارات سيبويه (ت ١٨٠هـ) الدَلالية إلى عَلاقة الدال بالمدلول في ((باب اللفظ للمعاني))[٣] ، إذ أَولى بِنية الكلمة عنايةً بالغةً تمكّنه من التفرقة الدلاليّة بين أصناف الألفاظ ،وجسّدَ الأهمّية الكبرى للمعنى الذي هو أحد مُكوِّنات الدَلالة .

---

(١) ينظر (دلل) : العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي ٨ / ٨ ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم : الراغب الأصفهاني١٧٣ ، ولسان العرب : ابن منظور ١١ / ٢٤٧ -٢٤٩،وتاج العروس في جواهر القاموس:أحمد مرتضى الزبيدي ٧ / ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٢) البيان والتبيين :الجاحظ١/٨١-٨٢ .

(٣) الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية اللسانية) : ميشال زكريا ١٤١ .

(٤) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : نايف خرما ٩٥ .

(١) مناهج البحث في اللغة: تمام حسان ٢٤٠ ، وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة : عاطف مدكور ٢٣٣ .

(٢) نظرية الدلالة وتطبيقاتها : مطاع صفدي ٤٣ (بحث).

(٣) الكتاب ٢٤/١ .

وتبلور مفهوم الدلالة على نحو واضح لدى ابن جني (ت ٣٩٢هـ) ، الذي عُني بالأثر الاستدلالي في بِنية اللغة ، وأشارَ إلى تعدّد دَلالات اللفظ الواحد فميّز بين ثلاثة أقسام من الدَلالة : اللفظية والصناعية والمعنوية .تمثّل الأولى الدلالة اللغوّية أو المعجميّة وتمثّل الثانية الدلالة الصرفّية ، على حين تمثّل الثالثة الدلالة الخفّية المستفادة من وراء المعنى المَقصود التي تقوم على الاستدلال البياني[٤] .

وعُني ابن فارس (ت٣٩٥هـ) ، بدَلالات الألفاظ على وجه خاص ، إذ ربطَ في مُعجمه (مقاييس اللغة) المعاني الجزئيّة للمادة اللغوّية بمعنًى عام يجمعها[٥].

وكان له جهود دلالية قّيمة في كتابه (الصاحبي) ،إذ فّرق بين المعنى والتفسير والتأويل . فالأّول قَصد الكلام ومُراده ،والثاني تَفصيل المعنى وتَوضيحه ، أّما التأويل فآخر الأمر وعاقبته ، أو بمعنى آخر هو الدَلالة المُستوحاة من ظاهر النص . كما تطّرق لدلالة المعاني على الأسماء وأنواع العلاقات الدلالية بين الألفاظ[١] .

وثّمة مَباحث دَلالّية أخرى عُني بها اللغويون تتعلّق بالعلاقات الدلالية وبيان أصول الألفاظ والحقيقة والمجاز في الدلالة اللغوية ، وبأثر الدلالة في المتلقّي ، وأثر المُتلقّي في صياغة الخطاب اللغوي، فلم يقفوا عند الصورة الخارجية للغة ، وإنّما سَعوا إلى الكشف عن المَدلولات النفسيّة لها، وبَحثوا في المَفاهيم الفنّية للدلالة المُتمثّلة بالأساليب البيانّية وقدرتها على الإشارة إلى المعنى الخفيّ للنصّ ،وأثر السياق في الوصول إلى ذلك المعنى[٢] .

ونخلص من ذلك إلى أنّ مفهوم الدلالة لدى اللغويين تحكمه العلاقة بين اللفظ والمعنى ، وهم في بحثهم عن الدلالة ينطلقون من النص اللغوي إلى المعنى، فاللغة أولاً ثّم الفكر ثانياً ، وإنّما يُعزى ذلك ؛ إلى أنّ دراساتهم الأولى بدأت لغرض ضبط النص القرآني الكريم وصيانته من اللحن والحفاظ على نقاء اللغة وصفائها، لذا سعوا إلى وضع المعايير الخاصّة بذلك[٣] ، وفي خضّم هذه الدراسة المعيارّية يتعّرضون للدلالة بحسبانها وسيلة الوصول إلى المعاني .

---

[٤] الخصائص ٣/١٠٠ ، و ينظر: بنية العقل العربي:محمد عابد الجابري ٤٨ ، والدلالة اللغوية عند العرب : عبد الكريم مجاهد١٨٣ـ١٨٤ .

[٥] ينظر علم الدلالة:احمد مختار عمر٢٠،وتطور البحث الدلالي ، دراسة في النقد البلاغي واللغوي:محمد حسين الصغير٣٨.

[١] الصاحبي ٣١٢ـ٣١٤ ، وينظر: مفهوم الدلالة عند ابن فارس:صبحي البستاني١٨٢(بحث) ، وتطور البحث الدلالي٣٨ـ٣٩.

[٢] ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: علي زوين ١٦٥ ـ ١٧١ ، والدلالة اللغوية عند العرب٩١ ـ١٥٤،وعلم اللغة الاجتماعي عند العرب:هادي نهر ٢١٣ـ٢١٤ ، والدلالة في النحو العربي: كريم حسين ناصح الخالدي٧٣ـ٨٦ (بحث) .

[٣] أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٩٩.

أما مفهوم الدلالة في عُرف البلاغيين والنقاد ، فقد كان له مُحتواه المَعرفي الخاصّ ، الذي يتّخذ من الأداة اللغويّة مُرتكزاً ، ويقوم على أساس الترابط بين الشّكل والمَضمون أو الدالّ والمَدلول ، فقد تكونت لديهم أهمّ المفاهيم الدَلالية التي أثّرت في صياغة العقل البياني العربي في علومه المَعرفية كافّة ،ومَفادُها النظر إلى عُنصري الدَلالة (اللفظ والمعنى) كونهما كيانَين مُنفصلين يستقلّ كلّ واحد منهما عن الآخر ، لكنّهما متلازمان في مسارٍ واحدٍ لتحقيق الاتّصال اللغويّ الفنّي[٤] .

وقد عُني أوائل البلاغيين بالبُعد الوظيفي للعَملية الدَلالية المُتمثّلة بتحقيق الإفهام والتوصيل بين المتكلّم والمتلقّي ، من ذلك إشارات الجاحظ إلى البيان وأنواع الدَلالات الموصِلة إلى المعنى ، وتفضيله الدَلالة اللفظية على غيرها لقُدرتها على الإيحاء والوصول إلى تحقيق الإفهام الجيّد[٥]، إذ يهتّم بالغاية الدَلالية لا بالبِنية الفنّية[٦] .

والتفت إلى الجانب الفني في الدَلالة البلاغيون المتأخّرون ، ولاسّيما عبد القاهر الجرجاني[١] (ت ٤٧١هـ) ، الذي ربَط المعنى بالنحو وعُني بالعَلاقات التركيبية بين الكلمات داخل الجملة الوحدة وبين الجمل في النصّ الواحد[٢] . فالمعنى لديه نوعان[٣] : المباشر الذي يُستَقى من الدَلالة النحويّة للتركيب ، ومعنى المعنى غير المباشر الذي يُستَقى من الدَلالة البلاغيّة للتركيب ، وسمّى الأوّل التفسير والثاني المفَسَّر[٤] .

وأشار إلى أهمّية الألفاظ في الإيحاء بالدَلالة ، من خلال ائتلاف معانيها مع معاني ما يُجاورها في التركيب ، مُجرّداً اللفظ من أية مزيةٍ خارج السياق ، فبالتركيب تتمايز الألفاظ ويوصَل إلى الدلالة[٥] .

وظلّتْ المفاهيم الدَلالية التي أرسى قواعدها الجرجاني من الأسس الدلالية التي يرتكز عليها التحليل اللغوي لدى النقاد ، من ذلك ما ورد منها لدى حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)[٦]، إذ اعتمد

---

(٤) بنية العقل العربي ٤١ .
(٥) البيان والتبيين ٧٥/١ ، وينظر : بنية العقل العربي ٢٨ .
(٦) التفكير البلاغي عند العرب :أسسه وتطوره إلى القرن السادس : حمادي حمود ١٦٢ .
(١) ينظر تفصيل ذلك في منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ١٦٠ ـ ١٦٥ .
(٢) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ٥٥ .
(٣) المصدر نفسه ١٧٣ .
(٤) المصدر نفسه ٢٨٩ .
(٥) المصدر نفسه ٣٢ ، ١٧٠ .
(٦) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني ١٤ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، وينظر : منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ١٤٤ ـ ١٥١ .

على المعنى أساساً لنظريته النقدية ، وأكد أن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية للتغيير ، وبحث في أقسام الألفاظ وأنواع الدلالات من حيث وضوحها وغموضها .

وبنحوٍ عام يمكن القول إنّ الدلالة لدى البلاغيين والنقاد تلتزم قواعد اللغة في حدودها، وهي تقترن بتحقيق الإيصال البلاغي أو الفني ، إذ تناولوا المعنى الوظيفي الناشئ من تركيب الجملة وسَعوا إلى تأسيس قواعد الأسلوب البليغ ، أو ما يُسمّى نحو الأسلوب[٧] .

وعُني الأصوليون أيضا بالدلالة عنايةً خاصّةً [٨] ، وهم أصحاب علم الأصول ، الذي مداره إدراك القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية[٩] . إذ يعنى بدراسة العناصر المشتركة في عملية الاستنباط .

وهؤلاء هم أكثر الطوائف الإسلامية عنايةً بدراسة مباحث الدلالة ، إذ توسّعوا وكتبوا فيها شيئاً كثيراً ، فزادوا على ما قدّمه اللغويون والبلاغيون وانتهوا إلى نتائج وحقائق دلالية هي نفسها التي انتهت إليها المباحث الدلالية في العصر الحديث .وفاقتهم في ذلك عنايةً ودقةً وتفصيلات ،فكانت مباحثهم وسائل للوصول إلى أسس يُعتمد عليها في فهم النصوص الشرعية واللغوية ، واستنباط الأحكام منها[١] .

وقد عُنوا بالعلاقة بين اللفظ والمعنى أو الدالّ والمَدلول ، فدرسوا أصل اللغة وحقيقة وجود الألفاظ ، واختلاف دَلالتها الشرعية ، وتتّبع تطوّرها الدلالي ، كما عُنوا بالتحليل العقلي للغة ، أو بما يُسمّى تفسير دَلالات الخطاب اللغوي[٢] .

وجعل الأصوليون دَلالة الألفاظ على قسمين : التصوّرّية : التي ينتقل فيها المعنى إلى الذهن عند سماع اللفظ ، والتصديقية : التي ينتقل فيها المعنى إلى ما يَقصدُه المتكلّم وله مِصْداق في الواقع الخارجي . فالأولى احتمالّية قابلة للتغيير تبعاً لما يُرتسم في تصوّر المتكلّم ، والثانية ثابتة تبعاً لتطابق ما في تصّوره للواقع الخارجي [٣] .

كما قسّموا دَلالات الألفاظ من حيثُ إيحاؤها بالمعنى على أقسام ، وهي باتفاقهم أربعة : عبارة النصّ ، وإشارة النصّ ، ودَلالة النصّ ، واقتضاء النصّ[٤] .

---

[٧] البحث النحوي عند الأصوليين : مصطفى جمال الدين ٩ ، ١٣ ، وينظر: البحث الدلالي عند ابن سينا: مشكور كاظم العوادي٧٨ .

[٨] ينظر تفصيل ذلك في : منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ١١٧ -١٣٩، والبحث الدلالي عند ابن سينا ٢٣-٣٤ .

[٩] ينظر المعتمد في أصول الفقه : أبو الحسين البصري المعتزلي ٩/١ ، والمستصفى من علم الأصول : أبو حامد الغزالي ٤/١-٦ .

[١] دراسة المعنى عند الأصوليين : طاهر سليمان حمودة ١ .

[٢] بنية العقل العربي ٦٥ ـ ٥٨ .

[٣] ينظر المستصفى من علم الأصول ١١/١ ، والبحث النحوي عند الأصوليين ١١ .

[٤] ينظر الأصول : السرخسي ٢٣٦/١ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، والتعريفات :الشريف الجرجاني٢٥،٦١،٢٢،٨٥.

وربطوا دَلالـة الألفاظ بـالفكر الإنسـاني ، فهـي دَلائل الحُكم علـى صحَّة الفِكر أو خَطئِـه ؛ ولذلك حرَصوا على استقراء وجوه الدلالة وعَلاقة الألفاظ بعضها ببعض ، فضلاً عن إرادة المتكلّم وقصده[٥] ، فقد أُولوا قصد الُمشرِّع عناية ً بالغة ً بحثاً عن الدَلالة ، ولذلك لجؤوا إلى التأويل الذي ارتبط بـالنصّ والعقل معاً ، مـع تأكيد الأداء اللغوي للمعنـى ، وحياة الشريعة وظـروف أهلها ، والتطّور الدلالي للألفاظ بما يوافق الحياة الإسلامية الجديدة[٦] .

وقّسموا دَلالات الجمل علـى قسمين : المنطـوق الـذي يُستقى من ترتيـب الـنصّ ، ويَختلف باختلاف سياقات الجملة . والمفهوم الذي يُستنَبط معناه من الكلام بطريق الالتزام ، إذ يكون حُكماً لغير المَذكور[٧] .

ويمكن القول إنّ علم الأصول وثيق الصلة بعلم الدلالة ، وإن مباحث الأصوليين هي دلالية بحتة ، وقد ربطها بعض المحدثين بمباحث علم الدلالة الحديث فكانت على النحو الآتي[١]:

١. علم دلالات الألفاظ ، ويقابله علم المعنى عند المحدثين .

٢. علم بناء الجُمل ، ويقابله علم النحو .

٣ـ علم علاقة الرموز بالسلوك ، ويقابلـه علم الذرائعية أو البراغماتية الذي يختصّ بمعرفةعلاقة النص بـالمتلقي ومعرفـة من يُحسّن ويقّبح الأحكام ومن يتقّبلها ، ويحدّد العلاقة بين الُمشرِّع والُمكلَّف .

وهم في كلّ ذلك لا يبتعدون عن مَفهوم الدَلالة لدى اللغويين ، فتراهم يأتلفون مّرة ً ، ويختلفون أخرى .

ومّمن كان له عناية بالبحث الدلالي أيضاً المفسّرون ، فقد ارتبط علم التفسير بعلوم اللغة كافـّة ؛ لأّنها وسيلته في تفسير آيات القرآن الكريم وتوضيحها. ولذا تُعدّ من ألزم العلوم التي يجب على الُمفسِّر أن يلمَّ بها حتى يُسوَّغ له أن يقول في كتاب الله تعالى ما ينوِّر الله به بصيرتَه[٢] .

والبحـث فـي الدَلالـة هـو عَمـاد التفسـير ، إذ تُسـخَّر علـوم اللغـة والنحـو الصـرف والتـاريخ والأصول والفقه والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول للوصول إلى الدَلالة . ولذا فقد عُني المفسّرون بمباحث علم الدلالة وزخَرت مؤلّفاتهم بمسائلَ دَلالية غنّية سبقوا فيها علم اللغة الحديث .

---

(٥) المدخل إلى دراسة البلاغة العربية :السيد أحمد خليل ٣٩ .

(٦) التصور اللغوي عند الأصوليين : السيد أحمد عبد الغفار ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ .

(٧) المستصفى من علم الأصول١٩٠/٢ ـ١٩١ .

(١) الرسالة الرمزية في أصول الفقه:عادل فاخوري ١١ ، وينظر : البحث الدلالي عند ابن سينا ٣٣ .

(٢) ينظر البرهان في علوم القرآن : الزركشي ٢٢/١، والإتقان في علوم القرآن : السيوطي ١٨٠/٢ ، والتفسير والمفسرون : محمد الذهبي ١٥٨ ، والقرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: عبد العال سالم مكرم ٤٥ .

ولم تكن مُكوَّنات البحث الدلالي لدى المفّسرين مُنفصلة عن مُكوِّنات البحث اللغوي ، ذلك لأنّ القرآن الكريم هو الحافز الأكبر لنشأة الدراسات العربية عموماً ، إذ وجدت لخدمته ، الأمر الذي أدّ ى إلى تداخل هذه الدراسات، حتى أنّا نرى مُفسِّراً لغوّياً وفقيهاً مُحدِّثاً ومُقرئاً نحوّياً وكلامّياً صرفّياً ، بل قد نجد مَن يجمع أكثر هذه المعارف ، أو كلّها جَمعاً تتفاوت درجة الاتقان فيه من دارس إلى آخر[٣] .

ويختلف مفّسر ا لنصّ القرآني عن الأديب المفّسر للنص الأدبي ، إذ تنعكس شخصية الأديب وأحاسيسه وأفكاره على الجوانب المعنوية التي يَسعى إلى الكشف عنها في النصّ الأدبي ، غير أنّ المُفسِّر للنصّ القرآني يبذل جَهداً في تسخير قُدراته الثقافّية والعلمّية في الكشف عن مقاصِد الإرادة الإلهّية ، وكيفية تعاملها مع السلوك البشري على مرِّ العصور والأزمان ، إذ تُخطّط للحياة وتُمهِّد للمستقبل وتعمل لحماية الإنسانّية بكل انحرافاتها وغرائزها وعواطفها[٣] .

ومن أجل تحقيق هذا الغرض نجد المفّسر في الغا لب يَستنبط من النصّ معاني يأذَن بإضافتها إليه نظُمه وتركيُبه ، ووسيلته في استنباط هذه المعاني هو التأويل ، فالتأويل ألصَق بالمفسِّر من غيره ؛ لأنّه يحاول دائماً أن يكشف عن معانٍ جديدة في النصّ ، ويتطّلع إلى دَلالات أخرى غير تلك التي تُعرف بالدَلالات الثانية في النصّ[١]. وهي الدَلالات الثالثة التي تكون إمّا فقهية أو عقيدية أو دينية فلسفّية أو تشريعّية .

والمفّسرون بنحوٍ عام يبسُطون شخصّياتهم على النصّ الذي يفّسرونه بما حصّلوه من المعارف وما استقر في وعيهم من الثقافات ، ولذا اختلفت مناهجهم في التفسير ، فقد كان الأوائل منهم يُعَنون بالدلالتين الصرفّية والنحوّية أكثر من غيرها ، من أمثال الفراء ، والأخفش (ت ٢١٥هـ) ، وابن قتيبة ، والزجاج[٢] . على حين عُني من جاء بعدهم من المفّسرين باستنباط الدلالة بكلّ أنواعها من صوتّية وصرفّية ونحوّية وبلاغّية وصولاً إلى استنباط الدلالة الفقهّية والشرعّية ، ولاسّيما المتأخّرون منهم من أمثال : الطوسي ، والطبرسي ، والقرطبي (ت٦٧١هـ) ، والبيضاوي (ت٧٩١هـ) .

وكان هؤلاء مهتّمين بالمعنى كثيراً ، إذ يتتّبعون دَلالات الألفاظ على مَعانيها في أحوالها المختلفة ، من تعريفٍ وتنكيرٍ ، وإفرادٍ و جَمعٍ ، وذِكرٍ وحَذفٍ ، وبَحثوا في أثر النظم في اختيار الألفاظ عاّمة والفواصل خاصّة ، وأسباب العُدول من لفظ إلى آخر ، ودَلالات الصيغ ، وأشاروا

---

(٣) الدراسات اللغوية عند العرب إلى القرن الثالث : محمد حسين آل ياسين ٧٨ .
(١) المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ٦٤ ـ ٦٥ .
(٢) المصدرنفسه٦٦ ـ ٦٧ .
(٣) ينظر : أثر القرآن في النقد العربي: محمد زغلول سلام ٥٠ ، وتطور تفسير القرآن ، قراءة جديدة :محسن عبد الحميد٤٩ـ٥٠ .

إلى الأبلغ في الدلالة على المعنى المقصود ، وأوجه الترابط بين معاني الآيات واشتراكها في المعنى الكلّي ، وتأكيد الوحدة المعنوية في السورة الواحدة ، بل في القرآن كلّه واستنباط الأدلّة الشرعيّة والأحكام العقيديّة ، والاستدلال على بُطلان أقوال الطاعنين في القرآن والمُلحدين والمُبتدعين .

وخلاصة القول إنّ البحث الدلالي لدى علماء العربية كان واضح المعالم ، وقد اتسع وشمل أغلب المباحث الدلالية التي استقرت في علم اللغة الحديث ، ولكنّه كان بحثاً متفرقاً في مؤلفاتهم المختلفة .

ب . مفهوم الدلالة لدى المحدثين :

أصبحت قضايا الدلالة ومباحثها لدى المحدثين علماً قائماً بنفسه يُعَرف بعلم دراسة المعنى[١] .

وقد ظهرت أولّياته في أواسط القرن التاسع عشر على يد العالم الغربي: ماكس مولر، الذي أصدر كتابين في عامي ١٨٦٢ و١٨٨٧، تناول فيهما الكلام والفكر، والعلاقة بين علم اللغة، والتحليل المنطقي للمعنى[٢]. تلاه بعد ذلك اللساني الفرنسي : ميشال بريال ، الذي أصدر بحثاً بعنوان (مقال في علم الدلالة) عام ١٨٩٧ ، استعمل فيه مصطلح الدَلالة (**Semantic**) بعد أن اشتقّه من تراث الإغريق ، وتأثّر في بحثه بالاتجاهات التاريخيّة القديمة والفصائل اللغويّة المُندثرة ، فأحدث ثورةً في دراسة علم اللغة الحديث ؛لأنّه أول دراسة حديثة لتطّور معاني الكلمات[٣].

وتعاقَب طائفة من المُحدثين الغربيين على هذا العلم في بحوثٍ ودراساتٍ متفرّقةٍ ، من أشهرهم: ستيفن أولمان ،الذي أثرى المكتبة اللغوية بعدّة كتبٍ في علم الدلالة والمعاني والأسلوب[٤] .

ومنهم أيضاً العالم اللغوي فردينان دي سوسير رائد المدرسة البنائية الذي ألقى في عام ١٩١٦ محاضرات في اللغة قدّمت كثيراً لعلم اللغة عامة وعلم الدلالة خاصة ، فقد أشاع مبدأ الثنائية في اللغة والكلام والدال والمدلول، إذ تقوم الدَلالة لديه على رُكنين أساسيين يرتبطان بالُبعد النفسي للمتكلّم[٥] .

وبُنيت على نظرية سوسير النظرّية الإشارية لصاحبيها ريتشاردز وأوجدن ،اللذين ألّفا في عام ١٩٢٣ كتاباً بعنوان(معنى المعنى) وضعا فيه أسس هذه النظرية التي تقوم على أساس أنّ

---

(١) علم الدلالة : جون لاينز ٩، وعلم الدلالة (مختار) ١١ .
(٢) علم الدلالة (مختار) ٢٢ .
(٣) علم اللغة: محمود السعران ٣١٧ ـ ٣١٨ ، وعلم الدلالة(مختار) ٢٢ ، وعلم الدلالة : نور الهدى لوشن ١٥ .
(٤) علم الدلالة (مختار) ٢٣ .
(٥) ينظر علم اللغة العام:فردينان دي سوسير ٣٢ ـ ٣٥ ، ٨٤ ـ ٨٦ ، وعلم اللغة للسعران ٣٢٨ ـ ٣٣٠ .

الدَلالـة تتكّون من ثلاثـة أركـان: الرمـز والفكـرة والشـيء الخـارجي ،وترتبط فيمـا بينهـا لتكّون ُمثّلّثاً معنوّيـاً متماسـكاً ،وأكّدا أنّ العَلاقـة بـين الرمـز والشـيء الخـارجي أو بـين الـدال والمـدلول ليسـت مباشرةً ، بل تمرُّ عَبر الفكر الإنساني الذي يمثّل ُركناً دَلالياً مستقلاً لكنّه غير ثابت ،ولذا عّبرا عنه في الرسم بالخط المنقوط(٦) .

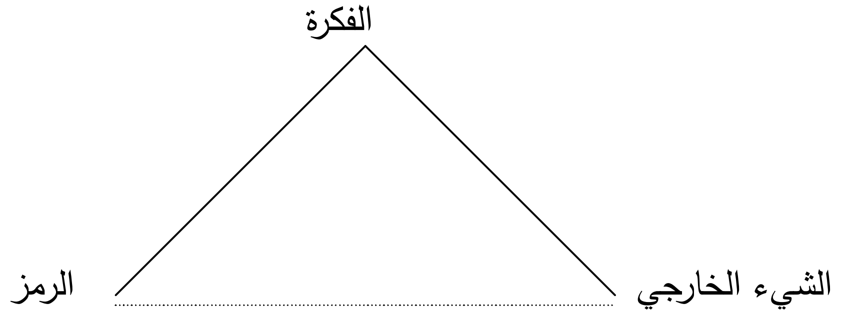

و ظهرت عِدّة ُمؤلّفات لآخرين ُعنوا بالمعنى والدَلالة ، ولكّنها لم ترقَ بهذا العلم إلى المستوى المَطلوب حتى ظهرت بوادر المدرسة التوليديّة التحويلّية على يد العالم اللساني نوام تشومسكي ، الذي شكّل الأسس والُمعطيات الأولى لهذه المدرسة التي تتناول دراسة ماوراء اللغة ،وتُعنى بعلم التراكيـب وصـياغة الجمـل ، وتبحـث فـي الأصـول التكوينّيـة الفطرّيـة للغـة عنـد الإنسـان مؤكّـدة امتلاكـه القـدرة اللغوّيـة علـى تـأليف مالايتنـاهى مـن الُجمـل بمـا ُيسـّمى :الكفايـة اللغويـة ، وهـي الُممارسة الفعلّية للمتكلّم التي تُجسّد قُدرته على تطبيق قواعد لُغته في صياغة الكلام .وركّزت هذه النظرية أيضاً على مفهوم الأداء اللغوي الذي ُيراد به الكلام الفعلّي . وأثبتت أنّ في كلّ جملة بِنيتين: السطحية التي يعكسها الأداء اللغوي ، والعميقة التي تعكسها الكفاية اللغوية(١) .

أّما قي العالم العربي فقد كان علم الدلالة بطيء التطّور قياساً إلى ما توصّل إليه الغربيون ؛ لأنّ الدارسين العرب المحدثين ظلّوا تحت جناح القدماء، ينهلون من أصولهم التُراثية وُيوازنون بينها وبين ما قاله علماء الغرب.

وكـانوا علـى قسـمين : بعضـهم رفضَ هيمنـة الرؤيـة التراثيـة ، ودعـا إلـى الأخـذ بالمفـاهيم الغربّية بعيداً عن عِلم الأّولين الذي انتهى ولا جديد فيه(٢). على أنّ أغلَبهم يرفضُ ذلك ويرجح

---

(٦) ينظر ريتشاردز . The meaning of meaning . P:11 ، وعلم الدلالة (مختار)٢٣ ـ ٢٤ .
(١) ينظر البنى النحوية : تشومسكي ١٩ ، وابن جني عالم العربية : حسام سعيد النعيمي ١٦٣ .
(٢) عبد القادرالفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية٦٠-٦١ .

الاستظلال بعِلم القدماء، ويتفاخر بالوقوف عند جهودهم الدَلالية الأصيلة، وفاءًلهم وعرفاناً بفضلهم، فهم الجذور التي لا يمكن استئصالُها .

وسعى هؤلاء . وهم الغالبية ـإلى توظيف هذا التراث ليصُبّ في ميادين علم الدَلالة الحديث تواصُلاً مع تطّور العصر والدراسات الحديثة ، والنُهوض بدراساتٍ تُطّعم القديم بالحديث وتقوم على أُسسٍ جدلّية خِصبة[1].

وكان لابد للبحث من الوقوف على مفهوم الدلالة لدى اللغويين والنحويين والبلاغيين والنقاد والأصوليين والمفسرين ؛ لأنّه مختصّ بتفسيرٍ جامعٍ لكلّ هذه العلوم بل أكثر منها ، ومن أجل أن نترسَّم أثر ا لطوسي في تناوله الدَلالة وهو يفسّر كتاب الله العزيز ، لأبدَّ من الاستضاءة بألوان المَعرفة الدَلالية لدى المحدثين أيضاً .

[1] يبظر التفصيل في أسماء الدلاليين العرب : تطوّر البحث الدلالي٩٥ـ١٠٨.

ت . مفهوم الدلالة لدى الطوسي :

تنّوعت أبعاد الدَلالة لدى الطوسي من حيث الُصطلح والُمكوِّنات ، وسنقف عند تلك الأبعاد مقسّمة على النحو الآتي :

١ . تداخل المصطلح :

تتداخل مفاهيم المصطلحات لدى الطوسي ، شأنه شأن سابقيه ومعاصريه ، إذ لم تتحدّد الهياكل التنظيريّة للمفاهيم الدلالّية ، كما هي في العصر الحديث . وقد تداخلَ مصطلح الدَلالة لديه بجُملة من الُصطلحات الأخرى التي ترتبط معه بصورةٍ أو بأُخرى .

فقد جعل الدَلالة بمعنى العَلامة ، وهو مفهوم واسع يضّم أنماط الدلالات المختلفة في الوجود الطبيعي ،فالعلامة لديه تشمل الوسائل التعبيرية الممكنة كافّة ، اللغوّية وغير اللغوّية . قال: ((والعلامةُ صورةٌ يعلَم بها المعنى من خَطّ أو لفظ أو إشارة أو هيأة ، قد تكون وضعية ، وقد تكون برهانية))[1] ، فالوضعية هي الموجودة بالتواضُع والتواطُؤ ، والبرهانية هي التي يستدلّ عليها بالعقل والبرهان .

والحق أنّ الدلالة أعّم من العَلامة ؛ ذلك لأنّ الأولى ((كامنةٌ مستقّرةٌ لا ظهور لها دون العلامة التي تُجسّدها وتُحقّقها في الواقع اللغوي))[2]، غير أنّ مساواة الطوسي بين المصطلحين تعود إلى أنّ الدلالة ُمستنَبطة من كلّ نمط من أنماط العَلامات التي ذكرَها . فالعَلامة هي الموصِلَة إلى الدَلالة ، وليست هي نفسها .

وقد سبقه الجاحظ إلى تحديد أنواع العَلامة ، حين أوضح المسألة الدَلالية في بُعدها الكلّي ، إذ إنّ ((جميعَ أصناف الدَلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد ؛ أولها: اللفظ ، ثّم الإشارة ، ثّم العقد ، ثّم الخطّ ، ثّم الحال التي تُسّمى نَصبة ، ولكلّ واحد من هذه الخمسة صورةٌ بائنةٌ عن صورة صاحبتها))[3] .

وما قال به الاثنان---- إنّما هو تلخيص لوسائل الإبلاغ التي تقوم على نسقٍ تنظيميٍ مُحكَمٍ ، وفي ذلك تأسيس لمفاهيَم لسانّية دَلالّية تتوخّى الشُمولية في الُمعالجة ، وتَنطلق من شُروط توصيل الدَلالة كما يقصُد إليها المتكلّم ، ومن وعيٍ دقيقٍ بأوضاعِ الُمتلقّي وأحواله

---

(١) التبيان ٢ / ٤٥ .

(٢) علم الدلالة ، أصوله ومباحثه في التراث العربي : منقور عبد الجليل ١٢١ .

(٣) البيان والتبيين ١ / ٨٤ .

العامّة[٤]، أو كما يقول الجاحظ ((وعلى قَدر وُضوح الدَلالة، وصَواب الإشارة ، وحُسن الاختصار، ودقّة المَدخَل ، يكون إظهار المعنى))[١] .

وحديث الطوسي عن العلامة يدخل في ضمن ما يُعرف لدى المحدثين بعِلم الرموز،والرمز مثير بديل يستدعي لنفسه الاستجابة التي قد يستدعيها شيء آخر عند حضوره، وقد يكون لغوياً أو غير لغوي ،كإشارة اليد ، أو إيماءة الرأس ، أو علامات الترقيم ، أو الرموز العسكرية أو المرورية وغير ذلك ، فهي جميعاً تحمل معاني خاصّة[٢].

وقد أشار العالم اللغوي: دي سوسير إلى أنّ اللغة واحدةٌ من هذه الرموز ، وعدّها نظاماً من الإشارات (**System Of Sign**) التي تعبّر عن الأفكار ، وشبّهها بنظام الكتابة ،وبلغة فاقدي السمع والنطق، وبالطقوس الرمزية أو العلامات العسكرية ، غير أنّه عدّ اللغة أهمّها جميعاً[٣]؛ لأنّها أعمّ وأشمل من سواها من العلامات ، فهي النظام الوحيد الذي تتحقّق دَلالته على مستويين ، على حين لا تمتلك العلامات الأخرى سوى بُعد دلالي واحد ، فقد يكون بُعداً إشارياً ، بلا دَلالة القول ، مثل : التحيّات ، أو يكون بُعداً في دَلالة القول بلا بعد إشاري ، مثل: أنماط التعبير الفنّي ، أمّا اللغة فـ تجمع بين دَلالة العلامات المُفردة ودَلالة القول في آن واحد[٤] .

وقد أشارَ بعض أعلام الفكر العربي القدماء إلى تميّز اللغة من سائر أنواع العلامة ، لامتلاكها خاصيّة التولّد والانتشار إلى حدّ الاستيعاب والشُمول[٥] .

وقد جعل الطوسي في مواضع[٦] أخرى الدلالة بمعنى البيان ، فهما بمنزلةٍ واحدةٍ . والبيان لديه عامّ الدلالة ، ويشتمل على أصناف العلامة التي أشار إليها آنفاً ، إذ قال: ((هو ما يُظهِر المعنى للنفس عند الإدراك بالبَصر والسَمع ، وهو على خمسة أوجهٍ : باللفظ ، والخَطّ والعقد بالأصابع ، والإشارة إليه ، والهيئة الظاهرة للحاسّة كالإعراض عن الشيء والإقبال عليه والتقطيب وضدّه ، وغير ذلك))[٧] .

وقد أخذ موضوع (البيان) حيّزاً واسعاً في الدراسات الدلالية القديمة والحديثة وأوّل من أشار إليه الجاحظ الذي عدّه اسماً جامعاً لكلّ شيءٍ كشفَ قِناع المعنى وهتكَ سِتر الحِجاب وبلغَ الفَهم

---

[٤] علم الدلالة ، أصوله ومباحثه في التراث العربي ١٢٤ .
[١] البيان والتبيين ١ / ٨٩ .
[٢] علم الدلالة(مختار)١١-١٢ .
[٣] علم اللغة العام ٣٤ .
[٤] مدخل إلى السيموطيقا (مقالات مترجمة) بإشراف : سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد ٢ / ٢٧ .
[٥] التفكير اللساني في الحضارة العربية : عبد السلام المسدي ٣٢٤ .
[٦] التبيان ٢ / ٣٤٣ ، ٥٩٩ .
[٧] التبيان ٩ / ١٨٠ .

والإفهام[١]. ثمّ تلاه علّي بن عيسى الرّماني الذي قصَره على أربعة أقسام : كلامٌ وحالٌ وإشارةٌ وعلامةٌ . وأعطى القسم الأوّل أهمّية خاصّة حينما جعله على نوعين : **أولهما** كلامٌ يظهر به تميّز الشيء من غيره فهو بيانٌ ، **والآخر** : كلامٌ لا يَظهر به تميّز الشيء ، فليس ببيانٍ ، كالكلام المُخلّط والمُحال الذي لا يُفهم به معنىً[٢] .

وقد أشار الطوسي إلى هذا المفهوم وعدّ البيان غايةً من غايات الخطاب اللغوي مُشترطاً فيه الأداء اللغوي بالكلام الفعلي على وجه الحقيقة ، إذ يَشترط فيه أن يُظهِر ما في النفس،أي : لا يكون معنىً قلبّياً قائماً على الفَهم أو الإدراك النفسي ؛ لأنّ ((ما يوجد في النفس من العِلم لا يُسمّى بياناً على وَجه الحقيقة))[٣]. فالبيان بهذا وُضوح في الكلام الفعلي ، أو بمعنى آخر هو صفة من صفات المتكلّم والمتلقي على حدٍّ سواء ، فلا يُسمّى الكلام بياناً إلا إذا تمكّن المُتلقّي من تفكيك معاني الخطاب المُوجَّه إليه والوصول إلى الدَلالة المَقصودة . ولذا يَعدّ الطوسي الكلام الذي لا يُحقّق البيان لَغواً ؛ لأنّه مُنعدِم الفائدة غير قادرٍ على تحقيق غرضه الأصلي وهو التفاهم[٤].

وقد عُني المحدثون أيضاً بمفهوم (البيان) ، وتناولوه طبقاً لما هو عليه لدى القدماء ، بحُسبانه من المَنظومات الرَمزية الأساسية بين المتكلّم والمتلقّي التي تقيم رَوابط طبيعيّة وبيئّية بين الخِطاب وسياقه المتنّوع من اجتماعي وذاتي وانثربولوجي[٥].

ومن الإشارات المهمّة للطوسي في مفهوم الدلالة ، تأكيده أنّ الدلالة هي وسيلة الانتقال إلى المعنى ، بل إنّها وسيلة الانتقال من معنى إلى آخر ، وذلك حين أنكر على الرّماني تفرقَته بين الدَلالة والبُرهان ، إذ إنّ البُرهان لديه : بيانٌ عن معنى يُنبئ عن معنى يَشهد بمعنى آخر . وهو ما رفضه الطوسي مؤكّداً تساوي البُرهان والدَلالة في المعنى ، إذ بهما يمكن ((الاستدلال على ما هو دَلالة عليه مع قصدِ فاعلِه إلى ذلك))[٦] .

والبُرهان من مفاهيم الفلسفة والمنطق ، ويُراد به الاستدلال بالدليل على صحّة الشيء وفساده[٧]. فالذي يريد أن يُثبت أمراً ما يُبرهن على صحّته بطريقٍ مباشرٍ ، ويكون بذلك نافياً لنقيضِه بطريقٍ غير مباشر . ولذا عدّه الطوسي شبيهاً بالدَلالة ؛ لأنّ فيه انتقالاً من معنى إلى

---

[١] البيان والتبيين ١ / ٨٢ ، ٧٦ .
[٢] النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) : الرماني ١٠٦ ـ ١٠٧ .
[٣] التبيان ٩ / ١٨٠ .
[٤] التبيان ٢ / ٢٢٩ .
[٥] استراتيجية التسمية :التأويل وسؤال التراث: مطاع صفدي ٤ .
[٦] التبيان ١ / ٤١١ .
[٧] التبيان ٤/٣٩٠، ٥/٣١١ .

آخر ، ولكن هذا تقييد وتحديد لمفهوم الدَلالة تولّد عن تأثّر الطوسي بالثقافات المنطقية والفلسفية التي سادت عصره .

أمّا ما قال به الرّماني ، فهو المفهوم الحديث للدَلالة ، إذ إنّها تومئ إلى المعنى وتوحي به سواء أمباشراً كان أم غير مباشر . ولذا عدّ أبو هلال العسكري الدَلالة أعمّ من البرهان[1] .

ومساواة الطوسي الدَلالة بالعلامة والبيان والبرهان ، إشارة إلى دَلالة هذا المصطلح على الإفهام والوصول إلى المعنى بنحوٍ عام ، لكنّه لم يفُته الإشارة إلى مفهومها الخاص ، وهو المفهوم اللغوي والاصطلاحي ، وذلك حين ساوى بينها وبين الرسالة ، فهما لديه ((جملة مضمّنة بمن يصل إليه ممّن قُصد بالمخاطبة))[2] ، ففي كلٍّ منهما يتحقق معنى الإرسال ،الذي يُراد به ((التوجّه بالرسالة والتحميل لها لتؤدّى إلى من قُصِد))[3] . فالدَلالة تحمل المعنى للمخاطَب ، كما تحمل الرسالة الخَبر للمرسَل إليه ، فكلاهما تُحقّق عملية الإيصال والإفهام .

ونخلص من كلّ ذلك إلى أنّ مصطلح الدلالة لدى الطوسي كان شاملاً جامعاً لكلّ أنواع الدَلالات اللغوية وغير اللغوية ، مع تأكيد امتلاكه سمة النفاذ والوصول والاتساع في تحقيق عملية الاستدلال .

٢ . اعتباطية الدليل اللساني :

تناول الطوسي قضيّة لغويّة دلاليّة كانت موضع عناية كبيرة بين علماء العربية وعلماء البشريّة عَبر تاريخهم الطويل ، وهي قضيّة عَلاقة الدالّ بالمدلول أو الاسم بالمُسمّى . وقد أُعيدَ تناول هذه القضية لدى المحدثين على يد العالم اللغوي فردينان دي سوسير الذي ذهبَ إلى أنّ العَلاقة بين الدالّ والمدلول اعتباطيّة كيفيّة ؛ لأنّ الدالّ لا يستمِدّ معناه وقيمته الدلالية من بِنيته الصوتّية[4] .

وقد جمع سوسير الدالّ والمَدلول تحت مصطلح واحد سمّاه الدليل اللساني (**Leasing Linguistigue**) ، إذ عدّهما وجهين لشيءٍ واحدٍ لا يمكن الفَصل بينهما[5].

وقد حَرص علماء العربية على إيجاد صلةٍ وثيقةٍ بين الدالّ والمدلول دعت إلى ارتباط هذا الدالّ بمدلوله من دون غيرِه ، وهم في كلّ ذلك لم يَخرجوا عن دائرة التصوّر الإسلامي لهذه القضيّة ، بل كانت آراؤهم تتبع دائماً من الآثار الإسلامية الواردة في هذا الشأن ، ومن تفكيرهم

---

(١) الفروق في اللغة ٦٢ ـ ٦٣ .
(٢) و(٣) التبيان ٢ / ٣٠ .
(٤) علم اللغة العام : ٨٧ .
(٥) المصدر نفسه ٨٤ ـ ٨٦ .

الخاص الذي أدّاهم إلى تكوين وِجهة عقلّية خاصّة بقضيّة نشأة اللغة[1]. وقد دارت بحوثُهم على ثلاثة محاور[2]:

الأول : التوقيف أو الإلهام : وهو رأي أغلب الأشاعرة والمعتزلة ، ومفادُه أنّ اللغة نشأت بتوقيفٍ إلهّي ، مُستدلّين بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة :٣١]، إذ فيه دَلالة على أنّ آدم والملائكة لا يعلمون شيئاً إلا بتعليم الله ، بعد أن خَلق فيهم الاستعداد الذاتي لَمعرفة دَلالة الدالّ على المدلول.

الثاني : الاصطلاح : وهو رأي بعض المعتزلة وغير واحد من أهل العلم . ومفادُه أنّ اللغة نشأت بتواضع الإنسان واصطلاحه على تسمية المُسّميات ، معتمدين في ذلك الاستدلال العقلي.

الثالث: المناسبة الطبيعّية : وهو رأي عّباد بن سليمان الصيمري المعتزلي (ت٢٥٠هـ) ومفادُه أنّ الألفاظ تدلّ على المعاني بذواتها ، إذ تُنبئ أصواتُها عن معانيها .

وما يهّمنا من هذا العرض هو تحديد رأي الطوسي ، فقد حَمل قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١] على أّنه تعليم إلهامٍ، إذ قال : ((وظاهر الآية وعمومها يدلّ على أّنه علّمه جميع اللغات... فأخذَ عنهُ ولُدهُ اللغات فلّما تفّرقوا تكلّم كلّ قوم منهم بلسان ألفوه واعتادوه ، وتطاَول الزمان على ما خالفَ ذلك ، فنسوه...))[3] ، ولكّنه على الرغم من ذلك لا يُنكر قولَ من قال بأّن الله خلقَ في آدم القُدرة والتمكّن على أن يَبتدع لكلّ شيء اسماً يُشاكله، بدليل تفرقته بين الإخبار والإعلام ، فقد فّسر قوله تعالى: (**وعلّم**) بأّنه((خَلق العِلم الضروري في القلب كما خَلق الله من كمال العقل والعِلم بالمشاهدات ، وقد يكون بنِصب الأدلّة للشيء . والإخبار هو: إظهار الخبر،عُلِم به أو لم يُعلَم، ولا يكون مُخبراً بما يَحدث من العِلم في القلب ، كما يكون مُعلماً بذلك))[4] وقد صرّح بهذا المعنى في آخر تفسيره للآية ، بعد أن أشاَر إلى الدَلالة المُستوحاة منها وهي: أنّ الله هو المعلّم الأّول للبشر ، وأّنه لا عِلم للإنسان إلاّ ما علّمه الله . ويكون هذا العلم بسببين : ((إّما بالضرورة))[5]أي بالإلهام الذي يتنّزل على الإنسان من غير إرادة منه ،((وإّما بالدَلالة))[6] أي بالاستدلال العقلي والتواضُع والاصطلاح .

---

[1] فقه اللغة العربية: كاصد ياسر الزيدي ٣٤ .

[2] ينظر :الخصائص١/٤٠-٤٧ ، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي ٨ -٢٩ ، وعلم اللغة: علي عبد الواحد وافي ٩٧-١٠٦ ،والتفكير اللساني في الحضارة العربية ٦٧-١٠٠ ، وفقه اللغة العربية ٣٤-٤٦

[3] التبيان ١ / ١٣٨ .

[4] التبيان ١ / ١٣٧ - ١٣٨ .

[5] و[6] التبيان ١ / ١٤٤ .

وموقف الطوسي المعتدل ، ماثله قول طائفة من علماء العربية[١] الذين قالوا بالتوقيف ولم يُنكروا الاصطلاح ، فجمعوا بين الأدلّة العقلّية والنقلّية .

وفي إقرار الطوسي بقدرة الانسان على تكوين اللغة ، إشارة إلى وجود كفايةٍ في ذات الإنسان لتكوين اللغة ، ذلك أنّ متكلم أيّ لغةٍ لابدّ من أن يكونَ مزّوداً مُسبقاً بقواعد ذهنّية تحدّد له عوالم دَلالية ، وتخّوله لإنتاج جمل وتراكيب لم يتعلّمها من قبل ، وهذا سبق لما قال به علم اللغة الحديث على يد تشومسكي الذي جعل القدرة اللغوية (Competence) دَعامة النظرية في النحو التوليدي . والقائلة بأنّ جهاز اللغة الإنساني مُكّيف ليهّيء الاستعداد للمتكلّم .فهو شيء يولَد فينا قبلَ أن نولَد ، ونحن نُحاول اكتشافها بمُداومة استماعنا وتكلّمنا ، والاعتماد في كلّ ذلك على العقل ، فهو الآلة المُكوِّنة للغة[٢] .

ولم يزَل الحديث عن اعتباطية الدليل اللساني ، الذي قال به طائفة من القدماء والمحدثين ، كما ذكرنا آنفاً . وقال به أيضاً الطوسي إذ فصَل بين الاسم والُمسّمى ، مُعتمداً في ذلك على الاحتجاج العقلي ، قال : ((قد يَعرِفُ الاسم من لا يَعرِف الُمسّمى ، والاسم يكون مُدرَكاً وإن لم يُدرَك الُمسّمى ، والاسم يُكتب في مَواضع ، والُمسّمى لا يكون إلاّ في موضعٍ واحدٍ ، ولو كان الاسم هو الُمسّمى ، لكان إذا قال القائل : (نار) احترق لسانه ، وإذا قال : (عسل) وجَد الحلاوة في فمهِ ، وذلك تجاهل))[٣] . وهو بذلك ينتهي إلى الفَصل الجوهري بين الحَدث اللساني الُمعبِّر والَمرجع القائم حقيقةً في الواقع الخارجي من جهة ، وبين الَمرجِع ومَدلوله القائم في الذهن من جهةٍ أخرى .

ويُلحظ في كلامه تجاوز مفهوم الدَلالة لديه من الميدان اللفظي اللغوي إلى ميدان صور منطقّية فلسفّية تضع الفكر أمامَها في التحليل اللغوي ، كما يضَع أهل الفلسفة والمنطق هذه العلوم أداةً فاعلةً في تنظير الأسس الدلالية[٤]. وهذا يعكس تأثّره بالتراث الفلسفي العربي .

وقد أشار ابن سينا (ت٤٢٨هـ) إلى ما يقُرب من كلام الطوسي فقال: ((دَلالةُ اللفظ على لمعنى دَلالةُ العسل الُشاهُد على حلاوته ، وكما أنّ العسلَ أدرَكَ حلاوتَه مَن أكلَه بحسّ الذوق، ولونه بحسّ البَصر، ثّم لّما شاهَده عَلِمَ أنّه حلُو لا أنّ الحَلاوة تأتّتْ إليه مِن حسّ البَصر، بل لما ارتَسم في نفسهِ من حَلاوتِه ، فكذلك الألفاظ إذا سُمِعَتْ أُدرِكَ مع سماعِها معنًى ، فارتَسم في

---

[١] ومنهم الأخفش الأوسط ، وأبو علي الفارسي ، وابن جني ، وأبو اسحاق الاسفراييني ، والغزالي ، وينظر : المزهر ١٦،٢٢/١ ،والتفكير اللساني في الحضارة العربية ٦٨ ـ ٦٩،وفقه اللغة العربية٤٢ .

[٢] جوانب من نظرية النحو : تشومسكي ، ترجمة : مرتضى جواد باقر ٦٨ ، وينظر: ابن جني عالم العربية ١٦٤

[٣] التبيان ٢٦/١ .

[٤] ينظر:البحث الدلالي عند ابن سينا ١١٥ .

النفس المعنى واللفظ معاً ،لا أنّ اللفظَ هو ذلكَ المعنى ، بل هو مُؤدٍّ إلى إدراكِه))[١]. فالفصل بين الاسم والمسّمى بيّن في كلام الاثنين .

وقد فرّق أغلب علماء العربية بين الاسم والمُسّمى ، إذ الأّول وَسْم على الثاني وعلامة عليه يُعرَف به[٢] ، مُستدلّين على ذلك بإضافة الاسم إلى مُسّماه في نحو : (بسم الله) ، فلو كانا شيئاً واحداً لما جاز إضافة واحدٍ منهما إلى صاحبه ؛ لأنّ الشيء لا يُضافُ إلى نفسه[٣] . وهو ما عليه المُحدثون عامّة .

وفي كلام الطوسي عن الاسم والمُسّمى ، إشارة إلى ارتباط الدالّ والمدلول بعُنصر المكان الذي يُكوّن مع الزمان عُنصري الوجود الموضوعي لأيِّ مادةٍ ، وهما البُعدان المقّيدان لكلّ وجودٍ موضوعي[٣] .

فللاسم مكان ، وللمُسّمى مكان ، ولا يمكن أن يجتمعا معاً ، فمكان الأّول هو الجهاز النطقي عَبر مخارجه المتعّددة ، ومكان الثاني هو العالَم الخارجي ، وهو بذلك يؤكّد إثبات حتمّية المكان في الحَدث اللغوي ؛ لأنّ أيَّ إنجازٍ لسانّي لا يكون إلاّ بانتظام أصواتٍ مقطّعةٍ وحروفٍ مَنظومةٍ في بناءٍ مُنتظَمٍ وفي مَحلٍ وبِنيةٍ خاصّين ، ولذا يُنكر الطوسي تطابق الاسم والمُسّمى ؛لأنّ فيه تطابق عناصر وجودهما الموضوعّي ، وهذا مالا يقبله العقل ، إذ لا يمكن أن نتمثّل كلّ شيءٍ نتلفّظ به.

وفيما توصّل إليه الطوسي ما يوحي بذكائه وإدراكه لأبعاد الكلام ومكوناته من جهة ، ومُكوَّنات الوجود الطبيعي من جهة أخرى ، وهو ما أشار إليه غير واحد من أعلام الفكر العربي[٤] ، وأيّده الدرس اللساني الحديث[٥] .

وترتبط بقضية الفصل بين الاسم والمُسّمى مسألةٌ مهّمة في التراث الفكري العربي كان لها أثر بالغ في الخلاف العقيدي ، وهي الكلام النفسي . فالكلام عُموماً لدى الطوسي له مَظهران :

---

(١) التعليقات : ابن سينا١٦٢ ، وينظر البحث الدلالي عند ابن سينا ١١٥ .

(٢) ينظر الخصائص ٢٤/٣ ، والإنصاف في مسائل الخلاف : أبو البركات الأنباري ٦،٨/١ ، والتبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء العكبري ١٣٤/٢ ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ابن عقيل ١١٨/١،وسبب وضع علم العربية : السيوطي ٣٤/١ .

(٣) نتائج الفكر في النحو : السهيلي ٣٩ ـ ٤٣ .

(٣) التفكير اللساني في الحضارة العربية ٢٤٧ .

(٤) ينظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل :القاضي عبد الجبار الأسد آبادي ٤٠/٧ ، وسر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ٤١ .

(٥) ينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية ٢٤٧ ـ ٢٥٠ .

أحدهما : لساني يتمثّل في المَنطوق ، وهو لديه ((أثرٌ دالّ على المعنى الذي تحته))[١] ، ويَشترِط فيه أن يكون مَنطوقاً مَسموعاً ، ((فالمتكلم : مَن رفَع ماسمّيناه كلاماً بحَسب دواعيه وأصوله وأحواله ، وربّما عُبّر عنه بأنّه الفاعل للمتكلم...))[٢] .

والآخر : نفسي ، إذ يرفض تسمية المعاني النفسيّة كلاماً ، ((وليس المتكلم من حلّ الكلام ؛ لأنّ الكلام يحلّ اللسان والصدر ولا يوصفان بذلك))[٣] .

فالمعاني النفسيّة لا تُسمّى كلاماً حتى تظهر للوجود بالإنجاز الفعلّي ، والكلام لديه فعل موضوعيّ ينفصل عن صاحبه ، ويتألّف من مراتب تُمثّل مراحل الوجود الكلامي ، **أولاها** : صورةٌ في الذهن الذي عبّر عنه (بالصدر) ، والمراد به القلب الذي كان في عُرف القدماء يُرادف العقل في عُرف المحدثين ؛ لأنّه موضع التفكير والتوليد اللغوي ، **والأخرى** : مرحلة الإنجاز الفعلي الذي محلّه جهاز النطق ، فلا يُسمّى الفاعل متكلّماً إلا إذا حلّ الكلام في جهازه النطقي ، وظهر إلى الوجود الحقيقي .

وإنّ أيَّ تلفّظ كلامي لا بدّ فيه من عمليّتين إحداهما سابقة على الأخرى ، تتمثّل **الأولى** في: انتظام المعاني في الذهن ويصحَبها حُسن اختيار الدَلالات المناسبة للموقف الكلامي ، أمّا **الأخرى** فتتمثل في: انتظام المعاني في ألفاظٍ وتراكيب بأنساقٍ مختلفة .

وقد كان مفهوم الكلام النفسي موضع خلاف بين الأشاعرة والمعتزلة تولّد عنه خلاف في المفاهيم العقيدية والدينية . فالأشاعرة لا يفصلون بين الاسم والمُسمّى ؛ ولذلك هم يجعلون المعاني النفسيّة كلاماً ، أمّا المعتزلة فيفصلون الاسم عن المُسمّى ، ولذلك هم لا يَعدّون المعاني النفسية كلاماً ، إذ تتداخل المستويات الانفرادية والتركيبية لدى الأشاعرة على حين يفصل المعتزلة بين الأشياء على مستوى الإفراد والتركيب معاً[٤] .

وقد أشار الأصوليون إلى ما قال به المعتزلة ، قال الآمدي(ت٦٣١هـ): ((اعلم أنّ اسم الكلام قد يُطلَق على العبارات الدالّة بالوَضع تارةً ، وعلى مدلولها القائم بالنفس تارةً ، والمقصود هاهنا إنّما هو معنى الكلام اللساني دون النفساني))[٥] .

وإنّما أنكر هؤلاء تسمية المعاني النفسيّة كلاماً ، لأنّ هذه المعاني المتردّدة في النفس تُشكّل عوامل دَلالية قد تبرز للوجود في مظاهر تعبيريّة لسانيّة وغير لسانيّة ، وفي هذا فصل بين الصورة السمعيّة للكلام والأثر السيكولوجي لها[٦] .

---

[١] و[٢] و[٣] التبيان ١ / ١٦٨ .
[٤] الاتجاه العقلي في التفسير : نصر حامد أبو زيد ٨٣ .
[٥] الإحكام في أصول الأحكام : الآمدي ١ / ٧١ ، وينظر : علم الدلالة ، أصوله ومباحثه في التراث العربي ٢١٤ .
[٦] علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي ٢١٤ .

وفي كلام الطوسي إشارة إلى أمرين مهّمين من مقّومات الكلام :

أولهما : ارتباط الكلام بالمحلّ أو المكان .

والأخر : ارتباط الكلام بالمتكلّم ، ويَشترط فيه أن يكون رابط الفاعلية . فالمتكلّم هو الواضع للكلام والمؤلّف له والمنجِز للحدث الكلامي عن وعيٍ وقصدٍ وإدراكٍ .

وقد أشار إلى هذا طائفة من علماء العربية ومفكّريها[١]. وأّيده الدرس اللساني الحديث[٢]، إذ فـرّق المحـدثون بـين الموجـود بـالقّوة ، والموجـود بالفعـل ، أو بـين اللغـة (Language) والكـلام **(Speech)** ، وكـان دي سوسير الرائد في ذلك ، فالكلام . في نظره . وجه من أوجـه النشـاط الإنساني ، أّما اللغة فهي وعاء هذا النشاط وأداته ، إذ هي نظام من الرموز التي يستدعيها الكلام الفعلـي فـي ضـمن العملّيـة الكلاميـة بـين المتكلّم والسـامع ، إذ يرسـل الأّول ويسـتقبل الثـاني ، أّمـا الكلام الفعلي فيستدعي صور الكلمات والرموز الأخرى المتعارف عليها بين المتكلمين ثم يترجمها إلـى أصـوات فعلّيـة واضـحة ذات مغزى وهذه التفرقة تقود إلـى فصـل آخـر بـين اللغـة والكـلام علـى أساس أنّ الأول نشاط اجتماعي والثاني فردي[٣]. وهو يقودنا إلى القول إنّ المعاني النفسية في عُرف القدماء نشاط فردي ضّيق الحدود ، وإنّ الكلام الفعلي نشاط اجتماعي واسع الحدود ؛لأّنه يقوم على المشاركة الفعلية .

---

[١] ينظر: الخصائص ٢ / ٤٥٤، والمغني في أبواب التوحيد والعدل ٧ / ٤٣ ـ ٤٤ ، ومقدمة ابن خلدون ٩٦-٩٧، ونهاية الاقدام في علم الكلام : الشهرستاني ٣٢٦ ـ ٣٢٧ .

[٢] ينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ، ٢٩٠ ـ ٢٩٢ .

[٣] علم اللغة العام٣٢-٣٤ ، وينظر دور الكلمة في اللغة : استيفن اولمان ٣٢ .

٣ . عناصر المثلث الدلالي :

فسّر الطوسي قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٤] ، وتطرّق إلى ذكر الدَليل والمدلول فقال : ((فذِكر الدَليل طريق إلى العِلم بالمَدلول عليه. والفِكر سَببٌ مولِّد له ، فالذِكر سَببٌ مُؤدٍّ ، والفِكر سببٌ مولّد...))[١]. وهو قولٌ موجَز ذو معانٍ ودَلالات جّمة تبنّتها أغلب النظريات الدلالية الحديثة . وهذا شاهد على سَبق علمائنا الأفذاذ في إثبات ما توصّل إليه العلم الحديث . ولابدّ من الوقوف عند ما احتمله النصّ من إشارات دلالية والنظر فيها ، وعلى الوجه الآتي :

١ . إنّ اللفظ الدالّ هو الوجه الثاني للمَدلول عليه ، وهو وسيلة إدراكه والوصول إليه ، وبين الاثنين صلة وثيقة ، ولا يمكن الفصل بينهما ، إذ إنّ أحدهما يستدعي وجود الآخر . وهو ما قال به دي سوسير ، إذ عدّ الدالّ والمَدلول وجهين للعملية الدَلالية ، يمثّل الأول الإشارة الصوتّية ، ويمثّل الثاني الصورة الصوتية أو المحتوى الذهني[٢] .

٢ . إنّ عملية الانتقال من الدالّ إلى المدلول ليست مباشرة ، بل هناك مرحلة وسط بينهما تتمثّل بالتصوّر الذهني الذي موطنه الفِكر ، فالانتقال يكون من الدليل الذي هو اللفظ إلى الفِكر ثمّ إلى المَدلول عليه المَوجود في الخارج . وهو ما قال به أصحاب المثلث الدلالي[٣]، ويتّضح هذا في المخطّط الآتي :

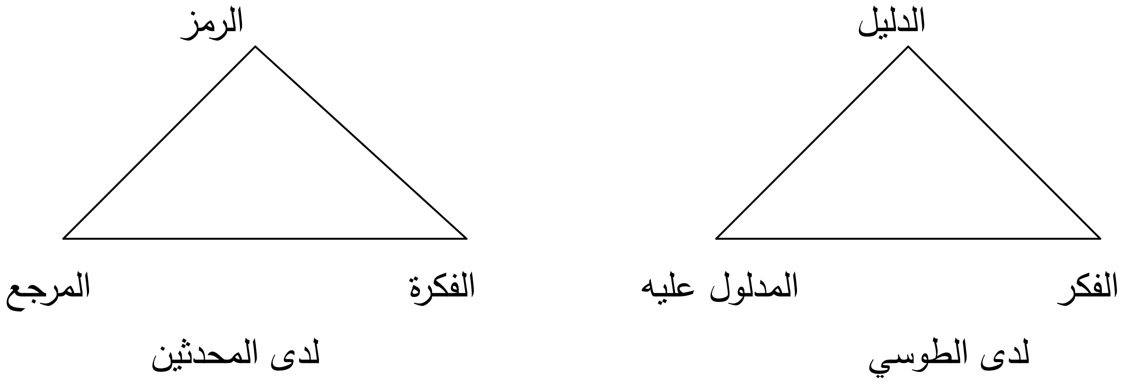

ويكون الوصول إلى الدلالة لدى الطوسي عبر المراحل الآتية :

---

(١) التبيان ٦ / ٢٠٢ .
(٢) علم اللغة العام ٨٥-٨٦ .
(٣) علم الدلالة (مختار) ٥٤-٥٥ .

ذكر الدليل ←——————— التفكير بالمدلول

وهذا يعني أنّ :

يولِّد	يؤدّي إلى	يؤدّي إلى
الفكر ←———— الدليل (اللفظ) ←———— تمثّل الصورة الذهنية ←———— معرفة المدلول		

٣ . إنّ الفكر أو العقل هو مَوطن توليد اللغة ، ويُوافق هذا ما قال به تشومسكي حول القدرة اللغوية الموجودة بالفطرة لدى الانسان .

٤ . منهج الطوسي في استنباط الدلالة :

كان الطوسي مدركاً تماماً الفرق بين المعنى والدلالة ، فالمعنى لديه هو ما يُفهَم من ظاهر النص بعد تفسير مفرداته لغوياً ، أمّا الدَلالة فهي عمليّة الاستدلال على معانٍ أُخَر في النص ، ويسلك الطوسي في تفسيره منهجاً منظّماً يكاد يكون موحّداً يتدرّج فيه على مراحل قد يتقدّم بعضها على بعض من مَوضع إلى آخر ، ولكنّه في الغالب يعتمد الترتيب الآتي :

١ . الشرح اللغوي المعجمي للألفاظ ، الذي يرافقه الإشارة إلى الدَلالة الصرفيّة أو الصوتيّة .

٢ . الإعراب النحوي الذي يربط النحو بالدَلالة ، فيقف على المعنى من سياق التركيب النحوي للآية ، مستفيداً من صور الأداء القرآني المتمثّلة بالقراءات القرآنية الخاصّة بالآية .

٣ . الاستعانة بقصة الآية وأسباب النزول .

٤ . إعطاء المعنى العام الأوّل الذي يُستفاد من ظاهر النص وما يرافقه من سياقات لغويّة وحاليّة .

٥ . الانتقال إلى الاستدلال على المعنى الثاني الذي يكون غالباً معنًى مجازياً .

٦ . الاستدلال على المعنى الثالث الذي يكون غالباً حكماً فقهياً أو تشريعياً أو رداً على آراء بعض الفرق المتطرّفة والمزاعم التي تنال القرآن بشيء من التُهَم . وهي غاية ما يريده الطوسي من تفسيره ، فاللغة والنحو والصرف وسائل يصل بها إلى المعاني المبتغاة من هذا النص الكريم .

وعملية الاستدلال في هذا التفسير واضحة للقارئ ، إذ يَجِد مُتعةَ البحث والوصول إلى الدَلائل والمَدلولات ، وهو ينتقل مع الشيخ من مرحلة إلى أخرى . حتى أنّه إذا أراد البحث عن

واحدٍ من هذه المعاني فإّنه يعرف أين يجده ، فالمعنى اللغوي أوّلاً ثم المعنى المجازي ، ثم المعنى الفقهي أو العقيدي ، ولتوضيح ذلك نستشهد بالمثال الآتي :

فسّر الطوسي قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلَلاً طَيِّباً وَلاَتَتَّبِعُواْ خُطُوَتِ الشَّيْطَنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[البقرة:١٦٨]،إذ شرح ألفاظها لغوياً فقال:((والأكل: هو البَلْع عن مَضْغٍ ، وبَلْع ُ الحصى ليس بأكلٍ في الحقيقة ... والحلال : هو الجائز من أفعال العباد... والطّيب هو الخالص من شائب ينغّصه ... والخطوة : بُعد ما بين قدمي الماشي)) ، ثّم انتقل لبيان المعنى في ضوء التراكيب فقال : ((وإنّما قالَ (حلالاً طيباً) فجمع بين الوصفين لاختلاف الفائدتين ، إذ وصفه بأّنه حلال يفيد بأّنه طَلق ، ووصفه بأّنه طّيب يُفيد أّنه مُستلٌّذ، إّما في العاجل وإّما في الآجل)) ، ثم انتقل لبيان دلالتها التشريعّية فقال : ((وهذه الآية دالّة على إباحة المَأكل إلاّ ما دلّ الدليل على حظره))(١) .

وخلاصة القول مما تقدّم يتّضح أّن مفهوم الدلالة لدى الطوسي قائٌم على أُسسٍ معنويةّ بحتة ، فهو مُدرِك أّن الدلالة هي الغرض الأساس من وجود اللغة ، وهي الغرض الذي ابتغاه من تأليفه هذا التفسير ، إذ تلوح الدَلالات والاستدلالات والأدلّة من هذا المؤلف القّيم ، ولذا فسوف نتتبعها ونترسّم أثر المؤلّف في تناوله الدلالي ، ونستكشف تفاصيلها في إحاطة وشمول لجوانب البحث الدلالي لديه . مستضيئين بآراء سابقيه ومعاصريه ولاحقيه حتى يومنا هذا ، وصولاً إلى كشف الأسرار التي يشتمل عليها النص القرآني الكريم .

---

(١) التبيان ٢ / ٧٢ ، وينظر : ١ / ٤٤١ ، ٤٧٨ ، ٢ / ١٨ ، ١٦٦ ، ٣ / ١١٠ .

الباب الأول

الدلالة الإفرادية

الفصل الأول

الدلالة الصوتية والصرفية

المبحث الأول : الدلالة الصوتية

المبحث الثاني :الدلالة الصرفية

توطئـة :

ثّمة صلة وثيقة بين علوم اللغة العربية الثلاثة: الأصوات والصرف والنحو بعضها مع بعض، ولا يمكن الفصل بينها في الدراسة إلاّ لأغراض منهجية .

فالعلاقة بين النظامين الصوتي والصرفي في أّية لغة من اللغات علاقة متينة ، إذ لايمكن أن يُفهَم علم الصرف إلاّ بدراسة الأصوات ؛ لأنّ أغلب الموضوعات الصرفّية قائمة على قوانين صوتّية بحتة ، فلا يمكن دراسة بِنية الكلمة وما فيها من تحوّلات وتبدّلات من غير دراسة أصواتها ومقاطعها وحركاتها؛ لأنّ أيّ تغّيرٍ يطرأ على بِنيتها من إعلال وإبدال ، يتولّد من التأثير الصوتي المتبادَل في الاستعمال اللغوي الُمتعارَف عليه في كلّ لغة[1].

فالمورفيم الذي هو أساس علم الصرف ، وهو أصغر وحدة صرفّية ذات معنى على مستوى التركيب[2] ، يتكّون من فونيم واحد أو أكثر . لذا عمد المحدثون إلى اعتماد المنهج الصوتي في دراساتهم الصرفية[3] .

كما أنّ العَلاقة بين النظامين الصرفي والنحوي متينة أيضاً ، فعلى الرغم من أنّ الصرف يُعنىبالأشكال اللفظّية ودَلالاتها ، والنحو يُعنى بالوظائف التركيبيّة المتّصلة بالأحداث اللغوّية ،إلاّ أّنهما لا يفترقان ؛ لأنّ أيَّ تغّيرٍ في البِنى الصرفّية لابدّ أن يؤدّي إلى تغّيرٍ في الدلالة النحوّية ، فضلاً عن ذلك إّننا لا نقف على تغّيرات هذه البِنى إلاّ بموازنة وظائفها النحوّية مع سواها من البِنى الأخرى[4] .

وبناءً على ذلك ، تناول البحث دراسة الدلالتين الصوتّية والصرفّية متتابعتين في أّول فصلٍ من باب دلالة اللفظ المفرد ؛ لأّنهما الأساس الذي تقوم عليه الفصول الأخرى ، على حين اقتضت منهجّية البحث أن نرجئ دراسة الدلالة النحوّية إلى باب دلالة التركيب .

المبحث لأول

(١) ينظر:اللهجات العربية في القراءات القرآنية: عبده الراجحي١٥٩ ، والمنهج الصوتي للبنية العربية :رؤية جديدة في الصرف العربي:عبد الصبور شاهين ٢٥ ، وفي فقه اللغة وقضايا العربية: سميح أبو مغلي٧٥ .

(٢) ينظر: في فقه اللغة وقضايا العربية ٧٩ ،وعلم الدلالة (مختار)٣٤.

(٣) ينظر: العربية الفصحى ، دراسة في البناء اللغوي:هنري فليش٧٣ـ٢١٠ ، والمنهج الصوتي للبنية العربية .

(٤) ينظر: دراسات في علم اللغة(القسم الثاني) : كمال محمد بشر٨٥ ، والمنهج الصوتي للبنية العربية٢٤ـ٢٥ .

الدلالـة الصوتيـة

للرّموزِ أهمّيةٌ في حياة البَشر ، واللغة إحدى هذه الرّموز . ذلك أنّ وَسائلَ الاستدلال في الوجودِ كثيرة، فقد تكون إشارات أو علامات أو رموزاً مخطوطة أو صوراً مرسومة ، وقد تكون تغّيرات تطرأ علـ ى شكل الإنسان ولونه ،فتدلّ على حالته النفسّيّة والانفعالّية ، ولكن كلّ ذلك لاصلة له باللغة ، فاللغة أهمُّ هذه الدوالّ وأكثرُها إيحاءً[١] .

وقد منّ الله العلّي القدير على الإنسان بنعمة القدرة على إنتاج وحدات صوتية دالّة وموحية ، يُعّبر بها عن أغراضه وحاجاته ، فسَما بهذه القدرة على مخلوقات الكون كافّة . فاللغة الإنسانيّة هي :((أصوات يُعّبربها كلّ قوم عن أغراضهم))[٢] ، ولكّنها ليست أصواتاً مُفردة بل هي أصوات مُركّبة دالّة[٣] ؛ لأنّ الصوت الُمفرد مُبهٌم لايؤدّي وظيفة إبلاغية إلا بإئتلافه مع أصوات أُخَر ، وتكوين مجموعات صوتّية دالّة ، هي الكلمات التي يَنشأ منها الكلام .

وقد شغلت قضّية اللغة وكيفّية ائتلاف الأصوات لتكوين الُجمل أذهانَ علماء الغرب والعرب منذ عهدٍ قديمٍ ، وبدأت على يد مناطقة اليونان الأوائل الذين سُحِروا بالنظام الصوتي العجيب الذي يتحدّث به الإنسان ((وبدا من سحر الألفاظ في أذهان بعضهم وسيطرتها على تفكيرهم أنْ ربطَ بينها وبين مَدلولاتها رَبطاً وَثيقاً وجعلها سبباً طبيعياً للفهم والإدراك ، فلا تؤدّى الألفاظ إلاّ بها ، ولا تخطر الصورة في الذهن إلا حين النطق بلفظ معّين ، ومن أجل هذا أطلق هؤلاء المفكّرون على الصلة بين اللفظ ومدلوله : الصلة الطبيعية أو الصلة الذاتية))[٤]، ورَبطوا الدلالة بين أصوات اللفظ ومعناه بنشأة اللغة ،ودخلوا في افتراضات لم تعضّدها الأدلّة العلمية ولا الواقع اللغوي ، لذلكهُم يَفترضون أنّ هذه الصلة كانت واضحةً في بَدء نَشأة اللغة ، ولكنّ تطّور الألفاظ وتغّير دلالتها أدّى إلى صُعوبة إيجاد مثل هذه الصلة على نحو دائم بين الألفاظ ومعانيها[٥] .

ووجدنا صدى هذا الرأي لدى علمائنا العرب الأوائل ، فلم يَغِبْ عن أذهانهم وجود صلة بين الألفاظ ومعانيها أو بين الدالّ والمدلول ، وأقدمهم في ذلك هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)الذي صرّح بهذه الصلة في شرحه لطائفة من الألفاظ العربية ، ومن ذلك قوله في لفظة الصَوْقَرير بأّنها : ((حكاية صَوت طائِر يُصَوْقِر في صِياحِه تسمع نحو هذه النغمة في

---

(١) ينظر :دراسات في اللغة والنحو:عدنان محمد سلمان ١١٦ .
(٢) الخصائص ٣٣/١ .
(٣) الشعر : أرسطو طاليس ١١٤ .
(٤) الطريق إلى الله ١٧ ـ١٨ .
(٥) دلالة الألفاظ : ابراهيم أنيس٦٢ ، ودراسة المعنى عند الأصوليين ١٧٤ .

صوته))[1] ، وقال في لفظي صَرَّ وصَرصَر ، ((صرَّ الجندب صَريراً ، وصَرصَر الأخطب صَرصَرَةً ،وصَرّ الباب يصِرُّ،وكلّ صوت شبه ُ ذلك فهو صرير اذا امتدّ ،فإذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادة الصوت ضوعف كقولك: صَرصَر الأخطب صَرصَرة))[2] ، ولكّنه لم يربط الدلالة الصوتية بـ نشأة اللغة ، لأنه لم يكن َمعنياً بذلك ، وإنّما هي لفتات الحسّ الموسيقي المُرهف الذي انماز به الخليل ، تلك للفتات التي كان لها قيمة لغوية عالية ؛ لأنها تمثّل اللبِنة الأولى التي َبنى عليها َمن تلاه القول بالدلالة الصوتية للألفاظ .

ومن العرب الذين أشاروا إلى هذه الدلالة أيضاً عّباد بن سليمان الصيمري . وهو من معتزلة البصرة . فقد نقل عنه أهل أصول الفقه[3] إدراكه لوجود صلة طبيعية بين الدالّ والمدلول ، إذ ذَهبَ إلى أنّ الألفاظ تدلّ على َمعانيها بذواتها ، وأنّ بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أنْ َيضع ذلك اللفظ بعينه ، وقال: ((وإلا كان تخصيص الاسم المعيّن بالمسّمى المعيّن ترجيحاً من غير مرجِّح ، وكان بعض من يرى رأيه يقول : إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها ، فسُئل ما مسّمى أذغاغ ، وهو بالفارسية الحجر ، فقال : أجد فيه َيساً شديداً ، وأراه الحجر))[4] ، فهو يرى أن اللغة نشأت قائمة على أساس هذه الصفة الطبيعية .

وقد تبّنى هذا المفهوم بعده ابن جني في بدايات كتابه القّيم (الخصائص) عند كلامه في نشأة اللغة ، ثم توّسع َ في الكشف عن هذه الدلالة وعقَد أكثر من فصلٍ لبيان الصِلة الطبيعّية بين الألفاظ وما تدلّ عليه[5] ، ولم يقتصر على التناسب الطبيعي ، وإنما تعدّاه إلى ما هو أشمل من ذلك ، إلى الكشف عن التوافق بين جرس الألفاظ ودلالتها فيما لا صلة له بالمناسبة الطبيعية التي في الكون ،فقال : ((فإن كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عُبّر عنها))[6] ، وضَرب لذلك مثالاً فقال : ((ألا تراهم قالوا : قضَم في اليابس ، وخضَم في الَرطب ، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء ، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف))[7] .

ولم تكن الدراسة الصوتّية لدى القدماء علماً قائماً بنفسه كما هو الحال في علَمي النحو والصرف ، فقد قلّت مؤلّفاتهم المنفردة فيها ، غير أنّ هذه الدراسة استقلّت بنفسها ، وصارت علماً منفرداً من علوم اللغة في العصر الحديث نتيجة التطّور العلمي الذي هّيأ للدارس أجهزة دقيقة

---

[1] العين (صوقر) ٦٠/٥
[2] المصدر نفسه (صر) ٨١/٧ ـ٨٢ .
[3] ينظر طبقات المعتزلة : أحمد بن يحيى بن المرتضى٧٧، ولسان الميزان: ٢٩٩/٣ .
[4] المزهر ٤٧/١ .
[5] ينظر باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني)١٥٤/٢ـ١٧٠ ، وباب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)١٤٧/٢ـ١٥٤
[6] الخصائص ٦٥/١ .
[7] المصدر نفسه .

ومتقدمة ساعدته على كشف أسرار الصوت ومخارجه وصفاته، ونتج عن ذلك العديد من النظريات، مثل نظريتي: المقطع ، والفونيم ، كما تولّدت جملة من قوانين التعامل الصوتي مثل: المماثلة والمخالفة ، وجُمِع كل ذلك تحت إطار علم الأصوات الحديث .

وتختلف القيمة الدلالية للتركيب الصوتي للكلمة ، إذ تقسم على قسمين[١]:

(١) **حكاية الأصوات** : إذ تتسم طائفة من الألفاظ بطابع ايحائي في تركيبها الصوتي وهي كما عبّر عنها الخليل من باب (الحكاية)[٢] ،مثل خرير الماء وحفيف الشجر وصهيل الخيل. أي أنك تسمع صوتاً فتحاول أن تجد ما يحاكيه مما ينطق به الإنسان ، فليس الصوت دلّ بطبعه على معناه ،وإنّما الإنسان هو الذي عبّر عن مثل هذه المسموعات بأصواتها ،فالمعاني أوحت بأسمائها من أصواتها .

(٢) **المناسبة بين الصوت والمعنى** : التي قالها كثير من علماء العربية الذين سبق ذكرهم ، وهي أمرٌ لا يُدرك إلا بعد أن يوضع اللفظ للدلالة على معنىً معيّن ، إذ جاء الدارسون ونظروا في هذه الألفاظ وتدبّروها ، فبحثوا في أسباب تركيبها من تلك الأصوات التي جاءت عليها . وهذه المناسبة سمّاها المُحدثون محاكاة الأصوات (**Onomatopoeia**)[٣] أو التوليد الصوتي[٤] .

والقسم الثاني المُسمّى محاكاة الأصوات أو المناسبة بين اللفظ والمعنى هو ما سيتناوله البحث ، ويقف على تفريعاتها ومواضعها في تفسير التبيان . ولابد قبل ذلك من أن نعرض لأقسام الدلالة الصوتية في المفهوم الحديث[٥] ، وهما اثنان :

أحدهما : الدلالة الصوتية المطّردة : وتضم نوعين أيضاً :

(أ) الدلالة المعتمدة على تغير الفونيمات التركيبية للكلمة ، أي استعمال المقابلات الاستبدالية بين الألفاظ التي تؤدي إلى إحداث تغيير في المعاني مثل : طابَ وشابَ وعابَ وخابَ ، ومثل: الذُلّ والذِلّ ، والعِوج و العَوج .

(ب) الدلالة المعتمدة على تغير الفونيمات فوق التركيبية للكلمة ، وهي الملامِح الصوتية المرافقة للكلام والمُسمّاة (الظواهر التطريزية) وتشمل النبر والتنغيم .

---

[١] ينظر: المباحث اللغوية والنحوية عند ابن تيمية :هادي الشجيري٥٧ .
[٢] العين ١/٥٤ -٥٥ ، وينظر: التفكير الصوتي عند الخليل : خليل إبراهيم العطية ٩٥ .
[٣] بحوث ومقالات في اللغة : رمضان عبد التواب ١٧ .
[٤] دور الكلمة في اللغة ٨٣ .
[٥] ينظر: الدلالة اللغوية عند العرب : ١٦٦ -١٨٢ .

والأخرى : الدلالة الصوتية غير المطّردة :وهي دلالة لا تخضع لقوانين ثابتة أو نظام مطّرد ، وإنما هي دلالة يشوبها شيء من الغموض ؛ لأنها تقوم على التصور والافتراض بأنّ لكل صوت دلالة طبيعية على معنىً معيّن ، وهي التي قال بها ابن جني في طائفة من الألفاظ ، وتابعه في ذلك بعض المحدثين[١] .

وقد تمثلت الدلالة الصوتية لدى الطوسي في الأقسام الآتية :

أولاً : الدلالة الصوتية المطردة :

(١) التغّير الفونيمي التركيبي : ويعتمد القسم الأول من الدلالة الصوتية المطّردة على طائفة من المفاهيم الصوتية الحديثة ، يرى البحث أنّه من الفائدة الوقوف عندها وتحديد معانيها ، وهي :

۞ **الاستبدال (Commutation)**: وهي عملية تقتضي وضع صوت أو مقطع لغوي مكان صوت أو مَقطع لغوي آخر في كلمة واحدة ، بما يؤدّي إلى تغّير في دلالتها ، وتقع هذه العملية في الصوامت والصوائت معاً ، وتقوم على فكرة المغايرة والمخالفة ، إذ تستقلّ كلّ وحدة صوتية بكيانها الخاص وصورتها المستقلة ، وهي من الوسائل التي تُعين اللغة على تنويع مفرداتها والتفريق بينها لتكون أداة تفاهم وتعبير صالحة بإجراء التبادل بين أصواتها بأن تغّير صور الكلمات فتتغّير معانيها ،ويكون لكلّ صوت منها قيمته اللغوية[٢] .

۞**المقطع اللغوي (Syllable)**: هو مجموعة صوتية بسيطة ، أو وحدة صوتية أكبر من الفونيم ويأتي بعده من حيث زمن النطق ، ويتكون من النواة المقطعية .وهي الصائت .ومن صامت واحد أو أكثر[٣]،إذ يبدأ بصامت يتبعه صائت ،وينتهي قبل أول صامت يرد متبوعاً بصائت. والمقاطع في العربية خمسة هي : القصير ، والطويل بنوعيه (المَفتوح والمُغلق) والمَديد والمَزيد والمُتماد[٤] .

۞ الفونيم: (Phonem) له عدّة تعريفات، أهمّها التعريف القائل إنّه: أصغر وحدة صوتية قادرة على التمييز بين كلمتين مختلفتي المعنى ، وهو من أوضح التعريفات وأنسبها للغة

---

[١] ينظر: الساق على الساق في ما هو الفارياق: أحمد فارس الشدياق ١/١ -٢، والفلسفة اللغوية: جرجي زيدان ٩٩، ١٠١، وأشتات مجتمعات في اللغة والأدب : عباس محمود العقاد ٤٤ -٤٦ .

[٢] علم الأصوات العام : بسام بركة ١٦٩ .

[٣] المصدر نفسه ١٨٠ .

[٤] أبحاث في أصوات العربية : حسام النعيمي ٨-١١.

العربية[1]، وقيل هو كلّ صوت قادرعلى إيجاد تغّير دلالي[2]. فالأصوات التي يؤثّر تباينها في دلالات الكلمات في لغة ما تكّون وحدة صوتية نسّميها فونيماً مثال : نالَ وزالَ وجالَ وقالَ ، إذ تمثّل: ن . ز . ج . ق فونيمات مختلفة ؛لأنها تؤدّي إلى تكوين كلمات مختلفة المعنى،وتُعَرف خاصية الأصوات في تغّير معنى الكلمات باسم وظيفة (التمايز السيما نطيقي) للأصوات ،التي تنصّ على أنّ صوت التمايز ليس له معنى في نفسه ،وإنّما هو قادر على قلب كلمة مفيدة ذات معنى إلى كلمة أخرى مغايرة[3] .

وتعدّ ظاهرة (التغّير الفونيمي) عامّةً في كل اللغات ؛ إذ لا يستقيم النظام اللغوي إلا إذا قام أساساً على قياسات مختلفة تعمل على التنويع والتنسيق وربط التغّير الصوتي بالتغّير الدلالي ، مكوناً سلسلة من الاختلافات الصوتية مؤتلفة مع سلسلة من الاختلافات المعنوية[4]. وبذلك تشخّص قيمة الصوت الذي يؤمّن متانة التركيب ويُبعده عن اللبس[5] .

وتنزع اللغة العربية إلى إيجاد أبنية متغايرة تتقابل ليستقل كلّ بناء بمعنى ، ويكون اختلاف المباني دليلاً على اختلاف المعاني[6] ، وقد امتازت هذه اللغة في طائفة من صيغها بمرونة وقدرة على التنوّع في دلالة الصيغة الواحدة على معانٍ عدّة ، من خلال استبدال أحد فونيماتها، إذ يُسّمى عندئذ ذلك المتغّير مُقابلاً استبدالياً (**Substitution Counter**)، للفونيم الأصلي ؛ لأنّه تسبّب بحُلوله في محلّه في تغّير معنى الكلمة ، وصار يَحمل في إطاره شيئاً من المعنى الجديد[7] . فشابَ وطابَ وعابَ وخابَ فيها ثلاثةُ تقابلات استبدالية للشين، هي :الطاء والعين والخاء ، وكذلك طابَ وطارَ وطافَ وطاحَ فيها ثلاثةُ مقابلات استبدالية للباء ،هي: الراء والفاء والحاء . وقد أكسبت عملية الاستبدال هذه المقابلات القدرة على حَمْل جزءٍ من المعنى والقيام بالوظيفة الصوتية الصغرى ،مُقابل الوظائف الكبرى المُتمثّلة بالمعجمية والصرفية والنحوية والسياقية ، فوظيفة هذه المقابلات هي وظيفة فونيمية[8]

وقد قامت ظاهرة الفروق الصوتية في العربية على نظام فونيمي دقيق ربط المخالفة الصوتية بالمعنوية ، فالتغّير الدلالي يحدث بموجب قيم صوتّية مختلفة تجعل تغّير المعنى وفقاً لتغّير

(١) الفونيم بين النحو العربي القديم وعلم اللغة الحديث : عبد المنعم ناصر ٧٩ (بحث) .
(٢) دراسة الصوت اللغوي : أحمد مختار عمر ١٧٨ .
(٣) الأصوات والإشارات : أ.كندراتوف ١٧٨ .
(٤) دروس في الألسنية العامة : دي سوسير ١٨٣ .
(٥) الألسنية العربية : ريمون طحان ٤٣/٢ .
(٦) معاني النحو : فاضل السامرائي ١٠/١ .
(٧) اللغة العربية : معناها ومبناها : تمام حسان ٧٦ -٧٧ .
(٨) علم اللغة (وافي)٣٠٢ -٣٠٣ .، والدلالة اللغوية عند العرب ١٦٦ .

الصوت ، أي : إنّ الفرق بين الدلالات يكون بعلامات تختصّ كلّ علامة بمعنى ، وقد تكون هذه العلامة حرفاً أو حركةً أو بناًء ، فأساس الفرق هنا أصوات تتكّون تبعاً لما يخدم المعنى[1] .

رأي الطوسي :

لقد أدرك علماء العربية الأوائل أهمية الصوت في تغيّر المعنى وأشاروا إلى ذلك في شرحهم اللغوي لطائفة من الألفاظ التي تنطبق عليها عملية الاستبدال الفونيمي . وكان منهم الطوسي ، إذ أشار إلى ارتباط التغيّر الدلالي للألفاظ بالتغيّر الفونيمي ، وهذه نماذج لإشاراته تلك :

أ . الاستبدال الفونيمي في الصوامت : (Consonants)

ويأتي في فاء الكلمة وعينها ولامها . ولم يرد في التبيان مثال عن استبدال فونيمي في فاء الكلمة ، وإنما ورَدَ في عينها ولامها :

١ . الاستبدال في عين الكلمة :

شَغَفَ وشَعَفَ :ش . َ غ . َ ف . َ / ش . َ ع . َ / ف . َ

ذكر الطوسي هذا الاستبدال في قوله تعالى على لسان نسوة المدينة التي عاش فيها يوسف ، يصفن حبّ زوجة العزيز ليوسف عليه السلام : ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف : ٣٠] ، وقال في تفسيرها : ((ومعنى الآية بلغ الحب شغاف قلبها وهو داخله ...)) ثم ذكر في معنى الشغاف ثلاثة أقوال ، أحدها : غلاف القلب ، وذكر الوجهين الآخرين بصيغة التضعيف : (قيل): إنّه باطنه ، وقيل: أوسطه . ثم روى قراءتها بالعين[2] قال : ((وروي شَعَفَهَا بالعين أي ذهب بها الحبّ كلّ مذهب من شَعَف الجبال وهي رؤوسها، قال أمرؤ القيس[3] :

أتقتُلُني وقَدْ شَعَفْتُ فُؤادَها كما شَعَفَ المهنّأةَ الرجلُ الطالي))[4]

و(الشغاف) لغة : هو غلاف يحيط بالقلب فهو دونه كالحجاب[5] ، وشغفه شغفاً بمعنى وصل إلى شغاف قلبه ، أّما(الشعف) فهو أعالي كلّ شيء ورأسه فشعف الجبل : رأسه وأعاليه ،

[1] الفروق اللغوية مع ملحق بها:علي كاظم مشري ١٩٣ .
[2] وهي قراءة الحسن البصري وابن محيصن،على حين هي لدى الجمهور(شغفها) بالغين.ينظر إتحاف فضلاء البشر في قراءات القراءالأربعة عشر:أحمد عبد الغني الدمياطي ٢٦٤.
[3] ديوان امرئ القيس ، تحقيق : محمد أبي الفضل ابراهيم ١٦٢ ، والبيت من الطويل .
[4] التبيان ١٢٩/٦ .
[5] ينظر: (شغف) في : التقفية في اللغة : البندنيجي ٥٨٠، والصحاح :الجوهري٤ / ١٣٨٢، ومقاييس اللغة :ابن فارس٣/ ١٩٥ ، وتفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم : سميح عاطف الزين ٤٧٠ .

وشغف القلب : هو رأسه المُعلّق عند النياط ، وشغفه الحب : أي وصل إلى رأس قلبهِ[١] ، وقيل شغفه الحب : أحرق قلبه[٢] .

وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية ، من غير أن يخرجوا عن القول بدلالتها على شدّة حب زوجة العزيز ليوسف (عليه السلام) ، فذكر بعضهم أنّ حب يوسف قد خرق شغاف قلبها ووصل إليه[٣] ، وذكر آخرون أنّه بلغ حبّه القلب وسويداءه[٤]، وقيل : قد دخلَ تحت شغافِ قلبِها وغلبَ عليه[٥] .

وفُسّرت قراءة اللفظ بالعين بمعنى : أحرق قلبها . وأصله من البعير الذي يُهنأ أو يُحنّى بالقطران لعلّةٍ أصابته ، فتصل حرارة ذلك إلى قلبه ، ويستشهد الجوهري(ت بعد ٣٩٨هـ) لهذا المعنى ببيت امرئ القيس الذي ذكره الطوسي شاهداً على أنّ (الشَعَف) هو رؤوس الجبال[٦] . وليس ثّمة صلة بين رُؤوس الجبال وقول امرئ القيس (شَعَفت فؤادها) بل مُراده : أحرقتُ قلبها. ويبدو أنّ الطوسي روى هذا البيت لشُهرته ، ونُدرة الشواهد الواردة فيها كلمة (شَعَف) ، وتشهد بذلك المعجمات اللغوية ، فهي جميعاً تتّفق على شاهدٍ واحدٍ هو قول امرئ القيس المذكور سالفاً .

وعلى الرغم من هذه الاختلافات ، فإنّ معنى الآية عند أغلب أهل اللغة أنّه قد ذهب بها كلّ مذهب[٧] ، ورُوي عن أبي عبيد القاسم بن سلاّم(ت ٢٢٤هـ) أنّ القراءتين بمعنىً واحد، وهو عِشق مع حُرقة[٦] ، الأمر الذي دعا بعض المحدثين إلى القول إنّ معنى القراءتين سواءٌ وإنّ اللفظين بمعنًى واحد ، فليس ثّمة تغيّر دلالي ولا استبدال فونيمي ، وإنّما هو إبدال لَهَجي ، واحتجّ لذلك بأنّ المقابلات الصوتية بين اللغات كشفَت أنّ الغين المُعجمة في العربية تقابل العين المُهملة في كلّ من لغات المجموعة الكنعانية والآرامية ، وعلى هذا فالمادة الأعجمية (شَعَف) تقابل المادة العربية (شَغَف) ، وسياقها في قصة يوسف يُرشّحها لهذا الاحتمال[٨].

ولكن هذا القول يقودنا إلى تكلّف افتراض وجود لفظة أعجمية في القرآن الكريم على الرغم من وجود مثيلها العربي الذي يتفق والسياق القرآني لفظاً ومعنى ، فـ (شَعَفَ) في العربية بمعنى

---

[١] مقاييس اللغة ٣ / ١٩٥ .
[٢] الصحاح ٤ / ١٣٨٢ .
[٣] معاني القرآن :الفراء ٢ / ٤٢ ، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات وعللها : ابن جني ١ / ٣٣٩ ، والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل:جارالله الزمخشري٢ / ٤٦٢ .
[٤] معاني القرآن وإعرابه :الزجاج ١٠٥/٣.
[٥] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني ٣/ ٢١ - ٢٣ .
[٦] الصحاح ٤ / ١٣٨٢ .
[٧] معاني القرآن للفراء٤٢/٢،وجامع البيان عن تأويل آي القرآن:الطبري ١٢ / ١٩٧ - ٢٠٠ ، ومعاني القرآن الكريم : أبو جعفر النحاس ٣ / ٤١٨ ، والتفسيرالكبير: فخر الدين الرازي٦/ ١٨ / ٤٤٧ - ٤٤٨ ، والجامع لأحكام القرآن : القرطبي٩ / ١٧٦ .
[٨] الغريب المصنف :أبو عبيد القاسم بن سلام . وينظر: المزهر ١ / ٥٥٣ .
[٩] الدلالات اللغوية والتغيّرات الفونيمية : اسماعيل أحمد الطحان ٤٧(بحث) .

أَحْرق ، وهو متناسب مع دلا لة النص الذي يصف شدّة حُبّ زوجة العزيز ليوسف (عليه السلام)، ولاسيّما أنّه لفظ معروف في كلام العرب لوصف شدّة الوَلَع وحُرقَة الفؤاد ، فما الداعي إذن إلى إنكا ر حدوث تغيّر دلالي سبّبه التغيّر الفونيمي وهو أمر ثابت لغة وقد اتفق عليه أغلب علماء العربية .

ولو حاولنا إجراء مُوازنة صوتية بين (شَغف وشَعَف) لوجدنا كلاً منهما مُتناسباً بأصواته مع معناه الذي يـ دلّ عليه ، فالشَغَف يمسّ القلب برقّـة وعذوبة يذوقها الوَلهان أوّل حُبه،وأوحى بذلك صَوت الغين الرِخو المَجهور[1] ، الذي يوحي دائماً بشيء من الخَفاء والغُموض ، في نحو غُمضَ وغَفى وغارَ وغاص وغَطّى وغَشّى وغام ، فكأنّ الحُبّ متخفّياً بين جَنبات القلب ، أمّا الشَعَف فهو إحراق للقلب ولَوعة وادّقاد ، وكأنّه يحصُل بعد بلوغ الحُبّ أمداً طويلاً ، وأوحى بذلك صَوت العين المُتوسط المَجهور[2] الذي يوصَف بأنّه أطلق الأصوات وأفخمها جرساً ، وأنصعها سمعاً[3]، فهو دائماً يوحي بالوضوح والعلانية في نحو : شَع ، وشَعَر ، وعَلَن ، وعَرفَ ، وعَلِم ، وسُعَر ، فضلاً عن أنّ تجاور الصوتين يبيح التبادل بينهما ، إذ العين حلقية والغين طبقية[4] .

٢ . الاستبدال في لام الكلمة :

السَبْح والسَبْخ : ء . َ لْ /س . َ بح/ُ ← ء . َ ل /س . َ ب/خ .

روى الطوسي هذا الإبدال في قوله تعالى : ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾ [المزمل :٧] ، وقال في معناه : ((إن لك يا محمّد في النهار مُتصرّفاً ومُنقلَباً ، أي ما تقضي به حوائجك ، وقرأ يحيى بن يعمر بالخاء ، وكذلك الضحاك ، ومعناه التوسعة ،، يقال : أسبخت القطن إذا وسّعته للّندف ،ويقـ ـال لما تطاير من القطن وتفرّق عند الندف سَبائخ ، والسَبْح المَرّ السَهل ، كالمَرّ في الماء ، والسَبح في عمل النهار هو المَرّ في العَمل الذي يحتاج إلى ضياء ...))[5] .

و(السَبح) لغة : المَرّ السريع في الماء وفي الهواء[1] : يقال سَبح سَبحاً وسِباحة،واستعير لمرّ النجوم في الفُلك،ولجري الفَرس ولسُرعة الذَهاب في العَمل،و(التّسبيح): تنزيه الله تعالى،وأصله المَرّ

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٣ ـ ٤٣٤ .
(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٣ ـ ٤٣٤ '
(٣) العين ١ / ٥٣ .
(٤) المحيط في أصوات العربية :محمد الأنطاكي١٨ ـ ١٩ .
(٥) التبيان ١٦٣/١٠ .
(١) ينظر: (سبح) مقاييس اللغة ١٢٥/٣ ـ ١٢٦ ، ولسان العرب :٤٧٠/٢ .

السريع في عبادة الله تعالى[2].وقيل (السبح) الفراغ[3].وأما السَبخ فهو الخِفّة في الشيء، يقال للذي يسقط من ريش الطائر السبيخ،ولما يتطاير من القطن عند الندف السبيخ أيضاً[4] .

وبتعدّد هذه المعاني في القراءتين[5] تعدّدت تفسيرات المفسّرين لهذه الآية ، فعن ابن عباس(ت ٦٨هـ) أنّ المراد :لك فَراغ طَويل في النهار لَنومك وراحَتك ، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك[6] ، وقيل : هي النوم ، فلك نومٌ طويل في النهار لتستعين به على قيام الليل[7] . وعن قراءتها بالخاء قيل هي التَوسعة والخِفّة والاستراحة ، مأخوذة على سبيل الاستعارة من تسبيخ القطن والصوف ، والمعنى أنّ لك في النهار سعةً لقضاء حوائجك ولك مُتّسع للتصرّف والتقلّب وانشغال البال وتفرّق القلب بالشواغل الدنيوية[8] .

وقد عرفت العربية تعاقُب الحاء والخاء على طائفة من ألفاظها ، وقد ترد أحياناً بمعنى واحد ، الأمر الذي دعا بعض المحدثين إلى ترجيح أن تكون (سَبَحَ وسَبَخَ) بمعنىً واحد ، وأنّ هذا التغّير الفونيمي لم يؤدّ إلى تغّير دلالي ، وأنّ القراءة بالحاء تُعزى إلى أهل الحاضرة ، على حين تُعزى القراءة بالخاء إلى أهل البادية ، لِما يمتاز به هذا الصوت من الفَخامة والإطباق التي يميل إليها أهل البادية[9] .

ولكنّ الراجح لدى الباحثة هو أنّ التغّير الدلالي حاصِل ؛ لأنّ لكلٍّ منهما أصل لغوي ثابت يختلف عن الآخر ، فالسَبح غير السَبخ والعَلاقة بينهما توحي بإمكان البَدَل : إذ هُما مُتقاربان مَخرجاً وصِفةً ، فكلاهما رِخو مَهموس[10] ، وهما مُتجاوران ، إذ الحاء حلقية والخاء طبقية[11] ، كما أنّ معنييهما يتناسب وسياق الآية ،فعلى هذا لامسوّغ لإنكار أثر الفونيم في هذا الاستبدال، إذ يصبّ كلّ منهما في مسار معنوي موازٍ للآخر لُيعطيا معاً الُبعد الدلالي الُموحَّد للآية ، وهو أنّ للإنسان مُتّسعاً من الوقت والراحة والنوم والعمل في النهار ، يتصّرف فيه كيف يشاء ، فليجعل إذاً جزءاً من الليل للعبادة وذكر الله والتقرب إليه .

---

(2) تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم (سبح) ٤٠٢ .
(3) لسان العرب (سبح) ٤٧٠/٢ .
(4) مقاييس اللغة (سبخ) ١٢٦/٣ .
(5) قرأها يحيى بن يعمر بالخاء ، وقرأها الباقون بالحاء .ينظر: مختصرفي شواذ القراءات من كتاب البديع :لابن خالويه١٦٤ .
(6) جامع البيان ٢٩ /١٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩ /٤٢ .
(7) البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ٣٦٣/٨ .
(8) ينظر: معاني القرآن للفراء ١٩٧/٣ ، جواهر الحسان في تفسير القرآن:الثعالبي ٣٥٣/٤ ، والكشاف ٦٣٩/٤ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل :النسفي٢٩١/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩ /٤٢ .
(9) الدلالات اللغوية والتغيرات الفونيمية ٥٥ ـ٥٦ .
(10) الكتاب ٤٣٣/٤ ـ ٤٣٤
(11) المحيط في أصوات العربية ١٨ ـ١٩ .

نَضَخَ وَنَضَحَ ن َ . ض . خ / َ .   ن ـ ض ـ . ح / . َ .

ورد هذان اللفظان في تفسير قوله تعالى في وصف الجنة التي وعد بها المتقون : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [الرحمن :٦٦] ،إذ قال الطوسي ((ومعنى (نضّاختان) فوّارتان بالماء . وقيل :نضّاختان بكلّ خير . والنضخ . بالخاء . أكثر من النضح . بالحاء . لأنّ النضحَ غير المعجمة : الرشّ ، وبالخاء كالبُوك الفوّارة التي ترمي بالماء صُعُداً))[1] ، فعلّل الرشّ الذي بالخاء ، لأنّه أدلّ على تلك النعمة الإلهية المُتمثّلة برشّ الماء بتدفّق .

و(النَضْح) لغة : يدلّ على شيء يُندّي ،وماء يُرشّ ، ويُقال لكلّ ما رقَّ : نَضَحَ ؛ لأنّ الرشّ رَقيق ، فيقال : نضَحْتُ البيت بالماء ، ونضَحَ جلده بالعَرق . أمّا (النَضْخ) فهو قريب من النَضْح ، إلا أنّه أكثر منه ، فهو دفق الماء ، ولذا قيل :غيثٌ نضّاخ أي كثير الهُطول ، وعَينٌ نَضّاخة كثيرة الماء فوّارة[2] .

ويتّفق أهل اللغة والتفسير على أنّ الآية قُرئت بالحاء والخاء، وأنّ في هذا الاستبدال الفونيمي تغيّراً دلالياً[3] ، ولكنّهم اختلفوا في تحديد هذا الذي تنضخ به العينان ،فقد قيل : هوالخير والبركة ، وقيل : هو المسك والعَنبر والكافور يُنضح على أولياء الله ، وقيل : هو الماء والفاكهة[4] . والراجح هو الماء ؛ لأنّه المعروف في العيون ، إذ كانتا عيني ماء[5] .

ولو تأمّلنا الفارق الدلالي المترتب على الفارق الصوتي ، لوجدناه ماثلاً في الصوتين المُبدلين ، فالخاء والحاء كلاهما رِخو مَهموس[6] ، ولكنّ الخاء الطبقية أكثر احتكاكاً ؛ إذ يقترب جدار الحَلق من الطَبق فيضيق مَجرى الهواء فيُسمع له عند مُروره صوت مفخّم قياساً للحاء الحلقي الذي يتّسع فيه مَجرى الهواء فيُمرّ فيه مُحدِثاً حَفيفاً خافت الصوت يكاد يقترب من الهاء ، فحاكَت شدّة احتكاك الخاء قوّة دَفق الماء من العين الفوّارة ، كما حاكَت رِقّة احتكاك الحاء رِقّة رَشّ الماء من العين النَضّاحة .

---

(١) التبيان ٩ / ٤٨٣ .

(٢) ينظر: (نضح ونضخ) في مقاييس اللغة ٤٣٨/٥، ولسان العرب ٣/ ٦١ـ ٦٢، وتفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ٨٦٥.

(٣) الخصائص ١٦٠/٢ ، وروح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني:أبو الثناء الآلوسي ٢٧ /١٢٢ .

(٤) جامع البيان ١٥٦/٢٧ ـ١٥٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ /١٨٥ .

(٥) جامع البيان ١٥٧/٢٧ .

(٦) الكتاب ٤٣٣/٤ ـ٤٣٤ .

وفي ذلك يقول ابن جني ((النَضْح بالحاء غير المعجمة للماءالسخيف يخِفّ أثره ُ ،وقالوا : النَضْخُ بالخاء لما يَقوى أثُره قبيل الثوب ونحوه بللاً ظاهراً ؛ وذلك لأنّ الخاء أوفى صوتاً من الحاء ، ألا ترى إلى غِلَظ الخاء ورِقّة الحاء))[١] .

وقد جعل الطوسي لهذه العين النضّاخة ميزة تفرقها عن غيرها من العيون المتّفقة ،هو أنّ الماء فيها يتفجّر(صُعُداً) أي يتدّفق باتجاه العلّو لقّوته وشدّة اندفاعه ، وفي هذا إشارة إلى الخّير الوافر ، والنعم الُمتعة والَمنظر الحسن الذي يَفيض على أهل الجنة ، وهو ما أّيده أيضاً فخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ) في تفسيره ،إذ جعل صعود الماء إلى أعلى شرطاً في الوصف بالنضخ ، وليس قّوة الماء فحسب[٢] .

ب . الاستبدال الفونيمي في الصوائت القصيرة (الحركات) : (Vowels)

تقوم الحركات في العربية بوظيفتين[٣] : **الأولى** : عاّمة ترجع إلى كون الصوامت أصواتًا لا يمكن النطق بها من غير أن تكتنفها الحركات ، فلا كلاَم بلا حركات ، وحياة الَحرف بحركته وموته بفقدها ، وقد كان سيبويه ُمصيباً حين سَّمى الحرف الساكن َمّيتاً والحرف المتحرك حّياً[٤] .

والأخرى : خاصّة ترجع إلى ما تؤّديه الحركة في نظام العربية من تغّير في معاني الجذر الواحد ،أي أّنها تفرّق بين الدلالات وتميّز بين الصيغ ، إذ تتقابل الحركات في مباني الألفاظ فتحدث تغّيراً واضحاً في معانيها . فنتجت من ذلك ظاهرتا المثنيات والمثلثات ، فغالباً ما يحصل تغّير البناء في العربية من طريق الُمغايرة بين الصوائت القصيرة (الحركات) على وفق تبادل ُمنّسق يخضع لنظام العربية وأسلوبها في تركيب أصوات الكلمة .

ويُسّمي بعض المحدثين هذه الظاهرة نظام تعاقب الُصوّتات أو التحّول الداخلي ، ويعدّه الَمنبع السهل الذي تستعين به اللغة لتستحدث من أصولها الثلاثية ثروة هائلة من المفردات[٥] .

وقد وقف علماء العربية عند هذه الفوارق الصوتية القائمة على اختلاف الحركة ، فبّينوا أّن العربية تتّخذ من الحركة وسيلةً للتفريق بين معانٍ متقاربةٍ ، وسَعوا إلى الكشف عن هذه المعاني[٦] .

وأقوى الحركات هي الضمة ، وتليها الكسرة ، وأخفهّن الفتحة ، وقد أدرك القدماء أّن صفتي القّوة والضَعف تتّصلان بالمعنى،وأشاروا إلى ذلك ومنهم سيبويه[١]والمبرد[٢](ت٢٨٥هـ) وابن جني[٣] ،والشريف الرضي[٤]، والرضي الاسترابادي[٥](ت ٦٨٦هـ) ، وغيرهم .

---

(١) المحتسب ١٩/٢ ، وينظر: الخصائص ١٦٠/٢ .
(٢) التفسير الكبير١٠/ ٣٧٩/٢٩ .
(٣) الفروق اللغوية ٢٠٣ .
(٤) دراسات في اللغة والنحو : ٣٥ ، وينظر: الكتاب ١٦٤/٢ ، ٢٢٢ ، ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ .
(٥) العربية الفصحى ٥٨ .
(٦) ينظر: إصلاح المنطق : ابن السكيت ٣٧ ، وتأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة ٤٨٣ ، وتفسيرغريب القرآن:ابن قتيبة ٤٨ ، ٥٤ ، ١٢٢ ، وأدب الكاتب:ابن قتيبة ٣٠٧ ، والفصيح: ثعلب ٣٣٠ ، والفائق في غريب الحديث:جار الله الزمخشري٤٠٩/١ .

رأي الطوسي :

لقد حرص الطوسي على التنبيه على اختلاف الدلالة باختلاف الحركات ، وبيان التقابل الدلالي بين الألفاظ الُمتّفقة في الأصل اللغوي والُمختلفة في الحركة ، وقد وردت لديه ُمتّنوعة على الأقسام الآتية :

١ . الاستبدال الفونيمي بين الضّمة والكسرة :

روى الفراء[٦] وأبو عبيدة[٧](ت ٢١٠هـ) ، والأخفش[٨] ،هذا الإبدال في فاء (فُعْلة) في نحو : مِرية ومُرية ، وعِدوة وعُدوة وإِسوة وأسوة . وكذلك في فاء (فُعال) نحو: شُواظ وشِواظ، وورد في تفسير التبيان مثالان لهذا الاستبدال هما :

الإربة والأُربة : ءَ لْ/ءِ . ر/بت./ُ ءــله/. ُ ر/ب ./َ ت . ُ

قال تعالى : ﴿غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ [النور :٣١] ، وقال الطوسي في تفسيرها : ((الإربة بالكسر الحاجة ، والأُربة بالضّم الُعقدة ؛لأنّ ما ُيحتاج إليه من الأمور يقتضي الُعقدة ؛و لأنّ الحاجة كالُعقدة حتى تنحلّ لسدّ الخلة ؛ ولأنّ الُعقدة التي تمنع من المنفعة ُيحتاج إلى حلّها ؛ لأنّ العقدة عمدة الحاجة))[٩] . ففرّق بينهما في الدلالة ، منّبهاً أيضاً على ما بينهما من معنى .

و(الإربة) لغة : من أرب ،وهي الحاجة ، وقيل: هي الدهاء والبصر بالأمور ،وهو من العقل[١٠]، وهي أيضاً فرط الحاجة المقتضي للاحتيال في دفعه[١١].

وقيل في تفسير الآية : إنّ المراد هو الأبله أو المعتوه[١] ، أو هو الذي لا يشتهي النساء لصغر سّنه ، فلا حاجة له بهنّ[٢] . وقيل هم الأعمام والأخوال وسائر المحارم[٣].

---

(١) الكتاب ٢٥٨/٢ ، ٢٩٧ .
(٢) المقتضب:المبرّد ١٨٩/٢ .
(٣) الخصائص ٦٩/١ ، والمحتسب ١٨/٢ ـ ١٩ ، ٣ / ١٧ .
(٤) تلخيص البيان في مجازات القرآن :الشريف الرضي٣١٨ .
(٥) شرح الكافية :الرضي الاستراباذي٢٠/١ .
(٦) معاني القرآن للفراء ٣٣٩/٢، ١١٧/٣ .
(٧) مجاز القرآن :أبو عبيدة٢٩٩/١، ٢٤٤/٢ .
(٨) معاني القرآن: الأخفش ٣٥١/٢ .
(٩) التبيان ٤٣٠/٧ .
(١٠) ينظر: (أرب) في العين ٢٨٩/٨ ـ٢٩٠ ، ومقاييس اللغة ٨٩/١ ـ ٩٠ ، ولسان العرب ٢٠٨/١ ـ ٢٠٩
(١١) تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ٧٣ .
(١) جامع البيان ١٢٢/١٨،ومعاني القرآن ٥٢٥/٤ .
(٢) جامع البيان ١٨ /١٢٢ .
(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٤٤/٣ .

والتعليل الصوتي لهذا الاستبدال هو أن العُقدة أشدّ عُسراً من الحاجة ، فيقال أَرِبَ الرجلُ: إذا تشدّد وتحكّر ، وتأرّب عليهم: إذا التوى وتعسّر [٤] ، ولذا جاء اللفظ بضمّ الهمزة ، إذ يتناسب الضم الثقيل مع العقدة المُجهِدة والشاقّة كما يتناسب الكسر الأقل ثقلاً مع الحاجة الأقل كلفة من العقدة .

جُذَاذ وجِذَاذ ج . ُ .ذ/. ذ/. ُ ُ ◌ ج .ذ/ه ً ذ/ . ُ ◌

وفي وقوفه عند قوله تعالى في الذكر العطِر :﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾[الأنبياء:٥٨] ،قال الطوسي في تفسيره ((جُذاذاً بالضّم مصدر يراد بها : القِطَع ،على زنة (فُعال) كُرفات وفُتات ورُقاق،وجذذته أجذّه جذّاً أي قطّعته ، ومن كسر الجيم جِذاذ ؛ فأنّه أراد جمع جذيذ (فعيل) بمعنى مَجذوذ ، ومثله كريم وكِرام ، وخفيف وخِفاف))[٥].

و(الجُذاذ) لغةً : من جَذّ يجذُّ جَذاً ، وهو إمّا كسَر أو قطّع ، فجذذتُ الشيء:كسّرتُه ، وجذذتُه قطّعتُه وفتّتُه ، ويقال : لقِطَع الفضّة الصغار ولحجارة الذهب المتكسّرة (جُذاذ)[٦].

ويتابع صاحب التبيان الفرّاء في تفسيره لهذه الآية[٧] ،وهو ما اتفقت عليه أغلب التفاسير[٨] ، ومفادُه أنّ (جُذاذاً) بالضم جمع جَذيذة، وهي القطعة الواحدة المكسورة ، و(جِذاذاً) بالكسرجمع جَذيذ ،وهو الشيء المُتكسّر إلى قِطَع ، ومن ثّم فإنّ (جِذاذاً) جمع للأصل و(جُذاذاً) جمع للفرع ؛ ولأنّ القِطَع المُتكسّرة نتجت عن عملية التكسير والتقطيع التي تحتاج إلى جهد ، لذلك فهي بحاجة إلى صوت يُحاكي هذا الجهد ، فكانت تلك الضّمة التي تفوق الكسرة ثقلاً .

٢ . الاستبدال الفونيمي بين الضّمة والفتحة :

روى أبو عبيدة هذا الإبدال في فاء (فُعْل)[١] .ومن أمثلته في تفسير التبيان الألفاظ الآتية :

الخُلة والخَلة ء . َ ل/خ . ُ ل/ل ت/. َ ُ ء . َ ل/خ . َ ل/ ل ./ َ ت . ُ

---

[٤] مقاييس اللغة ١ /٩٠ ـ ٩١ .

[٥] التبيان ٧/ ٢٥٧.وقد قرأ الكسائي والأعمش وابن محيصن (جِذاذا)بكسر الجيم،وقرأها الباقون بالضم.ينظر:إتحاف فضلاء البشر ٣١١.

[٦] ينظر: (جذذ) التقفية في اللغة ٣٣٩ ، والصحاح ٢ /٥٦١ ، ومقاييس اللغة ١ / ٤٠٩ ، ولسان العرب ٣ / ٤٧٩ ، وتفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ١٩٠ .

[٧] معاني القران للفراء ٢/٢٠٦.

[٨] ينظر : معاني القرآن : الكسائي ١٩٦، وجامع البيان ١٧ / ٣٨ ، وجواهر الحسان ٤ /٢١، والتفسير الكبير ٨/ ٢٢ / ١٥٤ .

[١] مجاز القرآن ١ / ٢٦٢ .

في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾[النساء :١٢٥]، إذ فسّر الطوسي لفظ (الخليل) بأنّه مشتقّ من الخُلّة، وهو ((بضمّ الخاء الصداقة ، والخَلّة بفتح الخاء : الحاجة ، واستعمل في الحاجة للاختلال الذي يلحق الفقير فيما يحتاج إليه ،والخُلّة بمعنى الصداقة ؛ فلأنّ كلّ واحد منهما يسدّ خلل صاحبه في المودّة والحاجة))[٢].

والخَلّة لغة من الخَلّ بمعنى الفَرجة أو الخلل بين الشيئين ، ومنه الخَلّة : الفقر ؛ لأنّه فرجة في حاله. والخليل : الفقير[٣]، وقيل : إنّ الخَلّة هي الاختلال العارض للنفس ، إمّا لشهوتها لشيءٍ أو لحاجتها إليه[٤] ثمّ اختصّت لمن به خلّة شديدة أي خَصاصة ، فخلّ الرجلُ بمعنى افتقر ، واختلّ الى كذا : احتاج إليه[٥]

أمّا الخُلّة . بالضمّ. فهي الصداقة المختصّة التي ليس فيها خَلل ، تكون في عفاف . يقال خاللتُ الرجل خلالاً بمعنى: صادقته ، والخِلّ الودّ والصديق، والخليل : الصديق[٦] ؛ لأنّ المودّة تتخلّل النفس وتتوسطها ، أو لأنها تخِلّ بالنفس فتشعر بالحاجة إلى ذلك الصديق[٧].

وقيل في معنى الخليل في هذه الآية : إنّ إبراهيم (عليه السلام) كان يوالي في الله ، ويعادي في الله ، ويحب في الله ويبغض في الله ، فاتخذ ربّه خليلاً لا يبغي سواه[٨] . وقيل : هي من الافتقار، والمعنى : إنني أبرأ من الاعتماد أو الافتقار إلى غير الله ، وإنّما أُنزلُ فقري وحاجتي بالله تعالى[٩] .

والخلّة التي بمعنى الحاجة تختصّ بالحاجة المادّية من مال أو طعام أو أمور معيشية ، وهي ممّا يمكن أن يحصل عليه الإنسان بوسيلة أو بأخرى فهي بهذا ميسورة الحصول ، ولذا عبّر عنها بالفتحة الخفيفة ، على حين أنّ الخلّة التي بمعنى الصداقة تختصّ بأمر معنوي ، قد يصل إلى درجة التعلّق الشديد بين الخلّين بحيث لا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر ، وهذا التعلّق الروحي تُكابد فيه النفس أحاسيس أصعب من الحاجة المادّية . ولذا وردت الضمّة لتحاكي هذه الصعوبة والمُعاناة النفسية . وقد أشار الطوسي إلى شيء قريب من هذا المفهوم في موضع آخر ، وهو أنّ العرب تختار للأشياء المادّية الحركة الخفيفة ، وللأشياء المعنوية الحركة الثقيلة ،وسنقف عليه إن شاء الله فيما هو قابل .

---

(٢) التبيان ٣ / ٣٤١ .
(٣) مقاييس اللغة (خلّ) ٢ /١٥٥-١٥٦.
(٤) تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم (خلّ) ٢٩٣.
(٥) لسان العرب (خلّ) ١١/ ٢١٥-٢١٧.
(٦) المصدر نفسه .
(٧) تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم٢٩٣ .
(٨) جامع البيان ٢٩٧/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٠١/٥ .
(٩) جواهر الحسان ٤١٧/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٠٠/١٠ .

القُرح والقَرح : ء . لق/ . حر/ ← ل/ق ر/ح .

في قوله تعالى : ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥ﴾ [آل عمران : ١٤٠]

ذكر الطوسي في هذه الآية قراءتين(١) ، فقد قرأها أهل الكوفة إلا حفصاً بضم القاف من (قُرح) وقرأها الباقون بفتحها ، ثم فرّق بين القراءتين دلالياً فقال : ((الفرق بينهما أن القَرح بفتح القاف . الجِراح ، والقُرحّ . ألم الجِراح ، على قول أكثر المفسّرين)) ثم حكى بصيغة التضعيف (قيل) : إنّهما لغتان(٢) .

والقَرح لغةً :من قَرَح يقرُح قَرحاً بمعنى جُرِح ، وهو عضّ السلاح مما يَجرح الجسد(٣) ، والقُرح ما يَخرج به من قُروح ، فالقريح :الجَريح ،و القَرِح :الذي خرجت منه القُروح(٤) ، وقيل القَرح بالفتح أثر الجُرح من شيء يصيب الجسد من الخارج .والقُرح أثره من الداخل ، أو هو ألم الجُرح(٥) .

وروي عن الكسائي(ت١٨٩هـ) والأخفش أنّ القراءتين لغتان بمعنى واحد(٦) ، ولكنّ أكثر المفسرين . ومنهم الطوسي . يفرّقون بينهما ، إذ يوافقون ما قاله الفرّاء من أنّ ((القُرح : ألم الجراحات ، وكأنّ القَرح : الجراح بأعيانها))(٧) .فبينهما إذن فرقٌ واضح ، ونقل ابن خالويه(ت٣٧٠هـ)مثل هذا القول عن الكسائي ايضاً(٨) .

ولأنّ ألَم الجُرح فيه أذى ، وهو أمرٌ حسّي ملموس ؛ لذلك اختيرت له الضّمة ، وجعلت الفتحة الخفيفة للجُرح نفسه .

الهُون والهَون ء . ل/هـ . ن/ . / ← لهـ/ . و/ن .

(١) قرأها أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف بضم القاف ووافقهم الأعمش،وقرأها الباقون بالفتح،ينظر إتحاف فضلاء البشر١٧٩.

(٢) التبيان ٦٠٠/٢ .

(٣) لسان العرب (قرح) ٥٥٧/٢ .

(٤) مقاييس اللغة (قرح) ٨٢/٥ .

(٥) تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ٦٩٦ . .

(٦) معاني القرآن للكسائي ١٠٧ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢١٥/١.

(٧) معاني القرآن للفراء ٢٣٤/١ ، وينظر جامع البيان ١٠٣/٤ ـ١٠٤، وإعراب القرآن :أبو جعفر النحاس ٤٠٨/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢١٧/٤ .

(٨) إعراب القراءات السبع وعللها وحججها : ابن خالويه ١١٩/١ ،وينظر معاني القرآن للكسائي١٧٠.

في قوله تعالى : ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل :٥٩] ، إذ قال الطوسي في تفسير (هون) : ((الهُون أي الهوان والمشقّة ، ومنه (عذاب الهُون))[1] ، قال الحُطيئة :

فلمّا خشيتُ الهُون والعيرُ مُمْسِكٌ — على رَغمه ما أثبتَ الخيلُ حافِرُه[2]

فإذا قالوا : أقبلَ يمشي على هَوْن ، لم يقولوا إلا بفتح الهاء ، وقال المبرّد : الهُون بضم الهاء لا أعرفه في الرِفق ، وإنّما هو بفتح الهاء كما يُقال : سِرْ عليه هَوناً أي : رِفقاً))[3] .

والهَون) لغة : من هان يَهونُ هَوناً ، بمعنى : خفَّ[4] ، وقيل الهَون والهَوان واحد وهو اللين[5] ، وقيل الهُون الهَوان ، والهَون : الرفق[6] ، والسَكينة والوقار[7] . وقيل إنّ الهَوان على وجهين : أحدهما تذلّل الإنسان في نفسه لما لا يُلحِق به غَضاضة فيُمدَح به ، والآخر : أن يكون من جهة متسلط مستخفٍّ به فيُذَمُّ به[8] .

وذكر الفّراء أن الهُون بالضّم لغة قريش ، وبعض بني تميم يجعلونه مصدراً للشيء الهّين ، وإذا قالت العرب : أقبلَ يمشي على هَونِه ، لم يقولوه إلا بالفتح[9] ، واحتجّ لذلك بقوله تعالى : ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان :٦٣] ، وأكثر المفسرين على أنّ (هَوناً) هنا مصدر الهّين من السَكينة والوقار ، وأنّ الهُونَ في آية النحل بالضّم الهَوان من الذلّ والاستصغار[10] .

ولأنّ الهُون فيه استخفاف وإذلال للنفس الإنسانية ، وهو أمرٌ عسير لا يرضاه الحرّ الأبّي ، لذلك اختيرت له الضّمة الثقيلة لملاءمتها ثقل معنى الذلّ على النفس ، واختيرت الفتحة للهَون الذي هو اللين والسَكينة ، لما لها من خِفّة وسُهولة في النطق تُلائم المعنى المُراد .

وهناك أمثلةٌ أخرى في هذا النوع من الاستبدال الفونيمي وردت في تفسير التبيان[1] .

٣ . الاستبدال الفونيمي بين الكسرة والفتحة :

---

(١) فصلت :١٧ .
(٢) ينظر:ديوان الحطيئة .
(٣) التبيان ٣٩٤/٦ .
(٤) لسان العرب (هون) ١٣ /٤٣٩ .
(٥) التقفية في اللغة (هون) ٦٥٧ .
(٦) ينظر: (هون) الصحاح ٢٢١٨/٦ ، ولسان العرب ١٣ / ٤٣٩ .
(٧) مقاييس اللغة (هون) ٢١/٦
(٨) تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ٩٠١ .
(٩) معاني القرآن للفراء ١٠٧/٢ .
(١٠) غريب الحديث لابن قتيبة٥٠٢/١ ، وجامع البيان ١٤ /٨٤ ، ١٢٤ ، ومعاني القرآن الكريم٧٦/٤ ، وجواهر الحسان ٨٥/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣ /٦٨ ، ٣٤٩/١٥ .
(١) ينظر: الأكل ٣٣٩/٢ ، والحب ١٠٠/٦ ، والروح ٥١١/٩ .

روى الفرّاء وأبو عبيدة والأخفش هذا الإبدال عن العرب في طائفة من الألفاظ [٢]. ومن أمثلته في تفسير التبيان الألفاظ الآتية :

الحَمل والحِمل : ءـ َ لحَـ لَم/ ←ـــــ ءـ َ ل /ح ـِ م/ل ـ ُ

قال تعالى ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى ﴾ [الرعد :٨] وقال الطوسي:((الحَمْل بفتح الحاء ، ما كان في الجَوْفِ ، وكذلك ما كان على نَخلة أو شَجرة فهو مفتوح . وبكسر الحاء (الحِمل) ما كان من الثِقَل على الظهر))[٣].

و(الحَمْل لغة : من حَملَ يحمِلُ حَملاً ، بمعنى :رَفع شيئاً وأقلّه ، والحَمل بالفتح ما كان في بطنٍ أو على رأس شجرةٍ ، والحِمل ما كان على ظهرٍ أو على رأسٍ[٤] ، وقيل : إنّ الأثقال المحمولة في الظاهر كالمَحمولة على الظهر تُسّمى حِملاً ، والأثقال المَحمولة في الباطن كالوَلد في البَطن، والماء في السَحاب، والثَمرة في الشَجرة تُسّمى حَملاً تشبيهاً بحَمل المرأة[٥] .

وهو ما اتفق عليه اللغويين بلا خلاف . وله توجيه وتعليل صوتي بيّن هو أن الحِمل الذي على الظهر أو على الرأس، أثقل من حَمل المرأة الحامل ومن ثمر الشجرة ، بدليل أنّ المرأة تحمل طفلها تسعة شهور من غير كَلل ولذلك جاء اللفظ المعبّر عن الحِمل الثقيل بالكسرة والمعّبرعن الحَمل الأخفّ بالفتحة .

العِوَج والعَوَج :ءـ َ ل/ع ـِ /وَ ج ـ/ ُ ←ـــــ ءـ َ ل/ ع ـ/وَ ـ/جَ ـ ُ

فّرق الطوسي بين هذين اللفظين تفريقاً دلالياً في أكثر من موضع ؛لأنهما وردا في أكثر من آية في الذكر العَطر، ومنها قوله تعالى :﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر :٢٨] وقوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ [الكهف :١] وقوله : ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف :٤٥] .

وقال في تفسير اللفظين : ((العِوَج العُدول عن الطريق الصَواب ، وهو في الدين عِوَج بالكسر ، وفي العود عَوَج .بالفتح .فّرقوا بين ما يُرى وما لا يُرى ، فجعلوا السَهل للسَهل والصَعب للصَعب ، بالفتح والكسر))[١] ، وقال في موضع آخر : ((العرب تقول عِوَجاً .بكسر العين .في كل

---

[٢] ينظر: مجاز القرآن ٤٤/٢ ، ومعاني القرآن للأخفش ١٧٦/١ ،٢٧٢/٢ ، ومعاني القرآن للفراء ١٤٩/١، ١٦٤/٢ .

[٣] التبيان ٢٢٤/٦ ، وينظر: ٥٢/٥ .

[٤] ينظر: (حمل) إصلاح المنطق ٣ ، والصحاح ١٦٧٦/٤ ، ١٦٧٧ ، ومقاييس اللغة ١٠٦/٢ ، ولسان العرب ١٧٨/١١ .

[٥] تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ٢٥٨

[١] التبيان ٤٦٣/٥ .

اعوجاج في دين أو فيما لايُرى شخصه قائماً ،ولا يدرك عياناً منتصباً كالعِوَج في الدين ؛ ولذلك كُسرت العين في قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾[٢]، وكذلك العِوَج في الطريق ؛ لأنه ليس بالشخص المنتصب ، فأمّا ما كان في الأشخاص المُنتَصبة ، فإنّ عينها تُفتح في القناة والخَشَبة ونحوها))[٣] .

ويُفهم من كلامه أنّ من سُنن العرب في لغتهم أن يضعوا الحركة الأخفّ والأسهل للمعنى الذي يسهل إدراكه ، وهو المعنى المادي المحسوس، ويضعوا الحركة الأثقل للمعنى الذي لا يسهل إدراكه ، وهو المعنى المعنوي الذي يحتاج إلى إعمال فكر وتأمل ليوصل إليه ، فلا يُدرك إلا بالعقل .

وقد أشار ابن جني قبله إلى سُنّة العرب هذه،إذ بيّن أنّهم يختارون الحرف الأقوى للمعنى الأقوى والحرف الأضعف للمعنى الأضعف ومثّل لذلك بقَضَم وخَضَم((فاختاروا الخاء لرخاوتها للرَطب،والقاف لصلابتها لليابس،حَذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث))[٤]

و(العِوج) لغة من عَوِجَ يعَوُج عِوجاً : وهو الانعطاف فيما كان قائماً فمالَ، كالرُمح والحائط[٥] . فتقول : عُجتُ البعير بزمامه ، وفلانٌ ما يُعوِجُ عن شيءٍ يهمُّ به ، أي ما يرجع ، والعَوَجُ بالفتح فيما يُدرك بالبَصَر ، والعِوَجُ بالكسر فيما يُدرَك بالبَصيرة[٦] . وقد ساوى بينهما عدد من المفسّرين[٧] ، على حين يفرّق بينهما الباقون[٨] ، كما فرّق بينهما الطوسي .

الوِقر والوَقر : ء . َ ل/و. ِ ق/ُ ء . لو/ . َ ق/ ر . ُ

---

[٢] الكهف: ١ .
[٣] التبيان ٥/٧ ، وينظر ٤٠٩/٤ ، ٤٦٣.
[٤] الخصائص ٢ / ١٥٨ .
[٥] ينظر: (عوج) في : التقفية في اللغة ٢٤٩ ، ومقاييس اللغة ٤/ ١٧٩ ـ ١٨٠ ، ولسان العرب ٢ / ٣٣١ ـ ٣٣٢
[٦] ينظر: إصلاح المنطق ١٦٤ ، وتفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ٦١٥ ـ ٦١٦ .
[٧] الكشاف ٤٧١/٢ ، ومدارك التنزيل ٣/٣ .
[٨] جامع البيان ٢٢/٤ ، والجامع لأحكام القرآن١٥٠/٤ ، وفتح القدير٢٢٤/٢٠، وروح المعاني ٢٦٣/١٦ .

في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الاسراء:٤٦] ، قال الطوسي : ((الوَقر الثِقل في الأُذن، والوِقر: الحِمل ، والأصل فيه الثقل ، إلا أنّه خولِف بين البناءين للفرق))[١].

و(الوَقر) لغة: بالفتح للثقل في الأذن ، وقيل : أن يذهب السمع كلّه ، والوِقر: الحِمل الثقيل ، وجعله بعضهم للثقيل والخفيف[٢]. وقيل : هو الحِمل للحمار وللبَغل كالوَسق للبعير[٣].

ويُساوي الأخفش بين الصيغتين ، على أنّهما لغتان بمعنىً واحد[٤]، غير أنّ أغلب المفسّرين يفرّقون بينهما ، فيتّفقون على أنّ الوِقر بكسر الواو ثقل الحِمل على ظهرٍ أو في بطنٍ ، يقال: جاء يحمِل وِقره ، وقد أوقَر بعيره[٥]. ويقال:هذه امرأة موقَرة وموقِرة إذا حملت حَملاً ثقيلاً[٦] .

ولو نظرنا إلى هذين اللفظين لوجدنا هذا الاستبدال الفونيمي قائماً على أساس المعنى أولاً، فالحِمل الذي على الظهر أو الرأس أشدّ وطأة على حامله من الثِقَل في السمع الذي يتسبّب به عيبٌ أو مرضٌ في تكوين الانسان ، ولذا فرّق العرب بين المعنيين بالتفرقة بين الصيغتين ، كما أشار إلي ذلك الطوسي .

وفي التبيان أمثلة أخرى في هذا النوع من الاستبدال الفونيمي ، يتبّن لنا فيها إدراك الطوسي لأثر الحركات في تغّير المعنى وتخصيصهِ[٧] .

(٢) التغّير الفونيمي فوق التركيبي :

يتمثّل القسم الثاني من الدلالة الصوتيّة المطّردة بالظواهر الفونيمية فوق التركيبية وهما : النبر والتنغيم أو (الوحدات غير المقطعية) .

والنبر(S tress) :هو الضغط على أحد مقاطع الكلمة ، بزيادة قوّة إخراج الهواء من الرئتين ، وهو طاقة وجهد عضليان لجميع أعضاء النطق في وقت واحد ، وهو من الملامح الصوتية فوق التركيبية التي تؤدّي وظيفة دلالية ، ويختصّ بالألفاظ[٨]، إذ تتجلّى وظيفته في أنّه يبّن الكلمة الأكثر أهمّية ، وهي تلك التي يكون نبرها أعلى[١]، ولم يرِد في تفسير التبيان شيء عن هذا المَلمح الصوتي ، ولذا يكتفي البحث بتعريفه فقط .

---

[١] التبيان ٦ / ٤٨٤ .
[٢] لسان العرب :(وقر) ٥ / ٢٨٩ .
[٣] تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ٩٣٦.
[٤] معاني القرآن للأخفش ٢ / ٢٧٢ .
[٥] جامع البيان ٧ / ١٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٣٠ .
[٦] اصلاح المنطق ٤ .
[٧] ينظر المِلء ٢ /٥٢٨ ، والعدل ٤ / ٢٣ ، والولاية ٧ / ٥٠ .
[٨] الدلالة اللغوية عند العرب ١٦٩ .
[١] ست محاضرات في الصوت والمعنى : (رومان ياكوبسن) : ترجمة حسن ناظم ٩١ .

أمّا التنغيم (Intonation): فارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام[٢]، إذ يتغيّر صوت المتكلم صُعوداً وهُبوطاً لبيان مشاعر مختلفة ، ويمكن القول إنّه تَنوّع في درجات الصوت تبعاً للحالة الانفعالية للمُتكلم وحسبما يقتضيه سياق الحال[٣] . ولذا يوصف بأنّه موسيقى الكلام[٤] .

والتنغيم هو الإطار الصوتي للسياق الذي تُقال به الجملة ، إذ إنّه يتعلّق بالمعاني النحوية للجملة ؛ لأنّ الجملة العربية لها صيغ وموازين تنغيميّة تقوم على أنساق تنغيميّة خاصّة لها أشكال محدّدة . فللجملة الاستفهامية هيكل تنغيمي يختلف عن الهيكل التنغيمي للجملة الخبريةّ ، وكذلك يختلف عن الجملـ ـة المؤكّدة أو جملة الشرط ، فلكلّ جملةٍ منها نغمات معيّنة بعضها مُرتفع وبعضها مُنخفض ، وبعضها يتّفق مع النبر وبعضها لا يتّفق معه .

فالصيغة التنغيميّة منحىً نغمي خاص بالجملة يُعين على الكشف عن معناها النحوي[٥] . ولكنّه لا يعطي تفسيراً للمضمون المَعرفي لها، وإنّما هو يشير إلى وظيفتها الانفعالية أو العاطفية ، ويبقى مُلازماً لها وإن كانت كلمات الجملة مُبهمة لا يمكن فهمها[٦]، فنغمة الخبر مفهومة ونغمة الاستفهام مفهومة ونغمة النفي مفهومة أيضاً .

ويقوم التنغيم في الكلام بوظيفة الترقيم في الكتابة ، غير أنّه أوضح منه في الدلالة على المعنى ، لأنّ ما يستعمله التنغيم من نغمات أكثر ممّا يستعمله الترقيم من علامات كتابية[٧]. ولذا حلّ التنغيم كثيراً من إشكاليات الدلالة اللغوية المتعلّقة بالأصوات والسياقات التنظيمية ، إذ تحدّد الصور النطقية بموجب التنغيم[٨] ، فهو من القيم الخلافية المُفرّقة بين عناصر جُملية مختلفة في النظام اللغوي . وللقيم الخلافية أهمّية أكبر من القيم الرابطة ؛ لأنّها أقدر على تحقيق أمن اللَبس ، وهو الغاية القصوى من الاستعمال اللغوي ، ولذا تجد أنّ اللغات كلّها لها مجموعة من القيم الخلافية التي بدونها لا يكون اللَبس مأموناً ولا الكلام مفهوماً[٩] .

ويرتبط التنغيم بالنبر بصلة وثيقة ، فلا يحدث تنغيم من دون نبر للمقطع الأخير من الجملة ، أي في آخر كلمة من الجملة[١] . وعلى الرغم من أنّ الوظيفة الأساس للتنغيم نحوية دلالية تتمثل في تفرقته المعنوية بين الأساليب النحوية المختلفة . إلا أنّ هيكله الوظيفي الخارجي هو

---

(٢) الأصوات اللغوية:ابراهيم أنيس ١٧٥ .
(٣) مناهج البحث في اللغة ١٩٨ ، وعلم الأصوات : برتيل مالمبرج ، ترجمة ودراسة: عبد الصبور شاهين ١٥١ .
(٤) الأصوات اللغوية ١٧٦ .
(٥) اللغة العربية :معناها ومبناها ٢٢٦ ،
(٦) ست محاضرات في الصوت والمعنى ٩١ ـ ٩٢ .
(٧) اللغة العربية : معناها ومبناها ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .
(٨) التنغيم اللغوي :سمير العزاوي٢٧ .
(٩) اللغة العربية : معناها ومبناها ٣٤ .
(١) الدلالة اللغوية عند العرب١٧٧ .

النسق الصوتي الذي يُستنبَط منه التنغيم[٧٢] . ولذا كان محلّ دراسة هذا المَلمح أو النَسق الصوتي هو مباحث الأصوات والدلالة الصوتية .

وقد أدرك علماؤنا الأوائل أثر الوحدة الصوتية فوق التركيبية في التوجيه الدلالي بما ينبئ عن عبقرّيتهم الفذّة التي سبقت علماء اللغة المحدثين بقرون عدّة ، وأدركوه بأساليب شتى كلٌّ حسبَ منهجه ونمط دراسته ، ولذا تعدّدت مفاهيم التنغيم لديهم[٣] ، فتجده لدى سيبويه بمعنى تنّوع دلالة الأساليب النحوية ، فبالإمكان دلالة الجملة الواحدة على ثلاثة معانٍ تبعاً للنغمة الصوتية المُصاحبة لها في مثل قول القائل : أتاني رجلٌ ، فيقال له ما أتاك رجلٌ ، إذ تحتمل الإخبار عن العدد ، أو الجنس ، أو النوع[٤].

ومن هذه الإشارات ما ذهب إليه الجاحظ[٥] ، من أنّ اللفظ وحده لا يكفي لتحقيق حسن البيان ، بل لابّد فيه من الإشارة بالشكل والتفدّل والتثّني ، وفي ذلك إشارة إلى تعبيرات الوجه ونبرة الصوت ونغمة الكلام ، وكذلك إشارة ابن جني[٦] الذي سّماه مَطلاً وتمطيطاً في الصوت ، ومثله عبد القاهر الجرجاني[٧] ،الذي عُني به بحسبانه وسيلة في خروج الأساليب عن معانيها .

أما المُحدثون فقد أولوا هذه الظاهرة عناية خاصة في مباحثهم ومؤلّفاتهم الصوتية ، وقد أسعفتهم المخابر الصوتية والأجهزة العلمية المتطّورة في دقّة التحليل الصوتي فتوصّلوا إلى نتائج متقّمة في هذا الميدان . وكان لكلٍّ منهم منهج في وضع ضوابط لقياس التنغيم في اللغة العربية[٨] ، وقد حّددوا لها أربعة مستويات رئيسة[٩] :

الهابط ، ورمزه /١/وهي النغمة المنخفضة التي تنتهي بها غالباً الجملة الإخبارية .

المتوسط أو المستوي ورمزه /٢/ وهي النغمة الاعتيادية التي يبدأ بها الكلام .

الصاعد أو العالي ورمزه /٣/ وهي تعلو النغمة المتوسطة وتأتي عادة قبل الانخفاض.

الأعلى ورمزه /٤/ وهي فوق العالية وترافق حالات التعجب والانفعال .

وقد اعتمد الدكتور سلمان العاني على أجهزة متطّورة ودقيقة، وعرض فيها أنواعاً مختلفة من الجُمل ليرى درجتها الصوتية التنغيمية ، وكانت على الوجه الآتي[١] .

---

(٢) مناهج البحث في اللغة ١٩٨ .
(٣) ينظر: التنغيم اللغوي ٤٠ ـ٨١ .
(٤) الكتاب١/٥٥ ، وينظر المنهج الوصفي في كتاب سيبويه : نوزاد حسن أحمد ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .
(٥) البيان والتبيين ١ / ٧٩ .
(٦) الخصائص ٢ /٣٧١ .
(٧) دلائل الإعجاز : ١٤٠ ـ١٤١ .
(٨) ينظر: مناهج البحث في اللغة ١٦٤ ـ١٦٩ ، ودراسة السمع والكلام : سعد مصلوح ٢٥٨ ـ٢٦٤ ، والتشكيل الصوتي في اللغة العربية : سلمان العاني ١٩٣ ـ١٩٤ ، ، والتنغيم اللغوي٦٣ـ٨٠ .
(٩) علم اللغة المبرمج ، الأصوات والنظام الصوتي : كمال البدري ١٦٨.
(١) التشكيل الصوتي ١٤٣ ـ١٤٤.

الجملة الخبرية : تبدأ الذبذبات عادة عند النغمة المستوية المتوسطة وتمتد حتى تنزل فجأة إلى المستوى الأول عند الوقوف فيكون رمزها (٢ . ٢ . ١) .

الجملة الاستفهامية : تبدأ من النغمة الثالثة العالية وتتدرج إلى الثانية المتوسطة ثم إلى الهابطة ، وعلى هذا فيكون رمزها (٣ . ٢ . ١) .

الجملة الأمرية : تختلف ذبذبتها تبعاً للكلمة التي يقع عليها الشدّ الأمري، ولذا فهي تكون في صورتين (٣ . ٢ .١) و(٢ . ٣ .١) .

الجملة التعجبية : وتبدأ من المستوى الثاني ثم ترتفع إلى الثالث وأخيراً تنزل إلى الأول فيكون رمزها هناك (٢ . ٣. ١) .

الجملة الندائية : وهي على درجات جملة التعجب نفسها ، فرمزها هو (٢ . ٣ . ١) غير أن الذي يفرّق بينهما هو نمط النغم الخاص بكل منهما .

مظاهر التنغيم عند الطوسي :

عُني الطوسي بهذه الظاهرة ولم يصرّح باصطلاحها الحديث شأنه شأن القدماء ، وتتمثّل عنايته بها في عدّة جوانب نوجزها بما يأتي :

(١) التفرقة بين دلالة الأساليب : وقف صاحب التبيان عند الأساليب النحوية وقفة العالم المتبصّر ، المُدرك لدقائق المعاني ، المطّلع على أسرار العربية وتنوّع معانيها واختلاف دلالتها وعُني كثيراً بخروج هذه الأساليب إلى غير معانيها الأصلية فلم يترك فرصةً إلا وأشار فيها إلى ذلك بتعليل أو من غير تعليل. فمن ذلك خروج الاستفهام إلى الخبر والأمر والتهكّم والاستهزاء ، وخروج الخبر إلى الاستفهام والأمر والتهديد وما إلى ذلك ، وأغلب تفصيلات هذه الأساليب تدخل في ميدان علم النحو ، ولذلك أرجأها البحث إلى الحديث في الدلالة النحوية. وسيقف على نماذج لوقفات الطوسي ممّا يتّضح فيه إدراكه لأثر التنغيم في المعنى ،وسيكون المِعيار في ضبط درجات التنغيم اعتماداً على الذوق الشخصي لعجز البحث في الحصول على أجهزة دقيقة في هذا الميدان . ومن تلك النماذج :

أ . خروج الاستفهام إلى التوبيخ والتهديد : إذ وقف عند قوله تعالى : ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [النساء :٢١] فقال ((هذا الكلام وإن كان ظاهره للاستفهام فالمُراد به التوبيخ، كما يقول القائل لغيره : كيف تفعل هذا وأنا غير راضٍ به ، على وجه التهديد له))[١]

وقد سبقه في هذا الكلام الطبري(ت٣١٠هـ) وجعل الكلام خارجاً إلى معنى التنكير والتغليط[٢]

---

[١] التبيان ٥٤/٣ .

[٢] جامع البيان ٣١٤/٤ .

وتبدأ نغمة الاستفهام من العالي ثمّ تهبط تدريجياً إلى آخر مستوىً،فرمزها (٣ . ٢ . ١) ولكنّها هنا بخروجها إلى التهديد ، تبدأ من المستوى الرابع ثم تتدّرج إلى الثالث فالثاني حيث ينتهي الكلام وصولاً إلى المستوى الأخير لشدّة الموقف ، وحالة الانفعال الُصاحبة له فيكون رمزه (٤ . ٣ . ٢ . ١)، إذ يُعدُّ الاستفهام بكيف وأين ومتى من أعلى مستويات التنغيم في اللغة العربية[٣] .

وقال بعض المفسّرين: إنّها جاءت على وجه التعجّب والإنكار[٤] ، ولذا ستكون نغمتها على الشكل الآتي :

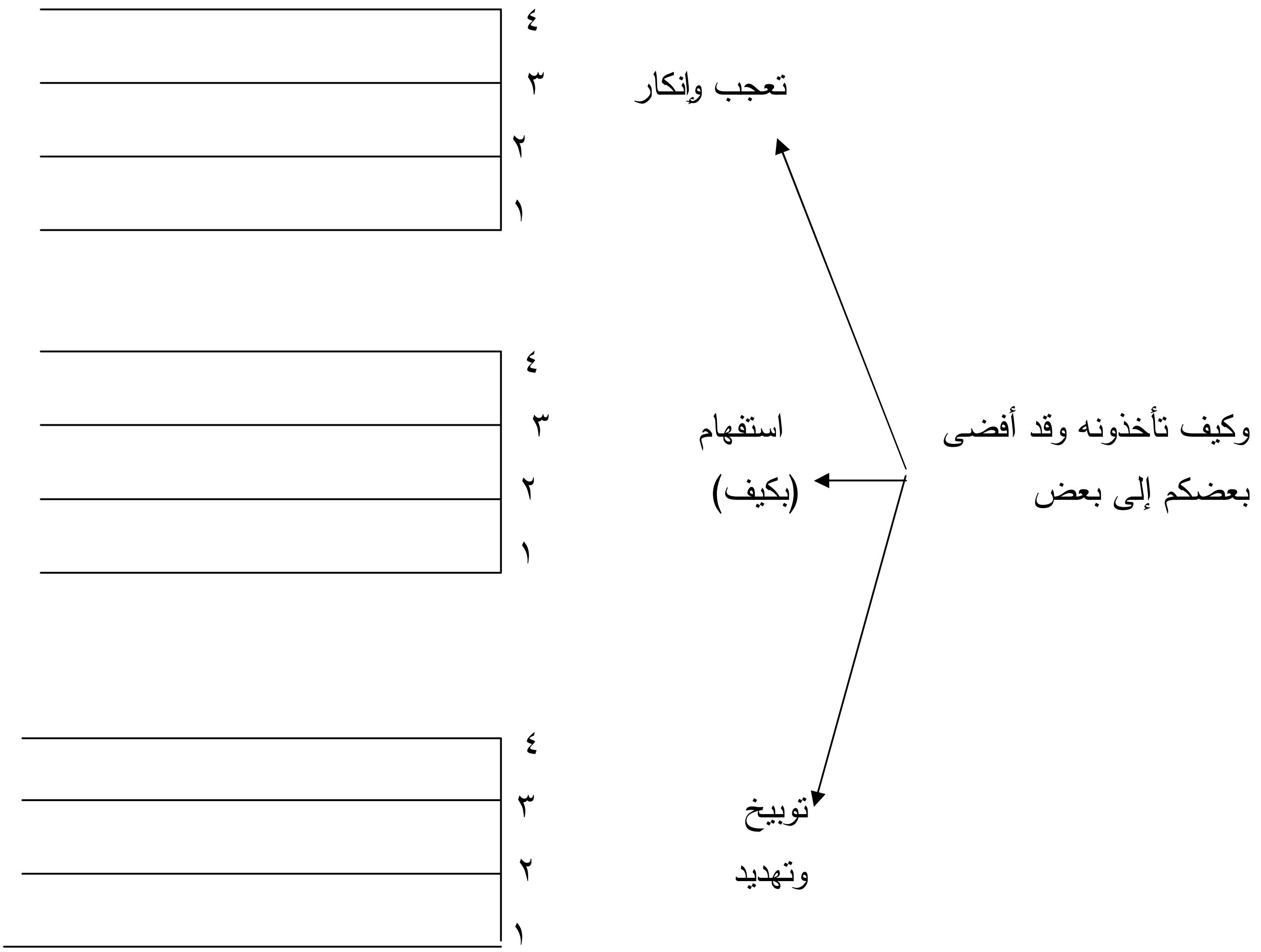

ب . خروج الاستفهام إلى عدّة معانٍ: فحين وقف الطوسي على قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف :١٤٨] والحديث عن العجل الذي اتخذه قوم موسى إلهاً ، إذ أنكر الله سبحانه وتعالى على قوم موسى اتخاذهم العجل إلهاً وهو لا يسمع ولا يتكلم ، ولا ينفعهم في أن يهديهم أو يرشدهم إلى الخير . ، وقال الطوسي : إنّ هذه الآية جاءت ((على

---

(٣) مناهج البحث في اللغة ٢٠٣ .

(٤) مجمع البيان ٢ /٢٥، والميزان في تفسير القرآن:محمد حسين الطباطبائي ٢٥٨/٤ .

وجه الإنكار عليهم والتعجب من جهلهم وبُعد تصورهم))(١) فحَملت مع الاستفهام جُملة من الدلالات، فهي تـ عجُب وإنكار واستبعاد لِما هُم فيه . وهو لم يستشعر هذه الدلالات إلا بإدراكه أنّ لكلّ دلالة منها سِمَة تمتاز بها من غيرها ، ويمكن للسامع إدراكها والعلم بَمغزاها ، ففي الاستفهام نغمة صاعدة أو عالية ، تتدّرج إلى الهابطة . وفي الإنكار مع الاستبعاد تبدأ أقل درجة وتنتهي بالهبوط تدريجياً . أمّا في التعجب فتبدأ بالمستوى الثاني ثم تصعد ثم تنحدر إلى أدنى مستوى من النغم الكلامي . ويتضح ذلك بالشكل الآتي :

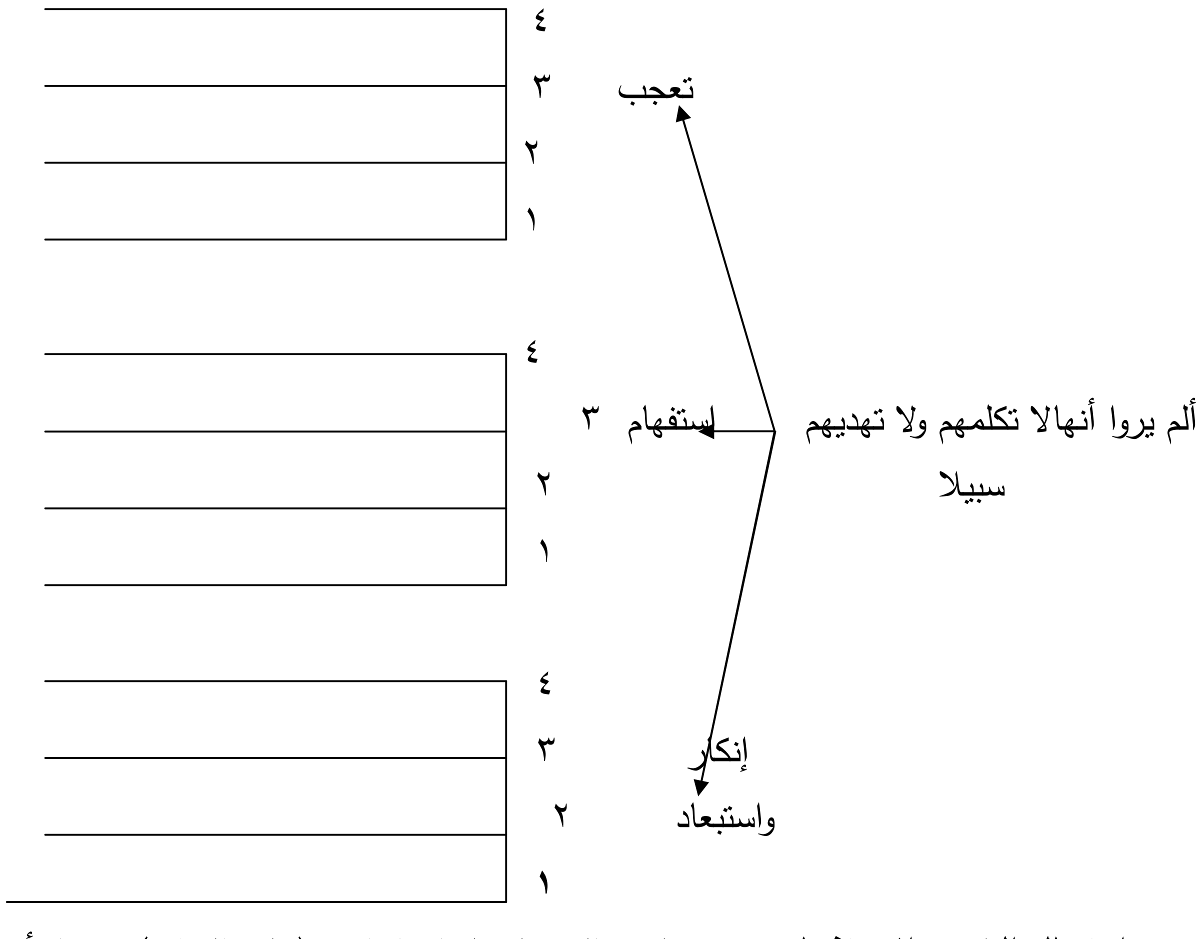

ت . احتمال الخبر والاستفهام : في قوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) حينما رأى الكوكب بازغاً : ﴿هَـٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام :٧٨] ، وذكر الطوسي أنّ هذه الآية حُملت على أحد وجهين : ((أحدهما : أي هو كذلك عندكم ، وعلى مَذهبكم ، كما يقول أحدُنا للمشّبه على وجه الإنكار عليه . هذا ربّي جسم يتحرك ويسكُن ، وإن كان عالماً بفساد ذلك .

والثاني :أن يكون قال ذلك مُستفهماً ، وأسقط حرف الاستفهام للاستغناء عنه كما قال الأخطل:

كذَبتْكَ عينُك أم رَأيتَ بواسطٍ غَلَسَ الظَلامِ من الرّبابِ خَيالا(١)

(١) التبيان ٥٤٥/٤ .

(١) ينظر:شعر الأخطل: تحقيق الأب أنطوان صالحاني اليسوعي٤١ ، والبيت من الكامل المقطوع .

... وقال عمر بن أبي ربيعة :

قالوا : تحبُّها ؟ قُلتُ : بَهْراً عدَدَ النجْمِ والحَصى والتُراب[٢]

فإن قيل: حُذِف حَرف الاستفهام ، وإنّما يجوز ذلك إذا كان في الكلام عِوض منه نحو: (أم) للدلالة عليه ، ولا يُستَعمل مع فَقد العِوض ، وفي الأبيات عِوض عن حرف الاستفهام ، وليس ذلك في الآية ؟ قلنا قد يُحذَف حَرف الاستفهام مع ثُبوت العِوض تارة ، وأخرى مع فقده إذا زالَ اللَبس ، وبيت أبي ربيعة ليس فيه عِوض ، ولا فيه حَرف استفهام ... وإذا جاز أن يحذفوا حرف الاستفهام لدلالة الخطاب ، جاز أن يَحذفوه لدَلالة العَقل؛ لأنّ دَلالة العَقل أقوى من غيرها))[٣] .

وهو يؤوّل مجيء الآية على وَجه الإخبار لا على وجه الشكّ ، وإنّما جاءت ((على سبيل الإنكار على قومه والتنبيه لهم على أنّ ما يَغيب وينتقل من حال إلى حال لا يجوز أن يكون إلهاً مَعبوداً لثُبوت دَلالة الحدث فيه))[٤] ، ولكنّ قلبه مُطمئن بالإيمان ، ومقصدُه من ذلك ذكر الدليل لإبطال ديانتهم ؛ لأنّه لو صَدع بالحق من أوّل الأمر لتَمادوا في المُكابَرة والعِناد ولَجّوا في الطُغيان[٥] .

ومما لا شكّ فيه أنّ التنغيم هنا هو المُرجِّح لمَقصد إبراهيم (عليه السلام) . فنغمة الخبر مستوية ثم هابطة ؛لأنّها على وجه الإنكار ، ونغمة الاستفهام صاعدة ثم هابطة ؛ لأنّها على وَجه الإنكار أيضاً .ويتّضح هذا في الشكل الآتي :

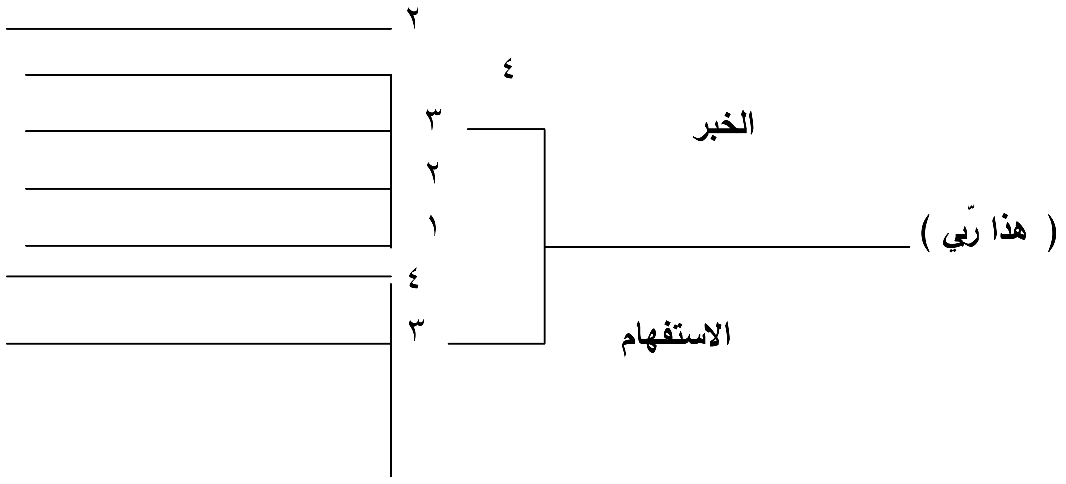

---

[٢] ينظر: شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي :محمد محيي الدين عبد الحميد ٤٢٣ ، والبيت من الخفيف .

[٣] التبيان ١٨٤/٤ .

[٤] المصدر نفسه .

[٥] ينظر: جامع البيان ٢٤٧/٧ ـ٢٥١ ، وجواهر الحسان ٥٣٤/١ ـ٥٣٥ ، ومجمع البيان ٣٢٢/٢ـ٣٢٣ والجامع لأحكام القرآن ٢٥/٧ـ٢٧ ، وروح المعاني ١٩٨/٧ ـ١٠١ .

وعلى الـ رغم من أنّ أداة الاستفهام جزء رئيس في تركيب الجُملة الاستفهامية ، غير أنّ الاستعمال العربي قد سوَّغَ حذف الأداة مع الجُملة الاستفهامية ، إذا كانت هل والهمزة واستغنى عنها بالتنغيم[١]، وبيت ابن أبي ربيعة شاهد على ذلك . ولا يجوز الاستغناء بالتنغيم مع أدوات الاستفهام الأخرى (كيف ومتى وأين ولماذا وما وكم وأي) ؛ لأنه لا يؤدّي الدلالة المُعجمية التي تؤدّيها تلك الأدوات ، التي َيستفهم كلّ منها عن دلالة خاصة لا يمكن للتنغيم أن يحدّدها ، فهو لا يُ خبرنا عن النوع أو العدد أو الجنس أو الهيأة[٢] .

(٢) فرّق بين النداء والدعاء فقال : ((النداء هو الدعاء بمدّ الصوت على طريقة يا فلان ، وأصله ندى الصوت ، وهوبُ عد مذهبه))[٣] ، وقال أيضاً ((النداء هو الدعاء بطريقة يافلان ، ومتى قال: (اللهم افعل بيّ، وارزقني وعافني)كان داعياً ولا يكون منادياً))[٤] .

و(مدّ الصوت) معناه النغمة الصاعدة المُصاحبة لأسلوب النداء وإن لم تكن هناك أداة نداء ، ويفرّق بينه وبين الدعاء في النص المذكور ، إذ النداء يكون لغير الله ، والدعاء لله يكون في التذلّل والتضرُّع والترّجي . وقد فرّق بين الأسلوبين في موضع آخر فوقف عند قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ [هود : ٤٧ . ٤٨] وعلّل إثبات ياء النداء وحذفها في سياق واحد بقوله : ((وإنما حُذفت(يا) من قوله (ربِّ إني أعوذ بك) ، وأثبته في قوله (يانوح) ؛ لأنّ ذلك نداء تعظيم ، وهذا نداء تنبيه فوجب أن يأتي بحرف التنبيه))[٥] ، وهذا يعني أن قوله (يانوح) جاء على وجه الحقيقة من أسلوب النداء وهو إفادة التنبيه ودلّ على ذلك سياق الآية، فالخطاب الموجّه من المولى القدير إلى نبيه نوح (عليه السلام) هو نداءٌ ودعوة للامتثال لأوامره ، أما الدعاء فلا يشترط فيه (يا) النداء ، لأنه موجّه من أدنى إلى أعلى ، ومن ثم فإنّ النغمة المصاحبة له هي التي تعكس معاني التعظيم والتبجيل على الذي لا يُ دعى سواه . وكلا النمطين يتدرّج من المستوى الثاني صُعوداً إلى المستوى الثالث ، حيث يفترقان فيهبط النداء إلى الأول على حين يَصعد الدعاء درجةً أعلى ثم يعود تدريجياً إلى الهابط .ويتّضح هذا بالشكل الآتي

[١] الأنماط التحويلية في الجملة الإستفهامية : سمير شريف ٣٢ ـ٣٣
[٢] المصدر نقسه ٣٣ ـ ٣٤ .
[٣] التبيان٣/٥٦٩ .
[٤] التبيان ٨ / ٥٦٦ .
[٥] التبيان ٥/٤٩٦ ـ٤٩٧.

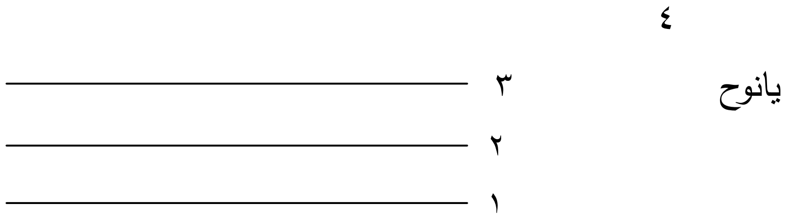

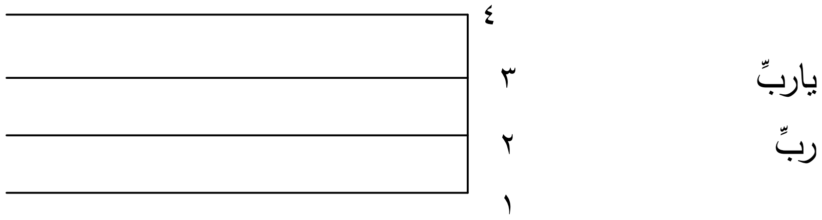

ثانياً : الدلالة الصوتية غيرالمطّردة :

سبق القول في أنّ هذا النوع من الدلالة ، يُعدّ غامضاً فلا يخضع لقواعد ثابتة وإنما هو وليد تصورات وافتراضات عقلية بحتة . وسبقت الإشارة إلى أنّ العرب الأوائل قد عرفوها ، ووقفوا عندها في مؤلّفاتهم[1] وأشهرهم في ذلك ابن جني الذي كان من أكثر المُتحمّسين لفكرة الصلة بين اللفظ والمدلول[2] . وهو ما يتّفق عليه أغلب أهل العربية لكنّهم يستبعدون دَلالة الألفاظ على معناها دَلالة ذاتيّة ، وإنّما يَرونها مُكتسبة ، بمعنى أنّ الأصوات لم تختصّ في أصول وَضعها لتدلّ على معنىً معيّن يرتبط بها ولا يُفارقها ، ولكنّها اكتسبت الإيحاء بما تَحمِل من معانٍ لكثرة استعمالها وشيوع تداولها[3] .

وقد عُني المحدثون بهذه الدلالة ، وكانوا بين قائل بوجودها و قائل برفضها[1] و الراجّح أنّ وجود صلة بين طائفة من الألفاظ ومعانيها أمرٌ لا يمكن إنكاره ، ولكنّه ليس عاماً مطّرداً في ألفاظ اللغة كافّة ، ويتّخذ البحث موقفاً وسطاً ، فليس من القائلين بإطلاق هذه الدلالة في اللغة ، وليس ممن أنكروها وقلّلوا من شأنها ، إنّما يقفو أثر الدكتور كاصد ياسر الزيدي الذي وقف في دراسته الدلالية ومحاضراته الصوتية وقفة العالم المعتدل غير المتطرّف ، إذ وضع يده على طائفة من الألفاظ التي تتحقق فيها هذه الدلالة ، من دون إعمامها ، فلا سبيل . حسب رأيه . إلى إنكارها ((وإلا كيف يمكن أن نتصور أنّ الدلالة المعنوية مشتقة من الدلالة الحسية ، أو كما يقول

---

(1) ينظر: تفصيل ذلك في : العلاقة بين الصوت والمدلول : عبد الكريم مجاهد ٢٩ ـ ٣٥(بحث).
(2) الخصائص ٦٥/١ .
(3) المزهر ٤٧/١ .
(1) ينظر: العلاقة بين الصوت والمدلول ٣٦ ـ ٤٦ .

الدكتور مصطفى جواد[٢] : ((من التجسيد إلى التجريد)) ، كيف نستطيع أن نتصور مثلاً أنّ الخُيَلاء مشتق مـ ن الخَيل ، والشِجار مشتق من الشَجَر ، والسُموّ مشتق من السَماء ، كيف نتصور ذلك إذا لم نأخُذ بهذه النظرية ...))[٣]

رأي الشيخ الطوسي :

لم يعرض الشيخ لهذه الدلالة كثيراً ، ،وإنّما الذي يبدو أنّها غير غائبة عن ذهنه بدليل إقراره بها عند تفسيره للفظ (صَرصَر) في قوله تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ [فصلت :١٦] .

فقال في معناه : ((أي:شديداً صوته ،واشتقاقه من الصَرير ، ولذلك ضوعف اللفظ إشعاراً بمضاعفة المعنى ، يقال : صَرَّ يصُرُّ صَريراً ، ومنه سُمّي نهر صَرصَر ؛لصوت الماء الجاري))[٤] ، وقال في موضع آخر : (الصَرصَر ؛ الريح الشديدة الصوت بما يسمع لها من الصَ ـرير في شدّة حركتها ، يقال صَرَّ وصَرصَر كـأنّه مضاعف منـه ، فالصَرصَر : الشديدة العَصوف المجاوِزة لحدّها المعروف ، ويقال ... صَرصَر وصَلصَل إذا تكرّر الصوت ، وهو مضاعف صرَّ وصلَّ))[٥] .

وقد اختلف المفسرون في أصل (صَرصَر) ، فقال طائفة منهم: إنّه الريح المصوّتة الشديدة ،من صرَّ يصُرُّ إذا صوّت ، وقال بعضهم: إنّه من الصيحة[٦] ، ومثله ما في قوله تعالى :﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾[الذاريات:٢٩] ، قيل : هو من الصَرّ الذي هو الحَرّ الشديد السَموم ، وقيل : أصله من الصِرّ الذي هو البَرد الذي يصُرُّ أي يجمع ظاهر جلد الإنسان بأن يقبضه[١] ، والأوّل أنسب لديار العرب[٢] .

وقد حلّل الخليل لفظ (صَرصَر) بدقّة حين وصف به صوت البازي أو الأخطب ،بأنّ فيه تقطيعاً وترجيعاً وتخفيفاً[٣]،ويـريد بذلك تكرار مقطع واحد مُخفّف غير مُشدّد ، وكان ذلك محاكاة لصوت ذلك الطائر ، أمّا اللفظ الوارد في الآية فهو ليست حكاية لصوت الريح ، وإنّما

---

(٢) المباحث اللغوية في العراق:مصطفى جواد١٣ ـ ١٤ .
(٣) فقه اللغة العربية ٤٨ .
(٤) التبيان ١١٥/٩ .
(٥) التبيان ١٠ /٩٥ .
(٦) ينظر: مجاز القرآن ١٩٦/٢ ، وجامع البيان ١٤ /١٠١ ـ ١٠٢ .
(١) جامع البيان ٢٤ /١٠١ ـ١٠٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥ /٣٤٧ .
(٢) روح المعاني ١١٢/٢٤ .
(٣) العين (صرّ) ٧ / ٨١ ـ ٨٢ ، وينظر : الخصائص ١ / ٦٥ ، ٢ / ١٥٢ .

هو وَصف ظاهر لها فيحتَمل كلّ التفسيرات التي قال بها المفسرون(٤) .

ولكنّ التفسير الراجح لدى الطوسي إّنه الريح الشديدة المتجاوِزة لحدِّها المعروف ، واستدلّ على ذلك بتكرار مقطع (صَرّ) ، وكأّنه يستشفّ دلالة هذا اللفظ من وصف الخليل له بالتقطيع . فمضاعفة البناء وتكرار المقطع ورد محاكاة لصوت الطائر- على رأي الخليل . ومحاكاة لصوت الريح وشدّتها- على رأي الطوسي . ، وهو ما يُلحظ في الرياح الشديدة المعهودة لدينا فهي لا تأتي دفعةً واحدةً وبمسارٍ واحدٍ ثابتٍ ، وإنّما تأتي متباينة بين القوة والضعف ، فتارةً تكون صاعقةً مُهلكة شديدة لا يقف بوجهها شيء ، وتارةً تكون أخفّ وَطأة وأكثر اعتدالا .

وقد أشار إلى مفهوم مضاعفة البناء لمضاعفة المعنى أيضاً ابن جني في مثل القَلْقَلة والزَعزَعة والصَلصَلة(٥) .

ثالثاً : الأثر الفني لتلاؤم جرس الأصوات :

ممّا لاشك فيه أنّ لجرس اللفظ ووقع تأليف أصواته وحركاته على الأذُن أثراً هاماً في إثارة الانفعال المناسب ، فالإيقاع الداخلي للألفاظ والجوّ الموسيقي الذي يحدثه عند النطق بها يُعدّ من أهمّ المنبهات المثيرة للانفعالات الخاصة ، كما أنّ له إيحاءً نفسياً خاصاً لدى مخّيلة المتلقي والمتكلم على السواء(٦) .

وقد سعى الدارسون العرب القدماء والمحدثون لإثبات إعجاز القرآن الكريم بتفوّقه على أبلغ وأفصح كلام العرب ، بنظمه وحسن تأليف أصواته وجودة ائتلافه مع معانيه، بما يُعطي الجانب التشكيلي في الأصوات أثراً بارزاً في الإعجاز النظمي للقرآن الكريم الذي يستند إلى محاولة الربط بين حركة أصوات اللفظ المفرد والجملة المركّبة ، وحركة النفس لإيجاد أثر القيم التعبيرية القرآنية بما تضفيه من إيحاءات داخلية على دلالة النص ، وأثر ذلك في المُتلقي(١) .

وقد استعمل العرب ألفاظ القرآن الكريم قبل نزوله ، لكنه علا على أساليبهم وفاقهم بلاغة ، ولم يكن ذلك إلا لفضيلة التركيب ، إذ تكتسب الألفاظ المنظومة نغمة ذاتية محسوسة ومتميزة فيكون ((لتركيب ا لألفاظ واستعمالها في سياق التعبير الأدبي خاصيّة فنّية ، بحيث أنّ القيمة الذاتية للفظ تكتسب أهميتها من خلال اتساقها وتلاؤمها مع سائر الألفاظ فتكسب الكلام نغماً تهشّ له النفوس ، وإنّ عدم انسجام الألفاظ في السياق الذي نظمت فيه يفقدها توافقها النغمي في التعبير ...))(٢) .

---

(٤) مجمع البيان ٥ / ٣٤٢ ـ ٣٤٣ .
(٥) الخصائص ٢/١٥٢ ـ ١٥٢ .
(٦) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: مجيد عبد الحميد ناجي ٤١(بحث) .
(١) التنغيم اللغوي ٨٧ .
(٢) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب:ماهر مهدي هلال ١٧٧ .

ومن الإشارات إلى إحساس العرب بأثر الجرس الصوتي للألفاظ قول الخليل إن للحروف الذلقية والشفوية أهمّية في كلام العرب لخفّتها وحسن جرسها ، ولذا ((لّما مذلَ بهنّ اللسان وسهلت عليه في المنطق ، كثرت في أبنية الكلام))[٣] . ووصف العين والقاف بأّنهما ((أطلق الحروف وأضخمها جرساً))[٤] . وغير ذلك من الملاحظات الصوتية الخاصة بائتلاف الأصوات واختلافها ، التي صارت فيما بعد الأسس الأولية لاستخلاص القيم الصوتية في بناء الألفاظ العربية وتقريرها في مصطلح تنافر الحروف والألفاظ عند النقاد والبلاغيين[٥] .

وقد عُني العرب أيضاً ببناء الألفاظ العربية وموسيقى هذا البناء الذي يتحقّق بانسجام أصواتها ، فأحسّوا بثِقَل في نطق الأصوات المُتقاربة المخارج ، كما أحسّوا بصُعوبة النُطق بثلاثة أصوات من جنس واحد . وكان ضابطُهم لتوافق أجراس الأصوات في تأليف الألفاظ هو الذوق الفني ، ولذلك كان التنافر والتلاؤم في الاتساق النغمي لبناء الألفاظ سمةً مُتميّزة في التأليف ففاضَلوا بين نَظمٍ ونَظمٍ بسبب تنافر الحروف وائتلافها[٦] ، ولذا جعل الرّماني التأليف ثلاثة أوجه : مُتنافر ، ومُتلائم في الطبقة الوسطى ، ومُتلائم في الطبقة العليا[٧] .

والتلاؤم هو تعديل الأصوات في التأليف ، أّما التنافر فينتج عن البُعد الشديد أو القرب الشديد في مخارج الأصوات في التأليف ، ومن تلاؤم أصوات اللفظ يكون حُسن الكلام[٨] ؛ لأنّ ((الفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ ، وتقّبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة))[١] .

وقد ذكر ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) أنّ لتأليف اللفظ في السمع حسنًا وميزة على غيره ، وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة ، وليس يخفى على أحد من السامعين أنّ تسمية الغُصن غُصناً أو فَنَناً أحسَن من تَسميته عُسلوجاً ، وأنّ أغصان البان أحسَن من عَسالج الشَوحط[٢] .

وأشار الطوسي إلى هذه المزّية في نظم القرآن الكريم الذي فاق بها كلام العرب ،فضلاً عن نواحي إعجازه الأخرى التي يقصُر المَقام عن ذكرها. وتمثّلت إشارته في موازنته بين قوله تعالى :

---

(٣) العين ٥٢/١ .
(٤) العين ٥٣/١ .
(٥) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي : ١٤٥ .
(٦) المصدر نفسه٤٦ ـ ١٤٨ .
(٧) النكت في إعجاز القرآن ٩٤ ـ ٩٥ .
(٨) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي ١٤٨ .
(١) النكت في إعجاز القرآن ٩٦ .
(٢) سر الفصاحة ٥٥ .

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰأُولِي الْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة :١٧٩] وقول العرب : (القتلُ أنفى للقتل) ، وذكر الفرق بينهما من أربعة أوجه :

((**أحدها** : أنّه أكثر فائدة ، **وثانيها** : أنّه أوجز في العبارة ، **وثالثها** : أنّه أبعد عن الكلفة بتكرير الجملة ، **ورابعها** : أنّه أحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة))[٣] . ثم بدأ يفصّل في بيان كل فرق على حدة ، حتى وصل إلى الفرق الرابع فقال : ((وأمّا الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مُدرَك بالحسّ ، وموجود باللفظ، فإنّ الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة ، لُبعد الهمزة من اللام ،وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام،فبإجماع هذه الأمور التي ذكرناها كان أبلغ منه وأحسن ...))[٤] .

وقد كتب في هذه الآية جميع المفسرين[٥] والبلاغيين والنقاد[٦] فأحسنوا وأجادوا وفصّلوا في جوانب الإعجاز فيها ، واتخذوها مثالاً للإيجاز في القرآن الكريم ويشغلنا منها قول الطوسي فيها ، وسنُعنى فيه بالجانب الصوتي الذي هو مدار البحث في هذا الفصل .

وهو يتابع في كلامه الرّماني الذي جعل ميزة هذه الآية في أربعة أوجه أيضاً منها الجانب الصوتي[١] ، ولو تأملنا في قوليهما لوجدنا أنّ الأصوات التي تألّفت منها الآية كانت مَبعث سلاستها وحُسن جرسها ، وقد منحتها تلك الميزة على كلام العرب .

فهو يُفضّل الانتقال من الفاء إلى اللام على الانتقال من اللام إلى الهمزة وعلّل ذلك بُبعد مخرج اللام عن الهمزة ، فالفاء شفوية أسنانية [٢] ومَهموسة رِخوة [٣]، واللام لثوية[٤] مَجهورة مُتوسطة بين الشدة والرخاوة[٥]، وبين المخرجين قُرب مُعتدل يسهُل فيه الانتقال ، ولاسّيما أنّ

---

(٣) التبيان ١٠٥/٢ .
(٤) التبيان ١٠٥/٢ ـ ١٠٦ .
(٥) ينظر: جامع البيان١١٤/٢ ـ ١١٥ ، وجواهر الحسان ١٣٥/١ ، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز:الواحدي ١٤٨/١ ، ومجمع البيان ٢٦٦/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/٢ ،٢٥٦ ، وروح المعاني ٥١/٢ ، والميزان في تفسير القرآن ٤٤٢/١ .
(٦) ينظر: النكت في إعجاز القرآن ٧٧ـ٧٨ ، ودلائل الأعجاز ٢٧٨ ـ٢٧٩ ، ٤٧٤ .
(١) النكت في أعجاز القرآن ٧٧ـ٧٨ .
(٢) علم الأصوات العام ١٢١ .
(٣) الكتاب ٤٣٤/٤ .
(٤) المحيط في أصوات العربية ١٨ .
(٥) الكتاب ٤٣٣/٤ ـ٤٣٤ .

اللام ساكنة ، وفي السكون وقفة تيسّر حركة اللسان . أمّا في قول العرب فثّمة انتقال من اللام إلى الهمزة ، وهي حنجرية من أقصى الحلق[٦] ، إذ تتطبق بانطباق الوترين الصوتيين ولذا توصف بأّنها لامجهورة ولا مهموسة ، وهي من أشدّ أصوات العربية ، وبينها وبين اللام ُبعد في المخارج بين آخر الجهاز النطقي إلى أّوله ، ويتّضح هذا في الشكل الآتي :

مخارج الأصوات لدى بعض المحدثين :

المخرج	الصوت	
١. الشفتان	ف	في القصاص
٢ الشفتان والأسنان	ف . ل	ص ح ص:مقطع طويل مغلق
٣. الأسنان واللثة		
٤. مابين الأسنان		
٥. اللثة	اللام	
٦. الغار		
٧. الطبق	ل ءِ/. َ	ص ح . ص ح
٨. اللهاة		مقطعان قصيران
٩. الحلق		
١٠. الحنجرة	الهمزة	

وُيلحظ أنّ الصوتين (ف ، ل) في الآية شكّلا مقطعاً واحداً سَهْل النطق سَلْس الوقع وهو َمقطع مغلق ، على حين شكّل الصوتان (ل ، ء) في قول العرب َمقطعين قصيرين، وُنطق المقطع الواحد أَخَفّ من ُنطق الَمقطعين بلا أدنى شك .

ثم فضّل الانتقال من الصاد إلى الحاء في عبارة (القصاص حياة)على الانتقال من الألف المقصورة إلى اللام في عبارة(أنفى للقتل) ؛ لأنّ الصاد والحاء يشتركان في أكثر من صفة ، فهما صوتان رِخوان َمهموسان[١] لكلٍّ منهما صدىً صوتي يُمِّيزه ، إذ تُعَرف الصاد بصفيرها والحاء بَحَفيفها ، فضلاً عن أنّ الُبعد بين مخرجيها ليس كبيراً جداً ، فالحاء حلقية[٢] والصاد أسلّية أو كما تُسّمى أسنانية لثوية[٣] ، وإنّ الانتقال من الصاد إلى الحاء فيه ُيسر وُسهولة ، وَسلاسة ولُيونة ، إذ يمتزج صَفير الصاد بصَدى الكسرة الغارية أو الشجرية[٤] التي يتوسّط مخرجها بين الصاد والحاء ، فهي حلقة الوصل بينهما ، ثم َيمتزج كلّ ذلك بحفيف الحاء المتدرّج من الحلق إلى آخر

---

(٦) الأصوات اللغوية ٨٧ ، وفقه اللغة العربية ٤٨٥ .

(١) الكتاب ٤/٤٣٣ ـ ٤٣٤ .

(٢) المحيط في أصوات العربية ١٩ .

(٣) المصدر نفسه ١٨ .

(٤) دراسة الصوت اللغوي ٢٧١ .

الفم ،وتأتي بعدها الياء ، والألف الممدودة بمجراها الطليق ، ليمنح الجميع هذين اللفظين ، وقعاً يليق بأمل الحياة المنبثق من وحي الآية الكريمة .

أما الانتقال من الألف المقصورة إلى اللام ، فله ما يسوّغ وصفه بالثقل ؛ إذ بدأت كلمة (أنفى) بالهمزة القصّية المخرج، ثم النون اللثوية والفاء الشفوية الأسنانية ، ثم عادت ثانيةً إلى مخرج الألف الذي يتوسّط الفمع طلاقة في مخرج الهواء ورخاوة مفرطة ثم انتقال إلى اللام اللثوية ثانيةً ، فضلاً عن أنّ حركة الفتح التي تحرّكت فيها الهمزة والفاء في (أنفى)منَحتْ الألف تفخيماً أقوى ، يصعُب فيه الانتقال المفاجئ إلى اللام المكسورة المرَققة . ولتوضيح ذلك ينظر الشكل الآتي :

مخارج الأصوات لدى المحدثين :

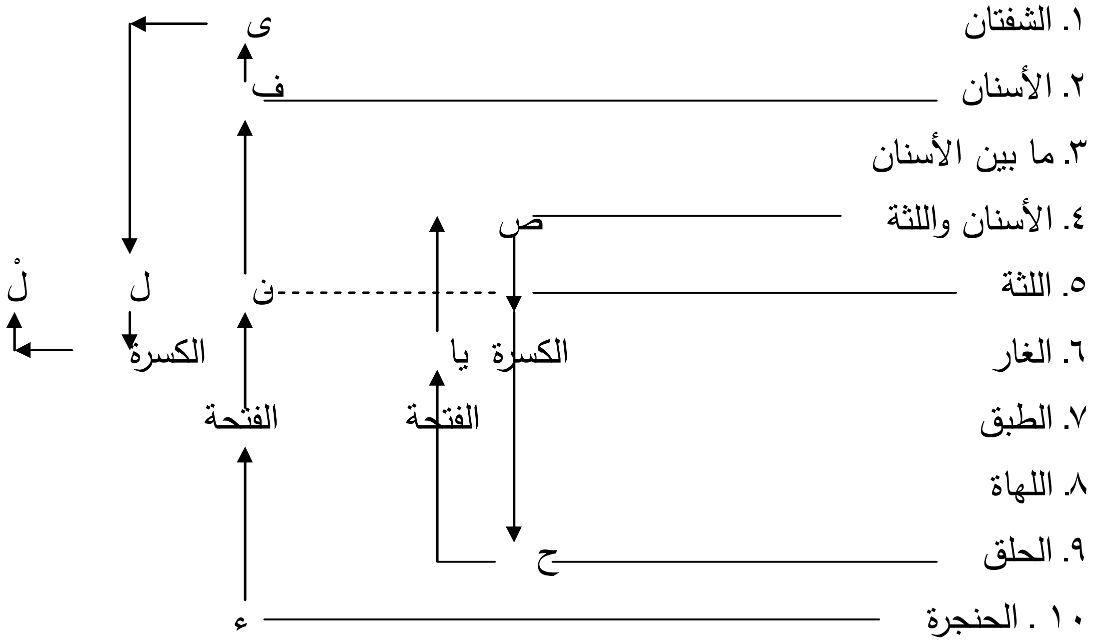

ولو سأل سائل : كيف يكون الانتقال من اللام إلى الهمزة ومن الألف إلي اللام غير مُستحَسن لدى الطوسي ، والعرب تفضّل في ألفاظها الانتقال بين أصوات مُتباعدة المخارج ، إذ عدّ ابن جني المتباعدة هي الأحسن في التأليف[1] . لقيلَ له : إنّ العرب يستحسنون تركيب ما تباعدت مخارجه من الأصوات ويستقبحون ما تقاربت أصواته ، ولكنّهم يؤثرون في ذلك الاستحسان أن يقاربوا بين الأصوات المُتباعدة ويُدنوا بعضها إلى بعض بالحركات المُجانسة لها ، في نحو قولهم :شِعير وبِعير وزئِير[2] ،إذ يَكسرون كلّ ما كان أوّله صَوتاً حَلقياً ؛لقُرب الكسرة وهي من أوسط الحنك . من الحَلق. وهو ما يحدث بين الصاد والحاء في الآية المذكورة آنفاً ،

---

(1) سر صناعة الإعراب: ابن جني ٢ /٨١٦ ، وسر الفصاحة ٤٨ -٤٩، وينظر : جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب١٤٩ .

(2) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : حسام سعيد النعيمي ٢١٥ .

حيث جمعت كسرة الصاد الصوتين وألّفت بينهما ، على حين أنّ كسرة اللام في (لِ أنفى) و(أنفى لِ)خلقت ثقلاً غير مُستساغ .

ثّم إنّ الحُكْم بحسن اللفظ المركّب من مَخارج مُتباعدة وقبح اللفظ المُركّب من مَخارج مُتقاربة لا يطّرد دائماً ؛ لأنّ الحُكم في ذلك إنّما هو لحاسة السمع والتذّوق الفنّي كما يرى بعض البلاغيين القدماء[٣] .

وخلاصة القول إن أصوات الحروف إنّما تنزل منزلة النبرات الموسيقية المرسلة في جملتها ، فلابدّ لها من تركيب وجهة من التأليف ، كي يمتزج بعضها ببعض ،وتتداخل وتجتمع أوصافها ليكون منها ذلك الحُسن الموسيقي ، ولم يتأتّ هذا إلا بالترتيب الصوتي الذي يتعلّق بعضه ببعض على نِسَب معلومة تبعاً لدرجات الصوت ومخارجه وأبعاده[٤].

المبحث الثاني

الدلالة الصرفية

يُعدّ علم الصرف من أجلّ علوم العربية وأحقّها بالعناية ؛لأنّه يتعلّق ببنى الألفاظ العربية ويجري منها مَجرى المِعيار والميزان ، فهو يدرس بِنية الكلمة ووَزنها الذي هي عليه ، وما يَعتريها من زيادة وحذف وقلب واعتلال وغير ذلك . كما يَدرس الدلالة الخاصّة بكلّ بِنية ، التي بها يتبّين منها كون اللفظ اسماً أو فعلاً ، أو كونه نوعاً من الأسماء أنفسها ، فمنها المصادر والمشتقات والجموع وغير ذلك[١] .

---

[٣] ابن الأثير : المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر ١ / ٢٢٤ ، وينظر: جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب١٥٣ .

[٤] ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى الرافعي ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ، والبناء الصوتي في البيان القرآني : محمد حسن شرشر ٩ .

[١] ينظر: الشافية :ابن الحاجب ٦ ،والتعريفات ٧٦، والمنهج الصوتي للبنية العربية٢٤ .

وقد عرّف ابن جني هذا العلم بأنه: ((التلّعب بالحروف الأصول لما يُراد فيها من المعاني المُفادة منها))[٢]. وعدّه من العلوم التي ليس لدارس العربية غنًى عنها . قال: ((... وهذا القبيل ، أعني: التصّرف، يحتاج إليه جميع أهل العربية أتمّ حاجة ، وبهم إليه أشدّ فاقة ؛ لأنه ميزان العربية وبه تُعرَف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها))[٣].

ويدرس علم الصرف أحوال الكلمة على مستويين[٤]:

١ . **البِنية** : إذ يبحث في الميزان الصرفي وما يعتريه من تغّير وتبدّل في حالات الإفراد والتثنية والجمع والتصغير والنسب والاشتقاق وما إليها .

٢ . **الصيغة** :وهي البِنية الثابتة بأصولها وحركاتها ، وهي الهيأة أو الصورة أو القالب اللغوي الثابت الذي تظهرُ فيه الكلمة . وعرّفها أبو هلال العسكري بأنها : ((عبارة عمّا وُضِع في اللغة لتدلّ على أمر من الأمور ...))[٥] ، إذ ترجع جميع الألفاظ في اللغة إلى مَبانٍ وصيغ مُحدّدة تتعيّن بموجبها المعاني الوظيفيّة والصرفيّة التي سمّاها ابن جني : (الدلالة الصناعيّة)[٦] للألفاظ ، وهي تأتي لديه بعد الدلالة اللفظيّة من حيث قوّة المعنى ، فلكي نحصل على كلمة ذات دلالة خاصة ، لابدّ أن يُرتّب أصواتها ترتيباً معيناً يُعطينا معنًى محدداً . وللصيغة أهمّية كبرى في إثراء اللغة ، إذ بوساطتها يمكن زيادة ألفاظ جديدة على وزن الصيغة الأصلية نفسها ، كما أنها تُمثّل القوالب الفكرية التي تُصبّ فيها المعاني العامّة ، فهي تُحدّدها وتُعطيها حجمها ومعناها الخاصّ[٧] .

وللعربية أسلوبان في صياغة أبنية جديدة[١] .

أحدهما : التحوّل الداخلي في بِنية الكلمة ، وذلك بتغيير حركاتها الداخلية ،ففي كلّ كلمة عُنصر ثابت وعُنصر مُتحرك ، فالثابت هو مجموعة الصوامت المُؤلّفة لهيكل الكلمة نحو : كرم، والمُتغيّر هو مجموعة الحركات التي تُحدّد صيغتها ومعناها ، نحو : كَرُم، وكُرِم، وكَرّم .

الآخر : الزيادة أو الإلصاق ، وهو زيادة صوامت خاصّة بالدلالة ، وهي إمّا سوابق أو لواحق أو حشو للكلمة . نحو: رَحِم فهو راحِم ، ومَرحوم،ورحيم، واستَرحَم استِرحاماً فهو مُسترحِم .

وقد عُني علماء العربية بمباحث الصرف والتفتوا إلى دلالة الصيغ ، وأثر ما تتعرّض له من زيادات في تغّير المعنى ، وأولهم في ذلك الخليل وسيبويه[٢] ، ثّم توسع الآخرون في العناية

---

[٢] التصريف الملوكي:ابن جني ٦ .
[٣] المنصف:ابن جني ١ / ٢ .
[٤] ينظر التحول الداخلي في الصيغة الصرفية وقيمته البيانية أو التعبيرية : مصطفى النحاس ٣٩ ـ ٥٠(بحث) ، واللغة العربية معناها ومبناها ٢٥ ـ ٣٦ ، والإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: عبد الحميد هنداوي ٢٥ .
[٥] الفروق في اللغة ١٥٥ ، وينظر التبيان ٢ / ٣٩٣ .
[٦] الخصائص ٣ / ٩٨ ، وينظر الدلالة اللغوية عند العرب ١٨٤ .
[٧] لغويات : عبد ه عبد العزيز قلقيلة ٥٥ .
[١] المنهج الصوتي للبنية العربية ٤٣ ـ ٤٤ .

بالدلالـة الصـرفّية ،أمثـال : ابـن قتيبـة[٣]،والمبـرد[٤](ت٢٨٥هـ)،وابـن السـراج[٥](ت٣١٦هـ)،وابـن جنـي[٦]والزمخشـري[٧](ت٣٨٥هـ)، وابـن يعيـش[٨](ت٦٤٣هـ)،وابـن الحاجـب[٩](ت٦٤٦هـ)،وابـن عصفور[١٠] (ت٦٦٩هـ)،والرضـي الاستراباذي[١١](ت٦٨٨هـ).

وقد سار المُحدثون من بَعدهم على نَهجهم ، إلا أنّهم عُنوا أكثر بتلك الزيادات التي سمّوها (مورفيمات) ، أو وَحدات صرفّية[١٢]والتي سنقف عليها لاحقاً إن شاء الله .

وقد أحـاط الطوسي بمباحث علم الصرف وقوانينـه[١٣]وأجاد في توظيفه ، كماعُني بالدلالـة الصرفّية ، إذ تناول الإشتقاقات الإسميّة والفعلّية ومعانيها ، وفرّق بينها تفريقاً دلالّياً دقيقاً ، وأدرك أثـر تغّير الوحدات الصـرفّية فـي تغّير المعنـى، وقـد وردت وقفـاته الدلالّيـة مُنّوعـة، وجـاءت فـي البحث على النحو الآتي :

أولاً : دلالات الأسماء :

(١) المُشتقّات :

أشـا ر صـاحب التبيـان إلـى دَلالـة أغلب المُشتقات الـواردة فـي القرآن الكريم ، فوقف عنـدها مُحلّلاً ومُفسّراً ومُفرّقاً بينها وبين غيرها من حيث الدَلالة ،وهذا مَنهجه في مؤلّفه ، إذ اتّخذ التفرقة الدلالّية وسيلةً لإقرار حقائقَ لغوّية ونحوّيـة وصرفّية ،، وقد وقف البحث علـى المفاهيم الدلالّية الآتية :

أ ـ اسم الفاعل : (فاعِل ومُفعِل)

---

[٢] ينظر: الكتاب ١٤/٤ ـ ٣٧ .
[٣] ينظر: أدب الكاتب ٣٣٣ ـ ٣٧٣ ، ٤٦٦ ـ ٤٧٣ .
[٤] ينظر: المقتضب ١١٣/٢ ـ ١١٤ ،٢٠٩ ـ ٢١٥ ، ٣ / ٢٢٨ ـ ٢٣٢ ، ٤/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .
[٥] ينظر: الأصول في النحو:ابن السراج ٨٥/٣ ـ ١٠٠ .
[٦] ينظر: الخصائص ١٥٢/٢ ـ ١٥٥ ، ٣/ ١٩٨ ،والمنصف٧٤ ـ ٨١ .
[٧] المفصل في صنعة الإعراب :أبو عمر الزمخشري٨٢ ـ ٨٣ ، ٩٣ ـ ١٠٤ .
[٨] شرح المفصل :ابن يعيش
[٩] الشافية ١٨ ـ ٣٢ .
[١٠] الممتع في التصريف :ابن عصفور١ /١٨٠ ـ ١٩٥ .
[١١] شرح الشافية:الرضي الاسترابادي ١ / ٦٥ ـ ١١٢ ، ١٥١ ـ ١٨٨ .
[١٢] ينظر: أسس علم اللغة : ماريو باي ٥٣ ـ ٥٤ ،وعلم اللغةللسعران ٢١٦ ، والوجيز في فقه اللغة:محمد الأنطاكي٢٧٦ـ٢٧٩ ، ومدخل إلى علم اللغة : محمد حسن عبد العزيز ٢٢١ ـ ٢٢٢ ، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢٧٦.
[١٣] ينظر: منهج الطوسي ٣٠٧ ـ ٣٠٨ ، والبحث اللغوي والنحوي في تفسير التبيان١٠٢ ـ ١٢٩ .

فرّق الطوسي بين دلالات أسماء الفاعِلين المختلفين في أصول اشتقاقهما فقال: ((الصالِح هو الذي يعمل الصَلاح في نفسه ، وإذا عمِلَه في غيرِه فهو مُصلِح ، فلذلك لم يوصَف الله تعالى ، بأنّه صالِح ، ووُصِف بأنّه مُصلِح))[1] .

واسم الفاعل ((هو الذي يَعمل عملَ فعلِه ويجري عليه، ويطّرِدُ القياس فيه))[2]ويُشتـَقّ هذا الاسم من الفعل المبني للمعلوم ، ويُفيد الدَلالة على تجدّد الفعل . ويُصاغ من الثلاثي على زِنة فاعل ، ومن غير الثلاثي على زِنة الفعل مع قلب حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر[3] .

على هذا فالصالِح ما اشتـُق من الفعل (صَلـُح) ، وهو فعل ثلاثي مجرّد لازم لا يتعدّى إلى مفعول به ، إذ يقع الصَلاحُ من الفاعل على نفسه ، فلا يُصلِح إلاّ نفسه ، فنقول : صلـُحَ المؤمن فهو صالِح . أما المُصلِح فهو مشتق من (أَصلَح) ، وهو فعل رباعي مزيد متعدٍّ ، نقول : أصلـَحَ الله العباد فيقع تأثير الفعل فيه من الفاعل على غيره ، ولذلك جاز أن تكون اللفظة (مُصلِح) وصفاً لله تعالى ولا تجوز له (صالح) ؛ لأنّه هو المصلح لخَلْقه المنعم عليهم بإحلال الصلاح في نفوسهم وهدايتهم إلى سواء السبيل

ب . صيغ المبالغة :

١. **(فَعلان و فَعيل):** قال الطوسي : الأ صل في باب فَعِلَ يفعَل وفَعَلَ يفعُلُ أن يكون اسم الفاعل فاعلاً ، فإن أرادوا المبالغة حملوا على فَعلان وفَعيل ، كما قالوا : ((غضِبَ فهو غضْبان وسَكِرَ فهو سَكْران ، إذا امتلأ غَضَباً وسُكْراً))[1] .

وهو ما قال به قبله اللغويون والنحويون[2] . فالمتحدّث إذا أراد الدلالة على الكثرة و المُبالغة في اتصاف الذات بالحَدَث حُوِّل بناء اسم الفاعل إلى عدّة أبنية سُمّيت صيغ المُبالغة ، وهي لدى سيبويه[3] خمسة :فَعيل وفَعول وفَعّال ومِفْعال وفَعِل ، وزاد عليها من جاء بعده صيغاً

---

(1) التبيان ٤ / ٥ .
(2) ينظر:الأصول في النحو : ١٢٢/١ ـ ١٢٣ ،وشرح الكافية في النحو:الرضي الاستربادي١٩٩/٢.
(3) ينظر: الكتاب٤/١،١١٠/٢٨٠،والمقتضب٧٤/١،وشرح ابن عقيل١٣٥/٣ ـ ١٣٦،وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:ابن هشام الأنصاري ٢٤٣/١ـ٢٤٥.
(1) التبيان ٢٨/١ ـ ٢٩
(2) ينظر: المقتضب ١١٤/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤٣/١ والمفصل ١١٩ ، والكافية في النحو:ابن الحاجب ٢٠/٢ ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد:ابن مالك ١٦٣ ،
(3) الكتاب ١١٠/١ .

أخرى[٤] ، مثل فَعّال ، وفُعْلى ، ومُفْعِيل ، وفَعّالة ، وفاعِلة ، وفُعْلُولة ، وفِعِّيل وفُعَّلة وفُعَّيل . وكلّها سماعية .

وينبغي الوقوف عند صيغة (فَعْلان) فقد عدّها الطوسي من صيغ المبالغة الدالّة على الحدوث والتجدّد ، على حين تعدّ باتفاق أهل العربية[٥] من الصفات المشّبهة التي تُشتقّ من الفعل اللازم للدَلالة على من قام بالفعل على وجه الثُبوت ؛ لأنّها تدلّ على ((مُطلق الاتصاف بالمُشتق منه من غير معنى الحُدوث))[٦]. ولكنّ هذا لا يعني أنّ الطوسي واهِم ، بل هو مُصيب فيما يرى ؛ لأنّ هذه الصيغة في أصل معناها تدلّ على المُبالغة والوصول إلى الحدّ الأعلى الذي لا مَزيد عليه من الاتصاف بصفتي الامتلاء وضدّه .

وتعدّ صيغة (فَعْلان) إحدى الصفات المشّبهة الدالّة على وَصفٍ عارضٍ طارئٍ غير ثابت[٧] ، فهي تزول بزوال المُؤثّر نحو : جَوْعان وعَطْشان وغَضْبان ورَيّان ، إذ تزول هذه الصفة بزَوال الجوع والعَطَش والغَضَب والرَيّ . ولكن شدّة تأثيرها في المَوصوف بها دَعت إلى تشبيهها بالوَصف الثابت ، فتُصبح راسخةً في النفس، ممّا دعا إلى جعلها من الصفات المشّبهة.

وتعدّ الصفة المشبّهة بأوزانها المتعدّدة من أكثر المشتقّات تداخُلاً والتباساً بالمشتقّات الأخرى[٨]، فهي تأتي على أوزان اسم الفاعل وصيغ المبالغة واسم التفضيل إذا دلّت على الدوام والثبوت ، وقد نبّه طائفة من اللغويين على هذا التداخُل[١] ؛ ولذلك لجأ بعض المحدثين إلى وضع قاعدة للتفرقة بين صيغ هذه وتلك ، مَفادُها ((أنّ ما صيغَ من فعلِه اسم فاعل فالصيغة الأخرى تكون مُبالغة ، وما لم يُمكن صياغة اسم فاعل من فعلِه ، فالصيغة المَسموعة تكون دالّة على اسم الفاعل هي صفة مشبهة ولا تكون مبالغة ...))[٢] .

وبناءً على هذا القول فإنّ صيغة (فَعلان) تصدُق للاثنين معاً ، فمَنْ غَضِبَ غاضِب وغَضْبان ، ومن جَاعَ جائِع وجَوعان ، ومن نَدِم نادِم ونَدْمان ، فهذه صيغ مبالغة ، أمّا عطشان وريّان فلم يُسمع لهما عاطش وراءٍ[٣] ، لذا فإنّهما من الصفات المشّبهة .

---

(٤) ينظر: شرح الشافية ١٣٦/٢ ، ١٧٨ ، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٣٤٢/٢ ، والمزهر ٢٤٣/٢ .
(٥) ينظر: الكتاب ٦٤٥/٣ ، والصاحبي :ابن فارس ٣٧٤ ،وتسهيل الفوائد١٧٩ ، وشرح ابن عقيل ١٤١/٢ ، وشرح الأشموني ٣٥٥/٣ .
(٦) شرح الشافية ١٤٤/١ .
(٧) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي ٧٨ ، ومعاني الأبنية :فاضل السامرائي٧٦ .
(٨) ظاهرة التعدّد في الأبنية الصرفية : وسمية المنصور : ١١٢(بحث) .
(١) ينظر: الكتاب ١٢/٤ ، ١٥ ، ٢٠ ، وأدب الكاتب ٥٧٨ ، والمخصّص :ابن سيده٤/ ١٤ /١٤٠ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) راءٍ أصلها رايي : اسم فاعل من روى يروي ، قلبت الواو ياءً لتحرّكها وسكون ما قبلها ثم قلبت الياء همزة لتحرّكها أيضاً . فصارت رائي ثمّ حذفت الياء لثقلها وعوض عنها بالتنوين ، وهي صيغة غير قياسية .

ومما وقف عنده وهو على صيغة (فعيل) صفات الخالق عزَّ وجلَّ ، قال : ((اللطيف هواللاطف لعباده بسُبوغ الإنعام ، غير أنّه عُدِلَ عن وزن (فاعِل) إلى (فَعيل) للُمبالغة ، وقد يُراد أنّه لطيف التدبير))[٤] .

واللُطف لغةً هو البِرّ والتَكرِمة والتَحفّي ، ويكون في الأجسام والكلام والأفعال ، فلُطف الأجسام صِغَرُها ، ولُطف الكلام خَفاؤه وغُموضُه ، أمّا في الأفعال فهو الرِفق فيها . واللطيف صفة من صفات الله واسم من أسمائه عزَّ وجلَّ ، ويُراد بها أنّه رَفيق بعباده عالم بدقائق المَصالح وإيصالها إليهم[٥] . فهو المُحسِن إلى عباده في خَفاء وسَتر من حيث لا يعلمون، إذ يسبّب لهم أسباب مَعيشتهم ويرزُقهم من حيث لا يحتسبون[٦] . وقيل اللُطف من الله توفيق وعِصمة[٧] .

وقال الطوسي في وصف (السميع البصير) : ((هو مَن كان على صفة يجب لأجلها أن يُبصِر المُبصَرات ويَسمَع المَسموعات إذا وُجِدت ، ولذلك يوصَف تعالى فيما لم يزل بأنّه سميع بَصير ولا يوصَف بأنّه سامع مُبصِر إلا بعد وجود المُبصَرات والمَسموعات))[٨]. وقال أيضاً : ((وسَميع بمعنى سَمِع ...))[٩] ، ويُلحظ في أسلوبه الأثر الفلسفي والمنطقي في تعريف الألفاظ وتحديد دلالاتها بدقّة .

والسَميع في كلام العربِ بمعنى السامع ، غيرَ أنّ المفسرين فسّروه في وصف الله تعالى بالمُسمِع فراراً من وَصفه سبحانه بأنّ له سَمْعاً ، مع أنّ هذا لا تَجسيم فيه ؛ لأنّه عزَّ وجلّ لا يعزِب عن إدراكه مَسموع وإن خَفي ، فهو السَميع بغير جارحة ، وهو الذي وَسِع سَمعُه كلّ شيء[١] . وقيل : إنّ السَميع بمعنى المُجيب بدليل قول المُصلّي بعد الرُكوع : سَمِعَ الله لمن حمِدَه ، أي: أجاب[٢] .

ومهما اختلفت الدلالات فهو جلَّ جلاله سَميعٌ مُجيبٌ قد أحاطَ بكلّ شيء عِلْماً ؛ ذلك لأنّ الوصف عندما يكون له سبحانه وتعالى ، فإنّ الأمرَ مُختلفٌ عمّا هو مَألوف ، إذ الصفات ثلاث : صفاتُ كمالٍ ، وصفاتُ نقصٍ ، وصفاتٌ لا تقتضي كمالاً ولا نقصاً ، وصفات الحق سبحانه من النوع الأول؛ لأنّ الكمالَ له وحده[٣] .

---

(٤) التبيان ٢٢٥/٤ ـ ٢٢٦ .
(٥) لسان العرب (لطف) : ٣١٦/٩ .
(٦) تفسير أسماء الله الحسنى : الزجاج ٤٤ .
(٧) الجامع لأحكام القرآن ٥٧/٧ .
(٨) التبيان ٢٨٤/٢ .
(٩) التبيان ٣٦٠/١ .
(١) لسان العرب (سمع) ١٦٤/٨
(٢) تفسير أسماء الله الحسنى ٤٢ .
(٣) بدائع الفوائد : ابن قيم الجوزية ١٦٧ .

ولا بدّ من الوقوف عند حقيقة هذه الصفات ، أهي صيغ مُبالغة أم صفات مشّبهة ؟، ولننظر إلى شروط صياغة كلٍّ منها ، إذ يُشترط في صيغة المبالغة أن تكون من فعل مجّرد متعدٍّ كما يُشترط في الصفة المشّبهة أن تكون من فعل لازم ، إذ اتخذ أهل اللغة من التعدّي واللزوم وسيلةً للتفرقة بين هذين البنائين الصرفيين[٤] ، فـ(اللطيف) مشتقّ من(لطُف) وهو فعل مجّرد لازم ، ولذا فهي صفة مشّبهة من غير شك ، أما (السَميع) و(البَصير)، فإن كانتا من(سَمِع) أو (أسْمَعَ) ، ومن (بَصُر) أو (أبْصَرَ) ، فهما من فِعلين مُتعدّيين ، والمُفترض أن تكونا صيغتي مُبالغة ، غير أنّ دَلالتهما على مُطلق اتصاف الذات الإلهّية بالسَماع والإبصار ، مع أزلّيتهما وثبوتهما واستمرارهما ، هو الذي جَعلهما في حُكم الصفة المشّبهة ، فضلاً عن أنّ صيغة (فَعيل) باتفاق اللغويين تطّرد في الدَلالة على الخصال اللازمة للنفوس ، ما كان منها فطرياً ومكتسباً[٥] .

وبنحوٍ عام فإنّ جميع الصفات الإلهّية هي صيغ مُبالغة تُحَملُ على الصفة المشّبهة لثبوتها واستمرارها وبلوغها المُلازمة الأزلّية التي لا مُنتهى لها[٦] .

٢ . **فُعول** : وفرّق أيضاً صاحب التبيان بين صيغتي (فاعِل وفَعول) فبيّن أنّ الأولى للحَدث والثانية للمبالغة فقال : ((إنّ في غَفور مُبالغة لكثرة المَغفرة ، فأمّا غافر فيستحق الصفة فيه بوقوع الغفران))[١] ، فـ(الغَفور)صفة دائمة ومستمرّة لله تعالى لكثرة غفرانه لذنوب عباده التي لا تُحصى ولا تُعدّ ، ولا تنتهي و ليس لها أمدٌ ، فهو يغفر للجنّ والإنس منذ أن خلقهم وإلى يوم الساعة ؛ ولأنّ فعل المغفرة بلغ درجته القصوى والغاية في المبالغة؛ لذلك جاء بزنة (فَعول) ، وهو وصفٌ خاص بالله تعالى . أمّا (غافر) فهو وصفٌ لكلّ مَن قام بفعل المَغفرة ولو مرّة واحدة .

وتعدّ صيغة (فَعول) من الصيغ المُشتركة بين المبالغة والصفة المشّبهة[٢] ، وميزان التفرقة بينها ثبوت زمنها ودَيمومتها ، غيَر أنّ صفات الخالق عزّ وجلّ هي صيغ مبالغة يصُحّ أن تكون صفات مشّبهات لثبوتها واستمرارها كما ذكرنا آنفاً .

وقد اختلف اللغويون في هذه الصيغة من حيثُ أصلها ، فرأى بعضهم أنّها مَنقولة من أسماء الذوات في نحو: تَوضّأتُ وَضُوءاً ، ووَقدتُ وَقُوداً ، فالوَضوء هو الماء الذي يُتَوضّأ به ، والوَقود هو الحَطبُ الذي يُوقَد به . ثّم استعيرت للدَلالة على صيغة المُبالغة والتكثير في أداء الفعل[٣] ،

---

[٤] ينظر: الكتاب ٤/١١٠ ـ ١١٢ ، وارتشاف الضرب من لسان العرب:أبو حيان الأندلسي ١٩٣/٣ ، وظاهرة التعدّد في الصيغ الصرفية ١٠٧ .

[٥] ينظر: الكتاب ٢٨/٤ ، والصاحبي ٣٧٥ ، والمخصص١٤/٤/١٤٧ ـ ١٤٨ ، وفقه اللغة:علي عبد الواحد وافي ٢١٥ ، ومعاني الأبنية٩٤ ـ ٩٦ .

[٦] ينظر: اشتقاق أسماء الله : الزجاجي ٧٠ ، والتبيان ٢٧٧/٦ .

[١] التبيان ١٦٩/٢ .

[٢] المحيط في أصوات العربية ٢٣٩ ، ٢٤٢ .

[٣] ينظر ديوان الأدب:إسحاق الفارابي ١٢٩/١ ، والمخصّص ١٢/٤ ، وشرح الشافية ٦٢/١ ، ومعاني الأبنية ١١٥

فهي من أوصاف المبالغة في الفعل وليست من أوصاف المُبالغة في الذات[٤] ، ولكنّ هذا الخلاف لا يمنع من اتفاقهم على أنّ هذه الصيغة تُستعمل لَمن كثُر منه الفعل[٤] ، أو لَمن دام عليه[٦] ، أو لَمن كان قوياً مُقتدراً عليه[٧] ، وكلُّ ذلك يصُبّ في دلالة الكثرة والتزيُّد من الفعل ، وقد نّبه الدكتور فاضل السامرائي على تحوّل هذه الصيغة ، فقال : ((عندما نقول: هو صَبور، كان المعنى كأنّه مادة تُستنفَد في الصبر وتُفنى فيه، كالوَقود الذي يُستَهلَك في الاتقاد ويُفنى فيه ، وكالوَضوء الذي يُستنفَد في الوُضوء ... وحين نقول: هو جَزوع، كان المعنى أنّه ذاتٌ تُستهلَك في الجَزَع ، وكذا الغَفُور أي كلّه مَغفرة))[٨] . والله جامع لكلّ ما هو خيرٌ ممّا يتجاوز المَغفرة إلى غيرها من الصفات .

ولو أطلنا النظر في سبب انتقال هذه الصيغة من الدَلالة على اسم الذات إلى الدَلالة على المُبالغة ، لتبيّن أنّ شدّة اتّصال الذات بالصفة وبلوغها الغاية في ذلك ، هي التي أهّلتها لأن تُصبح هي والفعل أو الصفة كالشيء الواحد ، حتى صار الماء الذي يُتوضّأ به هو الوُضوء بحدّ ذاته ، وصار الحَطَب الذي يوقَد هو الوُقود أو الاتقاد ذاته ، وهذا هو الذي دَعا إلى وصف كثير الصَبر والشُكر والمَغفرة بالصَبور والشَكور والغَفور ، وكأنّهُ لشدة اتّصافه بهذه الأوصاف قد صار هو الفِعل نفسه ، ففُنَي الفِعل فيه ، وفُنيت ذاته في الفِعل فصارَ الوصف عَلَماً له .

وقد خصّ أبو هلال العسكري هذه الصيغة بالدلالة على من اقتدر على الفعل ، ولكنّ هذا إن صدق على : صَبور وشَكور وغَفور وقَنوع ، فهو لا يصدُق على : عجوز وغيور ؛ لأنّ هذه الصفات تدلّ على شدّة اتّصاف الذات بها، حتى أنّ العجوز صار هو العجز نفسه، والغيور صار هو الغيرة نفسها ، وهذه هي الغاية القُصوى من المبالغة .

٣ فعّال :وهي من صيغ المبالغة الكثيرة الاستعمال ، وقد نّبه عليها الطوسي في تفسير قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١٠٩]، فقال في لفظ (عَلاّم) إنّه ((للمُبالغة هاهنا لا للتكثير المعلوم))[١] ،ففرّق بين المبالغة والتكثير ؛ لأنّ التكثير يُراد به كثرة مّرات القيام بالفعل ، وليس في ذلك المُبالغة المعنوية المنشودة من وصف الله عزَّ وجلَّ بأنّه(عَلاّم الغيوب). فالعليم الخبير وُصِف بهذا الوصف لعِلْمه بكلّ دقائق أسرار الكون ومخلوقاته ، ما خَفيَ منها وما ظَهَر ، وعِلْمه هذا خارق لنظام العِلم

(٤) اشتقاق أسماء الله ١٥١ .
(٥) ينظر: شرح ابن عقيل ١١١/٣ ، وهمع الهوامع :السيوطي٩٧/٢ .
(٦) ديوان الأدب ٨٥/١ ، وينظر : معاني الأبنية ١١٥ .
(٧) الفروق في اللغة ١٥ ، ودرّة الغواص في أوهام الخواص : الحريري ٨٩ .
(٨) معاني الأبنية ١١٤ .
(١) التبيان ٥٣/٤ .

والمَعرفة المُتعارف عليهما لدى البشر، إذ ليس له حَدّ ولامُنتهى ، فجاءت صيغة (فَعّال) . وهي أقوى الصيغ دَلالة على المبالغة[٢] . للدَلالة على السِعة والشُمول واللاتناهي الذي يتّسم به علم الله جلَّ وعلا .

ومَقصد الطوسي هذا ليس عامّاً في دلالة هذه الصيغة ، وإنّما هو خاصّ بها في سياق الآية التي وردت فيها . وقد أشار ضِمناً إلى أنّ المعنى العام لصيغة(فَعّال) هو التكثير المَعلوم . وهو ماتفق عليه اللغويون[٣]، كما اتفقوا على أنّها من الصيغ الدالّة على الحِرفة والصِناعة في نحو: (نَسّاج وخَيّاط ونَجّار)[٤] ، ولكنّهم اختلفوا في أصل هذه الصيغة ، إذ يرى المبرّد أنّ أصلها الدلالة على المبالغة في نحو: (ضَرّاب وقَتّال) ،ثمّ نُقلت إلى الصناعة لتكرير الفعل وكثرة المعاناة في القيام به ، نحو : (بَزّاز وعَطّار)[٥]، وأيّده في هذا القول طائفة من اللغويين المتأخرين[٦] ، في حين يرى آخرون أنّ هذه الصيغة أصلها الدَلالة على الصناعة ، ثم نُقلت إلى المُبالغة[١] ، وأيّد ذلك من المحدثين د. فاضل السامرائي[٢] الذي أشار إلى صِحّة هذا النقل فضلاً عن اقتضائها الاستمرار والتكرار والتجدّد والمُلازمة في آن واحد .

ولو بحثنا في حقيقة الأصل اللغوي لهذه الصيغة لتبيّن أنّ صيغة (فَعّال) تُطلق على كلّ من يُزاول فِعلاً أو عَملاً بكثرةٍ ومُداومةٍ ، ومُزاولة الإنسان للأعمال المختلفة ، هي أمر اجتماعي يقتضي وجوده قبل وجود الحِرف والصناعات التي طرأت على المجتمع بعد تطوّره وتحضّره. يقول ابن يعيش : ((إن كان شيئاً من هذه الأشياء صَنعةً ومَعاشاً يُداومها صاحبها نُسب إلى(فَعّال)، فيقال لِمَن يبيع اللَبَن والتَمر: لَبّان وتَمّار ، ولِمَن يرمي بالنبل: نَبّال ...))[٣] ، فالراجح إذن أن تكون صيغة (فَعّال) مُستعملة لدى العرب قبل أن تشيع الحِرف والصناعات وتُنسب إليها ، وهذا يعني أنّها وُضِعت أصلاً للمبالغة ثم استُعيرت للحِرَف والصناعات ، إذا اتّسمت تلك الحِرَف بالمُلازمة والدوام عليها.

٤ ـ **مِفْعال** : وقف الطوسي عند صيغة المبالغة (مِفْعال) في تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ... ﴾ [الأنعام : ٦] ،فقال في تعليقه على(مِدرار) : ((ومِفْعال من

[٢] ينظر:حاشية الصبّان على شرح الأشموني: محمد بن علي الصبّان٢٩٦/٢.
[٣] ينظر: الكتاب ١١٠/١ ،والمقتضب ١٣٣/٢ ،١٦١/٣ ،والفروق في اللغة ١٥ ، ودرّة الغواص ٨٩ .
[٤] ينظر: أدب الكاتب ٢٥٢ ،وديوان الأدب ١٢٩/١ ، والمخصّص ٤ / ٦٩/١٥ .
[٥] المقتضب ٣ / ١٦١ .
[٦] ينظر : المخصّص٤ / ٦٩/١٥ ، وشرح المفصّل ٦ /١٣ ، وشرح الشافية ٢ /٨٤ ـ٨٥ ، ومعاني الأبنية ١٠٨ .
[١] ينظر: همع الهوامع ٩٧/٢ .
[٢] معاني الأبنية ١٠٨ ـ ١١٠ .
[٣] شرح المفصل ١٣/٦ .

ألفاظ المبالغة يقال: ديمةٌ مِدرارٌ، إذا كان مطرُها غزيراً حاراً ، كقولهم : امرأة مِذكار إذا كانت كثيرة الولادة للذكور ، ومئناث في الإناث))[٤] .

وقد أشار إلى هذا المعنى قبله ابن قتيبة حين قال : ((من ذلك امرأة مِتئام : إذا كان من عادتها أن تلدَ كلّ مرّة توأمين ...))[٥] ، ثّم بيّن أنّ ((مِفْعال تكون لمن دام منه الشيء أو جرى على عادته ، تقول : رجلٌ مِضحاك ومِهذار ومِطلاق إذا كان مُديماً للضَحِك والهَذَر والطلاق))[٦] .

وقد أشار إلى ذلك أيضاً الفارابي[٧] اللغوي (ت ٣٥٠هـ) وأبو هلال العسكري[٨](ت بعد ٣٩٥هـ) والثعالبي[٩](ت٤٢٩ هـ).

ويرى بعض المتأخرين أنّ هذه الصيغة في أصلها تكون للآلة ، كالمفتاح الذي هو آلة الفتح ، والمنشار الذي هو آلة النشر ، ثم استُعيرت للمبالغة . وإنّما ساغ ذلك ؛ لأنّ مَن اعتاد الفعل وصارَ له كالآلة يصدُق عليه الوصف باسم الآلة(مِفْعال) ، فيقال مِهذار لكثير الهَذر الذي صار كأنّه آلة للهَذر، ويقال : مِعْطار لكثير العِطر الذي صارَ كأنّه آلة للعطر[١] .

وأيّد ذلك من المحدثين د. مصطفى جواد[٢] ود. فاضل السامرائي[٣] الذي استدلّ على ذلك بأنّ صيغة المبالغة (مِفْعال)لا تُجمع جمع مذكر سالماً ولا تأنيث ، وإنما تُجمع جمع اسم الآلة ، فيقال : مِهذار ، مَهاذير ، ومِعْطار مَعاطير ، كما يُقال : مِفْتاح مَفاتيح ومِنشار مَناشير .

(٢) المصادر :

المصدر اسم يدلّ على الحدث مجّرداً من الزمن نحو : صُعود وجُلوس ، فهما لفظان دالاّن على حدثٍ غير مقّيدين بزمن ماضٍ أو حاضر أو مستقبل. ويُشترط فيه أن يشتمل على أحرف فعله الماضي، الأصلية والزائدة نحو : أكَلَ أكْلاً وأعْلَمَ إعْلاماً واستغفر استغفاراً[٤] .

وقد سّماه النحويون المتقدمون[٥]: الحدَث ، واسم الحدَث ، والفعل ، واسم الفعل، وعّرفه ابن جني بأنّه ((كلّ اسم دلّ على حدَث وزمان مجهول ،هو وفعله من لفظ واحد))[٦]، والمصادر أنواع منها : المصدر الصريح ، والميمي ، والصناعي ، ومصدر المرّة والهيأة .

---

(٤) التبيان ٤/٨١ .
(٥)و (٦) أدب الكاتب ٣٣٠ ، وينظر معاني الأبنية ١١١ .
(٧) ديوان الأدب ٣/٣٥٥ ـ ٣٥٦ .
(٨) الفروق في اللغة ١٥ .
(٩) فقه اللغة وسر العربية:الثعالبي ٥٥٥ ، وينظر معاني الأبنية ١١١ .
(١) الكليات :أبو البقاء الكفوي ٣٠٣ ، وينظر معاني الأبنية ١١٢ .
(٢) دراسات في فلسفة النحو و الصرف والرسم:مصطفى جواد ١٢٨ .
(٣) معاني الأبنية ١١٢.
(٤) ينظر: الأصول في النحو ١/١٣٧ ، وشرح شذور الذهب :ابن مالك ٣٨١،والتعريفات ١٢٠ .
(٥) ينظر الكتاب ١ / ١٢ ، ٢٣ ، ٣٤ ، ٤ / ١٢ ، ١٥ ، ومعاني القرآن للفراء ٢ / ٤٠٤ ، والأصول في النحو

وقد وقف الطوسي عند المصادر بكثرة في تفسيره ، وكان له لمحات دلالية قيّمة في باب المصادر نوجزها بما يأتي :

أ . فرّق بين المصدر والاسم أو اسم الذات : فالأول يدلّ على الحدث المجرّد ، والثاني يدلّ على ذات محسوسة، أو يدلّ على ما قام به الحدث ، أو المادة التي يتّم بها الفعل ، ووسيلة التفرقة تقوم على أساس تغيّر حركات المصدر عن الاسم ، وقد سبقه إلى هذه التفرقة طائفة من علماء العربية(٧) .

ويُسمّى هذا التغّير في علم اللغة الحديث بالتغيّر المورفيمي(٨) ،أو (التحوّل الداخلي)(٩) ، إذ تتحول المصوّتات القصيرة الداخلية في بنية الكلمة فيتغّير معها معنى الكلمة في نحو :فَعول وفُعول ، وفَعْلة وفُعْلة ، وفِعْل وفُعْل ، وغيرها . وتُعدّ عملية التحوّل هذه من أساليب العربية في صياغة أبنية جديدة لإثراء اللغة ، وهو ما يسمّى في علم اللغة الحديث (تناسل الصيغ)(١) .

وقد وردت في تفسير التبيان أمثلة عدة على هذا التحوّل ، عمدَ فيها الطوسي إلى التفرقة المعنوية ، فمن ذلك وقوفه عند قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ [آل عمران : ٩١] ، إذ قال ((المِلْء : اسم للمقدار الذي يُملأ ، والمَلْءُ بفتح الميم مصدر مَلأتُ الإناء مَلأً ،ومثله الرِعي بكسر الراء : النبات ، وبفتح الراء مصدر رَعيته))(٢) .

ونقل عن الزجاج تخطئته من ساوى بينهما(٣) ، وتحديده المصدر بالفتح واسم الذات بالكسر. والمِلء لغةً ما يأخذه الإناء إذا امتلأ ، يقال أعطى مِلأه ، ومِلأيه وثلاثة أملائه ، والمَلء الاسم(٤) .

ومما وقف عنده أيضاً قوله تعالى : ...﴿ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] إذ فرّق بين الغَرفة والغُرفة فقال : ((والغَرفة بالفتح المرّة من الغَرْفِ ، والغُرفة بالضم مِلءُ الكفّ

---

١ / ٩٠ ، وينظر المصادر والمشتقات في لسان العرب:خديجة زبار الحمداني ٢٩ ،

(٦) اللمع في العربية:ابن جنّي ٤٨.

(٧) ينظر : معاني القرآن للأخفش ٢١٢/١ ، وتفسير غريب القرآن ٤٣ ، ٣٧٤ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ١٦١/٢ .

(٨) الوجيز في فقه العربية٢٧٩-٢٨٠ .

(٩) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية ٦٧ ، والعربية الفصحى : ٩٧ .

(١) العربية الفصحى ١١٦ .

(٢) التبيان ٥٢٨/٢ .

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤٤٢/١

(٤) لسان العرب (ملأ) ١٥٨/١ .

من الماءِ ، فالغُرفة اسم للماء المغروف والغَرفة اسم للفعل))[٥] . واسم الفعل هو المصطلح الذي أطلقه القدماء على المصدر كما ذكرنا آنفاً .

والغَرف لغة رفع الشيء وتناولُه ، ويقال: غَرفتُ الماء والمَرق ،أي: رفعته وتناولته ، وعن يونس أنّه قال : غَرفة وغُرفة عربيتان ، غَرفتُ غَرفةً وفي القدر غُرفة ، وحَسوتُ حَسوةً وفي الإناء حُسوة[٦] .

وقد ذكر ألفاظاً أخرى من هذا النوع نحو : الذِبح[٧] ، والأُكلُ[٨] ، والشِربُ[٩] ، وهي جميعاً منقولة من الوصفية إلى العَلَمية ؛ لأنّها في الغالب بمعنى مفعول ، ثم صارت عَلَماً على اسم الذات التي يقع عليها الفعل[١] . فالمِلء هو اسم للماء المملوء ، والغُرفة اسم للماء المغروف والذِبح اسم للمذبوح والأُكل اسم للمأكول والشِرب اسم للمشروب ، لكنّها تحمل معها دلالتها على المفعول ، وإن صارت اسماً جامداً ، ولذا ذكر الدكتور فاضل السامرائي أنّها في حقيقتها أسماء تدلّ على المفعول وليست أوصافاً مشتقةً[٢] .

ويُلحظ في هذه الألفاظ أنّ ما دلّ منها على المصدر يأتي بالفتح ، وما دلّ على اسم الذات يأتي بالضمّ أو الكسر ، وهذا يعني أنّ العرب تجعل لما يدلّ على الفعل الحركة الأخفّ ، ولما يدلّ على ما وقع عليه الفعل الحركة الأثقل . ويبدو أنّ هذا التمايُز في الحركات له مدلوله المعنوي ؛ ذلك أنّه لما كان الفعل هو الأصل ، فقد جاءت المصادر مفتوحة لأنّها تُعبّر عن معنى الفعل ، ثم ميّزوا ما اشتُق من الفعل مما يدلّ على وصف الذوات فجعلوه إمّا بالضمّ أو بالكسر .

ب . وأشار إلى دلالة بعض المصادر من ذلك :

١ـ فُعال : وهي من الصيغ القياسية لمصادر الفعل الثلاثي المجرّد ، وقد وقف الطوسي عند لفظ (رُفات) الوارد في قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴾ [الإسراء : ٤٩] ، فقال : ((... الرُفات : التراب ... وهو بمنزلة الدُقاق والحُطام . قال المبرّد كلُّ شيءٍ مدقوق مبالغٌ في دقّه حتى يُسحَق فهو رُفات ...))[٣] ثم أردف ذلك بذكر

(٥) التبيان ٢٩٥/٢ ، ينظر: جامع البيان ٦١٩/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤٤٣/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٣/٣.
(٦) لسان العرب (غرف) ٢٦٣/٩.
(٧) التبيان ٥٢٠/٨ .
(٨) التبيان ٣٣٩/٢ .
(٩) التبيان ٥٠٢/٩ .
(١) ينظر: إعراب القرآن ٤٣٤/٣ ، وفتح القدير ٤٠٥/٤ .
(٢) معاني الأبنية ٦٦ .
(٣) التبيان ٤٨٦/٦

القاعدة الصرفية القائلة :إنّ ((كلَّ ما تحطّم وترضّض يجيء أكثره على (فُعال) مثل حُطام ، ورُضاض ، ودُقاق ، وغُبار ، ودُراب ...))[٤] .

وقد سبقه إلى القول بهذه الدلالة الصرفيّة طائفة من اللغويين،إذ قال الفرّاء : ((كلّ شيءٍ ينضمّ بعضه إلى بعض فإنّه يجيء على فُعال مثل الحُطام والقُماش ...))[٥] . وذكر الفارابي اللغوي ثلاثة معانٍ لهذه الصيغة ، فهي : ((للأدواء والأصوات ولما تحطّم من شيءٍ وتكسّر منه ، نحو حُطام ودُقاق))[٦] ، وهي كذلك لدى ابن قتيبة[٧] ، وابن السراج[٨] ، والقاسم بن محمد المؤدّب (ت بعد ٣٣٨ هـ)[٩] ، والرضي الاستراباذي[١٠] .

واختلف أهل اللغة في أصل هذه الصيغة ، فرأى سيبويه أنّ الألفاظ التي بزنة (فُعال) الدالّة على كل ما تَحطّم وتَرضّض ليست مصادر وإنّما هي تَحمل معنى صيغة (فُعالة) الدالّة على الفُضالة[١] ، على حين ذهب أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ) إلى أنّ هذه الألفاظ ليست مصادر ، وإنما هي أسماء بمعنى (مفعول) . فأصلها : مُحَطّم ومَرضُوض ومَدقُوق ، ولا تأتي صيغة (فُعال) إلا للأصوات والأدواء ، وإنّما شأن هذه الألفاظ شأن ما جاء على (فَعيلة) الدالّة على الفُضلة من الشيء كالبَقيّة والتَريكة ، فهي بمعنى المُتبقي والمَتروك[٢] .

ووقع هذا الخلاف بين المتأخرين أيضاً ، فقد عدّها ابن عصفور مصادر[٣]،على حين هي لدى الرضي الاستراباذي أسماء موضوعة موضع المفعول[٤]،وهو رأي المحدثين[٥] أيضاً .

والمتفحّص لمعنى هذه الألفاظ يجدها حقاً تحمِل معنى المفعول ، غير أنّ صياغتها على فُعال، تزيدها دلالة على معنى التحطيم والتكسير والترضيض ، فلو قيل : حُطام ،لفُهِم أنّ هذا شيء مُحطّم إلى درجة الخَراب وانعدام الأمل بإصلاحه أو لَمّ شتاته من جديد،غير أنّه لو قلت : مُحطّم ، لتبادر إلى ذهنك إمكانية إصلاحه بطريقة أو بأخرى .

---

(٤) المصدر نفسه .
(٥) معاني القرآن للفراء٦٢/٢ .
(٦) ديوان الأدب ٨٥/١ .
(٧) أدب الكاتب ٤٦٦ ـ ٤٧٠ .
(٨) الأصول في النحو ٨٩/٣ .
(٩) دقائق التصريف:القاسم بن محمد المؤدّب ١٣٣ ـ ١٣٤ .
(١٠) شرح الشافية ١٥٥/١ .
(١) الكتاب : ١٣/٤ ، وينظر : أبنية الصرف في كتاب سيبويه:خديجة الحديثي ٢١٥ .
(٢) المخصّص٤/ ١٣٥/١٤، وينظر : معاني الأبنية ٢٦ ـ ٢٧ .
(٣) المقرّب : ابن عصفور ١٣١/٢ .
(٤) شرح الشافية ١٥٥/١ .
(٥) ينظر: فقه اللغة (وافي) ٢١٤ ، ومعاني الأبنية ٢٦ ـ ٢٧ ، والمصادر والمشتقات في لسان العرب ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

ولكن ليس كلّ الألفاظ دالة على التحطيم والترضيض كما يقول الفارابي وابن قتيبة ومن بعدهما الطوسي ؛لأنّ غُبار وتُراب على (فُعال) أيضاً ، ولكنّها تدلّ على تجمّع ذرات معينة على حجم وشكل وأوصاف خاصة ، وهي بذلك توافق المعنى الذي قال به الفرّاء ، وهو دلالتها على(كلّ شيء ينضمّ بعضه إلى بعض) ، وهو الأرجح في الدلالة العامة لصيغة (فُعال) ، التي تصدق أيضاً على الُمحطّم والُمكسّر ؛ إذ تجتمع قطَع ذلك الُحطام والُرفات على هيأة معينة .

٢. فِعالة : وهي أيضاً من الصيغ القياسية للمصدر المشتق من الفعل الثلاثي المجرّد وتختصّ بالأفعال الدالّة على حِرفة أو صَنعة أو وِلاية . وقد ذكرها الطوسي حين فسّر قوله تعالى﴿ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة : ٧] فقال: ((الغِشاوة :الغطاء، وكلّ مااشتمل على شيء، مبنّي على فِعالة كالعِمامة والقِلادة والعِصابة ، وكذلك في الصِناعة كالخِياطة والقِصارة والصِياغة والنِساجة وغير ذلك ، وكذلك من استولى على شيء كالخِلافة والإمارة والإجارة وغير ذلك))[٦] .

ولم يرِد خلاف بين اللغويين حول هذه الصيغة ، إذ يقول سيبويه : ((وأّما الوِكالة والوِصاية و الجِراية ونحوهنّ فإنّما شّبهن بالوِلاية ؛ لأنّ معناهنّ القيام بالشيء، وعليه الخِلافة والإمارة والنِكاية والعِرافة ، وإنّما أردت أن تعبّر بالوِلاية ،ومثل ذلك الإيالة والعِياسة والسِياسة ...))[١] .

وإلى هذا ذهب أيضاً ابن قتيبة[٢]، وابن السراج[٣]، والمؤدّب[٤]، وأبو محمد الصيمري النحوي[٥](من نحاة القرن الربع الهجري) ،أّما دلالتها على الاشتمال فقد أشار إليها الزجاج[٦]، والجوهري[٧]، وابن منظور[٨](ت٧١١هـ).

ولم يخرج المحدثون[٩] عن الدلالات التي أشار إليها الطوسي فيما يختصّ بهذه الصيغة .

(٣) تناوب الصيغ :

الأصل في اللغة العربية أن يكون لكلّ صيغة معنًى معين ، ولكنّ واقع هذه اللغة وقدرتها على التغّير في التراكيب المختلفة دعا إلى أن تجيء بعض الصيغ بمعنى بعضها الآخر ،

---

[٦] التبيان ١ / ٦٤ .
[١] الكتاب ٤ /١١ .
[٢] أدب الكاتب ٤٧١ .
[٣] الأصول في النحو ٣ / ١٩٢ .
[٤] دقائق التصريف ١٣٣ .
[٥] التبصرة والتذكرة :الصيمري٢ /٧٦٨ .
[٦] معاني القرآن وإعرابه ١ / ٨٣ .
[٧] الصحاح (عمم) ٥ / ١٩٩٣ .
[٨] لسان العرب (غشا) ١٥ / ١٢٦ .
[٩] دراسات في فقه اللغة:صبحي الصالح ٣٤٥ ، وفقه اللغة (وافي) ٢١٢ ، ومعاني الأبنية ٢٣ ـ ٢٥ .

لتحقيق فائدة معنوّية ،إذ يقع اللفظ موقعاً ليس له أصلاً ، فيقوم مقام ذلك الأصل ويكتسب صفاته من تأثر وتأثير ودلالة ووظيفة وإعراب وبناء[١٠]

ويشكّل تناوب الصيغ الصرفّية جزءاً من ظاهرة أوسع هي (النيابة)، وهي :((ظاهرة نحوّية تركيبّية صِرف ، لارتباطها بسياق التركيب الجُملي فلا نيابة في خارج السياق التركيبي الواردة الكلمات النائبة فيه ، حتى النيابة بين الصيغ الصرفّية ، لا يمكن فيها فصل الصيغة . التي نابت بعض أمثلتها عن أمثلة صيغة أخرى . عن السياق التركيبي الواردة فيه . فليست (فاعِل) نائبة عن (مَفعول) من حيث هي اسم فاعل من الثلاثي،وتلك اسم مفعول منه؛ وإنّما لورودها في سياق تركيبي معّين))[١١]

ومفادُ هذا الكلام أنّ تناوب الصيغ محلّ دراستها في الظواهر الدلالية التركيبية ، ولكنّ اختصاصها بالدلالة الصرفّية دعا البحث لأن يفصلها ويتناولها على مستوى الكلمة المفردة ، بُعداً عن التجزئة المُخلّة بالمنهج . وحين نستعرض إشارات الطوسي لتناوب الصيغ الصرفّية في دَلالاتها ، نُدرك تماماً أنّ هذا قد فَرضه السياق القرآني تبعاً للمعنى المقصود .

وقد تنّبه العلماء العرب على هذا الأسلوب ، واستوقفهم وروده في كتاب الله العزيز ، وكان لهم آراء دَلالية في أثناء دراساتهم اللغوّية والنحوّية والتفسيرّية ، وعّبروا عنه بعدّة عبارات منها : هذا بمعنى هذا ، وقام مَقامه ، أو حلّ مَحلّه ، أو في تأويل كذا ... وغير ذلك[١].

وقد حدّد بعضهم الغاية من هذا التناوب ، إذ علّله الفرّاء فقال ((وذلك أّنهم يريدون وجه المَدح أو الذّم ، فيقولون ذلك لا على بناء الفعل ، ولو كان فعلاً مصرّحاً لم يقل ذلك فيه ؛ لأّنك لايجوز أن تقول للضارب: مضروب ،ولا للمضروب : ضارب؛ لأّنه لا مَدح فيه ولا ذّم))[٢].

في حين عدّه ابن جني من أهّم وسائل المبالغة ، فلا تتحقق إلا به ، قال: ((في المبالغة لابدّ أن تترك موضعاً إلى موضع إّمالفظاً إلى لفظ أو جنساً إلى جنس))[٣].

وعُني المحدثون بهذا الأسلوب كثيراً ، وسّموه الانحراف والاختيار ، واتخذوه مرتكزاً للدراسات الأسلوبية الحديثة[٤].

أّما الطوسي فقد كان له جُهد مُثمر في الإشارة إلى تناوب الصيغ ، وكان يُردفه غالباً بالتعليل والترجيح ، ويمكن إيجاز آرائه بما يأتي :

---

[١٠] النيابة في الأبنية الصرفية :نهاد فليح ١٧٥ (بحث) .
[١١] ظاهرة النيابة في العربية : عبدالله صالح عمر ٢٧ .
[١] ينظر: النيابة في الأبنية الصرفية ١٧٥ ، وظاهرة النيابة في العربية ٣٨ ـ ٤٣ .
[٢] معاني القرآن ٣ / ١٨٢ .
[٣] الخصائص ٣ / ٤٦ .
[٤] البلاغة والأسلوبية :محمد عبد المطلب١٩٨. .

أ ـ **نيابة فاعِل عن مَفْعول** : وذلك في قوله تعالى على لسان نوح ـ عليه السلام ـ ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[هود:٤٣]، فقد نقل الطوسي في تفسير (لا عاصم) أقوالاً لابن كيسان (ت٢٩٩ هـ) وأبي علي الفارسي ،إذ يحملان دلالتها على أنها بمعنى (لا معصوم) مثل دافق بمعنى مَدفوق ؛ لأنّ في نفي العاصم نفياً للمعصوم[٥]. وهو ما قال به طائفة من علماء العربية[٦] ،وحمله بعضهم على أنه بمعنى (ذو عصمةٍ)[٧] .

ومن أمثلته أيضاً قوله تعالى ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة:٢١]، إذ فسّره الطوسي فقال : ((أي في عيشة راضية ... وراضية معناها مَرضّية فـ (فاعلة) بمعنى (مفعولة) ؛ لأنّه في معنى ذات رِضاً ، كما قيل: لابن وتامر، أي ذو لبنٍ وذو تمر ...وكأنّ العيشة أُعطِيت حتى رَضيتْ ؛ لأنهّا بمنزلة الطالِبة ...))[١]. وفي هذا الكلام التفات منه إلى ظاهر التشخيص الفني بإسباغ صفة الآدميّة على العيشة .

ب ـ **نيابة مَفْعول عن فاعِل** : وذلك في قوله تعالى:﴿...إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ١٦] ، إذ قال الطوسي في تفسير (مَأتّياً) : ((ومعنى مَأتّياً مَفْعولاً ، ويجوز في مثل هذا (آتياً) و (مَأتّياً) ؛ لأنّ ما أتيته ، فقد أتاك ، وما أتاك فقد أتيته ...))[٢] . وقريب منه قول الزمخشري : ((مأتّياً : مَفعول بمعنى فاعِل ، والوجه أنّ الوعد هو الجنة ، وهم يأتونها . أو هو من قولك أتى إليه[إتياناً][٣]، أي كان وعده مَفعولاً مُنجزاً ...))[٤] ، إذ يجوز إبقاء (مأتّياً) على دَلالتها ، ويجوز حَملها على (فاعِل) .

ت ـ نيابة (فَعيل) : وهي على صورتين :

١ ـ **فَعيل بمعنى مُفعِل** : (فَعيل) صيغة من صيغ المبالغة دخلت أبواباً أخرى كثيرة ونابت مناب صيغها ، و(مُفعِل) اسم فاعل مُشتق من الفعل الرباعي (أفعَل) ، وقد أشار الطوسي إلى أنّ (فَعيل) تأتي بمعنى (مُفعِل) في أكثر من موضع من التنزيل ولا سيّما في تفسيره صفات الله عزَّ وجلَّ ، قال : ((ومعنى بَصير مُبصِر عند أهل اللغة ، وسَميع بمعنى مُسمِع لكنه صُرِف إلى فَعيل في بَصير وسميع ،

---

[٥] التبيان ٥ /٤٩١ .
[٦] ينظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ١٥ ـ١٦ ،ومعاني القرآن للأخفش ٣٥٣/٢ ، والصاحبي ٣٦٦ .
[٧] ينظر: اعراب القرآن ٢ /٢٨٥ ، ومجمع البيان ١٢ /١٥٥، والبحر المحيط ٥ / ٢٢٧ ـ٢٢٨ ، وفتح القدير ٤٧٦/٢ .
[١] التبيان ١٠ /١٠٠ ـ ١٠١ ، وينظر : مجاز القرآن ١ / ٢٧٩ ، ومعاني القرآن للفراء ٣ / ١٨٢ ، وتأويل مشكل القرآن ٢٢٨ ، وإعراب القرآن ٢٢/٥ ،والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ١٢٣٧، والبحر المحيط ٨/ ٣١٩ .
[٢] التبيان ١٣٨/٧ ، وينظر : معاني القرآن للفراء ١٧٠/٢ ، إعراب القرآن ٢٢/٣ ، والبحر المحيط ١٩١/٦ .
[٣] وردت في النص :إحسانا،وهو تحريف،إذ لا يستقيم المعنى بها.
[٤] الكشاف٥١٥/٢.

ومثله :عذاب أَليم بمعنى مُؤلِم ، و(بديع السماوات) بمعنى مُبدِع ...))[٥] . وفرّق في موضع آخر بين بَديع ومُبدِع ، فقال : ((وبينهما فرق)) ثم علّل ذلك بأنّ ((في بَديع مُبالغة ليس في مُبدِع ، ويستحق الوصف في غير حال الفعل على الحقيقة بمعنى أنّ من شأنه الإنشاء ؛ لأنّه قادر عليه ، ففيه معنى مُبدِع))[٦] .

وقد صرّح ابن قتيبة والطبري والزجاج [٧] ، بهذا التناوب في تفسيرهم لأسماء الله الحسنى، وهذا وصف لله تعالى دالّ على ثبوت هذه الصفات لذاته العلّية، بحيث لا تصدق أن تكون وصفاً إلا له جلّ شأنه .

٢ . فَعيل بمعنى مَفْعول : وقد تنوب (فَعيل) عن (مَفْعول) وهو كثير في العربية ، قال الطوسي : ((السَعير بمعنى مَسْعورة ... كما قالوا : كفّ خَضيب ولحية دَهين))[١] . فالمعنى مَخْضوبة و مَدْهونة .

ووقف أيضاً عند تفسيره لفظ (رَبائب) الوارد في قوله تعالى : ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ ...﴾[النساء : ٢٣] ،إذ قال : ((والرَبائِب جمع رَبيبة ، وهي بنت الزوجة من غيره ... وسُمّيت بذلك لتربيته إيّاها ، ومعناها مَربوبة ،نحو قَتيلة في موضع مَقتولة ، ويجوز أن تُسمّى رَبيبة سواء تولّى تربيتها وكانت في حجره [أم][٢] لم تكن ؛ لأنّه إذا تزوج بأُمّها سُمي هو رابّها ،وهي ربيبته ، والعرب تسمّي الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم ويوقعونه ، ويقولون : هذا مَقتول ، وهذا ذَبيح ، وإن لم يُقتل بعد ولم يُذبح إذا كان يُراد قَتله أو ذَبحه ، وكذلك يَقولون هذه أُضحية لما أُعدّ للتضحية ...))[٣] .

ومفهوم كلامه أنّ العرب قد تستعمل اسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة لوصف الذوات بما سيقع بها مستقبلاً ، ولكنّ هذا القول إن صدَقَ على مثل : قاتِل ومَقتول ، فإنّه لا يصدقُ على مثل ذَبيح وقَتيل ؛ لأنّ صيغتي(فاعِل ومَفعول)تحتملان الحال والاستقبال ، أمّا (فَعيل)فلا تُطلق إلا على من اتّصف بالحدَث على وجه المُبالغة والثُبوت أو ما يقرُب من الثُبوت ، وقد اعتاد العرب أن يُفرّقوا بين ما وقع عليه الحدَث ، وما لم يقع بعد ، فيقولون : شاة ذَبيح ورَمي، إذا ذُبحت ورُميت[٤] ، وكذلك كفّ خَضيب إذا خُضّبَ . أمّا إذا أرادوا وصف ما لم يُذبَح ويُرمى ويُخضّب بعد ، أضافوا تاء التأنيث فقالوا: ذَبيحة ورَميّة وخَضيبة . ومثلُها رَبيبة ، فهي ابنة الزوجة تسمّى بهذا الاسم وإن لم تعِش

---

[٥] التبيان ٣٦٠/١ .
[٦] التبيان ٤٢٨/١ .
[٧] ينظر : تفسير غريب القرآن ١٦ - ١٧ ، وجامع البيان ١ / ٤٣١ ، وتفسير أسماء الله الحسنى ٤٢ .
[١] التبيان ٢٢٩/٣ ، وينظر جذيد ٢٥٧/٧ ، والرجيم ٢٧٨/١٠ ، والرقيم ١٢/٧
[٢] وردت في النص (أو) والصواب مجيء (أم) مع سواء ؛ لأنها تفيد التسوية .
[٣] التبيان ١٥٧/٣ .
[٤] ينظر: الكتاب ٧٤٧/٣ ، وأدب الكاتب٢٢٨ ،وإصلاح المنطق٣٤٣ ، ودقائق التصريف ٨٢ ، ومعاني الأبنية ٦٢.

في كَف زوج أّمها . وتفيد صيغة (فَعيل) النائبة عن(مَفعول) المبالغة والقّوة في الوصف ، فالجَريح ما كان جُرحه بالغاً ، وأّما المَجروح فهو ما كان جُرحه صَغيراً [٥] .

ث . نيابة المصدر عن المشتق : الأصل في العربية أن يكون الوصف بالمشتق ولكنّ هذا الأصل قد يُترك ويُؤتى بالمصدر نعتاً إذا بولِغَ في الوَصف ، فيقولون : رجلٌ عَدلٌ ورِضاً ، وزَورٌ وضَيفٌ ، بمعنى عَادل ومَرضٍ وزائر ومُضاف[٦] .

وقد وقف اللغويون والنحويون العرب عند هذه الظاهرة ، فعلّلوا جواز هذا التناوب بخلّو المصدر من الدَلالة على معنى الذات ، ذلك المعنى الذي يُسّوغ أن يجعل منه وصفاً لاسم الذات[١] . ولكنّهم اختلفوا في تأويل المصدر الموصوف به ، فرأى الكوفيون أّنه مطّرد على التأويل باسم الفاعل أو اسم المفعول ، على حين رأى البصريون اطّراده بتقدير مضاف ، ففي قولهم : رجلٌ عَدلٌ ، قّدروه ذو عَدلٍ[٢] .

والوصف بالمصدر له بُعد دلالي حّدده ابن جني فقال : ((فلأّنه إذا وصف بالمصدر صار الموصوف كأّنه في الحقيقة مَخلوق من ذلك الفعل ؛ وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إّياه))[٣] فيوصَف بجنس الفعل أجمع مُبالغة وتوكيداً [٤] .

وقد وقف الطوسي عند هذه الظاهرة أيضاً في أكثر من موضع في تفسيره، فمن ذلك :

١ . فَعْلٌ بمعنى فاعِل : وقد ورد في قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ...﴾ [الملك : ٣٠] ، وفّسر الطوسي لفظ (غوراً) بقوله : ((أي غائراً ، وصف الغائر بالغَور الذي هو المصدرمبالغةً ، يقال: ماءٌ غَور، وماءان غَور، ومياه غَور، كما يقال : هؤلاء زَور فلان وضَيفه ؛ لأّنه مصدر في قول الفّراء وغيره ...))[٥] . ويُفهم من كلامه أّن المصدر الموصوف به لا يُثّنى ولا يُجمع ، وهو ما نصّ عليه في أكثر من موضع ، وفي بقائه مُفرداً زيادة في المُبالغة[٦].

---

[٥] ينظر: شرح شذورالذهب١٠٢ ، وشرح ألفية ابن مالك :ابن الناظم ٢٢٩ ، ومعاني الأبنية ٦٢ ـ ٦٣ .
[٦] ينظر الكتاب ٤٤/٤ ، والمقتضب ٣٠٤/٤ ، والخصائص ٢٠٤/٢ ، وشرح الفصيح: ابن درستويه ١١٥ .
[١] الوصف بالمصدر : أحمد عبد الستار الجواري ٧(بحث) .
[٢] ينظر: معاني القرآن للفراء٢ /٣٢ ، والمقتضب ٢٣٠/٣ ، وائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة : عبد اللطيف بن أبي بكر الزبيدي ٧٤ .
[٣] الخصائص ٢٥٩/٣ .
[٤] معاني النحو ١ / ٢٠٩ .
[٥] التبيان ٧٢/١٠ ، وينظر في هذه الآية : مجاز القرآن ٢٦٢/٢ ، ومعاني القرآن للفراء ١٧٢/٢ ،وفصيح ثعلب٤١، وجامع البيان ٢٤٩/١٥،ومعاني القرآن الكريم ٢٤٦، والمخصّص١٥٦/١٤/٤،والجامع لأحكام القرآن١٢ /١١٢ ، والتبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين المصري ٢٧٥/١ .
[٦] ارتشاف الضرب من لسان العرب ٥٨٧/٤ .

٢ . **فِعْل بمعنى فاعِل** : ومن أمثلته ما ورد في قوله تعالى : ﴿... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فقد ذكر الطوسي أن في هذه الآية ثلاثة أقوال[٧] :

أحدها : على تقدير : البرُّ برُّ من آمن ...

والثاني : على تقدير : ولكنّ ذا البّر من آمن ...

والثالث : على تقدير : ولكن البارَّ من آمن ... ، إذ جاء المصدر بمعنى اسم الفاعل .

ويتضح من دلالة الآيتين أنّ استعمال المصدرين (غَوراً) و(البِرّ) ، قد مَنحَ التعبير قوّة في الوصف وتجسيداً للمعنى ، حتى أنّ الماء صارَ هو فعل الغَوْر نفسه ، فلو قال (غائِر) لاحتمل ذلك زوال الغَور وعدم ثبوته ، وكذلك وَصف المُؤمن ، فكأنّه صارَ هو البِرّ نفسه لشدة اتّصافه به ، فلو قال (بارٌّ) لاحتمل ذلك زوال البِرّ وعدم دوامه واستمراره .

٣ . **فَعل بمعنى مَفعول** : ورد في قوله تعالى:﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ... ﴾[يوسف : ١٨] وفسّره الطوسي ، بأنّ : ((معنى كذِب مكذوب فيه ،... إلا أنه وصف في المصدر وتقديره : بدمٍ ذي كذِبٍ ، ولكن إذا بولغ في الصفة أُجري على الصفة أُجري على هذه الصفة))[١] ،ونقل عن الفرّاء أنّه يجوّز أن يكون المصدر وقع موقع مفعول ، كما يقع مَفعول موقع المصدر))[٢] ، ثم يذكر الطوسي أنّ ((مفعولاً لا يكون مصدراً ، ويتأوّل قولهم : خُذْ مَيسوره ودَعْ مَعسوره ، أي خُذْ ما يسُر ودَعْ ما عَسُر عليه))[٣] .

وفي ذلك يقول الفرّاء : ((ومعناه مَكذوب ، والعرب تقول للكذِب: مَكذوب وللضَعف مَضعوف ، وليس له عَقد رأي ومَعقود رأي ، فيجعلون المصدر في كثير من كلامه مَفعولاً ، ...ويقولون للجَلد مَجلوداً ...))[٤] .

وأجاز سيبويه هذا التناوب فقال : ((وقد يجيء المصدر على المَفعول ، وذلك قولك : لَبنٌ حَلْبٌ ، إنّما تريد مَحْلوب ، وكقولهم ، : الخَلْقُ ، إنّما يُريدون : المَخلوق ، ويقولون للدرهم : ضَربُ الأميرِ ، وإنّما يريدون مَضروب الأمير))[٥] .

---

[٧] التبيان ٩٦/٢ ، وينظر في هذه الآية : المقتضب ٢٣١/٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٤٦/١ .
[١] التبيان١١١/٦.
[٢] المصدر نفسه ، وينظر:معاني القرآن للفراء٣٨/٢ .
[٣] التبيان ١١١/٦ .
[٤] معاني القرآن ٣٨/٢ ، وينظر: جامع البيان ١٧١/١٢ ، ومعاني القرآن الكريم ٤٠٣/٣ ، وتلخيص البيان ١٧٠ ، ومجمع البيان ٢١٥/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٩/٩ .
[٥] الكتاب ٤٣/٤ ، وينظر: المقتضب ٣٠٤/٤ .

ولكّنه أنكر نيابة المفعول عن المصدر وأّول الأمثلة الواردة فيه بما يبقيها على معنى اسم المفعول فقال : ((وأّما قوله: دَعْه إلى َميسوره ودَعْ َمعسوره، فإّنما يجيء هذا على الَمفعول كأّنه قال : دَعْه إلى أمر يوسَر فيه أو ُيعسَر فيه ...))[٦] .

ج . **نيابة المشتق عن المصدر** :وعلى العكس من الحالة المذكورة آنفاً ، نجد المشتق ينوب عن المصدر ، إذ يتجّرد من الدلالة على الذات الُمحِدثة ليدلّ على الحَدث الُمطلق ،وأمثلة ذلك :

١ . **نيابة اسم الفاعل عن المصدر** : وقد ذكره الطوسي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ولا تزال تطلع على خائنة منهم ... ﴾ [المائدة :١٣] ، إذ قال : ((ومعناه :على خيانة منهم ، و(فاعلة) في أسماء المصادر كثير ، نحو: عافاه الله عافية ، ﴿والمؤتفكات بالخاطئة﴾[١] و﴿فأهلكوا بالطاغية﴾[٢] ، ويقال : قائلة بمعنى القيلولة، كلّ ذلك بمعنى المصدر ، وراغية الإبل وثاغية الشاة ، ويقال: رجل خائنة ... على وجه المبالغة ، كما قالوا رجل نّسابة ؛لأّنه يخاطب رجلاً .ومعناه لا تخُن ...))[٣] .

وسّمى الطوسي (خائنة) و(طاغية) و(عافية) أسماء مصادر ؛لأّنها تحملُ معنى المصدر والفعل وتُخالفهما في الصياغة اللفظية،إذ يُشترط في المصدر أن يكون من نفس لفظ الفعل من غير زيادة ولا نقصان، ولكنّ هذه الأسماء مزيدة بالألف وتاء التأنيث ولذا فهي ليست بمصادر.

وأسماء المصادر هذه وردت على فاعل ثم لحقت بها تاء التأنيث بقصد المبالغة ، فصارت أدلّ على معنى الفعل أو الوصف مما هو في مصادرها الحقيقية .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ فهل ترى لهم من باقية﴾ [الحاقة : ٨] ، إذ وّجه الطوسي دلالة (باقية) فقال : ((أي من نفس باقِية ، وقيل : معناه فهل ترى لهم من بقاء ، فالباقية بمعنى المصدر ، مثل العافِية والطاغِية ومعناه : فهل ترى لهم من بقّية))[٤] . وهو ما ذهب إليه غير واحد من المفسرين [٥] .

---

(٦) الكتاب ٩٧/٤ .
(١) الحاقة : ٩ .
(٢) الحاقة : ٥ .
(٣) التبيان ٤٧٠/٣ .
(٤) لتبيان ٩٦/١٠ .
(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء ١٨٠/٣ ، وجامع البيان ٢٧ / ٨١ ، والكشاف ١٥٠/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢٢/١٧، ٢٦١/١٨ ، وروح المعاني ٢٩ / ٤٢ .

٢. نيابة اسم المفعول عن المصدر : من أمثلته قوله تعالى : ﴿بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾[القلم :٦] وقد رجّح الطوسي أن يكون معنى الآية : بأيّكم الفُتون قال : ((أن يكون معنى(بأيّكم المَفتون) ، كما يقال ليس لهُ مَعقول أي عَقلٌ ، وتقديره:ستعلَم ويعلَمون بمن منكم الجُنون ...))[٦] وهو كذلك لدى الزمخشري[٧] ، وأبي حيان النحوي[٨](ت ٧٤٥هـ) .

وفسّره ابن فارس بأنّه بمعنى الفتنة ، قال : ((أي الفتنةُ ، تقول العرب :ما لهُ مَعقولٌ ، وحِلفٌ مَحلوفةٌ بالله ، وجَهد مَجهودة ، يقولون : ما لهُ مَعقولٌ ولا مَجلودٌ ، يريدون العَقل والجَلد ...))[١] .

(٣) الجموع :

الجمع : صيغة مبنّية للدَلالة على العدد الزائد على اثنين[٢] ، يحدث فيه ضمُّ اسم إلى أكثر منه بشرط اتفاق الألفاظ والمعاني[٣] ، وهو من أساليب العربية في الإيجاز والاختصار ؛ لأنّه يقوم على جمع المتشابهات والابتعاد عن العطف والتكرار[٤] . ويقّسم على أربعة أقسام: جمع تصحيح للمؤنث والمذكر، وجمع تكسير، واسم جنس ،واسم جمع .

وقد تناول علماء العربية هذه الظاهرة في دراساتهم اللغوية والنحوية ، وخصّها طائفة من المتأخّرين[٥] والمحدثين[٦] بمؤلّفات خاصة بها .

وقد عرض لها أيضاً الطوسي ، فلم يغفل لفظاً بصيغة الجمع في القرآن الكريم إلا وقفَ عنده وبّين نوعـه ومُفرده ، وربما توسّع فيه وبّين دلالاته ، وكانت عنايته بيّنة بجموع التكسير لتعدّد صيغها واختلاف دلالاتها ، وقد وقع الاختيار في البحث على نماذج لوقفاته التفسيرية هذه نوجزها بما يأتي :

أ . أشار إلى دَلالة جمع المؤنث السالم على القلّة والكثرة معاً ، مع غلبة القلّة عليه ، وذلك حين فسّر قوله تعالى﴿ وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ، إذ قال :

---

(٦) التبيان ٧٦/١٠ .
(٧) الكشاف١٤١/٤، والمفصّل ٢٢٠ .
(٨) البحر المحيط ٣٠٣/٨ .
(١) الصاحبي ٣٩٥ .
(٢) أسرار العربية:أبو بكر بن الأنباري ٦٤/١ .
(٣) شرح جمل الزجاجي : ابن عصفور ١٤٥/١ .
(٤) أسرار العربية ٦٤/١ .
(٥) ينظر: جوهر القاموس في الجموع والمصادر : محمد بن شفيع القزويني .
(٦) ينظر: الفيصل في ألوان الجموع : عباس أبو السعود ، وجموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية : عبد المنعم سيد عبد العال ، وصيغ الجموع في اللغة العربية : باكيزة رفيق حلمي .

((وسّميت معدودات؛ لأنها قلائل كما قال (وشَرْوه بثَمنٍ بَخسٍ دَراهم َمعدودة)[٧] ،أي قليلة والجمع بالألف والتاء يصلح للقليل والكثير ، والقليل أغلب عليه))[٨] .وعلّل احتماله للدلالتين معاً بقوله: ((لأنّ جمع السلامة على طريقة واحدة لا يتميز فيه قليل من كثير ، وكان القليل أغلب عليه لشبهِه بالتثنية))[٩] .

وفي دلالة جمع التأنيث قال سيبويه : ((وأمّا ما كان (فُعْلة) فهو بمنزلة غير المعتل ، وتجمعه بالتاء إذا أردت أدنى العدد ، وذلك قولك : دُولة ودُولات ، فإذا لم ترد الجمع المؤنث بالتاء قلت : دُول))[١] .

وقد قال بدلالة (معدودات) على القلّة بعد الطوسي طائفة من المفسرين[٢]وأشاروا إلى احتمالها القلّة والكثرة ، ولكنّ السياق الذي وردت فيه ينصّ على القلّة .

ب . ذكر طائفة من صيغ جموع التكسير منها :

١ . (أَفْعِلة) الدالة على القلّة : ذكرها حين فسّر قوله تعالى ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ... ﴾ [البقرة : ١٨٩]، فقال : ((الأهِلّة جمع هِلال ، وسمّي الهِلال لرفع الصوت بذكره عند رؤيته...وإنما اقتصر جمعه على أَهِلّة، وهو لأدنى العدد ، دون (الفُعُل) الذي هو للجمع الكثير استثقالاً له في التضعيف كما قالوا فيما ليس بمضعّف : حِمار وأَحمِرة وحُمُر))[٣]

وقد سبقه إلى هذا القول الزجّاج ، إذ بيّن أنّ : (("فِعال" يُجمع في أقلّ العدد على (أَفعِلة) ، مثل : مِثال وأمثِلة ، وحِمار وأحمرة ، وفي أكثر العدد يُجمع على فُعُل مثل حُمُر ؛ لأنّهم كرهوا في التضعيف (فُعُل) ، نحو هُلُل وخُلُل فاقتصروا على جمع أدنى العدد))[٤]، فقالوا أهلّة وأخلّة .

فرأي علمائنا الأوائل إذن أنّ أهلّة أخفُّ من هُلُل ، ولذلك شاع استعمال الأول ، وإنما ثُقل الثاني ، لتتابع صوتين صامتين متماثلين فيه هما (اللام واللام) وهي صوت لِثوي مُتوسط مجهور[٥]، وكذلك تتابع صوتين صائتين متماثلين فيه هما (الضمة والضمة) وهي صوت طبقي

---

[٧] يوسف : ٢ .
[٨] و[٩] : التبيان ١٧٥/٢ ، وينظر ٢٦٥/٥ .
[١] الكتاب ٣/ ٥٩٤ ، وينظر: ٣ / ٥٧٨ ، والمصطلح الصرفي في العين والكتاب ودقائق التصريف : علي جميل السامرائي ١٥٧ ـ ١٥٨ .
[٢] ينظر: مجمع البيان ١ / ٢٩٨ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل : البيضاوي ٤٦١/١ ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم:أبو السعود العماري١/ ١٩٨ ، وفتح القدير ١٨٠/١ .
[٣] التبيان ١٤٠/٢ ـ١٤١ .
[٤] معاني القرآن وإعرابه ٢٦٢/١ ، وينظر: التفسير الكبير٢ / ٢٨١/٥ .
[٥] دراسة الصوت اللغوي ٢٧٠ .

مَجهور رِخو[٦]، وقد كره العرب النطق بالمتماثلات لصعوبة انتقال اللسان من الموضع نفسه مرتين متتاليتين ، وشّبهوه بَمشي المقّيد[٧] ، وفضّلوا في حُسن الألفاظ تباعد المخارج ،

وهو ما تحقق في (أهلّة) ، إذ الهمزة حنجرية ، والهاء من بَعدها حلقية ، ثّم اللام لثوية ، والتاء لثوية أسنانية[١] . وقد أشار إلى دلالة (أَفِعلة) أغلب علماء اللغة والنحو[٢] .

٢ -(فَعائِل) **الدالة على الكثرة** :ذكر هذه الصيغة عند تفسير قوله تعالى ((وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰئِرَ الْإِثْمِ ..)) [الشورى:٣٧]، إذ روى فيها قراءتين فقال : ((قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً (كبير الإثم) على التوحيد ، والباقون على الجمع ، جمع التكسير ، ومن وّحد قال: انه اسم جنس يقع على القليل والكثير ، ومن جمع فلأّن أنواع الفواحش واختلاف أجناسها كثيرة))[٣].

و(كبائر) جمع كبيرة، وهي كلّ ذنب أو فعلٍ قبيح منهٌي عنه شرعاً لِعظَم أمره ، كالقتل والزنا والفرار من الزحف وغير ذلك مّما تكون خاتمته النار[٤] .

والراجح قراءتها بالجمع؛لأّن صيغة فعائل الدالّة على الكثرة تنسجم والمعنى العام للآية. وهو أّن ما عند الله خير وأبقى للمؤمنين المتوكلين على رّبهم المجتنبين كبائر الذنوب التي لها آثار سوء عظيمة،فوردت مجموعةً كما جُمعت الفواحش وهي المعاصي النكراء،وهذا من أخصّ صفات المؤمنين[٥].وقد اتفق أهل اللغة والنحو على دلالة(فَعائل)على الكثرة من غير خلاف[٦] .

٣ -(فِعلان) **الدالة على الكثرة** : قال الطوسي : ((الوِلْدان جمع وِلْد ، على مثال: خِرْب وخِرْبان وبِرق وبِرقان ... وهو من أبنية الكثرة))[٧] .وقد ثبتت دلالة الكثرة لصيغة (فِعلان) باتفاق علماء العربية القدماء[٨]والمحدثين[٩]

(٥) المقصور والممدود :

---

(٦) المصدر نفسه .
(٧) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : مكي بن أبي طالب ١/ ١٣٤ ، وشرح المفصل ١٠ / ١٣١ .
(١) دراسة الصوت اللغوي ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .
(٢) ينظر:اللمع في العربية١٧،والشافية ٦٩ ، وشرح الشافية ٢ / ١٢٩ ، ١٣١ ،وأوضح المسالك ٤ / ٣١٢ .
(٣) التبيان ٩ / ١٦٧ .
(٤) لسان العرب (كبر) ١٢٩/٥ .
(٥) مجمع البيان ٥ / ٣٣ .
(٦) ينظر: الشافية ٤٦ ، وشرح ابن عقيل ٤ / ١٣٢ .
(٧) التبيان ٣ / ٢٥٩ .
(٨) ينظر: اللمع في العربية١٧٥ ، وشرح ابن عقيل ٤ / ١٣٢ ، وأوضح المسالك ٤ / ٣١٩ .
(٩) أبنية الصرف في كتاب سيبويه٣٢٣ ، والمحيط في أصوات العربية ٢٦٣ .

المقصورهو الاسم الذي آخره ألف زائدة كانت أو أصلية،متصرفاً كان أو غير متصّرف ، وسّمي مقصوراً ؛لأنّ حركات الإعراب قَصُرت عنه[١٠]. أمّا الممدود فهو الاسم الذي في آخره همزة بعد ألف زائدة ، سواء أزائدة كانت الهمزة أم أصلية أم منقلبة[١١].

وقد عرفت العربية ألفاظاً تُنطَق بالقَصر والمَدّ،والمعنى واحد نحو:زكرّيا وزكريّاء .كما عرفت ألفاظاً مقصورة تختلف دلالتها عن مثيلتها الممدودة.وقد عُني علماء العربية بهذه الظاهرة فتناولوها في كتبهم،وأوّلهم في ذلك سيبويه[١] والمبرِّد[٢]،كما ألّفت طائفة منهم كتباً خاصة بهذه الظاهرة مثل الفرّاء[٣]،وأبي علي القالي[٤]وابن ولاّد [٥](ت٣٣٢هـ)

وكان الطوسي ممّن عُني بها أيضاً فذكرها في مواضع عدّة من تفسيره ، وقف البحث على ما تمثلت فيه لمحات دلالية مميزة نذكر منها ما يأتي :

أ . **الهَوى والهَواء** : فرّق دلالياً بين هذين اللفظين حين فسّر قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه : ١٦] ، إذ قال : ((الهَوى ميل النفس إلى الشيء بأريحية تلحق فيه ، والهَواء الجّو ممدود ، والهَوى النفس مقصور))[٦] . والحديث في هذه الآية مع سابقاتها عن وجوب الإيمان بقيام الساعة ؛ لأنّ عدم الإيمان بها مِصداق لاتّباع الهَوى الذي يقود إلى الهلاك[٧]وفرّق الطوسي بين اللفظين في موضع آخر بالجمع ، فجمع الهَوى أَهْواء ، وجمع الهَواء أَهْوِية[٨] . وقد سبقه إلى هذه التفرقة الدلالية الفرّاء إذ قال : ((الهَوى على وجهين : هَوى النفس يُكتب بالياء ، والهَواء ما بين السماء والأرض ممدود))[٩] .

(والهَوى)لغةً : هَوى النفس وإرادتها ،وميلها إلى ما تستلذه من الشهوات ، والجمع الأهواء وهَوَى يَهْوي : سقط إلى أسفل واستهواه الشيطان استهامه . أمّا(الهَواء) بالألف الممدود ، فهو

(١٠) ينظر: أسرار العربية ٥٧ .
(١١) المصدر نفسه .
(١) الكتاب ١٦١/٢ ـ ١٦٢ .
(٢) المقتضب ٧٩/٣ .
(٣) ينظركتابه : المنقوص والممدود ،تحقيق : عبد العزيز الميمني
(٤) ينظر كتابه الممدود والمقصور ، تحقيق: أحمد عبد المجيد هريدي .
(٥) ينظركتابه :المقصور والممدود على حروف المعجم ، بعناية :بولس برونله .
(٦) التبيان ١٦٦/٧ .
(٧) الميزان ١٤٧/١٤ .
(٨) التبيان ٤٢٠/٩ .
(٩) المنقوص والممدود ١٦ .

في اللغة: جرم بسيط حار رطب شفاف لطيف متحرك يشغل حيز مابين الأرض والسماء، وكلّ خالٍ يُقال لهُ : هواء ، والجمع الأَهْوية[١٠] .

وبين الكلمتين تغيّر صوتي مورفيمي أدّى إلى تغيّر المعنى ؛ لأنّ اللفظ العربي كثيراً ما يرد في التعبير وأصواته تُحاكي معناه، فالهوى أمر معنوي مُقتصر على الإنسان نفسه يمثّل رغباته ومُيوله ، ولأنّه مُنعدِم الحسيّة، وحركته نفسيّة ، فقد وردت الألف المقصورة متّسقة معه ، بخلاف الهواء الطبيعي الممتدّ في هذا الكون الواسع وبحركاته المختلفة بين الهدوء والقوّة ، فهو أكثر اتساعاً وشمولاً وحركةً من هوى النفس ، ولذلك وردت الألف المنتهية بهمزة متّسقة معه أكثر ، إذ الألف المقصورة مَجهورة رِخوة يبقى مَجرى الهواء عند النطق بها مَفتوحاً من دون إعاقة[١]، على حين هو يمتد مع الألف في (الهواء) حتى ينقطع بالهمزة الحنجريّة الشديدة[٢] التي تحتاج إلى جُهد للنطق بها والوقوف عليها . وتجد هذين اللفظين في اللهجة الدارجة ينطقان بصورة واحدة فالهوى ميل النفس ، وكذلك (الهوا) .

ب . **الورى والوراء** : قال تعالى على لسان زكريّا(عليه السلام) ((وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَآءِي ...))[مريم : ٥].وقال الطوسي فيها((الوَراء: الخَلف،والوراء: القُدّام،وكذلك الوَراء: وَلد الوَلد ممدود ،والوَرى مقصور: داءٌ في الجوف ، والورى أيضاً :الخَلْق مقصور...))[٣] . تصوّر الآية السبب الذي جعل زكريّا(عليه السلام) يدعو ربّه أن يرزقه ولداً صالحاً على كِبر سنّه يكون وريثهُ على مالهِ ورسالتهِ ودينهِ ومبادئهِ التي يسعى لنشرها وإعلاء كلمتها[٤] .

وقد ذكر الطوسي هذه الدلالات المشتركة للفظي الوَرى والوَراء ، وهي تبدو معاني مشتركة لفظاً متباعدة معنًى ، فـ(الوَرى) لغة من وَرِيَ وهو قَرح يكون في أجواف الناس والإبل ، واسم الداء الوريُ ثم صُرِف إلى الوَرى .والوَرى هو: الخَلْق، وهاتان دلالتان مختلفتان لا صلة بينهما ، أما (الوراء) فله دلالتان أيضاً ، إحداهما : أنّه بمعنى الخلف والقدّام ، فهو من الأضداد ، والأخرى : أنّه وَلد الوَلد ، أي الابن من الوَراء[٥] . وعلى هذا فإنّ ما ينبغي الموازنة الدلالية بينهما هما : (الوَرى) بمعنى الخَلق ، و(الوَراء) بمعنى وَلد الوَلد ؛ لأنّ مدلولهما متقارب متصل . وفي اختلافهما المورفيمي اختلاف دلالي ،إذ إنّ مدَّ الألف دلّ على امتداد نسب الوَلد .

---

(٨) ينظر : (هوى) : الصحاح ٢٥٣٧/٦ ، ولسان العرب ٣٧٢/١٥ ، والكليات ٥٦٠ .
(١) الأصوات اللغوية:٢١-٢٤ .
(٢) المصدر نفسه ٩٠ ، وعلم اللغة للسعران١٧١ .
(٣) التبيان ١٠٧/٧ .
(٤) ينظر: مجمع البيان ٥٠٢/٣ والميزان ٦/١٤ .
(٥) ينظر:المنقوص والممدود ١٩، والمقصور والممدود على حروف المعجم ٤٤ ، ولسان العرب (ورى) ٣٨٦/١٥ .

(٦) المذكّر والمؤنّث:

تعدّ ظاهرة التذكير والتأنيث من الظواهر المهمّة في نظام اللغة العربية ، ولها ارتباط وثيق بالدلالة ، وقد شغلت حيزاً واسعاً من عناية علمائنا الأوائل ، وكان لها نصيبٌ وافرٌ في دراساتهم[١] ، ومؤلّفاتهم[٢] ، ولا تزال حتى الآن مَحطّ اهتمام المحدثين على اختلاف مَناهجهم في التأليف والدراسة[٣] .

وعُني بها أيضاً الطوسي لورودها في القرآن الكريم على نحو واسع ، وقد اختار البحث نماذج من آرائه المتعلّقة بالدَلالة ، ولا سيّما ما يختصّ بتاء التأنيث بحُسبانها عَلامةً مميّزة تُضاف إلى الاسم لغَرض دَلالي مُعيّن ، وتبيّن من تلك النماذج أنّ التاء لها ثلاثُ دَلالات ، فضلاً عن دَلالاتها العامّة المتّفق عليها ، وهي :

أ . الدَلالة على المبالغة : تنبه العلماء الأوائل إلى هذه الدلالة وأشاروا إليها في دراساتهم اللغوية والنحوية ، فقال المبرّد : ((وتقول العرب للرجل : راوية ونّسابة، فتزيد الهاء للمبالغة ، وكذلك عَلاّمة ، وقد تلزم الهاء في الاسم فتقع للمذكّر والمؤنّث على لفظ واحد نحو : رَبعة ويَفعة وصَرورة ، وهذا كثير لا تُنزع الهاء منه ، فأمّا راوية وعَلاّمة ونّسابة ، فحذف الهاء جائزٌ فيه ، ولا يبلغ في المبالغة ما تبلغه الهاء))[٤] .

وهذا يعني أنّ التاء تزيد درجة المبالغة وتبلغ بها إلى الحدّ الأعلى ، يقول ابن جني: إنّ هذه التاء((لم تُلحق لتأنيث الموصوف بما هي فيه، وإنما لحقت لإعلام السامع أنّ هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والمبالغة سواء كان ذلك الموصوف بتلك الصفة مذكراً أم مؤنثاً))[٥] .

ولا يشترط العرب في إدخال الهاء لتحقيق المبالغة أن تكون للَمدح ، بل هي تدخل في المذكّر للَمدح والذّم معاً ، إذا بولِغ في الوصف[٦] .

وقد أشار الطوسي إلى دلالة هاء التأنيث على المبالغة في أكثر من موضع ، من ذلك ما أورده عند تفسيره قوله تعالى﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ:٢٨] ، إذ

---

(١) ينظر: الكتاب ٢٢/١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٥ و ٢١٢/٢ و٢٣٦/٣ ، ٢٣٧ ، ٢٧٩ ، ٣٤٧ ، ٥٦٢ ، والمقتضب

(٢) ينظر: المذكر والمؤنث : الفرّاء ، والمذكر والمؤنث : المبرّد ، ومختصر المذكر والمؤنث : ابن عاصم ، والبلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث : لأبي بكر بن الأنباري .

(٣) ينظر : في التذكير والتأنيث : إبراهيم السامرائي (بحث مستل).

(٤) الكامل :المبرّد١٩٢/١ ، وينظر: المذكر والمؤنث للمبرد ١٠٠ .

(٥) الخصائص ٢٠١/٢ ، وينظر: أسرار العربية ١٩٩ ، والجمل في النحو:الزجاجي ٢٨٥/١ .

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (نسب) ١٤٩/٢ ، ودقائق التصريف ٨٣ .

قال : ((ومعناه : أرسلناك إلى الخَلق كافة بأجمعهم))ثم ذكر بصيغة التضعيف : قيل إن معناه : ((إلاّ مانعاً لهم وكافّاً لهم من الشرك ، دخلت الهاء للمبالغة ...))[٧] .

وقد اختلف المفسّرون في هذه الآية ، فرأى طائفة منهم أنّ في الكلام تقديماً وتأخيراً ، ويفسّرونها على الرأي الأول الذي ذكره الطوسي ، وهو أنّ (كافّة) بمعنى جميع الناس ، وهي وصف تقدّم على الموصوف[١] ، على حين يرى آخرون أنّ الكلام خالٍ من أيّ تأخير وتقديم ، و(كافّة) معناها أنّ الرسول . صلى الله عليه وآله وسلم . جاء مانعاً للناس من السَير في طريق الضلال با لإنذار والإبلاغ ، وأنّه يكفيهم عمّا هُم فيه من الكفر والعصيان ، والهاء للمبالغة[٢] واكتفى بعضهم بذكر الأقوال من دون ترجيح[٣] .

والراجح أنّ المراد بالآية: أنّ الرسول . صلى الله عليه وآله وسلم . قد أُرسل للناس كافّة لأهل الشرق والغرب وأهل السماء والأرض ، وقد رُوي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّ الله تبارك وتعالى أعطى محمداً . صلى الله عليه وآله سلم . شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام جميعاً ، وأنّه أرسله إلى الأبيض والأسود وإلى الجنّ والإنس[٤] ، وفي هذا دلالة على عُمومية رسالة الإسلام وشموليّتها، فهي مُحيطة بالناس وكلّ ما حولهم ، وفي إحاطتها وشمولها كفٌ لهم عن معاصي الله تارةً بالإبلاغ والتبشير ، وتارةً بالإنذار والوعيد[٥] .

وأشار الطوسي إلى دلالة الهاء على المبالغة في تفسيره لفظة(بَصيرة)الواردة في قوله تعالى﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة : ١٤]إذ قال في معنى الآية : ((أي شاهدٌ على نفسه بما تقوم به الحجّة ، والهاء في (بَصيرة)مثل الهاء في (علاّمة) للمبالغة))[٦] فقد أفادت هاء التأنيث الدلالة على أنّ الإنسان هو أصدق شاهد وأقوى دليل على نفسه ، فلا تُفيده الأعذار والمسوّغات ؛ ولأنّ شهادته على أفعاله من خير وشرّ بغير إرادة منه، بل يُنطقُه الحقّ المقتدر علاّم الغيوب ، حتى يصير كالحجّة الناطقة والعين المُبصرة ، وفي ذلك يقول الأخفش : ((فجعله هو البَصيرة ، كما تقول للرجل : أنت حُجّة على نفسك))[٧] .

---

[٧] التبيان ٣٩٦/٨ .

[١] ينظر: جامع البيان٩٦/٢٢، ومعاني القرآن الكريم للنحاس١٨/٥، وجواهر الحسان ٢٤٧/٣، والجامع لأحكام القرآن٣٠٠/١٤.

[٢] ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٥٤/٤، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ٤٥٠ .

[٣] التفسير الكبير ٢٠٦/٢٥/٩ .

[٤] ينظر: الصافي في تفسير كلام الله : الفيض الكاشاني ٢٢٠/٤ .

[٥] ينظر:جوامع الجامع:الطبرسي٣٥٢/٣،والميزان ٤٠٠/١٦وتفسيرالقرآن العظيم:رشيدالخطيب١٣/٧.

[٦] التبيان ١٩٥/١٠ .

[٧] معاني القرآن ٥١٧/٢ .

وقد قال بدلالة الهاء على المبالغة في هذه الألفاظ أغلب المفسّرين[٨] وصرّح بها أبو هلال العسكري حين فرّق بين عَلاّم وعَلاّمة ، فقال : ((... إنّ الصفة بعلاّم صيغة مبالغة وكذلك كلّ ما كان على(فعّال) ،وعلاّمة وإن كان للمبالغة، فإنّ معناه ومعنى دخول الهاء فيه أنّه يقوم مَقام جماعة علماء ، فدخلت الهاء فيه لتأنيث الجماعة التي هي في معناه))[١] .

وللمحدثين رأي في هذه التاء ، إذ يرى د. فاضل السامرائي أنّها إذا دخلت على الوصف بقصد المبالغة حوّلته إلى اسم في نحو النَبيحة والنَطيحة ، فهي أسماء دالّةعلى مُسمّيات خاصة ، ومثل ذلك أسماء يوم القيامة ، مثل القارعة والطامّة والصاخّة ، فهي أسماء خاصة بهذا اليوم ، وهي تفيد مع المبالغة العُموم والشُمول[٢] ، وتصدُق هذه المعاني على عَلاّمة وراوية، وكذلك بَصيرة .

ب . دلالتها على التكثير : تأتي صيغة مَفْعَلَة للدلالة على كثرة سبب الفعل وقد وقف الطوسي عند هذه الصيغة حين فسّر قوله تعالى﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾[الإسراء : ٥٩] وذكر جملة من الأقوال فيها، فقال : ((معناها مُبصِّرة تُبصِّر الناس بما فيها من العِبر والهُدى من الضَلالة والشَقاء من السعادة ، ويجوز أن يكون إنّها ذات إبصار ، حكى الزجاج : مُبصَرة بمعنى مُبيَّنة ، وبالكسر معناه تُبيِّن لهم ، قال الفرّاء : مَبصَرة مثل : مَجبَنة ومَبخَلة ، وكلّ (مَفعَلة) وضعته موضع (فاعل) أغنتْ عن الجمع والتأنيث ، تقول العرب: هذا عشبٌ مَلبَنة مَسمَنة ، والولد مَجبَنة مَبخَلة ، وإن كان من الواو والياء فأظهرهما ، تقول : سراب مَبولة ، وكلام مَهيَنة للرجال ، قال عنترة :

والكُفر مَخْبَثة لِنفْسِ المُنعِم[٣] ...))[٤]

ويتضح من كلام الطوسي أنّ المفسرين يختلفون في تفسير (مبصرة) ، ولكن المعنىالمتّفق عليه هو أنّ هذه الناقة أرسلهاالله بما فيها من العجائب إلى(ثمود)ليتّعظوا ويؤمنوا بالله ، فهي آية من آيات الله الدالّة على صدق نبوّة (صالح) المرسل إليهم ،وعلى قدرة الله وعظمته واستحقاقه العبادة[٥] . غير أنه يستوقفنا هنا رأي الفرّاء الذي يميل إليه الطوسي بدليل استطراده في شرحه

---

[٨] ينظر: مجاز القرآن ٢٧٧/٢ ، والبيان في غريب إعراب القرآن : أبو البركات الأنباري٣٨٣/١ ، والتبيان في إعراب القرآن٢:أبو البقاء العكبري/٢٧٤ ، والتبيان في تفسير غريب القرآن ٤٣٦/١ ـ ٤٣٧ ، وإرشاد العقل السليم ٦٦/٩ .

[١] الفروق في اللغة ٧٩ .

[٢] معاني الأبنية ١١٩ ـ ١٢٠ .

[٣] البيت في ديوانه ٢٨ .

[٤] التبيان ٤٩٣/٦ ، وينظر معاني القرآن للفراء ١٢٦/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه٢٤٧/٣.

[٥] ينظر جامع البيان ١٠٩/١٥ ، ومعاني القرآن الكريم ١٦٧/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٨١/١٠ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٩/٣ .

والاستشهاد له بما يؤيّده ،والذي يستخلص منه أنّ صيغة (مَفعلة) في العربية لها دلالتان تفيدان التكثير :

احداهما : تكثير المُسمّى : وهي مدار البحث ، إذ تدلّ على كثرة الُمسمّى أواللفظ المَصوغ بوزنها ، فقولهم : الُعشب مَلبنةٌ مَسمنةٌ ، معناه أنّ الُعشب سبب لكثرة اللَبن والسُمنة ، وقولهم: الَولد مَجبنة مَبخَلة وقيل مَحزَنة معناه : أّنه سبب لكثرة الجُبن ، إذ يخاف الأهل على أنفسهم وعلى أولادهم فيجُبنون عن الخروج إلى الحروب . وهم سبب لكثرة الُبخل ،إذ يقتصد الأبوان ليوفرا لأولادهما متطلبات المعيشة ، وكذلك هم سبب لكثرة الحُزن ، المترتّب على ما يصيبهم من مرضٍ أو موتٍ أو مصائب[١] .

ولم تتحقق دلالة الكثرة إلا باقتران الصيغة بتاء التأنيث ، ومهما اختلفت تفسيرات (مَبصَرة) فهو يصدق عليها أن تكون بزنة (مَفْعلة) ؛ لأّنها سبب في تقديم آية بّينة للمجاهدين ، ولقّوة هذه الآية ولتعدّد عجائبها فقد أوقعت التَبصُّر في قلب العاقل المُتدّبر .

والأخرى : تكثير المكان : وقد أشار إليها علماء العربية ، وهي من اسم المكان بزنة (مَفعَل) ، نحو مَلعَب وَمكتَب وَمخبأ وَملجأ :فإذا اقترنت به تاء التأنيث دلّت على كثرة وجود ذلك الشيء في المكان ، نحو : مَأسَدة وَمسبَعة وَمذأَبة أي كثيرة الأسود والسباع والذئاب[٢] .

ت . دلالتها على الاسمية :

عقد الطوسي في تفسيره نقاشاً في إلحاق تاء التأنيث بصيغة (فعيل) النائبة عن (مفعول) وتجّنباً للإطالة فإنّ البحث سيكتفي في تلخيص ما جاء في مناقشته من مسائل دلالية ، وهي[٣] :

١. أنّ (فَعيل) إذا كان بمعنى (مَفعول) ، فلا يجوز إلحاق تاء التأنيث به ؛ لأّنه ((ترك للمبالغة في الصفة كما قالوا : كفّ خَضيب ولحية دَهين ، وتركت عَلامة التأنيث ؛لأّنها لّما كان دخولها فيما ليس له للمبالغة نحو : رجل عَلاّمة ، كان سقوطها فيما هي له بالمبالغة ، فحسُن هذا التقابل في الدلالة))[٤] ، إذ إن إدخال التاء وطرحها يكون للمبالغة ، وكلٌّ حسب موضعِه .

٢ . تلحق تاء التأنيث (فَعيل) النائبة عن (مَفعول) إذا تحّولت من الوصفية إلى الإسمية في نحو : الفَطيمة والطَويلة والظَريفة .

٣ . يرى الكوفيون أنّ (فَعيل) النائبة عن (مَفعول) إذا وردت نعتاً لاسم يسبقها كانت بلا تاء ، في نحو : عينٌ كحيل ، وإذا حذف الاسم وناب النعت منابه لحقته تاء التأنيث في نحو : رأيت كحيلة

---

(١) ينظر: حاشية الصّبان على شرح الأشموني ٣١٢/٢ .
(٢) ينظر الكتاب ٩٤/٤ ، والمخصّص ٩٨/١٤ ، والمفصّل ٢٣٩ وشرح المفصّل ١١٠/٦، وشرح الشافية ١٨٨/١.
(٣) ينظر التبيان ٤٣١/٣ .
(٤) التبيان ٢٩٩/٣ ـ ٢٣٠ .

.فالكحيل هو وصف للعين المكحولة على وجه الثبوت والدوام ، أمّا الكَحيلة فهو اسم الذات المكحولة و هي العين ، ومثل ذلك الَطيحة الذَبيحة فهي أسماء للذوات المَنطوحة والمَذبوحة ، سواء أُطِحت وذُبِحت أم لا ، وهو ما قال به طائفة من علماء العربية[٥] .

ث . دلالتها على تمييز الواحد من الجنس :

أشار الطوسي إلى أسلوب العرب في التفرقة بين مفردات اسم الجنس وجمعه ، إذ يؤنّثون المفرد ليفرّقوه عن جمعه ، نحو :بَقَر وبَقَرة ، وتَمر وتَمرة ونَخْل ونَخْلة[١] وهذه أسماء جنس جمعي تصلح للُمفرد والجمع ،ولأمن اللبس لجأوا إلى تأنيث المفرد[٢] .

ثانياً: دلالات الأفعال :

الفعل هو ما دلّ على حدث ُمقترن بزمن ،وهو على ثلاثة أنواع : ماضٍ ومضارع وأمر ، والأفعال من حيث بِنيتها على نوعين : ُمجرّدة وَمزيدة . والُمجرّدة إمّا ثلاثية أو رباعية الأصل تزاد بعدد من حروف الزيادة الُمجتمعة في قولهم (سألتمونيها) لإفادة معنًى جديد .

ويترتّب على كلّ زيادة صيغة جديدة تَحمل دلالة جديدة ؛ لأنّ اختلاف المباني يؤدّي إلى اختلاف المعاني . وقد تنّبه علماء العربية الأوائل على هذا القانون الصرفي الدلالي ، وأولوه عنايتهم في دراساتهم المختلفة ، ومنهم الطوسي الذي وقف عند دلالة الأفعال ، ولاسّيما المزيدة منها مشيراً إلى أثر الزيادةفي تغّير المعنى ، مفّرقاً بينها حيناً ، وبين المجّردة حيناً آخر . ومن أهّم آرائه في باب الدلالة الصرفّية ما يأتي .

١ ـ فَعلَ وأفَعلَ : تفيد زيادة الهمزة معاني عدة منها : التعدية والصيرورة والسلب والمبالغة والتكثير وغيرها ، وقد بلغ بها أبو حيان أكثر من عشرين دلالة[٣] .

واختلف العلماء في هاتين الصيغتين فقد فّرق بينهما سيبويه[٤] على حين أّنه نقل عن الخليل جواز مجيئهما بمعنى واحد ، وعزا سبب اختلاف الصيغة إلى اختلاف اللهجات ، وأّيده الكسائي وأبو زيد الأنصاري(ت٢١٥هـ) والأصمعي(ت٢١٦هـ) وثعلب(ت٢٩١هـ) [٥] ، على حين أنكر

---

[٥] ينظر: الكتاب ٢١٣/٢ ، وأدب الكاتب ٢٢٨ ، وشرح الشافية ١٤٢/٢ ـ ١٤٣ ، والكشاف ٤٦٠/٢ وتهذيب الألفاظ :ابن السكيت ٦٣٥ ، ومعاني الأبنية ٦٣ ـ ٦٥

[١] التبيان ٢٩٨/١ .

[٢] ينظر الكتاب ٥٩٥/٣ ، ٤٤/٤ ، والخصائص ٣٠٥/٣ ، والبلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ٨٣ ، ومسائل خلافية في النحو:أبو البقاء العكبري ٤٢ ، وشرح الأشموني ٩٧/١ .

[٣] البحر المحيط ٢٦/١ ، وينظر في هذه الدلالة: شرح الشافية ٨٣/١ ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه ٣٩١ ، وأوزان الفعل ومعانيها ٥٦ ـ ٧٣ ، والمحيط في أصوات العربية ١٧٨ .

[٤] الكتاب ٦٠/٤ ـ ٦٢ .

[٥] ينظر مراتب النحويين:أبو الطيب اللغوي٧٤، والمزهر ٤٠٧/٢، ومقدمة: فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني: بقلم خليل إبراهيم العطية ٦١ ـ ٦٢.

آخرون القول باتفاقهما في المعنى ، ومنهم ابن خالويه ، إذ قال : ((لأَن يقال جميع كلام العرب أن يقال : فعلَ الشيء وأفعلَه غيره ، مثل جلَس زيدٌ وأجلسه غيره))[٦] ، وأنكر ابن درستويه مجيئهما بمعنى واحد في لَهجة واحدة ، فلا يتحقق هذا إلا في لهجتين مختلفتين [١] .

ويرجّح المحدثون أنّ الاتفاق بين(فَعلَ وأَفعلَ) آتٍ من اختلاف اللهجات ، فقبيلةٌ ما تنطق ب(أفعَلَ) ، وقبيلةٌ أخرى تنطق ب(فَعلَ) ثم جاء جامعوا المعجمات فضمّوا بعض هذه المعاني إلى بعض من غير أن ينسبوها إلى قبائلها ، فاجتمعت معانٍ عّدة لكلّ صيغة[٢] .

وكان الطوسي من اللذين يفرّقون بين هذين اللفظين وأشار إلى ذلك في أكثر من موضع من تفسيره ذاكراً جملة من الدلالات لصيغة (أَفعلَ) ، منها :

أ . **التعدية** : وذلك حين فرّق بين(وَحى وأُوحى) فقال : ((إنّ أُوحى بمعنى جعلها على صفة كقولك جعلها مستقرة ، ووحى جعل فيها معنى الصفة ؛ لأنّ (أفعل) أصله التعدية))[٣] ، ومعنى كلامه أن (أُوحى)يتحقّق به الإيحاء بفكرة ما أو أمر ما على وجه الحقيقة أي قولاً وفعلاً ، على حين أن (وَحى) تدلّ على الإيحاء الفكري فقط ، فلا يظهر على وجه التطبيق الفعلي وثبوت الصفة .وقد نسب أبو هلال العسكري هذا القول إلى علي بن عيسى الرماني[٤] .

ب . **التعريض** : فرّق الشيخ بين(أَحْصَرَ وحَصَرَ)، فقال : ((لأنّ الإحصار هو أن يجعل غيره بحيث يمتنع من الشيء ، وحَصَرَهُ منَعهُ ، ولهذا يقال : حَصَرَ العدّو ، ولا يقال : أَحصَرَ))[٥] . واحتجّ بكلام المبرّد وتفرقته بين الفعلين مستشهداً بنظائر ذلك في كلام العرب : ((كقولهم: حَبَسه أي جعله في الحَبس وأَحبَسه أي عرَّضَه للحَبس ، وقَتله أوقَع به القتل ، وأقتلَه عرَّضه للقتل ، وقَبَره : دفنه في القبر ، وأَقبَره عرَّضه للدَفن في القَبر ، فكذلك حَصَره : حَبَسه، أي أوقع به الحَصْر ، وأَحْصَرَه عرَّضه للحَصْر ...))[٦] .

وتنفرد صيغة(أفَعل) بهذه الدلالة ؛ ذلك أنّ الفعل المجّرد في الغالب يكون متعدياً نحو : حَصَرَ ، وحَبَسَ ، وقَتلَ ، وقَبَر . فإذا زيدت الهمزة لم يؤثّر في عمله ، فبقي على حاله من التعدّي ، ولكنّها تؤثّر في حكم المفعول به ؛ لأنّ الحدث مع المجرّد مُتحقّق الوقوع على المفعول

[٦] ليس في كلام العرب : إبن خالويه٢٥ ، وينظر مقدمة(فعلت وأفعلت)٦٢ .
[١] ينظر الفروق في اللغة ١٥، والمخصّص ١٧١/١٤/٤ ، والمزهر ٣٨٤/١ .
[٢] ينظر فقه اللغة (وافي) ١٨٦ ، ومقدمة (فعلت وأفعلت) ٦٣ .
[٣] التبيان ٥٧/٤ ، وينظر ٨٤/٧ .
[٤] الفروق في اللغة ٢٨٥ .
[٥] التبيان ١٥٥/٢ .
[٦] التبيان ١٥٦/٢ ، وينظر شمت وأشمت ٥٤٩/٤ ، ولحد وألحد ٣٩/٥ .

به ، فإذا دخلت الهمزة صار مُحتَمل الوقوع[٧] ، فتقول : أَحصَر وأَحبَس وأَقتَلَ وأَقبر أي عرَّض المفعول به لكلّ هذه الأفعال، فربما حدثت وربما لا .

وفرّق كذلك بين طائفة من الأفعال التي بزنة (فَعَلَ) و(أفعل) منها :

مطَر وأَمطَر : فقال : ((كلّ شيء من العذاب يقال: أمطَرتْ ، ومن الرحمة يقال: مَطَرَتْ))[١] وهذا قول أبي عبيدة[٢] وأبي حاتم السجستاني[٣](ت٢٥٥هـ) ، في حين هما متساويان في المعنى لدى ابن قتيبة [٤].

سَقى وأَسْقى : فرّق الطوسي بينهما بناءً على ما يروي عن الكسائي وأبي عبيدة ، إذ قال : ((والفرق بين أَسقينا وسَقينا أنّ معنى أسقيناه جعلنا له شراباً دائماً من نَهر أو لَبن أو غيرهما ، وسقيناه شربة واحدة))[٥] ونقل عن آخرين قولهم : ((سقيته ماء كقوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[٦] وأسقيته : سألتُ الله أن يُسقيه ...))[٧] .

وعن أبي حاتم السجستاني أنّ الفعلين بمعنى واحد إذا أردت سقَي الشفة ،أي لشرب الإنسان . ويقال أسقيتُ الموضعَ والرجل إذا دعوتُ لهما بالسُقيا[٨] ، وقيل: سَقى لشُرب الشفة ، وأسقى للماشية والأرض[٩] .

٢ . **فَعل وفعَّل** : الزيادة الحاصلة في هذه الصيغة هي بتضعيف عين الفعل ومعناه في التحليل الصوتي تطويل مدّة النطق بها من مخرجها ، وكأنّها تنطق مرتين من موضعها[١٠] .

وقد أشار اللغويون إلى دلالات (فعّل)، وفيها التكثير والصيرورة والسلب والنسبة وغيرها ، وأشار الطوسي إلى طائفة منها وهو يفسّر كلام الله العزيز ، إذ فرّق بين طائفة من الأفعال منّبهاً على دلالة التضعيف فيها ، ومن هذه الدلالات :

---

(٧) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ١٢٢ .
(١) التبيان ١١٢/٥ .
(٢) مجاز القرآن ٢٤٥/١ .
(٣) فعلت وأفعلت ١١٣ .
(٤) أدب الكاتب ٣٣٤ .
(٥) التبيان ٣٩٩/٦ ، وينظر :معاني القرآن للكسائي١٧٩ ،ومجاز القرآن ٣٤٩/٢ ـ ٣٥٠ ،
(٦) الدهر :٢١ .
(٧) التبيان ٣٩٩/٦ ، وينظر مدّ وأمدّ ٦٥/٥ .
(٨) فعلت وأفعلت ١٦٦ ـ ١٦٧ .
(٩) ينظر بصائر ذوي التمييز:الفيروز آبادي ٢٣١ ـ ٢٣٢ ولسان العرب (سقى) ٣٩١/١٤ ـ ٣٩٢ .
(١٠) المنهج الصوتي للبنية العربية ٧١ .

١. **التكثير** : إذ فرّق بين (فتح وفتّح) ، فقال : ((من ثقّل أراد التكثير ، ومن خفّف أراد الفعل مرة واحدة))[11]. وفرّق أيضاً بين (قتل وقتّل)، فقال: ((ومن ثقّل ذهب إلى التكثير، ومن خفّف فلاحتماله التكثير والتقليل))[12].فالتكثير هو الدلالة المستوحاة من صيغة (فعَّل) بلا خلاف[13] .

٢ . **النسبة** : أي نسبة الفعل إلى المفعول به ، في نحو : صدّق وكذّب وقدّر، أي نسبَ الصدق والكذب، والتقدير للمفعول به ، وفي ذلك يقول الطوسي في تفسير (كذّبوه)و (صدّقوه) :((معناه أنّهم نسبوا خبَره إلى الكذِب ؛ لأنّ التكذيب نسبة الخبر إلى الكِذب ،والتصديق نسبة الخبر إلى الصِدق ، وهذا مما يختلف فيه معنى (فعَّل وفعَل))) [1] .

ومثل هذه الإشارات الدلالية كثيرة في تفسيره[2].

٣ . **أفعَلَ وفعَّلَ** : هذان فعلان مَزيدان ، أحدهما بالهمزة والآخر بالتضعيف فرّق بينهما الطوسي تفريقاً دلاليّاً دقيقاً في جملة من المعاني التي يدلاّن عليها ، فقال:((والفرق بين متّعتُ وأمتَعتُ ، أنّ التشديد يدلّ على تكثير الفعل ، وليس كذلك التخفيف)) [3] ثم ذكر خمسة أنواع من الفروق بينهما ، وهي[4] :

١. أن يكونا بمعنىً واحد ، نحو : سمّيتُ وأسميتُ.

٢. أن يكونا على التكثير والتقليل ، نحو: غشّيتُ وأَغشَيتُ ، فالمشدّد دالّ على الكثرة، والمخفّف أو المزيد بالهمزة دالّ على القلّة .

٣. أن يكونا على النقص والزيادة نحو :فرّطتُ بمعنى قصّرتُ ،وأفْرطتُ بمعنى جاوزتُ وأسْرفتُ .

٤. أن يدلّ المشدّد على القيام بالفعل وتولّيه أوتركه نحو : يَخرّبون أي يهدِمون ويدلّ المزيد بالهمزة على ترك الفعل حتى يقَع، ويُخرِبون من أَخرَبَ إذا ترك المكان فخرِب وتهدّم .

٥ـ أن يدلّ كلّ منها على معنىً مستقل عن الآخر نحو : كلّمت، فليس منه أفعلتُ ، وكذلك أجْلَستُ ، فليس منه فعّلتُ .

وزاد على ذلك في موضع آخر دلالة التشديد على المبالغة في نحو : أكملتُ وكمّلتُ[5] .

ومثل هذه التفرقة الدلالية لم تغِبْ عن سابقيه[6] .

---

(11) التبيان ١٣٧/٤ .

(12) التبيان ٥١٢/٤ .

(13) ينظر الكتاب ٦٤/٤ ـ ٦٥ ، وشرح الشافية ٩٢/١ ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه٣٩٣ ـ ٣٩٤ ، وأوزان الفعل ومعانيها: هاشم طه شلاش ٧٤.

(1) التبيان ٤٤٠/٤،وينظر ٢٠٩/٦.

(1) ينظر التبيان: حزن وحزّن ٢٠٥/٧ .

(3) و(4) التبيان ٤٥٧/١ ـ ٤٥٨ .

(5) التبيان ١٢٠/٢ .

(6) ينظر الكتاب ٦٢/٤ ـ ٦٣ ، وأدب الكاتب ٣٥٤ ، ٣٥٦ .

٤ . **فَعلَ وافْتَعلَ** : زيدَ الفعل هنا بحرفين هما الألف والتاء اللذان أفادا المبالغة والإشعار بزيادة تكلّف الفعل والقوّة في أدائه . يقول الطوسي في دلالة (افتعل) : ((اقتَربَ فيه مبالغة أكثر من قُربَ ، كما أن اقتَدَر مبالغة في القُدرة ؛ لأنّ أصل افتعل عداد المعنى بالمبالغة نحو اشتوى إذا اتخّذ شوىً في المبالغة في اتخاذه ، وكذا اتّخذ من أخذ))[١] إذ تفيد كثرة الشواء والأخذ .

وهذه إحدى الدلالات التي نّبه عليها طائفة من علماء العربية القدماء[٢] والمحدثين[٣] ، ومنها المطاوعة والاتخاذ والسلب والطلب وغيرها.

٥ . **فاعَلَ وتفاعَل** :وهما من الأفعال المزيدة التي تشترك فيما بينهما بدلالة المشاركة والتكلّف وغيرها ، قال الطوسي : ((تفاعَلَ مطاوع فاعَلَ ، كما أنّ تفعّلَ مطاوع فعّلَ))[٤] .

والمطاوعة هي ((أن تريد من الشيء أمراً فتبلغه، إمّا بأن يفعل ما تريده إذا كان مما يصحّ منه الفعل ، وإمّا أن يصير إلى مثل حال الفاعل الذي يصحّ منه الفعل ، وإن كان ممّا لا يصحّ من الفعل))[٥] .

و بعبارة أخرى هي دلالة أحد الفعلين على التأثير ودلالة الثاني على قبول الأثر ، بشرط أن يتلاقى الفِعلان اشتقاقاً وأن يكون الفعل عِلاجياً[٦] نحو قاتلتُه فتقاتلَ وشاركتُه فتشاركَ ، وباعدتُه فتباعد ، ومثل هذه الدلالة تُلحظُ في (فَعّلَ) و(تفعّلَ) نحو جمّعتهُ فتجمَّعَ وشجَّعتهُ فتشجَّعَ.وقد زخَرت كتب اللغة والنحو بإشارات لهذه الدلالات من لدن القدماء[٧] والمحدثين[٨] .

ثالثاً: دلالة الحروف الزائدة(المورفيمات) :

وهي الحروف الزائدة التي تدخل على الحروف الأصلية المكّونة للكلمة ، فتعطيها دلالة جديدة . والمورفيم عنصر صرفي يدلّ على المعاني الرابطة بين الحقائق ، ويشكّل ضرورة لا بدّ منها في العمل اللغوي ، فلولاه لما حصل فهم على الإطلاق . فهو : أل التعريف ، والضمير العائد ، والحركات ، وحروف المضارعة ، وغير ذلك ...

---

(١) التبيان ٤٤٢/٩ ، أدب الكاتب ٣٥٢ .
(٢) ينظر الكتاب ٧٣/٤ ـ ٧٤ ، وأدب الكاتب ٣٥٢ ، والمنصف ٥٧/١ ، وشرح الشافية ١٠٨/١ .
(٣) ينظر أبنية الصرف في كتاب سيبويه ٣٩٦ ، وأوزان الفعل ومعانيها ٨٠ ـ ٩٤ والمحيط في أصوات العربية ١٨١ ـ ١٨٢.
(٤) التبيان ٤٧٢/٦ .
(٥) المنصف ٧١/١ .
(٦) ينظر المفصّل٢٨١،وشرح الشافية١٠٨/١،١٠٣ ، والمصطلح الصرفي في العين والكتاب ودقائق التصريف ٣٢٢.
(٧) ينظر الكتاب ٦٦/٤ ، ٦٨ ، والمنصف١/ ٩١-٩٢ ،والمفصل ٣٧٣ ، والشافية ٢٠ ، وشرح ابن عقيل ٢٦٤/٤.
(٨) ينظر أبنية الصرف في كتاب سيبويه ٣٩٧ ، وأوزان الفعل ومعانيها ١٠١ ـ ١٠٣ ، والمحيط في أصوات العربية ١٨٠ ـ ١٨١ .

والمورفيم نوعان : حرٌّ ومُقّيد ، فالحّر جزء الكلمة الذي يمكنه الاستقلال بنفسه مكوناً كلمة ذات معنى ، وأمّا المُقّيد ، فهو الجزء الذي لا يُعطي معناه إلا باتصاله بغيره ،مثل (مسلمون) ،

فمسلم هو المورفيم الحّر ، والواو والنون هو المورفيم المقّيد[1] .

والحروف الزائدة مقّيدة لا تعطي معنى إلا باتصالها بغيرها، وهي على ثلاثة أقسام[2] :

١ . **السوابق أو الصدور (Prefixes):** وهي التي تلحق الأصل في أوله ، وهي حروف المضارعة المجموعة في (أنيت) نحو : أَقرأُ ونَقرأُ وتَقرأُ ويَقرأُ .

٢ . **اللواحق أو الأعجاز (Suffixes)** : وهي التي تلحق الأصل في آخره ، ومنها : تاء التأنيث ، وتاء الخطاب ، وتاء الفاعل ، في نحو : ثمرة ، وقرأتَ وقرأتُ .

٣ . **الأحشاء (Infixes)** : وهي التي تلحق الأصل في وسطه ومنها حروف الزيادة المجموعة في (سألتمونيها)في نحو قارئ ، وقّراء ، واقتدر واستخرج وغير ذلك .

وقد أدرك علماء العربية هذه الزيادات وأشاروا إلى دلالتها في دراساتهم وتفاسيرهم ، ومنهم الطوسي الذي أدرك القيمة الدلالية للمورفيم في العربية وأشار إليه في مواضع كثيرة نوجزها بما يأتي

١. دلالة مورفيم الهمزة في أوّل الفعل :

أشار الطوسي إلى عدّة دلالات تتحقق للفعل المزيد بالهمزة هي :

أ . التعدية : في نحو تبعَ وأتبعَ ، ودخلَ وأدخلَ[3] .

ب . التعريض : أي تعريض المفعول به للحدث ، في نحو : حصَر وأحصَر ، وقتلَ وأقتلَ ، وحبسَ وأحبسَ ، وقبر وأقبرَ [4] .

ت . التضادّ في المعنى :في نحو فَرط وأفرطَ ، فالأول بمعنى جاوز والثاني بمعنى قصَّر [5] ، وكذلك في نحو: أخطأ وخطأ ، فالأول يتعّمد الوقوع في الخطأ ، والثاني واقع في الخطأ عن غير قصد[6] . وكذلك وعَد للخير وأوعَد للشّر[7] ومدَّ لما يُكره وأمدَّ لما يُستحب[8].

---

(1) ينظر محاضرات في اللغة : عبد الرحمن أيوب ٢١٦ ، والدلالة اللغوية عند العرب ١٨٥ ـ ١٨٦ .
(2) ينظر الوجيز في فقه اللغة ٢٨٨ ، وفقه اللغة وخصائص العربية:محمد المبارك ٩٦ ـ ٩٧ ، والمنهج الصوتي للبنية العربية ٤٤ .
(3) التبيان ٥٧/٤ ، ٨٤/٧ .
(4) التبيان ١٥٥/٢ ـ ١٥٦ .
(5) التبيان ٣٦/٧ .
(6) التبيان ١٢٨/٦ .
(7) التبيان ٤٦٣/٤ .
(8) التبيان ٦٥/٥ .

ث . **التفرقة بين الحسي والمعنوي** : قال الطوسي : ((يقال : بَصَرَ يَصُرُ : إذا عَلِمَ وأبصَرَ إبصاراً : إذا رأى))[١] . فالعلم رؤية في القلب يحدث في الفكر من غير حاسة ملموسة : والإبصار رؤية بالعين الحاسة، فجاء مورفيم الهمزة يحاكي الجهد العضلي المبذول مع الفعل الحسي .

(٢) دلالة مورفيم أل التعريف :

وهو من السوابق التي تدخل على الأسماء فتضفي عليها عدّة معانٍ ، وقد أشار الطوسي إلى عدد منها مثل :

أ . **إفادة العموم والشمول** : في مثل قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة :١] فالمعنى كلّ الحمد لله خالصاً [٢] .

ب . **إفادة المدح** :وذلك إذا دخلت على اسم العلم في مثل الوليد واليزيد ، فهي تفيد المَدح[٣] .

(٣) دلالة التضعيف :

وهو من الأحشاء ، إذ به يحدث تضعيف عين الفعل ، فيكتسب الفعل به دلالات ، أشار الطوسي كما سبق القول إلى التكثير في نحو :فتح وفتّح، والنسبة في نحو : كذّب وصدّق[٤] .

(٤) دلالة مورفيم التاء : وهو أنواع ، هي :

أ . **تاء الافتعال** : وهي م الأحشاء ، وقد أشار الطوسي إلى دلالتها على الاقتدار والمبالغة في نحو : قربُ واقترب ، ودلالتها على الاتخاذ في نحو : شوى واشتوى[٥] .

ب . **تاء التأنيث** : وهي من اللواحق المهمة في العربية ، وقد ذكر لها الطوسي دلالات عدة هي : المبالغة ، وتكثير سبب الفعل ، والمفرد من اسم الجنس الجمعي ، والانتقال من الوصفية إلى الاسمية بعد تحقق وقوع الفعل ، والتفرقة بين المعدول من (مفعول) إلى (فعيل) وغير المعدول منه[٦]

ج . **تاء الخطاب** : أشار إلى ذلك الطوسي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ...﴾ [الأنعام :٤٠] وهي من اللواحق المتصلة بآخر الفعل الماضي

---

(١) التبيان ٢٠٣/٧

(٢) التبيان ٣١/١ .

(٣) التبيان ١٩٣/٤ .

(٤) ينظر: ص ٩٥-٩٦من الرسالة .

(٥) ينظر: ص ٩٦-٩٧ من الرسالة.

(٦) ينظر: ص٨٩ -٩٣ من الرسالة .

التي تختلف دلالتها على الخطاب باختلاف حركتها فتقول أرأيتَ للمذكر ، وأرأيتِ للمؤنث[1].

(٥) دلالة مورفيم الألف والتاء :

وهو الملحق بجمع المؤنث السالم ، وقد صرّح الطوسي بدلالته على الجمع لأدنى العدد في نحو معدودة ومعدودات[2] .

(٦) دلالة مورفيم التاء والألف في تفاعل :

فالتاء سابقة والألف حشو ، وقد أشار الطوسي إلى أنّ دخول هذين الحرفين يمنح الفعل الدلالة على المشاركة والمطاوعة[3] .

(٧) دلال مورفيم المضارعة (أ ، ن ، ي ، ت) :

وقد عُني الطوسي بذكر القراءات المختلفة للآية الواحدة ، وذلك باختلاف حرف المضارعة للفعل الواحد ، من ذلك وقوفه عند قوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف : ٤٩] ، إذ قال : ((قرأ حمزة والكسائي بالتاء (تعصِرون) على الخطاب أي : أنتم ، الباقون بالياء على الرجوع إلى الناس))[4] ، فهو مُدركٌ أنّ هذه الحروف وإنْ تساوَت في دَلالتها على الحال أو الاستقبال لكنّها تَحمل قيمة دلاليةّ أخرى ، إذ بموجبها تتحدّد جهة الخطاب أو نوع الفاعل الذي يترتّب عليه المعنى العام للآية.

فا لفعل في العربية يحمل فاعله معه ، ويُشعر به حرف المضارعة الأوّل ، فهو لا يستقل بالدلالة من دون ذات الفاعل ، التي تتّصل بالفعل في تركيبه الأصلي ، فحين يقول قائل :أكتب أو يكتب أو تكتب ،نعرف نوع الفاعل المقصود[7] .

وهناك أمثلة أخرى لوقفات الطوسي عند هذه المورفيمات [8] .

---

(١) التبيان ١٣٢/٤ .

(٢) التبيان ١٧٥/٢ .

(٤) التبيان ٤٧٢/٦ .

(٥) التبيان١٥٠/٦ .

(٧) فلسفة اللغة العربية : عثمان أمين ٣٤ ، وينظر الدلالة اللغوية عند العرب ١٨٧ .

(٨) ينظر التبيان ١٠٦/٦ ، ٢٠٦ ، ٣٥٩ .

(٨) دلالة مورفيم الكاف :

وهو من اللواحق التي تلحق الأسماء والأفعال والحروف ، وقد أشار الطوسي إلى أنّ هذا المورفيم قد يأتي لغرض دلالي خاصّ يفيد به زيادة بيان الخطاب ، أو تنبيه المخاطب ، وذلك في نحو : أَرَأيتكُم(١) .

(٩) دلالة مورفيم الميم في أول الكلمة :

وهو من السوابق ، أشار الطوسي إلى أنّ زيادة الميم في الاسم المشتق من الفعل الثلاثي لها دلالات عدّة ، فمنها المصدر في نحو : هلَكَ يهلُكُ مَهْلَكاً ، واسم الزمان في نحو: مَضرَب أي وقت ضربه ، واسم المكان في نحو: مَدخَل ومَخرَج، أي مكان دُخوله وخُروجه . ويفرّق بين هذه الثلاثة حركة الميم(٢) .

(١٠) دلالة مورفيم الياء : وهو نوعان :

أ **. الحشو** : الذي يلحق وسط الكلمة ويفيد الدَلالة على التصغير ، وقد أشار إليه الطوسي في أكثر من موضع من ذلك قوله : ((أصل الماء مَوْهٌ ، لأنه يُجمع أمواهاً ، ويصغّر مُوَيْه))(٣) . وقد يفرّق بين الألفاظ مُتخّذاً من مُصغّرها حَكَماً في هذه التفرقة ، قال : ((الثُبة عصبة منفردة من (عَصَب) ..وتصغير ثُبة ثبَيَّة ، فأما ثُبة الحوْض ، فهي وَسَطه الذي يثوب إليه الماء ، وهي من ثابَ يثوبُ ؛ لأنّ تصغيرها ثُوَيْبة))(٤) .

ب **. اللاحقة** : وهي التي تلحق آخر الاسم وتفيد الدلالة على النسب في نحو : يهودي ونصراني ، وقد أشار الطوسي إلى أنّ هذه الياء قد تجتمع معها الألف لتدلّ على المبالغة في النسب ، قال في تفسير لفظة (ربّاني) في قوله تعالى : ((كُونُوا رَبَّنِيِّينَ ...)) [آل عمران : ٧٩] ، ((إنّه مضاف إلى عِلْم الربِّ تعالى ، وهو على الدين الذي أمَر به إلا أنّه غُيِّر في الإضافة ، ليدلّ على هذه المعنى ، كما قيل : بَحْراني، وكما قيل للعظيم الرقبة :رَقَباني ، وللعظيم اللحية : لِحْياني ، وكما قيل لصاحب القصب :قَصَباني ، فكذلك صاحب علم الدين الذي أمر به الربّ ربّاني))(٥) ، فالألف والياء زادت في الدلالة على قوّة ورقّي علم هذا المتعلّم ، ومدى تعمُّقه في العلم الذي يتلقّاه وإتقانه له .

(١) التبيان ١٣٢/٤ ـ ١٣٣ ، وينظر المقتضب ٢٧٧/٣ .
(٢) التبيان ٦٤/٧ .
(٣) التبيان ١٠٢/١ .
(٤) التبيان ٢٥٤/٣ .
(٥) التبيان ١١/٣ .

(١١) دلالة مورفيم الواو والتاء :

يلحق هذا المورفيم أواخر الكلمات ويفيد الدلالة على المبالغة ، قال الطوسي : ((إنّ المَلَكوت بـ منزلة المِلك ، غير أنّ هذه اللفظة أبلغ من المِلك ؛ لأنّ الواو والتاء يزادان للمبالغة ...))[١] . فلا زيادة في العربية لغير معنًى . ويُلحظ أنّ هذين الحرفين لا يزادان إلا في الأمور العظيمة في نحو : رَهَبوت وجَبَروت ورَغَبوت وطاغوت[٢] .وقد أشار الى هذه الزيادة الدلالية قبله الزجاج في تفسيره[٣]

فيتبين من كل ذلك أنّ الطوسي قد أدرك الدلالات والقيم الصرفية التي يمتلكها المورفيم في العربية ، وأثره في التراكيب اللغوية .

---

[١] التبيان ١٧٦/٣ .

[٢] ينظر المحتسب٢١٨/٢ ، والدلالة اللغوية عند العرب ١٩٢ .

[٣] معاني القرآن وإعرابه٢٦٥/٢.

الفصل الثاني

العلاقات الدلالية بين الألفاظ

المبحث الأول : الترادف والفروق الدلالية

المبحث الثاني :الاشتراك اللفظي والتضاد

المبحث الثالث : التقابل الدلالي

هناك نقص في

الرسالة

المبحث الثاني

الاشتراك اللفظي والتضاد

(١) الاشتراك اللفظي: (Homonymy)

وهو من الظواهر التي اتّصفت بها اللغة العربية ويُراد به : احتمال اللفظة لمعنيين أو أكثر[١] ، وهو ظاهرة مشتركة بين اللغات الحية ؛ لأنّ ((قدرة الكلمة الواحدة على التعبير عن مدلولات متعدّ دة ، إنّما هي خاصة من الخواصّ الأساسية للكلام الإنساني ، وإنّ نظرة واحدة في أي معجم من المعجمات لتعطينا فكرة عن كثرة ورود هذه الظاهرة))[٢] .

وقد أدرك علماء العربية القدماء هذه الظاهرة ، وأقدم من أشار إليها سيبويه حين ذكرها مع أقسام كلام العرب وسمّاها ((اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين))[٣]، وتتابع ورودها لدى أغلب مَن جاء مِن بعده ، ومنهم أبو زيد الأنصاري[٤] ، والأصمعي[٥] ، وأبو عبيد القاسم بن سلام[٦]، وابن قتيبة الذي خصّه بباب سمّاه: ((باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة))[٧] ، والمبرّد الذي سمّاه :((ما اتفق لفظه واختلف معناه))[٨]،وعلي بن الحسين الهُنّائي المعروف بكُراع النمل[٩] (ت٣١٠هـ) ،وابن فارس الذي حدّها بأنّها ((تسمية الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد))[١٠].

وورد مصطلح المشترك بهذه الدلالة لدى ابن خالويه[١١]، واخوان الصفاء في رسائلهم في القرن الرابع للهجرة[١٢]، وكذلك لدى ابن فارس[١٣]وابن سيده[١٤]، وغيرهم من علماء العربية .

وقد اختلف القدماء في وقوع الاشتراك في اللغة فانقسموا على قسمين :

أحدهما : المثبتون ، وهم أغلب علماء العربية الذين مرّ ذكرهم سالفاً .

والآخر : المنكرون ، وأشهرهم ابن درستويه (ت٣٤٧هـ) الذي ضيّق مفهوم الاشتراك ، وردّ كلّ الوجوه التي تحتملها اللفظة المشتركة إلى معنى واحد ، وجعلها من باب الاستعمال المجازي[١] ،

---

[١] ينظر : الصاحبي ٤٥٦ ، والتعريفات ١١٩ ، والمزهر ١ / ٣٦٩ .
[٢] دور الكلمة في اللغة ١٢٩ .
[٣] الكتاب ١ / ٢٤ .
[٤] النوادر في اللغة ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .
[٥] له كتاب (الأجناس) ذكره السيوطي في المزهر ١ / ٣٧٢ .
[٦] كتاب الأجناس في كلام العرب ، نشر : دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٣ .
[٧] تأويل مشكل القرآن ٤٣٩ .
[٨] ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد .
[٩] المنجِّد في اللغة، وهو أقدم كتاب في المشترك اللفظي،تحقيق:أحمد مختار عمر١٩٧٦م .
[١٠] الصاحبي ٤٥٦
[١١] إعراب ثلاثين سورة من القرآن:ابن خالويه:٢٠ ، وينظر : فقه اللغة العربية ١٤٤ .
[١٢]رسائل أخوان الصفاء وخلاّن الوفاء ١ / ٤٠٠ ـ ٤٠١ ، وينظر : البحث اللغوي عند فخر الدين الرازي ٣٢٣ .
[١٣] الصاحبي ٤٥٦ .
[١٤] المحكم والمحيط الأعظم:ابن سيده ٦ / ٤٢٦ .

وعدّ مجيء اللفظ الواحد للدلالة على معنيين مختلفين أو متضادّين فيه تعمية وتغطية بما يهدم الغرض الأساس للغة وهوالتفاهم(٢) .

ومنهم أيضاً أبو علي الفارسي(٣) الذي نفى أن يكون الاشتراك عن قصد في الَوضع ، وعدّه من باب تداخل اللهجات . وهو رأي أبي البقاء العكبري(٤)(ت٦١٦هـ) أيضاً الذي ذهب إلى أنّ الاشتراك خلاف الأصل ؛ لأنّه يُخِلّ بالتفاهم .

ونُسب إلى ثعلب إنكار الاشتراك ،إلاّ أنّ من المحدثين َمن ردَّ ذلك مستدّلاً بنصوص لغوية وردت في شرح ثعلب لديوان زهير بن أبي سلمى ذَكر فيها معانيّ عدة للفظ واحد ، مثل الدين والَمولى(٥).وهذا ما يدعو إلى نفي القول بإنكاره للاشتراك والترادف كما ذكرنا سالفاً .

وقد عُني الأصوليون أيضاً بالاشتراك ، وعرّفوه بأّنه : ((اللفظ الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة))(٦). ولكنّهم اختلفوا مع اللغويين حول أصل المشترك ، إذ قالوا : بأّنه موضوع في الأصل للدلالة على معنيين مختلفين أو أكثر سواء أواحداً كان الواضع أم متعدّداً ، بقصدٍ أم بغير قصد(٧).

وأنكر اللغويون(٨)هذا الرأي ، ونظروا إلى الظاهرة بما يقرب من الموضوعية والنظرة العلمية الدقيقة ، إذ من غير الممكن أن يضع الواضع لفظاً واحداً لمعنيين مختلفين ؛ لأنّ اللغة في الأصل وُضِعَت للإفهام وإزالة الإبهام ،وهذا لا يتحقق بوجود المشترك َوضْعاً وأصلاً ؛لأّنه خلاف وظيفة اللغة ، ولذا ترّجح نشأته عند الاستعمال اللغوي(٩) .

والواقع اللغوي يوجبُ عدم إنكار رأي الأصوليين من دون الإفادة من بعض جوانبه ، فهو يفسّر وجود طائفة من الألفاظ المشتركة ، التي ليس بين معانيها علاقة مثل معاني لفظة (الخال) ، فما العلاقة بين أخي الأُم ،وبين الشامة التي في الخدّ ؟وهذا لايفسّره إلاّ تعدّد الوضع، بصَرف النظر عن أسباب هذا التعدّد ، وهل هو في لهجة واحدة أم في أكثر ؟ ولذا فمن الأجدر أن يؤخَذ برأي اللغويين والأصوليين معاً في تفسير الألفاظ المشتركة ، إذ تصدق نظرية الَوضْع الواحد على

(١) تصحيح الفصيح :ابن درستويه ١ / ٢٤٠ ، وينظر : المزهر ١ / ٣٨٤ .
(٢) المصدر نفسه ١ / ١٦٦ ـ ١٦٧ .
(٣) المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات٥٣٤ .
(٤) التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين:أبو البقاء العكبري ١١٨ ، وينظر : البحث اللغوي عند فخر الدين الرازي ٣٢٤ .
(٥) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ٢٥٣ ، ٣٤٩ ، وينظر : البحث اللغوي عند فخر الدين الرازي ٣٢٤ .
(٦) المزهر ١ / ٣٦٩ .
(٧) ينظر : تهافت الفلاسفة، المسمّى :معيار العلم :أبو حامد الغزالي ٨١ ـ ٨٢ ، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: الشوكاني ١٩ .
(٨) ينظر:تصحيح الفصيح ١ / ١٦٥-١٦٦ ،والمخصّص٤/ ٢٥٩/١٣.
(٩) الأصول :دراسة أبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: تمام حسّان ٣٣٥ .

كثير من الألفاظ المشتركة التي ترتبط معانيها بصلة وثيقة ، على حين تصدق نظرية الوضع المتعدّد على القسم الآخر من الألفاظ المشتركة التي ليس بين معانيها أية علاقة[١] .

ويفسّر القدماء وقوع المشترك بتعدّد اللهجات ، وذلك ((بأن يضع أحدهم لفظاً لمعنًى ثّم يضعه الآخر لمعنًى آخر، ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادة المعنيين))[٢]، وقد أقّر ابن درستويه . الذي أنكر الاشتراك . بمجيء النادر منه بسبب اختلاف اللهجات[٣] .

واختلف المحدثون أيضاً في حقيقة الاشتراك اللفظي ، فقد حصَرَ (فندريس) وجوده في لغة التخاطب فقط[٤]، وأّيده د.رمضان عبد التواب مؤكّداً ألاّ وجود له إلاّ في معجمات اللغات ؛ أّما في الاستعمال اللغوي فلا وجود إلاّ لمعنى واحد من معاني هذا المشترك اللفظي[٥].

وعُني المحدثون بالعلاقة بين الُمشترك والَمجاز ، فقد أثار هذه القضية القدماء ، وأّولهم ابن د رستويه الذي فّرق بين الُمشترك والَمجاز ، واشترط في الأّول أن لا تكون بين معانيه علاقة أو أية صلة ، وما كان منه على ذلك فهو َمجاز ويجب إخراجه من الُمشترك[٦].

وأّيده من المحدثين د. ابراهيم أنيس ، وأكّد أّن الُمشترك اللفظي الحقيقي هو الذي تنعدم فيه الصلة بين معانيه المتعددة . وهو يعزو الخلاف بين القدماء في هذه الظاهرة إلى اختلاف منهج كلّ منهم ، فالذين جعلوا المشترك من باب الحقيقة والمجاز اعتمدوا المنهج التاريخي ، إذ تتبّعوا اللفظة في عصورها المختلفة، أّما الآخرون فقد اعتمدوا المنهج الوصفي الواقعي ، إذ دَرسوا اللفظة في عصرهم الذي يعيشونه[٧].

وبناًء على ذلك فقد عدّ بعض المعاصرين[٨]المعاني المجازية للفظ المشترك وجوهاً ، والوجوه هي ما يتصرّف إليه اللفظ الواحد من معانٍ عدّة يعّبرعنها بألفاظها أو بغيرها ، فإذا أُصّلَتْ رَجعتْ إلى معناها الأصلي . ولذ ا فإّن أغلب الألفاظ التي وردت في كتب القدماء ليست من الُمشترك، إلاّ ما لم تكن بين معانيه أية صلة ، وأّما سائر الألفاظ التي تتصل معانيها وترجع إلى أصل واحد تفّرعت عنه ،فهي تدخل في علم الوجوه والنظائر .

---

(١) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم (الجبوري)٦٩ ـ ٧٠ .
(٢) المزهر ١ / ٣٦٩ .
(٣) تصحيح الفصيح١/١٦٥ ـ١٦٦ ،وينظر :المزهر ١ / ٣٨٥ .
(٤) اللغة : فندريس ٢٢٨ .
(٥) فصول في فقه العربية ٣٣٤ .
(٦) تصحيح الفصيح١/٣٦٤ .
(٧) اللهجات العربية : ابراهيم أنيس ١٤١، وينظر : أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ٢٤٦ .
(٨) د. عبد الرحمن الجبوري : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ٧٢ ـ ٧٣ .

ويقسّم (جون لاينز) المُشترك على قسمين : المُطلق ، والجزئي ، ويَشترط في الأَّول أن لا تكون صيغه ذات صلة بعضها ببعض في المعنى ، وأن تكون جميعها حالات لنمط واحد ، وأن تكون متكافئة نحوياً ، فلا تكون بعضها أفعالاً وبعضها الآخر أسماءً[1] .

كيفية تحديد المعنى الدقيق للفظ المشترك ؟

اختلف العلماء في تحديد المعنى المراد من بين المعاني المتعدّدة للفظ المشترك فيرى بعضهم أنّ اللفظ دالّ على جميع معانيه ما لم تكن هناك قرينة مانعة من ذلك ، ويرى آخرون أنّه يدلّ على واحد من تلك المعاني .

والواقع اللغوي يؤكّد أنّه لابدّ أن يكون للفظ المشترك ((في كلّ مقامٍ ومقالٍ معنى واحد من بين سائر معانيه يدلّ عليه ، ويختلف هذا المعنى بحسب الاستعمالات المتعدّدة لذلك اللفظ))[2] ؛ لأنّ المتكلّم يريد معنًى واحداً من تلك المعاني وليس جميعها . والعامل الأساس في تحديد هذا المعنى هو السياق أولاً والقرينة ثانياً ، فالاستعمال اللغوي كفيل بإبراز المعنى المقصود .

وقد نبّه القدماء على ذلك ، إذ أعطى المبرّد أهمية بالغة للسياق في تحديد المعنى المراد من اللفظ المشترك في القرآن الكريم[3]، وكذلك ابن قتيبة الذي قال متسائلاً : ((هل يختلف العرب في الاسم الذي يحتمل معنيين فتظنّ واحداً أحد المعنيين، ويظنّ آخر المعنى الآخر))[4] ، ثّم أجاب بأّنه ((قد يقع هذا في جميع الحروف ذوات الوجوه ، وإنّما يستدّل على معانيها بما يتقدّم قبلها من الكلام ويتأخّر))[5] ، مشيراً بذلك إلى القرائن السياقية المكتنفة للفظ المراد تفسيره أي المحيطة به من قبل ومن بعد .وأشار إلى ذلك في كتبه المختلفة أيضاً[6] .

وأيّد المحدثون ذلك ، فقد أشار (ستيفن أولمان) إلى أنّ ((كثيراً من كلماتنا له أكثر من معنى ، غير أنّ المألوف هو استعمال معنى واحد فقط من هذه المعاني في السياق المعينّ[7]، ولذا فهو يُسّمي السياق صمّام الأمان ؛ لأّنه المُتحكّم في فَهم المشترك اللفظي[8].

فالسياق يُرشّح المعنى المُراد من المُشترك ،ويفسّره بوضوح لأبناء البيئة اللغوية الواحدة ، فيُستعمل في لغة التخاطب من دون لَبس أو غموض ، وهذا يعني أنّ للفظ المشترك معاني عدّة

---

[1] اللغة والمعنى والسياق ٤٦ .
[2] فقه اللغة العربية ١٤٣ .
[3] ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد ٨ .
[4] و[5] المسائل والأجوبة: ابن قتيبة ٢٤٠ ، وينظر المباحث اللغوية والصرفية عند ابن قتيبة:رافع عبدالله مالو ١١٢ .
[6] تأويل مشكل القرآن ٤٥٥ ، وينظر : فقه اللغة العربية ١٤٣ ـ ١٤٤ .
[7] دور الكلمة في اللغة ١٢٧ ـ ١٢٨ ، ١٤١.
[8] المصدر نفسه ١٤١ .

تتنوع بتنّوع السياق ، وهي جميعاً تخدم هذه اللغة الكريمة وتمنحها سعة في التعبير ونمّواً دلالياً مميّزاً [١] .

وكان موضوع وقوع الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم موضع خلاف بين القدماء والمحدثين على حدٍّ سواء، فقد أنكر بعضهم وجوده بحجّة ((أنّ المشترك إن كان المقصود منه الإفهام ، فإن وجد معه البيان فهو تطويل من غير فائدة ، وإن لم يوجد فقد فات المقصود ، وإن لم يكن المقصود منه الإفهام فهو عبث ، وهو قبيح فوجب صيانة كلام الله منه))[٢] .

ولكنّ أغلب علماء العربية القدماء والمحدثين يقولون بوقوع الاشتراك في القرآن الكريم ، وكتب الوجوه والنظائر تشهد بذلك[٣] ؛ لأنّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى طرائقهم في التعبير . وقد عدّ السيوطي[٤] الألفاظ القرآنية المشتركة جانباً من جوانب الإعجاز القرآني بل هي . في رأيه . من أعظم إعجازه ((حيث كانت الكلمة والواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل ولا يوجد ذلك في كلام البشر)) [٥] .

وإنّما تحقق هذا الفيض الدلالي في اللفظة القرآنية لامتلاكها كثافة دلالية عالية وبُعداً عميقاً في المدلول ، الأمر الذي منح اللغة العربية حياةً مستديمةً وقوّةً استيعابية وقدرة على التجدّد لا تنقطع . وفي ذلك يقول د. عبد الصبور شاهين : ((أما شأن القرآن فعجيب ، إذ هو يخرج تماماً عند حدود هـ ذه القاعدة بحيث تتّسع ألفاظه للمعاني المُحدَثة في حالات كثيرة ، ولا سيّما ألفاظ المفاتيح التي تتصّل بمعاني الصفات الإلهية والغيب والعلم والإلهي ...))[٦] .

رأي الطوسي :

أقّر الشيخ بوقوع المشترك اللفظي في اللغة والقرآن الكريم[٧] ، وعدّه النوع الرابع من أنواع المعنى في القرآن الكريم التي شرحها في مقدمة تفسيره ، وجعل منها ((ما كان اللفظ مشتركاً بين معنيين فما زاد عنهما ويمكن أن يكون كلّ واحد منهما مُراداً ، فإنّه لا ينبغي أن يقدّم أحدٌ به فيقول : إنّ مُراد الله فيه بعض ما يَحتمِل ، إلاّ بقول نبّي أو إمام معصوم ، بل ينبغي أن يقول : إنّ الظاهر يحتمِل الأمور وكلّ واحد يجوز أن يكون مُراداً ، والله أعلم بما أراد ، ومتى كان اللفظ مشتركاً

---

[١] ينظر :اللغة٢٢٨،ودراسات في فقه اللغة ٣٠٨،ودور الكلمة في اللغة ١٤١،وفقه اللغة العربية١٤٣ـ١٤٥ .
[٢] الإحكام في أصول الأحكام:الآمدي٢٨/١ ، وينظر :الاشتراك والترادف في القرآن الكريم: محمد تقي الحكيم٨٠(بحث).
[٣] ينظر الوجوه والنظائر في القرآن الكريم (الجبوري) ٧٠ - ٧١ .
[٤] معترك الأقران في إعجاز القرآن:السيوطي ٣٧/١ .
[٥] البرهان في علوم القرآن ١٠٢/١ .
[٦] نظرة جديدة في دلالة الكلمة القرآنية:عبد الصبور شاهين٦٦ (بحث) .
[٧] ينظر: منهج الطوسي ٢٨٧ـ ٢٨٨،والبحث اللغوي والنحوي في تفسير التبيان ١٣٥ـ١٣٦.

بين شيئين وما زاد عنهما ، ودلّ الدليل على أّنه لا يجوز أن يريد إلا وجهاً واحداً جاز أن ُيقال إّنه الُمراد))[١]، وفي كلامه إشارة إلى أثر القرينة في تحديد المعنى المراد .

وقد ورد مصطلح(المشترك) في تفسيره في أكثر من موضع ، وتعدّدت صور تعامله مع هذه الظاهرة ، ولتوضيح ذلك نتابع وقفاته الدلالية فيما هو آتٍ ، وذلك :

١. يقف الطوسي عند اللفظ المشترك ويذكر معانيه المتعدّدة متوخياً الدّقة في ذكر تلك المعاني ،حريصاً على الاستشهاد بما يمكن من الشواهد القرآنية وكلام العرب وشعرهم القديم. ومن أمثلة ذلك وقوفه عند لفظ (الَمْولى) في قوله تعالى : ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ [النساء : ٣٣] إذ فسّره وذكر أّنه على وجوه : ((فالَمْولى الُمعتِق ، والَمْولى الُمعتَق ، والَمْولى الُعْصبة ، والَمـ ْولى ابن الَعّم ، والَمْولى الَحليف ، والَمْولى الوَلّي ، والَمولى الأْولى بالشيء والأَحقّ ، فالُمعتِق مولي النعمة بالِعتق ، والُمعتَق لأّنه َمْولى النعمة ، والَمْولى الَورثة ، لأّنهم أولى بالميراث ، والَمْولى الَحليف لأّنه يلي الُمحاف أمَره بعقد اليمين ، والَمْولى ابن العّم لأّنه يلي الُصْرة ، وفي التنزيل : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾[٢] أي: لا ناصَر لـ هم ، وهو ناصُر المؤمنين ، والَمْولى السّيد ، لأّنه أْولى بمن َيسوده ، قال الأخطل[٣] :

فأْصَبحَت َمولاها مِن النّاسِ ُكلُّهم وأْحَرى قُرْيش أْن تُهابَ وتُحَمدا))[٤]

وبعد ذكر كلّ الوجوه التي يحملها لفظ (الَمْولى) عاد ليذكر الوجه الذي يفرضه السياق وهو أّن الَموالي هم الُعْصبة ، ورجّح قول السدّي[٥](ت١٢٧هـ) بأّنهم الَورثة ، وقّدر الكلام : ولكلٍّ جعلنا َورثة مّما ترك الوالدان والأقربون[٦].وقال بهذا التأويل الطبري[٧]،والطبرسي[٨] وابن الجوزي[١](ت٥٩٧هـ) ، والقرطبي[٢] ، وهو يبدو أقرب المعاني وأكثرها انسجاماً مع النص .

٢٨٧ـ ٢٨٨،والبحث اللغوي والنحوي في تفسيرالتبيان ١٣٥ـ١٣٦.
لتبيان ١٣٥ـ١٣٦.

١٣٥ ـ ١٣٨
(٢) التبيان : ٦/١ .
(٣) محمد:١١.
أن يهاب ويحمدا .
[١] التبيان ٦/١ .
[٢] محمد :١١ .
[٣] ينظر: ديوان الأخطل ٩٥ ، وروايته : أن يُهابَ ويُحمدا .
[٤] التبيان ١٨٦/٣ ـ ١٨٧ .
[٥] وهو اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الهاشمي أحد التابعين روى عن ابن عباس وآخرين . ينظر : طبقات

ونجده في موضع آخر يفسر لفظ (المَوْلى) بالناصر[3] ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[الأنفال:٤٠] وهو ما قال به أيضاً الطبري[4] وأبو جعفر النحاس[5](ت٣٣٨هـ) والواحدي[6](ت ٤٦٨هـ) والطبرسي[7] وابن الجوزي[8] فقد جمعت الآية بين الناصر والنصير للمبالغة في نُصرة الله للمؤمنين .

وذكر ابن قتيبة لهذا اللفظ خمس دلالات واحتجّ لها بشواهد من القرآن والحديث[9] ، على حين ذكر له أبو بكربن الأنباري(ت٣٢٨هـ) عشر دلالات[10] .

وكان الطوسي في عرضه لهذه الوجوه أو المعاني حريصاً على الربط بين دلالتها وبين دلالة الأصل اللغوي لها ، فمن ذلك قوله : ((أصل المَوالي من وَلِي الشيء يليه وِلاية ،وهو: الاتصال للشيء بالشيء من غير فاصل))[11] ، ولهذا فهو يسعى لتفسير كل وجه من الوجوه بما يقارب هذه الدلالة الأصلية لتكون جميعها متصلة بعضها ببعض ، وذلك حين قال : ((المَوْلى من فوق لأنّه يلي أمَر العَبد بسدِّ الخلّة ، وما به إليه الحاجة ، ومنهُ المَوْلى من أسفل لأنه يلي أمَر المالك بالطاعة ، والمَوْلى ابن العّم لأنّه يلي أمَره بالُنصرة))[12] ، والمَولى من فوق هو السيِّد ومن أسفل هو العَبد .

ولم يقتصر منهج الطوسي على الألفاظ المشتركة فحسب ، بل هو منهج عام اتّبعه في شرحه لجميع الألفاظ سواء أكان منها مترادفاً أم مشتركاً أم متبايناً ، إذ هو يسعى دوماً لتوثيق القرابة اللغوية بين جذور الألفاظ . ويمكن أننستشف من منهجه هذا أنه لم يكن يفرّق بين الاشتراك الحقيقي والاشتراك المجازي ، فهي جميعاً لديه تدخل في باب الاشتراك ، وهو ما قال به

المفسرين للداودي ١ / ١٠٩ .
(٦) التبيان ٣ / ١٨٦ .
(٧) جامع البيان : ٥/٥٠ .
(٨) مجمع البيان : ٤١/٢ .
(١) زاد المسير في علم التفسير :ابن الجوزي ٧١/٢ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٦٦/٥ ـ ١٦٧ .
(٣) التبيان ١٢١/٥ ـ ١٢٢ .
(٤) جامع البيان : ٢٥٠/٩ .
(٥) معاني القرآن الكريم ٣ / ١٥٥ .
(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٧٤٢/٢
(٧) مجمع البيان ٥٤٢/٢ .
(٨) زاد المسير : ٣٥٨/٣ .
(٩) تأويل مشكل القرآن : ٤٥٥ ـ ٤٥٦ ، وينظر فقه اللغة العربية ١٤٣ .
(١٠) الزاهر ٢٢١/١ ،وينظر فقه اللغة العربية ١٤٣ .
(١١) و(١٢) التبيان : ٣/ ١٨٦.

أغلب علماء العربية خلافاً لابن درستويه وطائفة من المحدثين الذي أخرجوا المَجاز من معاني الألفاظ المشتركة .

ووقف الطوسي عند ألفاظ مشتركة أخرى متّبعاً هذا الأسلوب في التحليل من أمثال : الحدّ[١] ، والحَصر[٢] ، والسَلام[٣] ، والظُلم[٤] ، والعَين[٥] ، فحينما وقف عند قوله تعالى : ﴿فَانفَجَرَتْ مِنهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾[البقرة:٦٠] قال ((والعين من الأسماء المشتركة ، العين في الماءُ مشّبه بالعين من الحيوان ، يخرُج الماء منها كخروج الدمع من عين الحيوان))[٦] . وقد سبقه إلى القول باشتراك هذا اللفظ المبرِّد[٧] وابن فارس[٨] والثعالبي[٩] ، وأورده بعده الطبرسي[١٠] ،والقرطبي [١١]بالدلالة نفسها .

وقد يذكر المعاني المشتركة للفظ من دون أن يربط دلالته بأصله اللغوي ، بل يكتفي بذكر تلك المعاني مع ترجيح الوجه المحتَمل فيها ، ومن ذلك تفسيره لفظ (الجَواري) في قوله تعالى : ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير :١٦] قال : ((معناه النجوم التي تجري في مسيرها ثّم تغيب في مغاربِها على ما دّبر تعالى فيها ، ففي طلوعها ، ثّم جريها في مسيرِها ، ثّم غيبتِها في مواقعِها من الآية العظيمة والدلالة الباهرة المؤّية إلى معرفته تعالى ما لا يخفى على متأّملٍ معرفته وعظيم شأنه . فالجارية : النجوم السيارة ، والجارية السفن في البحار ، والجارية المرأة الشابة))[١٢] وقد قال بهذا التأويل ابن عباس نقلاً عن الإمام علي (عليه السلام)[١٣] ، وهو ما اتفق عليه المفّسرون اللغويون عامة[١٤] .

٢. يذكر الطوسي أحياناً المعاني المشتركة للفظ المشترك من غير ترجيح أحدها على الآخر ، إذ يجيزها جميعاً إذا كان لها ما يسندها في اللغة ويوثّقها من القرآن، فمن ذلك تفسيره لفظ (العَرِم)

---

(١) التبيان ١٣٦/٢ .
(٢) و(٣) التبيان ١٦٥/٢ .
(٤) التبيان ٢٠٠/٣ .
(٥) و(٦) التبيان ٢٩٦/١ .
(٧) مااتفق لفظه واختلف معناه ٣ .
(٨) الصاحبي ١١٤ .
(٩) فقه اللغة وسر العربية ٥٦٢ .
(١٠) مجمع البيان .
(١١) الجامع لأحكام القرآن٤٢٠/١ .
(١٢) التبيان ٢٨٥/١٠ .
(١٣) التبيان في أقسام القرآن:ابن قيم الجوزية ٧٢/١ .
(١٤) تفسير مجاهد ٧٣٤/٢ ، وجامع البيان ٧٤/٣٠ ، ومجمع البيان ٤٤٥/٥ ،وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧٠/٤ ،ولسان العرب (جرى) ١٤١/١٤، وإرشاد العقل السليم ١١٨/٩.

في قوله تعالى : ﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ﴾ [سبأ : ١٦] ، إذ بيّن أنّ: (العَرِم :ماءٌ كثير أرسله الله في السدّ فنشقّه وهدمه ، قال الراجز :

أقبلَ سَيلٌ جاءَ مِنْ أمرِ الله يَحرُدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغلّة[1]

وقيل : إنّ العَرِم المُسَنّاة التي تحبِس الماء ، واحدها عَرِمَة ، وهو مأخوذ من عَرامَة الماء ، وهو ذهابه كلّ مذهب ... وقيل : العَرِم السِكْر ، وقيل : المَطر الشديد ، وقيل : هو اسم وادٍ ، وقيل هو الجُرْذ الذي نَقَبَ السِكْر ...))[2] .

و(العَرِم) في أصل اللغة : هو الشِدّة والحِدّة[3] ، وواضح أنّ المعاني التي ذكرها الطوسي جميعها تتصف بهاتين الصفتين ، إذ ترتبط بالمعنى الأصلي للفظ . وقد أنكر ابن فارس تسمية الجُرذ بالعَرِم وعدّه ((مما لا معنى له ولا يُعرَّج على مثله))[4] ، ولكن يبدو أنّ تسمية الجُرْذ بهذا الاسم جاءت على سبيل وصفه بالشدّة والشراسة ، ولا سيّما أنّ (العَرِم) اختصّ بالجُرذ الذكر، يؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس في تفسيره بأنّ (العَرِم) : الشديد[5] .

وعلّل الثعالبي إضافة السَّيل إليها ، بقوله ((... فكأنّه صفة للسَّيل ،والإضافة إلى الصفة مبالغة ، وهي كثيرة في كلام العرب))[6] .

٣. ومهما كان المعنى واضحاً ، فإنّ الشيخ لا يُهمِل ذكر المعاني الأخرى ، بل نجده يستقصيها ويستشهد لها ، ومن ذلك أيضاً وقوفه عند قوله تعالى : ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾[المائدة : ١٦] فقد فسّر لفظ (النّفس) بالغّيب، والمعنى : ((وتعلَمُ غَيبي ولا أعلُم غيبك؛ لأنّ ما في نفس عيسى وما في قلبه ،هو ما يغّيبه عن الخَلْق وإنّما يعلمه الله ويقوّي هذا التأويل قوله:﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [7] ؛لأنه...إنّما يعلم ما في نفس عيسى لأنّه علاّم الغيوب ، وعيسى ليس كذلك ، فلذلك لم يعلَم ما يختصّ الله بعلمه))[8] . وقال بهذا التأويل ابن الأنباري[9](٣٢٨هـ) وابن كثير[10](ت٧٧٤هـ) والقرطبي[11] .

---

[1] البيت في لسان العرب: (عرم) ٥٠٤/١١ .
[2] التبيان : ٣٨٧/٨ .
[3] مقاييس اللغة (عرم) : ٢٩٢/٤ ، وأساس البلاغة (عرم) : ٤١٧ .
[4] مقاييس اللغة ٢٩٣/٤ .
[5] تفسير مجاهد ٧٣٤/٢ .
[6] جواهر الحسان ٢٤٤/٣ .
[7] المائدة : ١٠٩ .
[8] التبيان ٦٧/٤ ـ ٦٨ .
[9] الزاهر ١٢٠/١ .
[10] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢١/٢
[11] الجامع لأحكام القرآن ٣٧٦/٦ .

ثم عرّج على ذكر المعاني المشتركة لهذا اللفظ فقال : ((والنفس في اللغة على ضروب : أحدُها نفس الإنسان التي بها حياته ، يقولون: خرجَتْ نفسُه أي روحه...وثانيها:أن نفس الشيء ذات الشيء ،يقولون:قتل فلان نفسه أي: ذاته،وعلى هذا حُمِل قوله : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[١] أي: ذاته ،وقيل :عذابه ، والنفس: الهمّ بالشيء كما يُحكَى أنّ سائلاً سأل الحسن،فقال : إنّ لي نَفْسين أحدهما :تقول لي حجّ ، والآخر: تزّوج ، فقال الحسن : النفس واحدة ، وإنّما لك همّان همّ بكذا وهّم بكذا ، والنفس : الأنفة ... والنفس الإرادة ...والنفس أيضاً العين التي تصيب الإنسان يقال أصابت فلاناً نفس أي: عين ، ومنه قوله .صلى الله عليه وآله سلم . في رُقيا : **(بسم الله أُرقيك والله يُشفيك من كلّ عاهةٍ فيك ،من كلّ عين عاين ونفس نافس وحسد حاسد)**[٢] ...))[٣].

ولم تذكر بعض المعجمات[٤] هذه المعاني غير أنّ ابن منظور ذكر عدداً منها[٥] ، وقال بها أيضاً من المفسرين الزجّاج[٦] والراغب الأصفهاني[٧] .

٤. يراعي صاحب التبيان في تحديده دلالة الألفاظ المشتركة القرائن النحوية المحيطة بذلك اللفظ ، ويستعين بها في اختيار المعنى الصحيح ، فمن ذلك تفسيره لفظ (ربّ) تبعاً للقرينة النحوية حين وقف عند قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة : ١]مبتدئاً تحليله بالشرح اللغوي ، إذ قال : ((وأمّا الربُّ ، فلهُ معانٍ في اللغة ، فيُسمى السيِّد المُطاع ربّاً . قال لبيد بن ربيعة :

فأَهْلَكْنَ يوماً ربَّ كِنْدَةَ وابْنَه وربَّ معدٍ بيْنَ خَبْتٍ وعَرْعَرِ[٨]

يعني سيِّد كِندة ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً ...﴾[يوسف : ٤١]، يعني سيِّده ... والمالك للشيء يُسمى ربَّه ...))[٩] .

ثم يقّيد دلالته في السياق بما يضاف إليه فيقال : ربّ الدار وربّ الضيعة أي: مالك الدار ومالك الضيعة ، على حين خصّ دلالته على الخالق عزَّ وجلّ بطريقين :

---

[١] آل عمران : ٢٨ ـ ٣٠ .
[٢] صحيح مسلم:باب الطب والمرض والرقى١٧١٨/٤ ، وسنن الترمذي : باب ماجاء في التعويذ للمريض٣٠٣/٣ .
[٣] التبيان ٦٤/٨ .
[٤] ينظر(نفس) : مقاييس اللغة ٤٦٠/٥ ، وأساس البلاغة ٦٤٧ .
[٥] لسان العرب(نفس) ٢٣٤/٦ .
[٦] معاني القرآن وإعرابه : ٢٢٢/٢ ـ ٢٢٣ .
[٧] معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٥٢٢ـ ٥٢٣ .
[٨] ديوان لبيد بن ربيعة : ٥٥ وروايته :لو أهلكت .
[٩] التبيان ٣١/١ ـ ٣٢ .

أولها : حين يكون مطلقاً ، قال : ((ولا يطلق هذا الاسم إلا على الله))[1] أي حين يكون غير مضاف فتقول :ربّ .

الآخر:حين يكون صفة،قال: ((ولا يصحّ الصفة به على الإطلاق إلا لله تعالى))[2]،وقال بهذا الرأي أيضاً الراغب الأصفهاني[3]واحتجّ لذلك بقوله تعالى:﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[سبأ : ١٥]

وقد أشار طائفة من القدماء إلى تخصيص دلالة هذا اللفظ ، وقد نّبه ابن قتيبة على أنّه إذا ورد معرفاً بأل فالمقصود به الباري سبحانه وتعالى ولا غير[4] ، أما إذا أضيف تحدّد معناه بحسب ما يضاف إليه . وهو رأي ابن خالويه[5] ، والطبرسي[6] .

وعدّ أبو هلال العسكري الوصف بـ(ربّ) أكثر دلالة على التفخيم والتعظيم من الوصف بـ(مالك) ؛ لأنّ الأوّل فيه دلالة على تحقيق القُدرة على تَدبير ما مَلَكَ ، فيتضمّن معنى المُلك والتدبير ، فلا يكون الربّ إلا مُطاعاً ، ومنه قوله تعالى : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[التوبة:٣١] ، أي سادةً يُطيعونهم . أمّا الوَصف بـ(مالك) فيقتضي القوّة على تصريف ما مَلكَ ليس غير[7].

(٢) التضاد :

(١) التبيان ١ / ٣١ ـ ٣٢ .
(٢) التبيان ٤٩٣/٥ .
(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ١٨٩ .
(٤) تفسير غريب القرآن :٩ ، وينظر المباحث اللغوية والنحوية والصرفية عند ابن قتيبة ١٢٧ .
(٥) إعراب ثلاثين سورة من القرآن : ٢٠ ، وينظر فقه اللغة العربية١٤٤ .
(٦) مجمع البيان ٢١/١ .
(٧) الفروق في اللغة : ١٨٠ ـ ١٨١ .

وهو أحد خصائص اللغة العربية الدالّة على مرونتها وقدرتها على استيعاب المعاني والتنّقل بين الأساليب والتنّوع في الاستعمال بما يميّزها عن سائر اللغات الحية[1] .

ويُراد بالتضاد احتمال اللفظ الواحد معنيين متضادّين مثل دلالة (الجَلَل) على العظيم والحقير ، فلا تدخل في ضمن هذا المصطلح الألفاظ المتعدّدة التي تحمل معان متضادّة مثل الليل والنهار والأبيض والأسود ، بل تدخل في موضوع التقابل الدلالي .

وقد تناول القدماء ظاهرة التضاد في العربية باهتمام بالغ ، وأوّل من أشار إليها قطرب في مقدمة كتابه عن الأضداد ، إذ عدّ الأضداد نوعاً من المشترك الذي جعله القسم الثالث من أقسام الكلام متابعاً تقسيمات شيخه سيبويه[2]، وعرّفه بأن ((يتفق اللفظ ويختلف المعنى ، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعداً ..ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعداً ما يكون متضادّاً في الشيء وضدّه))[3] .

ويتّفق القدماء على جعل الأضداد نوعاً من المشترك[4] ؛ لأنّ كلتا الظاهرتين اشتركتا في اتحاد اللفظ (الدالّ) وتعدّد المعنى (المدلول) ، ويفرّق بينهما أنّ معاني المشترك مختلفة، ومعاني التضاد متناقضة ، والاختلاف أعمّ من التناقض ؛ لذا فإنّ الاشتراك أعمّ من التضادّ . وقد أوجز أبو الطيب اللغوي(ت٣٥١هـ) هذا الفرق في مقدمة كتابه فقال : ((والأضداد جمع ضدّ ، وضدّ كلّ شيء ما نافاه ،نحو: البَياض والسَواد ،والسَخاء والبُخل ،والشَجاعة والجُبن ، وليس كلّ ما خالفَ الشيء ضدّاً له ، ألا ترى أنّ القوَة والجَهل مُختلفان وليسا ضِدّين ، وإنّما ضدّ القُوة الضَعف ، وضدّ العِلم الجَهل ، فـ الاختلاف أعمّ من التضادّ إذ كان كلّ متضادّين مختلفين ، وليس كلّ مختلفين ضدّين))[5] . وأيّده في ذلك أبو علي الفارسي[6] .

وقد اختلفوا في وقوع هذه الظاهرة كما اختلفوا في الترادف والاشتراك ، وأكثرهم يقولون بوقوعها ، وألّفوا فيها كثيراً من الكتب[7] ، لكنّ طائفة أخرى منهم ، أنكرت وقوع التضادّ في العربيّة ، ومنهم ابن درستويه الذي ألّف كتاباً في إبطال الأضداد ، ذكره السيوطي[8]، وأشار إليه ابن درستويه نفسه في مُقدّمة كتابه (تصحيح الفصيح)[1]، كما أنكرها أيضاً أبو الحسن الآمدي

(١) دراسات في فقه اللغة ٣٢ .
(٢) ينظر : الكتاب ١ / ٢٤ .
(٣) أضداد قطرب ٢٤٤ .
(٤) ينظر : تأويل مشكل القرآن ٤٠، والأضداد في كلام العرب: أبو الطيب اللغوي١ / ١ ، والمخصص ١٣ / ٢٥٩ ، والمستصفى من علم الأصول ١ / ٣٢ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، والمزهر ١ / ٣٨٧ .
(٥) الأضداد في كلام العرب ١ / ١ .
(٦) المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات :أبو علي الفارسي٥٣٥ ـ ٥٣٦ .
(٧) منها أضداد قطرب والأصمعي وأبي حاتم السجستاني وابن السكيت وابن الأنباري وأبي الطيب اللغوي .
(٨) المزهر ١ / ٣٩٦ .
(١) تصحيح الفصيح ١ / ٣٥٩ ، وينظر : مقدمة محققه١/ ٢٢ ، وفقه اللغة العربية ١٥٢ .

(ت٦٣١هـ) ، وألّف كتاباً سمّاه (الحروف من الأصول في الأضداد) ، وحجّة هؤلاء أنّ في دلالة اللفظ الواحد على معنيين متضادين بُعداً عن الإبانة والإفهام ، ولكنّهم على الرغم من ذلك أقرّوا بوجود النادر منه لعلل معينة .

وممّن أنكر هذه الظاهرة أيضاً الشعوبيون وأعداء الإسلام ، فهم يعترفون بوجود التضادّ في العربية ، لكنّهم اتخذوه ذريعة يزدرون به العرب ويتّهمونهم بنقص الحكمة وضعف البلاغة بدعوى أنّ الأضداد لا توصل إلى المعنى المُراد من التخاطب .

ولقد انبرى لكلّ المنكرين بمختلف صورهم وحججهم من يردّ عليهم ويُثبت عكس دعواهم ، فقد ردّ ابن الأنباري(ت٣٢٨هـ) على أولئك المُغرضين الذين يُريدون الطعن، ساعياً لإثبات حكمة العرب في استعمالهم الأضداد ، شارحاً الألفاظ ومعلّلاً ضدّيتها تعليلاً دقيقاً ، قال في مقدّمة كتابه : ((إنّ كلام العرب يُصحّح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوّله بآخره ، ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلاّ باستيفائه ،واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ؛ لأنّها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدلّ على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ولا يُراد بها في حال المتكلم إلا معنًى واحداً))(٢).

ونراه يشير في كلامه إلى أثر السياق في تحديد المعنى المُراد من اللفظ المتضادّ ، الذي يصدُق بطبيعة الحال على اللفظ المشترك ، إذ يتفاعل اللفظ مع الألفاظ المحيطة به ليعكس المعنى المناسب له من دون لبس أو إبهام . وهو ما أشار إليه قبله ابن قتيبة في بعض كتبه(٣)، وقال به المحدثون أيضاً ، الذين جعلوا للقرينة أثراً بالغاً في توجيه معنى اللفظ المتضادّ ، ولاسيّما في الألفاظ التي يكون المعنى العام فيها مُنطوياً على جزء من الدلالة على المعنيين المتضادّين ، فإذا خفيت هذه القرينة خرج الكلام مُستبعداً إلى ضدّ أو نقيض المراد(٤). ولذا اتخذوا السياق أو القرينة السياقية وسيلة للكشف عن معاني المشترك والمتضادّ .

وممن ردّ الإنكار أيضاً أبو علي الفارسي الذي بنى ردّه على أساسين :

أحدهما : السماع فرأى أنّ المنكرين إذا احتجّوا بالسماع فحُجّتهم مردودة ؛ لأنّ أهل اللغة ألّفوا كتباً في الأضداد المسموعة عن العرب . وهي كثيرة لا يمكن إنكارها .

والآخر : القياس، فإذا احتجّ المنكرون بأنّ استعمال اللفظ الواحد في المعنى وضدّه يوقع في اللبس وإضاعة المعنى ، فإنّ حُجّتهم مردودة أيضاً بجواز وقوع اللفظ المشترك لمعنيين مختلفين ،

---

(٢) الأضداد: ابن الأنباري ٢ .

(٣) المعاني الكبيرفي أبيات المعاني : ابن قتيبة ٣ / ١١٧٧ ،وينظر: المباحث اللغوية والنحوية والصرفية عند ابن قتيبة ١٣٤

(٤) البلاغة وقضايا المشترك اللفظي: عبد الواحد حسن الشيخ ١٦٣ .

فقد عدّوا التضادّ ضَرباً من الاشتراك ، قال أبو علي : ((ثبت جواز اللفظة الواحدة للشيء وخلافه ، و[إذاً][1] جاز وقوعها للشيء وضدّه ، إذ الضدّ ضَرب من الخِلاف وإن لم يكن كلّ خلاف ضدّاً))[2] .

وردّ على المنكرين ابن فارس أيضاً وعدّ تسمية المتضادّين باسم واحد سنّة من سُنن العرب في الأسماء ، فقال في الإنكار : ((وهذا ليس بشيء وذلك أنّ الذين رَووا أنّ العرب تسمّي السيف مهنداً والفرس طرفاً هم الذين رَووا أنّ العرب تسمّي المتضادّين باسم واحد))[3]، وان المتأمل لكلامه يجده لا يُقرّ بوجود الأضداد في اللغة فحسب ، بل يُقرّ بوجود الترادف أيضاً ، فقد عدّ الظاهرتين أمراً واقعاً في اللغة لا يمكن إنكاره ، فقرن وجود الأولى بوجود الثانية ، وهذا يعزّز الرأي الذي ذهب إليه البحث في ظاهرة الترادف الذي يدعو إلى رفض القول بإنكار ابن فارس للترادف ، وضرورة القول بأنّ الخلاف لم يكن في وقوع الظاهرة وعدمه وإنّما في المفاهيم والتسميات .

أمّا المؤيدون لوقوع ظاهرة التضاد في اللغة فقد اختلفوا أيضاً بين موسّع ومضيّق[4]. فالطائفة الأولى تبالغ فتُدخل في الأضداد ما كان من اختلاف اللهجات[5]، وما كان متّحد الصيغة مختلف المعنى مثل : (المرتدّ) لاسم الفاعل واسم المفعول معاً[6] . أمّا طائفة المضيّقين فقد أخرجوا كلّ ذلك واشترطوا في الألفاظ المتضادّة أن تكون في لهجة واحدة[7]، وعلى صيغة واحدة منفصلة[8] .

أمّا المحدثون فأغلبهم متّفقون على أنّ التضادّ نوع من الاشتراك[9]. وتفرّد د. محمد حسين آل ياسين بإنكار ذلك بحُجّة أنّ علاقة التضاد تختلف عن علاقة الاشتراك ، فضلاً عن أنّ أسباب نشأة الأضداد تختلف عمّا هي عليه في المشترك ولا تتفق إلاّ في مسائل قليلة[10] .

ويضيّق المحدثون من علاقة التضاد بين الألفاظ ليخرجوا بذلك كثيراً من الأضداد التي أحصاها القدماء ، وحملوها على أنها من باب المَجاز أو الاشتراك أو التغيّر الدلالي[1]. وبالغ

---

(1) الصواب : إذن .
(2) البغداديات ٥٣٥ ـ ٥٣٦ .
(3) الصاحبي ١١٧ ، وينظر : المزهر ١ / ٣٨٧ .
(4) ينظر : علم الدلالة (مختار) ١٩٦ ـ ١٩٨ .
(5) الأضداد في كلام العرب (السدفة) ٣٤٦/١
(6) أضداد ابن الأنباري ٤٠٩ ، ٤١٠ .
(7) جمهرة اللغة ١ / ٢٩١ ، ٢٩٢ .
(8) الأضداد في كلام العرب ١ / ٢١ ، ٢ / ٦٩١ / ٦٩٢ .
(9) ينظر : فقه اللغة (وافي) ١٩٣ ، وكلام العرب ١١٢ ، والتطور اللغوي التاريخي:ابراهيم السامرائي ٩٨ ، وفقه اللغة العربية ١٤١ ، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم(الجبوري) ٧١ .
(10) الأضداد في اللغة ١٠١ ـ ١٠٣ ، ٢٣٥ .
(1) في اللهجات العربية ٢٠٤ـ٢٠٧،وفصول في فقه العربية ٢٩٦ـ ٢٩٩،والمباحث اللغوية في العراق ٣٩ ـ ٤٠

بعضهم في ذلك فاقترح ضرورة الاقتصار على أحد المعنيين وترك الآخر ، وإذا لم يتحقق ذلك فيجب طرح تلك الألفاظ من المعجم العربي[٢] وهو أمرغير مقبول؛لأنّه يمحو إرثاً لغوياً أصيلاً . لكن أغلب الـ محدثين يقرّون بأنّ هذه الظاهرة لم تقتصر على اللغة العربية فحسب ، وإنّما هي ظاهرة عامّة في اللغات الجزرية[٣] ، تمنح اللغة اتساعاً في التصرّف في الكلام ، وإغناءً لمعاني الألفاظ .

وقد أثار وجود الألفاظ المتضادّة في القرآن الكريم الخلاف نفسه ، غير أنّ أغلب علماء العربية يقرّون وجودها ، كما أقروا بوجود ألفاظ الاشتراك اللفظي ، وهذا لا يخلّ بلغة دستور المسلمين ولا يُنقِص من مكانته الجليلة ، ولاسيّما أنّه نزل بلغة العرب وما امتازت به من خصائص متفرّدة ، الأمر الذي يعكس قدرة العربي الفائقة ويُبرهِن على ذكائه الوقّاد في استعمال لغته المطواعة لكلّ الظروف والأحوال .

رأي الطوسي :

وفقه اللغة العربية ١٥٣ ـ ١٥٥ ، ١٦٠ ـ ١٦١،والبلاغة وقضايا المشترك اللفظي ١٥٩.

(٢) النحو المعقول : محمد كامل حسين ٥٤ (بحث) .

(٣) التضاد في ضوء اللغات السامية : ربحي كمال ٢٩ ، ودراسات في فقه اللغة ٣١٠ ـ ٣١٣ ، وفقه اللغة العربية ١٦٤.

أقرّ الطوسي بوجود هذه الظاهرة في القرآن الكريم ولغة العرب ، فلم يغفل الإشارة إليها في تفسيره وهو يحدّد دلالات الألفاظ القرآنية[1] .

وقد أدرك صاحب التبيان الفرق بين التضاد والاختلاف ، فأشار إلى ذلك وهو يفسّر قوله تعالى:﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ... ﴾ [الأحزاب: ٤] ، فقال ((لا يجوز أن يوجد في جزأين من القلب معنيان ضدّان ، لاستحالة اجتماع [معنييهما][2] في الحيّ الواحد ، ويجوز أن يوجد معنيان مختلفان أو مثلان في جزأين من القلب ويوجبان الصفتين للحي الواحد))[3] .

وظاهر هذا النص يوحي بإنكار الطوسي لاجتماع معنيين متضادين في لفظة واحدة ، ولكن التأمل فيه يثبت لنا عكس ذلك ، فهو لا يتحدّث هنا عن اجتماع المعاني في الألفاظ ، وإنّما يتحدث عن اجتماعها في النفس الإنسانية ، إذ أنكر اجتماع معانٍ متضادّة في قلب واحد وفي آن واحد كالحُبّ والَعطف . وقد استشهد البحث بقوله لبيان إدراكه الفرق بين الضدّ والخلاف ، فالمعنيان المتضادان لا يجتمعان في آن واحد ،وينطبق هذا على الألفاظ ، فلا يجوز أن يدلّ لفظ(الجون)، على السواد والبياض في آنٍ واحد . وبهذا يمكن القول أن اللفظ المشترك قد يحتمل أكثر من معنى أو وجه في النص الواحد ، عل حين لا يحتمل اللفظ المتضاد إلا معنًى واحداً في النصّ الواحد ، وقد لمسنا ذلك في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم التي احتملت الاشتراك والاختلاف ولم تحتمل التضاد .

وسيعرض البحث الألفاظ المتضادة التي وقف عندها الطوسي وأبدى رأيه فيها ، وهي :

١. **الظنّ** : فسر الطوسي هذا اللفظ حين وقف عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة : ٤٦]، وذكر الاشتباه الذي وقع في معناه قائلاً : ((إن قيل : كيف أخبر الله عمّن وصفه بالخشوع [والطاعة][4] ، ومَدَحهم بذلك أنهم يظنّون بأنّهم ملاقو ربّهم ، وذلك مُنافٍ لصفة المَدح ؟ قلنا : الظنّ المذكور في الآية المراد به العلم واليقين ، قال دُرَيْد بن الصّمة :

فقلتُ لهم ظنّوا بألفي مدّججٍ سُراتُهم في الفارسيّ المسَرَّد[1])) [2]

[1] ينظر : منهج الطوسي ٢٨٨ ، والبحث اللغوي والنحوي في تفسير التبيان ١٣٩ ـ ١٤٣ .
[2] وردت في النص :معناهما ، والصواب ما أثبتناه .
[3] التبيان ٨ / ٣١٤ .
[4] وردت في النص: بالطاعة ، والصواب ما أثبتناه .

[1] ينظر: ديوانه .

واحتجّ لرأيه بما نقله عن طائفة من المفسرين القدماء من أنّ ((أصل الظنّ ما يجول في النفس من الخاطر الذي يغلِب على القلب ، كأنّه حديث النفس بالشيء))[٣] ، ولذا فقد تأوّلوا جميع ما في القرآن من معنى العِلْم على هذا ،وجعلوا يظنّون بمعنى: يوقِنون ، ومثّل له بقوله تعالى:﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾[٤] ، ومثله ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾[٥] ، وقوله ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾[٦] ، فالظنّ في كلّ ذلك بمعنى العِلم واليقين.

وبعد أن أثبت دلالة هذا اللفظ على العلم واليقين ، عاد ليثبت دلالته على الشكّ فقال : ((وقد جاء في القرآن الظنّ بمعنى الشك كقوله:﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[٧].وقوله ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا﴾[٨]...))[٩] ويُفهم من تفسير اللفظ في الآيات المختلفة أنّ السياق هو الذي يحدّد معناها .

وقد قال بهذا الرأي أغلب علماء اللغة والتفسير والقدماء[١٠] . غير أنّ د. إبراهيم السامرائي نفى القول بضدّية هذا اللفظ ، واحتجّ لذلك في أنّ الضدّية غير ثابتة في معنى الفعل بل اقتضاها سياق الآيات ،ثّم أنّ استقراء معاني الفعل (ظنّ) يدلّنا على معانٍ أخرى غير متضادّة[١١] أي أنّه مِن المشترك ، وأيّده في هذا الرأي د. محمد حسين آل ياسين الذي أكّد أن هذه الضدّية مستقاة من افتراض عقيدي وليست من الفعل نفسه[١٢] .

ولكن لا يمكن إنكار ضدية هذا اللفظ لسببين[١٣] :

أحدهما : أنّ الأصل اللغوي له هو الشكّ ، ولكنه ورد في آيات (البقرة : ٤٦ ، والحاقة : ٢٠ والتوبة : ١١٩)المذكورة آنفاً بغير هذا المعنى ، إذ لا يتلاءم وسياقها العام وإنّما فرض السياق دلالة اللفظ على العِلْم واليَقين .

---

(٢) و (٣) التبيان ١/٢٠٥-٢٠٦ .
(٤) الحاقة : ٢٠
(٥) التوبة : ١١٨
(٦) الكهف : ٥٣
(٧) الجاثية : ٢٤ .
(٨) النجم : ٢٨ .
(٩) التبيان ١/٢٠٥ ـ ٢٠٦ .
(١٠) ينظر الأضداد : للأصمعي : ٣٤ ، والأضداد لابن السكيت ١٨٨ ، والأضداد للسجستاني ٧٦ ـ ٧٧ ، وما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد ٨-٩ . و جامع البيان ٦٢٦/١ ، وأضداد ابن الأنباري ١٤ـ ١٦ ، ومقاييس اللغة ٢٤٦٢/٣ ، ومجمع البيان ١٠٠/١ ، ٧٨/٥ .
(١١) التطور اللغوي التاريخي : ٩٣ .
(١٢) الأضداد في اللغة : ٥٣٠ .
(١٣) ينظر : البحث اللغوي والنحوي في تفسير التبيان : ١٤٠ ـ ١٤١ .

والآخر : إنّ الـ شواهد العربيـة جَمَعتْ بين المعنيين ، فمن الأشعار التي ورد فيها اللفظ بمعنى اليقين قول عُمير بن طارق :

بأَنْ تَغتزوا قَومي وأَقْعَدَ فيكُم وأجعلَ منّي الظنَّ غَيباً مُرَجَّما[١]

ومنه أيضاً بيت دريد بن الصمة الذي استشهد به الطوسي .ومن شواهد دلالة اللفظ على الشكّ قول أوس بن حجر :

الألمعيّ الذي يَظنُّ بكَ الظنَّ كأنْ قدْ رأَى وقدْ سَمِعا[٢]

٢ . **أبسل** : فسر هذا اللفظ الوارد في قوله تعالى ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ﴾[الأنعام:٧٠]، وذكر أنّه ((يقال : هذا بَسلٌ أي حرام وهو بَسل أي حلال ، وهذا من الأضداد))[٣]. وهو ما أقرّت به طائفة من كتب اللغة والتفسير[٤]، غير أنّ طائفة أخرى منها ذكرت دلالته على الممنوع والمُحرّم فقط[٥]، وأرجع بعض المتأخرين دلالة هذا اللفظ إلى أصله اللغوي وهو: ضمّ الشيء ؛ ولتضمّنه معنى الضّم استُعير الوَجه ؛ ولتضمّنه معنى المَنع قيل للمُحرَّم: بَسْل[٦]. غير أنّ الحرامَ أعمّ من البَسل ؛ لأنّ الأول عام فيما كان ممنوعاً منه بالحكم والقهر ، والبَسل هو الممنوع بالقهر[٧].

ويفسّر بعضهم دلالة اللفظ على الحلال اعتماداً على الأصل اللغوي له ،فيقول:((والبَسْل الحَلال ؛لأنّه يضمُّ ويجمَعُ))[٨] ، ولكنَّ معنى الضمِّ والمَنع الذي يدلّ عليه هذا اللفظ أكثر ملاءمة لدلالته على الحرام ، ولاسيّما أن أغلب المصادر تشير إلى ذلك . وفسرت الآية بأنّ الذين أبسلوا: هم الذين حُرِموا الثواب .

٣ . **فُزَّع** : فسّر هذا اللفظ حين وقف عند قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ:٢٣]، فقال ((وفزِّع له معنيان أحدهما بمعنى ذُعِر ، والثاني أزال الفزَع ...))[١]، وورد بهذا المعنى في طائفة من كتب اللغة والتفسير[٢].

---

[١] البيت في نقائض جرير والفرزدق : ٧٨٥ ، وروايته :
بأن تغتزوا قومي وأقعد فيكم وأجعل علمي ظنّ غيبٍ مرجّما
[٢] ديوان أوس بن حجر : ٥٣ .
[٣] التبيان ٤ / ١٦٨ .
[٤] أضداد السجستاني ١٠٣، أضداد الصغاني ٢٢٤ ، وأضداد ابن الأنباري ٦٣ ، والزاهر ١ / ٤٥٢ ـ ٤٥٣ ، والأضداد في كلام العرب ٣٢ ـ ٣٣ ، ولسان العرب (بسل) ١١ / ٥٦ .
[٥] جامع البيان ٧ / ٢٣٢ ، ومقاييس اللغة ١ / ٢٤٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٧ / ١٧ .
[٦] التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المنّاوي ١ / ١٣٠ .
[٧] الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ٢٨٠ .
[٨] المصدر نفسه ٢٨٠ .
[١] التبيان ٨ / ٣٩٢ .
[٢] أضداد السجستاني ١٤٥، وأضداد ابن الأنباري ٨٣ ـ٢ ٢٨٤، ومقاييس اللغة ٤ / ٥٠١ ، ولسان العرب(فزع)

٤ ـ **أَسَرَّ** : لم يكن الطوسي يرتضي القول بضدّية الألفاظ التي وصفت بهذا الوصف كلّها ، بل وقف عند عدد منها رافضاً وصفها بالضّدية ومعلّلاً ذلك تعليلاً لغوياً ، فمن ذلك وقوفه عند قوله تعالى ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ...﴾ [يونس:٥٤] ، فلم يعدّ لفظ (أسرّ) من الأضداد ، بل ذهب إلى أنّ معناه الإخفاء ، فقال :(((وأَسَرّوا النَدامَة) أي: أَخْفَوا الندامَة بينهم لّما رأوا العذاب نـَزَلَ بهم ، ولاَم بعضُهم بعضاً))[٣] ، ونقل بعد ذلك عن الجّبائي أنّ لفظ الندامة مشترك ، ثّم ردّ على ذلك فقال :((وهذا غلَط ؛ لأنّ لفظة الإخفاء هي المشتركة دون لفظ الأسرار فحْمل أحدهما على الآخر قياس في اللغة))[٤].

ومعنى كلامه: إنّ هذا قياس في اللغة ، أّنه قياس في مقابل الّنص ، ويرى بأنّ لفظ الإخفاء هو المتضادّ إذ يعني الإظهار والإسرار ،ولذا فقد قاسوا هذا التضادّ على لفظ الإسرار، ولكّنه قياس خاطئ . من وجهة نظره . لأنّ المنقول عن العرب في معناه عدم التضاد ، وقد أقام اعتراضه على ما أسماه أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) :فساد الاعتبار ، في الفصل الذي عقده للاعتراض على الاستدلال بالقياس في مقابلة النص عند العرب في كتابه لمع الأدلّة [٥] .

وقد ورد هذا اللفظ لدى أبي عبيدة من الأضداد[٦] ، وتابعه فيه كثير مّمن جاء بعده[٧]. غير أنّ عدداً من المفسرين الأوائل أنكروا ذلك ، وحَمَلوا الفعل على ظاهره وجعلوا دلالته على الإخفاء فحسب[٨]، وقال غيرهم باحتمال إبدال الفعل (أسّر) من (أشّر)الذي معناه أظْهـَر[٩] .

وأنكر أغلب المحدثين[١] ضدّية هذا اللفظ ؛ لأنّ الفعل (أسرّ) في عموم القرآن يدلّ على الإخفاء فحسب ، من ذلك قوله تعالى ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾[الأنبياء:٣] ، وقوله ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [التغابن: ٤] ، وقوله ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا﴾ [يوسف: ٧٧] ، وقوله ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾[نوح:٩] ، ولذا وجب

٢٥١/٨،،والتبيان في تفسير غريب القرآن٣٤٤/١.

[٣] و[٤] التبيان ٨ / ٣٩٨ ، وينظر ٧ / ٢٢٩ .

[٥] الإغراب في جدل الإعراب : أبو البركات الأنباري ٥٤ ، وينظر :منهج الطوسي ٢٨٨ .

[٦] مجاز القرآن ٢ / ٣٥ .

[٧] أضداد ابن السكيت ١٧٧ ، وتفسير غريب القرآن ٣٥٧ ، وأضداد ابن الأنباري ٤٥ ، ومقاييس اللغة ٣ / ٦٧.

[٨] معاني القرآن للفراء ١ / ٤٦٩ ، وأضداد السجستاني ١١٤ ـ ١١٥ ، وجامع البيان ٢٢ / ٩٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٥/٣.

[٩] الأضداد في كلام العرب ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ، والكشاف ٢ / ٢٤١ .

[١] ينظر : في اللهجات العربية ٢٠٥ ، والأضداد في اللغة ٥٢٦ ـ ٥٢٧ ، وفقه اللغة العربية ١٥٨ ، والبحث اللغوي والنحوي في تفسير التبيان ١٤١ .

حَمْل الفعل في قوله تعالى (وأسَرّوا الندامة) على ظاهره ومعناه الحقيقي ،وهوالإخفاء ، فلا دليل على ترك الظاهر هنا واللجوء إلى التأويل .

ولو رجعنا إلى المعجمات اللغوية القديمة لوجدناها تفسّر لفظ (أسرّ) بدلالته على الإخفاء والكتمان[٢]، وتفسّر لفظ (أشرّ) بدلالته على الإظهار[٣]، الأمر الذي يرجّح حدوث إبدال بين اللفظين استدعى دلالة الفعل (أسرّ) على الإخفاء والإظهار ومن هنا عُدّ من الأضداد .

٥ . عَسْعَسَ : ورد هذا اللفظ في قوله تعالى ﴿وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ [التكوير:١٧] ، وحين فسّره الطوسي ذكر له معنيين متضادّين ، ثّم رجّح أحدهما قائلاً : ((ومعنى (عَسعَس) أدبر بظلامه في قول أمير المؤمنين عي (عليه السلام) وابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد ، وقال الحسن : ...أقبل بظلامه ، وتقول العرب : عَسعَس الليل : إذا أدبر بظلامه .قال عَلقَمة بن قُرط :

حتى إذا الصُبْحُ لها تَنَفَّسا وانجابَ عَنها ليلُها وعَسعَسا[٤]

وقيل : عَسعَس : دنا من أُوله وأظلَم ... وكان أصله امتلاء الشيء بما فيه ... ويمتلئ الليل بما فيه من الظلام ، وعَسعَس : أدبر بامتلاء ظلامه))[٥] . فنجده يرجّح دلالة اللفظ على الإدبار مستعيناً بأصله اللغوي وبالشاهد الشعري الذي ساقه لذلك وبالمأثور من كلام العرب ، وهو يوافق بذلك ما ورد لدى الفرّاء[٦] وأبي عبيدة[٧] والطبري[٨] ، الذي ذكر رواية عن الإمام علي (عليه السلام) في أّنه خرج يوماً وقت الفجر ، فبدأ يقرأ : ﴿وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[التكوير:١٧. ١٨] ، وهذا يعني أّن عسّ الليل إدباره وآخر وقته .

وعدّه الرازي من الأضداد[١] ، على حين رجّح القرطبي دلالة اللفظ على الإدبار بعد أن ذكر دلالته على المعنيين المتضادّين ،وحاول إرجاعهما إلى دلالة واحدة ، وهي ابتداء الظلام في أوله وإدباره في آخره[٢]. وهو رأي قريب من الصواب ؛ لأّن عَسعَس في اللغة تعني: تحرّك ، والحركة

---

[٢] مقاييس اللغة(سرّ)٦٧/٣ .
[٣] المصدر نفسه(شرّ)٦٨/٣، ١٨٠ .
[٤] البيت في: مجاز القرآن ٢ / ٢٨٨ ، وجامع البيان ٣ / ٧٨ ، ومجمع البيان ٥ / ٤٤٥ .
[٥] التبيان ١٠ / ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .
[٦] معاني القرآن للفراء ٣ / ٢٤٢ .
[٧] مجاز القرآن ٢ / ٢٨٧ .
[٨] جامع البيان ٣٠ / ٧٨ .
[١] التفسير الكبير ٦٨/٣١/١١ .
[٢] الجامع لأحكام القرآن٢٣٨/١٩.

تبدأ بإقبالٍ وتنتهي بإدبارٍ ، وكأنّ هذا اللفظ يجمع في دلالته بين حركتين ، وليس بين معنيين ، فهو وصف لحركة الليل بإقباله وإدباره .

المبحث الثالث

التقابل الدلالي: (Antonymy)

وهو من الظواهر الدلالية المميّزة في اللغات عامّة واللغة العربية خاصّة ، تقوم على أساس التقابلوالمواجهة بين عناصر لغوية ،وتختلف هذه المواجهة تبعاً للمفاهيم التي تتّسع لها. إذ تتضمّن دلالات متعدّدة تنضوي تحت الأصل اللغوي للفظة التقابل وهي : المطابقة ، والتضادّ ، والتناقض ، والتخالف[١] .

[١] ينظر : التقابل والتماثل في القرآن الكريم : فايز القرعان ١٥ ، ١٦ ، ٧٨ ، وينظر : (قابل) الصحاح١٧٩٧/٥،

وقد تعامل الناطق باللغة العربية مع هذه الظاهرة تعاملاً فنياً مميّزاً ورائعاً بما يؤكّد وعيه التام لطبيعة هذه اللغة وتوظيفها على نحو يفجّر كلّ طاقاتها الإبداعية[٢] .

وعلى الرغم من قلة استعمال هذه الظاهرة في اللغة العربية ، لكنّها أثبتت قدرة فائقة على تصوير المعنى وترتيب الكلام على ما ينبغي ((فإذا أتى المتكلّم بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب ،بحيث يقابل الأول بالأوّل والثاني بالثاني لا يحرم من ذلك شيئاً في المُوافق والمُخالف))[٣] . فيصير الكلام بيّناً والدلالة مُوتسَمة ، وإنّما هو بذلك يحاكي الطبيعة ، حيث تتقابل ظواهرها تقابلاً تلقائياً كالبّر والبَحر ،والأرض والسماء، والليل والنهار ، والخير والشر ،والسواد والبياض ،والموت والحياة وغيرها كثير .

وقد تنّبه اللغويون القدماء على هذه الظاهرة ، فتناولوها بالدرس والتحليل في القرآن الكريم وفي أشعار العرب من دون أن يشيروا إلى اسمها الحديث ، بل كانوا يسمّونها المقابلة تارة ، والطِباق تارةً أخرى .

وقد عرّفها أبو هلال العسكري بأنّها: ((إيراد الكلام ثمّ مُقابلته بمثله في المعنى على جهة المُوافقة أو المُخالفة))[٤] . وذكر الراغب الأصفهاني(ت٤٢٥هـ) لهذا التقابل أنواعاً ، إذ عرّف الشيئين المتقابلين بأنّهما ((الشيئان المختلفان للذات ، وكلّ واحد قُبالة الآخر ولا يجتمعان في شيء واحد في وقت واحد ،وذلك أربعة أشياء : الضدّان كالبَياض والسَواد ، والمتناقضان كالضَعف والنِصف ، والوُجود والعَدم كالبَصر والعَمى ، والموجبة والسالبة في الأخبار نحو كلّ إنسان هاهنا ، وليس كلّ إنسان هاهنا))[٥]وقد فرّق الزركشي[٦]بين المقابلة والطِباق ، على أساس العموم والخصوص . فالمقابلة أو التقابل . بمفهومنا الحديث . أعمّ من الطِباق ؛لأنّ الطباق يقوم على التضادّ فقط ، على حين يقوم التقابل على التضادّ والتناقض والتخالف .

وقد عُني المحدثون أيضاً بهذه الظاهرة على نحو أكثر عُمقاً وشُمولاً وتَنّوعاً ، فبحثوا ماوراء التقابل من دلالات تقود إلى تقابلات أخرى ، ووضعوا له درجات تبعاً لوضوحه ودقة دلالته[١]، وعدّوا التضادّ أكثر أنواع التقابل دلالةً على هذا الفن[٢] ، وسمّاه الغربيون التخالف[٣]. والحق أنّ هناك فرقاً ما بين التضاد والخلاف ، إذ بين الأول تناقض ، وبين الثاني تغاير من دون تناقض .

ومقاييس اللغة٥/٥١ـ٥٢ ، ولسان العرب ٥ / ٧١ ، ١١ / ٥٤٠ ، ١٣ / ٥٥٧ .

[٢] ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية : عبد الكريم محمد حافظ ٥٠ .

[٣] تحرير التحبير : ابن أبي الاصبع العدواني ١٧٩ .

[٤] الصناعتين :أبو هلال العسكري٣٤٦ .

[٥] معجم مفردات ألفاظ القرآن:(قبل) ٣٩٢ .

[٦] البرهان في علوم القرآن ٣ / ٤٥٨ .

[١] ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة : أحمد نصيف الجنابي (بحث) ، والتقابل والتماثل في القرآن الكريم ، والتقابل في القرآن الكريم : منال صلاح الدين ، وظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية .

[٢] معجم المصطلحات البلاغية ٢ / ٢٥٤ .

ويأتي أسلوب التقابل على نوعين :

١ . **لفظي** : تتقابل فيه ألفاظ مع ألفاظ أخرى على سبيل التضاد أوالتناقض أوالتخالف ، نحو : مقابلة الحق للباطل ، والعزّ للذلّ ، والموت للحياة[٤]، وهو التقابل الأصلي والمتبادر إلى الذهن عند سماع أيّ من الطرفين المتقابلين ، ولذا سمّاه بعض الباحثين التقابل الظاهر[٥] .

٢ . **معنوي** : ويكون في هذا النوع مقابلة معنى بآخر ؛ إذ يحمل لفظ على معنى لفظ آخر لما بينهما من المُقاربة والمُواشجة[٦] .

وقد أشار إلى هذا النوع الزمخشري حين فسّر قوله تعالى ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبأ:٥٠] ، إذ تنبّه على وقوع تقابل بين قوله (فإنما أضلّ على نفسي) وقوله(فبما يوحي إلّي ربّي)، ولكّنه تقابل في المعنى وليس في اللفظ، فلو كان النص في غير القرآن لقيل : فإنّما أضلّ على نفسي وان اهتديت فإنّما أهتدي لها ثّم علّق قائلاً :((هما متقابلان من جهة المعنى ؛ لأنّ النفس كلّ ما عليها فهو بها ، أعني كل ما هو وبالٌ عليها وضارٌّ لها فهو بها وبسببها ؛ لأنها الأمّارة بالسوء ، وما لها ممّا ينفعها فبهداية ربّها وتوفيقه...))[٧].

ويرى ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ) أن التقابل هنا في زمن الجملتين ، إذ الأولى ماضية والثانية مستقبلة ؛ لأنّ الثانية تشير إلى هداية الله لخلقه والمؤّمل حصولها مستقبلاً ، لذا وردت بصيغة المضارع[١] .

وواضح من هذه الآية أنّ التقابل المعنوي بحاجة إلى إعمال الفكر وإمعان النظر لمعرفته وكشف أبعاده ؛ لأنّه ليس قريباً أو واضح الدلالة . ولذا فإنّ من المحدثين من يرى فيه غزارة في الدلالة على المعنى أكثر مما هي في التقابل اللفظي ؛لأنّه يؤدّي وظيفة فنّية وجوهريةّ وهي تعميق المعنى داخل العمل الأدبي[٢] ، وسمّاه بعض منهم الخفي[٣] .

ومن أمثلة هذا النوع أيضاً قوله تعالى ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾[آل عمران: ١٣٩]، إذ قابل الوَهْن بالعُلو ، وهما ليسا متضادّين ولا متناقضين ، وإنّما عبّر عن

---

[٣] علم الدلالة (بالمر) ١٠٩ .

[٤] ينظر: التقابل والتماثل في القرآن الكريم ٧٤ ، والتقابل الدلالي في القرآن الكريم ٤ .

[٥] ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ٩٩ .

[٦] التقابل الدلالي في القرآن الكريم٣-٥ .

[٧] الكشاف ٣ /٢٩٦ .

[١] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٢ / ١٢٦ .

[٢] دراسة في المعاني والبديع : شفيع السيد ٩٥ .

[٣] ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ١٠٥ .

الانكسار النفسي بالوَهْن ؛ لأنّه يؤدّي إلى ضعف العزيمة والهمّة ، ولذا قابله بالعُلُو الذي كنّى به عن النصر المعنوي الذي يعيشه المسلمون بتمسّكهم بدينهم ؛ لأنّ ما أصابهم من خسارة في معركة أحد قد أصاب عدوّهم قبلهم في معركة بدر الكبرى ، وعلى الرغم من ذلك ، فهم لم يتراجعوا عن الحرب ، فمن باب أولى ألاّ تتراجعوا أنتم المسلمون ؛لأنّكم على حق ، ونهايتكم حُسن العاقبة والفوز بالجّنة ، ومقامُكم العُلُو والرِفعة إن شاء الله[٤] .

ويسمّي القدماء هذا التقابل طِباقاً معنوياً [٥] ، أو طِباقاً غيرَ محضٍ[٦] أو مقابلة بالخلافين[٧].

وقد حفل القرآن الكريم بجملة من التقابلات اللفظية والمعنوية ، التي غدت مثار اهتمام علماء العربية من قدماء ومحدثين ، وقد وردت فيه على ثلاثة أساليب[٨] :

(١) تقابل بين الألفاظ المفردة : وهو كثير ، ولاسيّما بين المتضادّة منها ، وهو عموماً بين ألفاظ متجانسة ، فالاسم مع الاسم ، والفعل مع الفعل ، مثل : الليل والنهار ، والظلمة والنور وأمات وأحيا ، وأضحك وأبكى ، ، وقد يكون الفعل مع الاسم كالمضارع (يسكنوا)مقابلاً الفعل (مُبصراً)في قوله عزَّ وجلّ ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا...﴾ [النمل : ٨٦][١] .

(٢) تقابل بين التراكيب : ويكثر هذا في الجمل الشرطية ، وهو أسلوب فّني يعطي دلالات أوضح ويكون ذا أثرٍ بالغ في إيصال المعنى وتقرير الحقائق ، كقوله تعالى: ﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ الله غني حميد﴾ [لقمان:١٢][٢]، وقد يأتي في الجمل الاسمية أيضاً ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ... ﴾ [الواقعة : ٨ . ٩][٣]، فقابل المؤمنين بالكافرين بهذا التركيب الاسمي الاضافي

---

[٤] التفسير الكبير٣/٩/٣٧١.

[٥] العمدة : ابن رشيق القيرواني ٢ / ١٤ .

[٦] البرهان في علوم القرآن ٣ / ٤٥٩ .

[٧] الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة ٢ / ٣٨٣ .

[٨] ينظر : التقابل الدلالي في القرآن الكريم ٤ ، وظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ٨١ ـ ٨٦ .

[١] ينظر :البقرة:٢٥٩ ، والأنبياء:١١٠ ، والروم:١٨ ، والحديد٢٦ ، والصافات : ١١٣ ،وتفصيل ذلك في :التقابل الدلالي في القرآن الكريم ٨٤ ـ١١٦ .

[٢] ينظر: الحج:١٨ ، والنمل:٤٠ ، وسبأ:٥٠ ، والروم: ٣٣ ،والمطففين١ـ٣ ، وتفصيل ذلك في: التقابل الدلالي في القرآن الكريم ١٣٧ـ١٣٩.

[٣] ينظر :البقرة:٢٥٧ ، والإنفطار: ١٣ ـ١٤ ، والليل : ١ـ٢ ، والشمس:٣ـ٤ ، وتفصيل ذلك في: التقابل الدلالي في القرآن الكريم ١٣٩ـ١٤١ .

.وقد يكون هذا التقابل أيضاً وصفياً ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[فاطر: ١٥] ، فالتقابل هنا بين التركيبين وليس بين الألفاظ المفردة .

(٣) تقابل بين الصور : ويقع بين صورتين متضادّتين ترسمان صورة معينة أو تشكّلان موقفاً خاصاً ، ولهذا الأسلوب أثر بالغ في شعور المتلقي .وفائدته تصوير الحقائق وبيان مظاهر الحياة في صور تقوم على الموازنة ،وهو من أساليب التعبير القرآني . ومثاله قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾[الزمر:٥][٤]

والتقابل اللفظي ثلاثة أنماط رئيسة[٥] .

أحدها : التقابل بالضدّ .

وثانيها : التقابل بالنقيض .

وثالثها : التقابل بالخِلاف .

وسنقف على هذه الأنماط في مستواها التحليلي التفسيري لدى الطوسي لفهم أبعادها وحدودها وأمثلتها .

رأي الطوسي :

أدرك الطوسي هذه الظاهرة وعُني بالتنبيه عليها في مواضعها من التعبير القرآني ، وغالباً ما يشفع ذلك بالتعليل ، وله في ذلك ملاحظ ذات قيمة دلالية ، فقد التفت إلى التقابل اللفظي والمعنوي والإفرادي والتركيبي والصوري[١]. وما يهمّنا هو التقابل اللفظي الإفرادي لأنّنا بصدد البحث في العلاقات الدلالية بين الألفاظ المفردة ، وإن كان ذلك لا يمنع من الوقوف على طائفة من تحليلاته الدلالّية في مجال الجُمل والصُور .

وقد جاءت ظاهرة التقابل في تفسير التبيان على الأقسام اللفظية الآتية :

(١)التقابل بالضد: وهو تقابل لفظين متضادّين أحدهما عكس الآخر في المعنى ، مثل : الحُبّ والبُغض والإيمان والكفر والليل والنهار . وكان مصطلح الضدّ متداولاً بين اللغويين الأوائل ؛ إذ

---

[٤] ينظر:الأنبياء:١٨ ، والإسراء:٢٩ ، والحج :٥ ، ويونس:٢٤ ،وتفصيل ذلك في: التقابل الدلالي في القرآن الكريم١٤٩ـ١٥٧ .

[٥] اعتمد البحث في مصطلحات هذه الأنماط ما جاء لدى القدماء ـ والطوسي ـ منهم ؛ لأنّ ما جاء لدى المحدثين هو : التقابل بالتضاد والتقابل بالتناقض والتقابل بالتخالف .

[١] ينظر : منهج الطوسي ٣٦١ .

يُطلق على كلّ لفظين لا يمكن الجمع بينهما ، قال الخليل : ((المحاسن من الأعمال ضدّ المساوئ))[٢] ، وقال أيضاً ((الشهيق ضد الزفير))[٣] .

وقد فرّق أبو الطيب اللغوي بين الضدّ والخلاف كما ذكرنا سالفاً[٤]، وكذلك الطوسي[٥] ، وفرّق الراغب الأصفهاني بين التقابل والتضادّ تفرقة العام عن الخاص ، فالتقابل أعمّ وأشمل من التضادّ[٦] .

وقد اعتمد طائفة من اللغويين والمفسّرين على مصطلح الضدّ في تحديد دلالات الألفاظ القرآنية المتقابلة ،وبيان الفروق الدلالية بين المترادفات والمتقاربات والمتناظرات والمتماثلات، ومنهم ابن السّراج[٧] والرّماني[٨]، وتابعهم في ذلك الطوسي الذي عدّ التضاد نوعاً من المقابلة، فحين فسرقوله تعالى:﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[البقرة : ٣٦] وجّه قراءة من قرأ (أزالهما)[١] فقال : ((أراد المقابلة بين قوله :أزلّهما ، وبين قوله : أسكن ؛ لأنّ معناه: اسكُنْ واثُبتْ أنت وزوجُك ، وتقديره :اثبتا ، فأرد أن يقابل ذلك فقال :فأزلّهما فقابل الزوال بالثبات ...))[٢]. وكان في موضع آخر قد عدّ الزوال والثبات متضادّين[٣] ، وقد أقرّ الطبرسي بهذه المقابلة[٤] ، غير أنّ أكثر المفسرين يُنكرون قراءة (أزلّهما) ؛لأنها تكرار لمعنى (أخرجهما) ، من غير أن يشيروا إلى أيّ تقابل ، ولذا فهم يرجّحون قراءتها بالتشديد[٥].

والتقابلات بالضدّ لدى الطوسي كثيرة في تفسيره ، وهي تقترن بوقوفه عند الألفاظ المُتناظرة والمُتقاربة والمُترادفة ، فقد عدّها أساساً من أسس التفريق الدلالي لديه ، ومن أمثلة ذلك قوله : ((الفرق بين السُرعة والعَجلة ، أنّ السُرْعَة هي التقدّم فيما يجوز أن يتقدّم فيه ، وهي محمودة

---

[٢] العين (حسن) ٣ / ١٤٢ .
[٣] المصدر نفسه (شهق) ٣ / ٣٦٠ .
[٤] الأضداد في كلام العرب ١/١ ،وينظر: ص ١٣٣من الرسالة .
[٥] التبيان ٣١٤/٨ ، وينظر ص ١٣٧من الرسالة .
[٦] معجم مفردات ألفاظ القرآن: (قابل) ٣٩٢ .
[٧] الاشتقاق : ٥٢ .
[٨] الجامع لأحكام القرآن ٦٥/١٢نقلاً عن منهج الطوسي ٢٨٨ .
[١]قرأها حمزة بالألف فأزالهما، والباقون فأزلّهما : السبعة في القراءات : ابن مجاهد : ١٥٣ .
[٢] التبيان ١٦١/١ .
[٣] التبيان ٣٣/٢ .
[٤] مجمع البيان ٨٦/١ .
[٥] ينظر جامع البيان ٢٣٤/١ ـ ٢٣٥ .

،وضدّها الإبطاء وهو مذموم ، والعَجلة هي التقدّم فيما لا ينبغي أن يتقدّم فيه وهي مذمومة ، وضدّها الأناة وهي محمودة))[٦] .

وفي هذه التفرقة الدقيقة نجده يقابل بين السرعة والعجلة ، وبين السرعة والإبطاء ، وبين العجلة والأناة ، وبين الأناة والإبطاء ، ، وبين الحمد والذم أيضاً ، وهو يتابع في ذلك تفرقة أبي هلال العسكري بين اللفظين[٧] .

ومنه أيضاً قوله : ((وضدّ العَدوّ الوَليّ))[٨] ، وقوله : ((والقُرب والدُّنو والمُجاوَرة مُتقاربة المعنى وضدّها البُعد))[٩] . وقوله : ((والمَتاع والتَمتّع والتلذّذ والمُتعة مُتقاربة المعاني وضدّها التألّم))[١٠] . وهناك أمثلة أخرى كثيرة[١١] .

(٢) التقابل بالنقيض : يختلف التناقض عن التضادّ في طبيعته وتركيبه ، ولكّنه يلتقي معه من حيث الخلاف ، فأصل التناقض جَعلُ الشيء على خِلاف ما كان عليه[١٢] غيرَ أنّ أغلب القدماء[١٣] جعلَ النقيض بمنزلة الضدّ ، ومنهم الطوسي .

سمّاه البلاغيون، طِباق سَلب ، وسمّاه المناطقة تناقضاً[١]وهولديهم أكمل أنواع التقابلات . استعمله ا لرّماني في تفرقته الدلاليّة الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة والمتقابلة أوالمتناقضة ، فقد عدّ المُتقابلة مُتناقضة ، فذكر في وقوفه عند قوله تعالى : ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[الحجر : ٧٩] أنّ ((الإنتقامَ نقيضُ الإنعامِ،والعقابَ نقيضُ الثوابِ))[٢] ، وهذه ألفاظ متقابلة يقفُ كلّ منها في طَرف ويقف نقيضُه في الطَرف الآخر . وقد تابعه في ذلك الطوسي ، فأكثَر من استعمال مصطلح النقيض وعدّه من أسس التفريق الدلالي بين الألفاظ المتناظرة والمتقاربة والمترادفة .

---

(٦) التبيان ٥٦٦/٢ .
(٧) الفروق في اللغة : ١٩٨ .
(٨) التبيان : ١٦٣/١ .
(٩) التبيان : ١٥٧/١ .
(١٠) التبيان : ١٦٥/١ .
(١١) ينظر التبيان : ٥٣٣/٢ ، ٢٧٣/٣ ، ٢٨٠/٤ .
(١٢) ينظر : (نقض) في مقاييس اللغة : ٤٧٠/٥ ـ ٤٧١ ، ولسان العرب : ٢٤٢/٧ .
(١٣) ينظر لسان العرب (كفر) ١٤٤/٥ .
(١) ينظر : ظاهرة التقابل في علم الدلالة : ١٥ ، وظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية : ٦٤ .
(٢) الجامع لعلم القرآن (مخطوط) ٢٢٣/١٢، نقلاً عن منهج الطوسي ٢٨٨،وينظر الصحاح ٣٦/١ ، ٤٤٨/٢ ، والفروق في اللغة ١٤٩.

ومن ذلك قوله التَّفضيل والتَّرجيح والتَّزييد نظائر ، والتَّفضيل نقيضه التَّسوية))[٣] وقوله أيضاً ((النُّزول والهُبوط والوُقوع نظائر ، ونقيض الهُبوط والنُّزول الصُعود))[٤]. وقوله : ((الحَسرة والنَّدامة نظائر وهي نَقيض الغِبطة))[٥]، وهناك أمثلة أخرى كثيرة[٦] .

ويُلحظ أنّ الطوسي يورِد النقيض لبعض الألفاظ المتناظرة ، لكي يحدّد دلالتها بدقة . كما هو ظاهر فيما تقدم .

(٢) **التقابل بالخلاف :** للخلاف مفهوم عام يُراد به المُخالفة والمُغايرة[٧]. وقد فرّق أبو الطيب اللغوي والطوسي بين الخلاف والتضاد ، وورد مفهوم الخلاف لدى الراغب الأصفهاني بمعنى المُغايرة إذ قال ((الجنّ خِلاف الإنس))[٨] ، والجنّ يقابل الإنس ، وهذا يعني أنّ الخِلاف ضَرب من التقابل ، وورد لدى بعض المتأخرين بمعنى الضدّ ، قال الفَيّومي(ت٧٧٠هـ) ((خُبث ... خِلاف طابَ))[٩] فالطّيب ضدّ الخبيث .

ذلك أنّ الخِلاف أو المُخالفة لا يستوجب التضادّ أو التناقض ، فليس كلّ متقابلين متضادّين أو متناقضين ، فقد يكونان مختلفين فقط .

وقد وقف الطوسي عند هذا النوع من التقابل ، حين قابل بين السماء والأرض في قوله تعالى﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾[البقرة: ٢٢] ، فقال ((وإنّما قابلَ بين البِناء والفِراش لأمرين :

أحدُهما : ماحكاه أبو زيد : أنّ بنيان البيت سماؤه وهوأعلاه ؛ وكذلك بناؤه وأنشد :

بنى السَّماءَ فسَوّاها ببنيتها   و لم تُمُدّ بأَطنابٍ ولا عَمدِ[١]

يريد •ببنيتها) : علّوها .

والثاني : أنّ سماء البيت لّما كان قد يكون بناء وغير بناء: إذا كان من شَعر أو وَبر أو غيره ، قيل : جعلها بناء ليدلّ على العِبرة برَفعها ، وكانت المُقابلة في الأرض والسماء بإحكام هذه بالفَرش ، وتلك بالبناء))[٢].

---

(٣) التبيان ٢٠٨/١ .
(٤) و(٥) التبيان ٦٩/٢ .
(٦) ينظر التبيان ٧٧/١ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ، ٦٧/٢ ، ٩٢ ، ١١٨ ، ١٩٦/٥ .
(٧) لسان العرب :(خلف) ٩ / ٨٧ ـ ٩٠ .
(٨) معجم مفردات ألفاظ القرآن ٢٨ .
(٩) المصباح المنير ١ / ١٦٢ .
(١) لم أقف على نسبته .
(٢) التبيان ١ / ١٠٠ ـ ١٠١ .

ونجد في هذه الآية وحدتين تقابليّتين أساسيّتين هما الأرض والسماء ، وهناك وحدتان تقابليتان ثانويتان هما : الفِراش والبِناء ، وجميعها تتصل بالُبعد المكاني الذي يعبّر عنه بألفاظ الاتجاهات أعلى وأسفل ، وبناءً على هذا فإنّ العلاقة بين ألفاظ الآية علاقة تخالُف وتنافُر ،قادت بدلالتها التقابلية إلى علاقة تضادّ اتجاهي . يمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي[٣] :

ويتّخذ القرآن الكريم من هذه التقابلات وسائل لدعوة الكفار إلى الإيمان ، ومؤشّرات في وضع الفَوارق بين الله عزّ وجلّ وبين ما يُعبَد من دونه ، وهذا نابع من أنّ معانيَ الخلق والموت والحياة والليل والنهار ، كلّها دلائل قاطعة أمام الكفّار لإثبات وجود الله ووحدانيته وأحقّيته بالعباد من دون مخلوقاته[٤] .

ومن أمثلته أيضاً وقوفه عند قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء:٥٥] ، إذ يقول ((فقوبِل اللعب بالحق ، فدلّ على أنّه خلافه ؛ لأنّ اللعب ممّا لا ينبغي أن يُنسَبَ إلى أهل النُسك والصَلاح))[١] .

ويُراد باللعب هنا اللهو والمُزاح[٢]، وهو ليس ضدّاً ولا نقيضاً للحق ، بل هو مخالف له ، وإنّما ضدّ الحق الباطل .

وقد خاطب هؤلاء القوم إبراهيم (عليه السلام)بصيغة الاستنكار والاستهجان واتّهموه باللهو وعدم الجِدّ في كلامه عن آلهتهم ، لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلال ، فتراهم مُتعجّبين مُنكرين[٣]، ولذلك فهم في تيههم يتخبّطون وهذا ديدن الذين لا يُؤمنون بالتوحيد ، فلا إيمان ولا

---

[٣] ينظر : التقابل والتماثل في القرآن الكريم ٢٩٧ ، ٢٢٥ .
[٤] لهذه الآية دلالات كثيرة فصّلها الرازي في التفسير الكبير ١ / ٣٣٥/١-٣٤٤ .
[١] التبيان ٦ / ١٠٥ .
[٢] ينظر : جامع البيان ١٧ / ٣٦ - ٣٧ ، ومجمع البيان ٤ / ٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١ / ٢٩٦ .
[٣] ينظر : الكشاف ٢ / ٥٧٥ .

نور يملأ قلبهم وضمائرهم ، ولا شفاعة تُريهم الحقّ حقاً والباطلَ باطلاً ، إذ عمِلَ التقليد عملَه في ذلك فحال بينهم وبين التوحيد .

وقد يقع التقابل بين الألفاظ المفردة لغير تضادّ أو تناقض أو خلاف ، فمن ذلك قوله تعالى ﴿مَا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [البقرة : ١٤٥] ، فقد روى الطوسي قولاً في تفسير هذه الآية على ((أنها على وجه المُقابلة كما تقول : ما هُم بتاركي إنكار الحق وما أنت تارك الاعتراف به ، فيكون الذي جرَّ الكلام التقابل للكلام الأول ، وذلك حُسن كلام البلغاء))[٤] .

فقابل بين اتباع الكافرين لقبلة محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وبين اتباعه لقبلتهم . وهم اليهود والنصارى . ومما لاشكّ فيه أنّ اتباعه لقبلتهم أمرٌ مستحيل الوقوع لا حاضراً ولا مستقبلاً ، ولذلك عبّر عنه بالجملة الاسمية ، على حين عبّر عن اتباع الكفار بالجملة الفعلية لأنّه أمر قابل للتغيير ، فقد يؤمنون وينقلبون عن قبلتهم إلى قبلة الإسلام مُستقبلاً . وقد قال بهذا التأويل الطبرسي[٥] والرازي[٦] والألوسي[٧] .

وقد يكون التقابل بين الحروف ، كالذي في قوله تعالى﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[الاسراء : ٧] ،إذ إن الاستعمال الشائع أن يقال : أسأتم إليها ، وجيء هنا بلفظة (لها)لغرض دلالي ذكره الطوسي قائلاً :((وإنّما قال (فلها) ليقابل قوله(أحسنتم لأنفسكم) ، والمعنى إن أسأتم فإليها ، كما يقال : أحسنَ إلى نفسه ليقابل أساءَ إلى نفسه))[١]، ولأنّ الآية في مقام بيان أنّ أثر العمل لصاحبه خيراً كان أم شراً ، لذلك استعمل الأسلوب القرآني (اللام) مع الفعل أساء بدل (إلى) أو (على) ، لأنّ اللام تفيد الاختصاص ، إذ إن عمل هؤلاء في الدنيا سيعود عليهم في اليوم الآخر مختصاً بهم لا بغيرهم ، فهو لهم خيراً كان أم شراً[٢] ، وقد قال بالمقابلة في هذه الآية الطبرسي[٣] أيضاً ، ولو سُمّي تناظراً لكان أقرب ،لأنّ (اللام وإلى) متقاربتان في الدلالة.

وقد يكون التقابل بين فعلين لا من حيث المعنى ولكن من حيث الزمن ، فمن ذلك قوله تعالى ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ... ﴾ [الأنعام : ١٤٧]، إذ يقول

---

(٤) التبيان ٢ /١٩ .
(٥) مجمع البيان ١ / ٢٢٨ .
(٦) التفسير الكبير ١٠٨/٤/٢.
(٧) روح المعاني ٢ / ١١ .
(١) التبيان ٦ / ٤٥١ .
(٢) ينظر : الكشاف ٢ / ٤٣٩ ، والميزان ١٣ / ٤٠ ـ ٤١ .
(٣) مجمع البيان ٥ / ٤٤٠ .

الطوسي فيها ((وإنّما قابل بين لفظ الماضي في قوله (كذّبوك) بالمستقبل في قوله (فقل)؛ لتأكيد وقوع القول بعد التكذيب ، وكونه جواباً يدلّ على ذلك))[٤] ، وإنّما يشير إلى تأكيد وقوع الفعل ؛ لأنّ في هذه الآية أمراً إلهياً بإنذار الكفار من بني اسرائيل . إن كذّبوا . بالبأس الإلهي الذي لا مردّ له[٥]، لأنّ الخالق عزّ وجلّ ، يُمهل هؤلاء ويَبعث إليهم بالرُسل والدلائل والتنبيهات والبراهين ، فإذا ما أصرّوا وكذّبوا فإنّه يبتليهم ببلاء عظيم ، فمهما اتّسعت رحمته لا يردّ عقابه للقوم المجرمين وقال بهذه المقابلة الطبرسي أيضاً[٦] .

وقابل بين صورة وصورة في أكثر من سورة[٧] ، كما في قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۞ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۞ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ [عبس: ٣٨ . ٤١] ، إذ بيّن ((أنه تعالى ذكر قسمين من الوجوه متقابلين ، وجوه المؤمنين ووجوه الكفار))[٨] وأنّ المؤمنين وجوههم مضيئة يملؤها الفرح والسرور لِما لقيت من ثواب وجزاء ، في حين أنّ الكافرين وجوههم مغّبرة تغشاها ظُلمة كظُلمة الدخان . وهذه وسيلة من وسائل التعبير القرآني في الموازنة التفضيلية بين صور النعيم والعذاب الأخروي للتأثير في المتلقي . وقال بهذه المقابلة بعده الطبرسي[٩] .

وقابل بين تركيب وتركيب كالذي في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٦] ، إذ لحظ الطوسي التقابل في اللفظة وفي العبارة وفي الصورة ، فذكر في تفسير الآية والمَثَل الوارد فيها ((أنّه مَثَل للكافر والمؤمن ، ودرجة التقابل في ضَرب المَثل بهذين الرجلين أنه على تقدير : ومن هو بخلاف صفته ، (يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيم) في تدبير الأمور بالحق ... أنّ الرجلين إذا كان أحدهما أبكم ... وهو مع ذلك (كلٌّ على مولاه) ، أي وليّه أينما يوجّهه لايأتِ بخير ، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل مع كونِه (على صراط مستقيم) والمُراد أنّهما لايستويان قط ...))[١] .

---

[٤] التبيان ٤ / ٣٠٧ .
[٥] ينظر : الميزان ٨ / ٣٦٦ ، ومجمع البيان ٢ / ٣٧٩ .
[٦] مجمع البيان ٥ / ٤٤٠ .
[٧] ينظر : ١٠ / ١٩٧ ، ٢٣٥ .
[٨] التبيان ١٠ / ٢٧٨ .
[٩] مجمع البيان ٥ / ٤٤٠ .
[١] التبيان ٦ / ٤٠٩ ـ ٤١٠ .

فنجده خلقَ مقابلة معنوية مستنبطة من الآية بين الكافر والمؤمن ، وبين تركيب الجملتين الواصفتين للرجلين ، وبين صورة الأبكم وصورة الذي يأمربالعدل ، فالآية مَثَلٌ ضربه الله لنفسه ولما يَفيض على عباده وَيشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللأصنام التي هي أموات لاتضرّ ولا تنفع ، وهو في مجال التذكير بنعمه وإقامة الموازنة لإثبات استحقاقه العبادة والتوحيد[٢] . وقد قال بهذه المقابلة أيضاً الطبرسي[٣] والرازي[٤] .

ومن أمثلة التقابل المعنوي لدى الطوسي ما أورده في تعليقه على قوله تعالى ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٤١] ، قال ((وإنّما قابل بين التمحيص والمَحْق ؛ لأنّ مَحْصَ هؤلاء بإهلاك ذنوبهم نظير مَحْق أولئك بإهلاك أنفسهم ، وهذه مقابلة في المعنى))[٥] ، والمُراد أنّ الله تعالى يُداول الأيام في النَصر بين المؤمنين والكافرين ، فتارة لهؤلاء وتارة لأولئك ، وإنّما كان ذلك لحِكمة عَظيمة ،وهي تمييز المؤمن من الكافر ، وتخليص قلب المؤمن من كلّ كفر وشرك بثباته على الحق وصبره وقوّته حتى في الخسارة ، وبإبادة الكافرين من وجه آخر شيئاً فشيئاً ، ولا يفعل الله إلا الأصلح والأنفع[٦]، وقد ورد التقابل بين اللفظين صوتاً ومعنى ، فقد تلاءم الإبدال الصوتي مع المعنى فالصاد في (مَحصَ) رِخوة ،والقاف في (مَحقَ) شَديدة ، فجاء بالصوت الرِخو مع المعنى الأسهل ؛ لأنّ التمحيص أسهلُ من الإبادة .

وبنى الطوسي هذه المقابلة على الأصل اللغوي للفظين ، فالأوّل يدلّ على التصفية والتنقية والتخليص من كلّ عيب[١]، والثاني يدلّ على فناء الشيء حالاً بعد حال[٢]. إذ وجد في كليهما دلالة على النقصان ، ولذا عدّه المعنى المشترك بينهما الذي أدى إلى تقابلهما ، وساعد على ذلك التقارب اللفظي ، بينهما ، وهو ما قال به الطبرسي أيضاً[٣] .

درجات التقابل لدى المحدثين :

قسّم المحدثون التقابل على درجات ثلاثة :

---

[٢] ينظر : الكشاف ٢ / ٤٢١ ، والميزان ١٢ / ٣٠٢ .
[٣] مجمع البيان ٣ / ٣٧٥ .
[٤] التفسير الكبير٧/٢٠/٢٤٨-٢٤٩.
[٥] التبيان ٣ / ٣ .
[٦] ينظر : الكشاف ١ / ٤٦٦ ، والميزان ٤ / ٢٩ - ٣٠ .
[١] لسان العرب (محص) ٧ / ٩٠ .
[٢] المصدر نفسه (محق) ١٠ / ٣٣٨ .
[٣] مجمع البيان ١ / ٥١٠ .

(١) التقابل الحاد أو غير المتدرج : (Ungradable)

مثل ميّت وحيّ ، وذكر وأنثى ، وتكون الألفاظ فيه متقابلة تقابلاً كاملاً غير قابل للتعدّد أو التجزئة ، فهي لاتَحتمِل وصفها بأكثر أو أقل ، إذ إنّ كلّ كلمة تمثّل طرفاً من طرفي المقابلة[٤].

(٢) التقابل المتدرج[٥] :

وهو تقابل جزئي غير متكامل ، ويقسّم على قسمين :

أ . المُتدرّج النسبي : وهو الذي يخضع المعيار فيه إلى الموازين والمقاييس والتقاليد الاجتماعية ، ولذا فهو يختلف باختلاف الميول الإنسانية . مثل الحُبّ والكراهية والحُسن والسوء والقُبح والجَمال . فهذه صفات نسبيّة تختلف من شخص إلى آخر .

ب . المتدرّج الأحادي : ويكون التدرّج الدلالي فيه مقتصراً على أحد طرفي المقابلة من دون الآخر ، فيكون الثاني غير قابل للتعدّد . مثل : الفناء والبقاء .

ويرى البحث أنّ هذه الدرجات التقابلية قائمة في الأمثلة التي تناولها الطوسي . ولذا فمن باب التطبيق في مجالات نظرية الحقول الدلالية الحديثة نضع تلك التقابلات في جداول تبعاً للتقسيمات المذكورة آنفاً ، وعلى النحو الآتي:

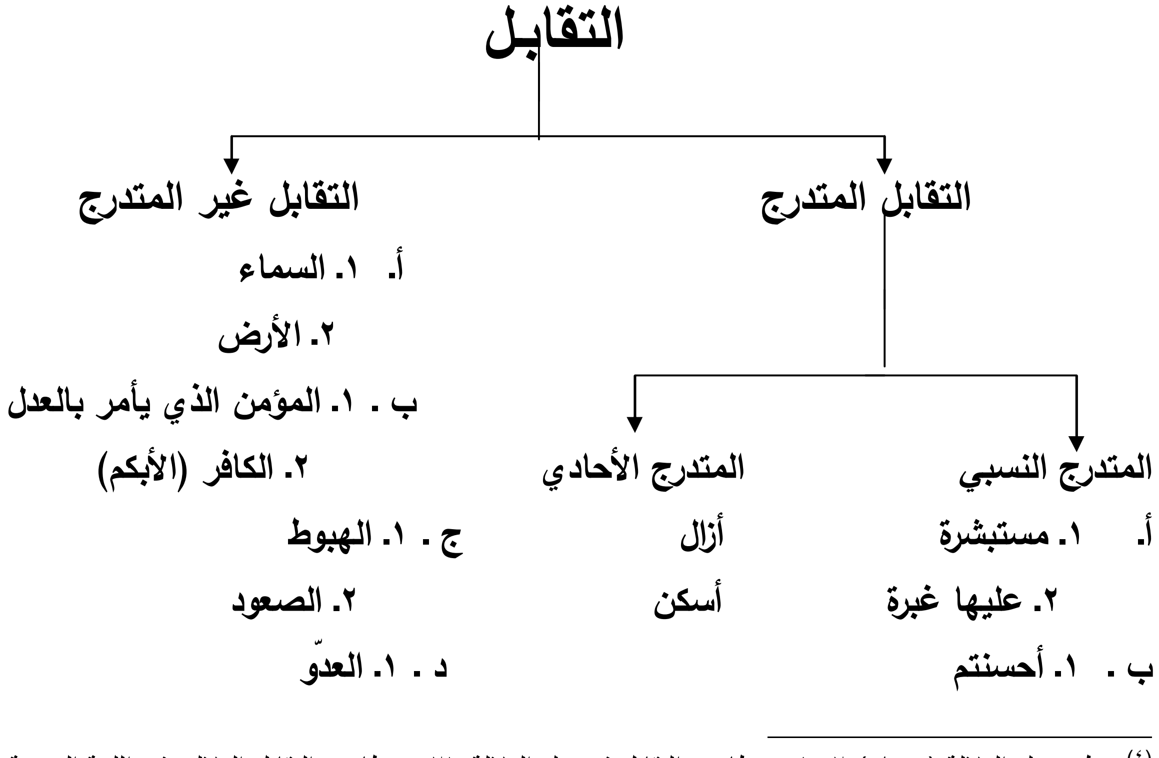

---

(٤) ينظر: علم الدلالة (مختار) ١٠٢ ، وظاهرة التقابل في علم الدلالة ٢٦ ، وظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ١١١ .

(٥) ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة ٢٦ ـ ٢٧ ، وظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ١١٦ ـ ١١٧ .

٢. أسأتم ٢. الولّي

ج . ١. الجدّ

٢. اللعب

د . ١. التفضيل

٢. التسوية

هـ . ١. الحسرة

٢. الغبطة

ز . ١. القرب

٢. البعد

الفصل الثالث

التغير الدلالي

المبحث الأول : تخصيص الدلالة

المبحث الثاني :تعميم الدلالة

المبحث الثالث : تغير المجال الدلالي

توطئـة :

التغّير والتطّور سمتان متأصّلتان بحركة الحياة والوجود المطلق ، إذ تشملان كلّ شيء في الكون . وبما أنّ اللغة وسيلة للتعبير عن الحياة ومتطّلباتها ،وهي كذلك المرآة العاكسة لحياة المجتمع الذي تحيا بين جوانبه ، وهذه الحياة تسير في عجلة التطّور من دون توقف ، فلا بدّ إذن من تطّور اللغة ؛ لأنّها تخضع للظروف التي يخضع لها المجتمع ، فهي تستمدّ وجودها منه ومن تقاليده ،فترقى برقّيه وتتأخر بتأخّره .

والتغّير الدلالي ((ظاهرة شائعة في كلّ اللغات يلمسُها كلّ دارس لمراحل نمّو اللغة وأطوارها التاريخية))[1]وهو تغّير يحصل في معاني الكلمات فُيكسبها دلالات جديدة من أجل أن تعّبر عن متطلبات الحياة المتجدّدة وتصبح قادرة على مواكبتها والإيفاء بحاجاتها. تسّمى في علم اللسانيات :الاستبدال في رصيد اللغة ،أو التوالد اللغوي المستمر،وهي من الظواهر اللصيقة بحياة المفردات أكثر مما هي مرتبطة بمبنى التراكيب[2]

ولا يجري هذا التغّير تبعاً للأهواء والمصادفات أو تبعاً لرغبات الأفراد ؛ وإّنما هو يخضع لقوانين ثابتة واضحة المعالم ، ولا يمكن إيقافه وتجميد اللغة على وضعٍ خاصّ ، فعلى الرغم من الُمعّوقات ، تبقى اللغة سائرة في السبيل التي تقّررها لها سنن التطّور والارتقاء الطبيعية[3].

ولكنّ هذا لا يعني أنّها تتغّير وتتطّور على نحو مقصود ، بل يحدث ذلك تلقائياً ، وهو ينتج من تفاعل ثلاثة أُسس اجتماعية هي : اللغة ، والبيئة ، والمؤثرات الخارجية ، فاللغة كائن حي تتأثر بالبيئة والمؤثّرات الخارجية . وهي مِطواع لهما تتماشى معهما على وفق ما تقتضيه الظروف .

وعلى الرغم من أنّ تقدمها قد يبدو بطيئاً أحياناً ، غير أنّها ليست جامدة أو ساكنة ، فجميع عناصرها المكّونة لها تتعّرض لذلك التغّير ، ولكنّ سرعة حركتها وتطّورها تختلف من زمن إلي آخر ، ومن جنسٍ لغوي إلى آخر[4] .

وبناًء على الأسس الثلاثة التي مّرت آنفاً والتي تولّد عنها التغّير الدلالي ، فأّنه يمكننا القول : إنّ التغير يقع في جانبين متلازمين[5] :

أحدهما داخلي : وهو مرحلة التغير الحاصل في بنية اللغة (**Inoration**)، التي تعتمد على الابتداع في الكلام الفعلي ، وأسلوب المتكلم (**Speech**) .

---

[1] دلالة الألفاظ : ابراهيم أنيس ١٢٣ .

[2] التفكير اللساني في الحضارة العربية ١٨٥.

[3] اللغة والمجتمع :علي عبد الواحد وافي ٩١ .

[4] دور الكلمة في اللغة ١٧٠ .

[5] ينظر اللغة العربية عبر القرون : محمود فهمي حجازي ٨ ـ٩ ، ودور الكلمة في اللغة ١٧٠ ـ ١٧٤ .

والآخر خارجي : وهو مرحلة الاستعمال اللغوي (Dissemination) التي بها يشيع التغّير الدلالي وينتشر ،التي تعتمد على التقليد الاجتماعي .

وهذان الجانبان يكمّل أحدهما الآخر ،فلا يمكن الفصل بينهما ، وقد فرض وجودهما في العربية أمران نابعان من اللغة نفسها [1] :

أحدهما : الطبيعة الرمزية الصوتية .

و الآخر : الوظيفة الاجتماعية .

فاللغة نظام من الرموز الصوتية (الألفاظ)المرتبطة بمعانيها ارتباطاً مكتسباً ، وقيمة الرمز اللغوي تقوم على علاقة بين مُتحدّث ومُخاطب، أي بين مُؤثّر ومُتلقٍّ ، واللغة وسيلة التعامل الفكري بينهما ، وصدور هذه لرموز لأداء معانٍ مُحدّدة يعنيها المُؤثّر ويفهمها المُتلقّي معناه اتّفاق الطرفين على استعمال هذه الرموز للتعبير عن الدلالات المقصودة . فهناك ارتباط بينهما أساسه اللغة .،وهذا الارتباط قابل للتغيير ، ومن ثّم فإنّ تعامله مع اللغة سيتغّير أيضاً ، ولذا فإنّ العلاقة بين الرموز والمدلولات ستتغّير أيضاً [2] .

أّما الوظيفة الاجتماعية فتتمثّل في ندرة وجودها في غير مجتمع متكامل ، ولّما كانت تلك المجتمعات متغّيرة بتأثير عوامل الزمن والمجتمع ،لذا فإنّ اللغة الإنسانية تتغّير أيضاً [3].

وقد أولى علماء العربية موضوع التغّير الدلالي عناية كبيرة من غير أن يشيروا إلي مصطلحه الذي تعارف عليه المحدثون ،فقد عُنوا بمعرفة حياة اللغة وتقلّباتها وتأثّرها بالظواهر الاجتماعية والدينية ، ودرسوا أصول الألفاظ وتطّورها على مدى العصور ، وكان لهم في ذلك جهود مثمرة تركت لنا تراثاً زاخراً بمباحث دلالية جّمة في هذا الميدان .

أما المحدثون فقد عُنوا بهذا التغّيرعلى نحو أكثر شمولاً وتنظيماً ،ووجدوا أّن المشكلة اللغوية تزداد تعقيداً كلّما ازدادت للحياة رُقّياً وتَحضّراً ؛ لأّن الحضارة الجديدة لابدّ لها من أدوات لغوّية تُترجم عنها ترجمة صادقة ، ثّم لاحظوا أّن الألفاظ تتطّور فتكتسب من المعاني أشياء جديدة لم تكن لها[4]، ولذلك يرون في تتبع التغّير الدلالي وسيلة للكشف عن سّر نمو اللغة من حيث متنها وأساليبها،ويعزون ذلك إلى اتجاه الإنسان نحو التقّدم والرقّي في جميع مقّومات حياته الخاصّة والعاّمة ، ومن ثّم البحث عن مفردات لغويةّ تساير الحياة الجديدة[1]

---

[1] ينظر: اللغة العربية عبر القرون ٨.
[2] علم اللغة العربية :مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية: محمود فهمي حجازي ١٠.
[3] ينظر: علم اللغة بين التراث والمعاصرة : عاطف مدكور ١٧ ، ٢٥ ـ ٢٦ .
[4] التطور اللغوي التاريخي : ابراهيم السامرائي ٤٦ .
[1] المدخل الى علم اللغة : رمضان عبد التواب ١٢٢ .

وعُنوا كـ ذلك بأسباب التغّير الدلالي ومَظاهره وصُوره ،وفسّره طائفة منهم بتفسيرات ، فقيل هو: تغيير معاني الكلمات[٢]، وقيل: هو تغيير العلاقة بين الدال والمدلول[٣]، على حين أرجعه بعضهم إلى التداعيات الثانوّية الطارئة على مُسمّيات الأشياء ، وتشمل تلك التداعيات: المعنى السياقي والقيمة الاجتماعّية أو التعبيرّية ، وهذه تؤثّر تدريجياً في المعنى الأساس للألفاظ فتحلّ محّله ويتحّول المعنى حين ذاك عّما كان عليه[٤].

وقد حصروا أسباب تغّير المعنى بثلاثة أسس هي : لغوّية ، وتاريخّية ، واجتماعّية ، تشمل : التطّور الاجتماعي والثقافي ، وظهور الحاجة والمشاعر العاطفّية والنفسّية ، والاستعمال المجازي ، وأسباباً أخرى غيرها[٥].

وعلى الرغم من كثرة تلك الأسباب وتنّوعها إلا أّنه يمكن القول إّن هناك عنصرين يقوم عليهما ذلك التغّير هما :سلوك المتكلّم نفسه ، أي كيفية تعامله مع اللغة ، والاستعمال اللغوي الذي تمارسه البيئة الاجتماعية[٦].

فالاستعمال اللغوي هو أساس تغّير الألفاظ دلالياً ، لأّنه هو الذي يحدّد معنى الألفاظ ومدى شيوع ذلك المعنى أو اندثاره ، ذلك أّن اللغة بلا استعمال تموت ، فهو وسيلة إحيائها ونمّوها ، ولايكون هذا النمو إلاّ بالتطّور والتغّير .

وقد أدرك علماؤنا الأوائل أثر الاستعمال في عملية تطّور معاني الألفاظ وتغّيرها وجعلوه حدّاً فاصلاً بين الحقيقة والمجاز ، وبدأت الإشارة إليه على يد علماء الأصول ، من أمثال أبي عبدالله البصري (تـ٣٦٧ هـ) وأبي الحسين البصري[٧] (تـ٤٣٦ هـ)، والشيرازي[٨] (تـ٤٧٦ هـ) ، والغزالي[٩] ، وفخر الدين الرازي[١٠] .

وأشار إليه أيضاً طائفة من علماء اللغة والتفسير ، ومنهم ابن جني[١] ، وأبو هلال العسكري[٢] ، وعبد القاهر الجرجاني[٣].

---

[٢] علم الدلالة (مختار) ٢٣٥ .
[٣] دور الكلمة في اللغة ١٦٩ .
[٤] علم الدلالة : بيارغيرو ٧٥ .
[٥] ينظر دلالة الألفاظ١٣٤ ـ ١٥١ ، وعلم الدلالة (مختار)٢٣٧ ـ ٢٤٢ ، وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة ٢٨٤ ـ ٢٨٧ ، وعلم اللغة بين القديم والحديث ٢١٢ ـ ٢٢٥ .
[٦] اللغة ٢٧٢ .
[٧] المعتمد في أصول الفقه : أبو الحسين البصري ٣٤/١ ـ ٣٥ ، وينظر البحث اللغوي عند الرازي ٣٤٥.
[٨] اللمع في أصول الفقه : أبو اسحاق الشيرازي ٥ ، وينظر البحث اللغوي عند الرازي ٣٤٥ .
[٩] المستصفى في علم الأصول : ا ٣٤١/١ ، وينظر البحث الدلالي عند الغزالي٩١ ـ ٩٢ .
[١٠] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي٥٤ـ٥٥،وينظر المجاز في البلاغة العربية:مهدي صالح السامرائي ٢٠٧ .
[١] الخصائص ٤٤٢/٢ .
[٢] الصناعتين١٣ .
[٣] أسرار البلاغة ٣٢٤ .

ونظراً لأهمية الاستعمال في التغّير الدلالي ، فقد وجدنا علماء اللغة في دراساتهم المتّوعة يتوخّون الوقوف على تغّير دلالة الألفاظ وتطّورها باسترجاع التاريخ الدلالي للفظ في الوضع اللغوي ، والوضع الُعرفي ، والاستعمال ؛ لأنّ هذا يمنح الدارس ثراءًوفهماً في الوقوف على الصلة المعنوية بين الأصل والفرع ، ممّا لو دُرس اللفظ مُنقطعاً عن جذوره التاريخية .

وتزداد هذه الأهمية بدراسة ألفاظ القرآن الكريم ومعانيها ودلالاتها ؛ لأنّ هذا يكشف لنا حقيقة هامّة ، وهي أنّ هذا الكتاب العظيم قد حفظ لنا اللغة العربية من أيّ تدهور واندثار ، حيث بقيت مرتبطة بأصولها التاريخية القديمة ومازالت تتطّور وتتجدّد مواكبة الحياة الإسلامية الجديدة بما أكسبها من ألفاظ بدلالات إضافية تلائم تشريعات الدين الجديد .

ولذا وجدنا الطوسي . وهو من كبار الأصولين والمفسرين . يؤكّد الجانب التاريخي والاستعمال اللغوي في دراسة مفردات القرآن الكريم وذلك بالرجوع إلى أصولها الدلالية التي تولّدت عنها دلالة اللفظ ، ثّم تفسيرها وتحليلها وبيان كيفّية استعمالها حقيقةً أو مجازاً [٤].

وكان يقف عند الأصل اللغوي للألفاظ ، ثّم يُبّين . في كثيرٍ من الأحيان . ما آل إليه اللفظ من معنًى جديد وما أصابه من تغّير دلالي ، وهو يحرص على تتّبع ذلك التغّير الحاصل على مدى الزمن . وقد استعمل عبارات وألفاظ عدّة للإشارة إلى الوضع الأصلي للفظ منها : (الأصل)[٥] ، و(أصل الباب)[٦] ، و(أصله في اللغة)[٧] . وكانت عبارة (أصل الباب) ذات مضمون دلالي ؛لأنها تمثّل المعنى العام الذي يمكن أن يُستخلص من جميع الألفاظ المشتقة من ذلك الأصل ، وجميع المعاني المشتقة منه والمتفرّعة عنه تدور حوله ولا تبتعد عنه كثيراً ، الأمر الذي يساعد على معرفة مسيرة التطّور الدلالي لهذا الأصل والوقوف على آخر معانيه المستعملة .

ولفَهم المضمون الدَلالي لمصطلح (أصل الباب) والنظر فيما يماثله من مفاهيم قديمة وحديثة ، لابّد من الوقوف عند نماذج من تفسيرات الطوسي ، مثال ذلك تفسيره لفظ (غَفَر) ، إذ قال: ((الُغفران : إّنما هو التغطية ، يقال للَسحابة فوق السحاب:الَغفَّارة ، وثوبٌ ذو غُفُر : إذا كان له زِئبر يستُر قُبحه ، ويقال : المِغفَر لتغطية الُعنق ، ويقال :غفَرتُ الشيء ، إذا واريتُه والمِغفَرة والَغيرة بمعنى واحد ، والَمغفَرة منزلٌ من منازل القمر يسّمى بذلك لخفائه ... وكلّ ما تفّرع من هذا الباب فهذا معناه))[١]، وظلّ مسترسلاً في ذكر الصيغ المشتقة من هذا اللفظ ومستشهداً له بكلام العرب ، فذكر

---

(٤) التبيان ١/ ٢٣٨ ، ٢/ ٥٠٣ .
(٥) التبيان ٢٦١/٤ ، ٣٥٦ ، ٤٦٧ ، ٥/ ١١، ١٦١ ، ٦/ ١٩٧ .
(٦) التبيان ٢٠٩/١ ، ٢٣٣ ، ٢٥٠ ، ٣١٥ .
(٧) التبيان ١١٨/١ ، ١٩٣ ، ٤ / ١٩١ ، ١٩٢ .
(١) التبيان ١ / ٢٦٥ .

مايزيد على عشرين لفظاً مشتقاً تدور معانيه حول التغطية على نحو مباشر وغير مباشر ،ثّم ختم كلامه بقوله : ((وأصل الباب ، التغطية))[٢] .

فدلالة الستر والتغطية ماثلة في كلّ لفظ مشتقّ من(غَفَر) ، وهو ما ورد في كتب اللغة القديمة[٣] والحديثة[٤] .

ويقارب مصطلح (أصل الباب) لدى الطوسي مصطلح (المقياس) لدى ابن فارس في معجمه، إذ كان يُرجع معاني المفردات المشتركة في أصلٍ واحد الى معنى عام يجمعها ، فمن ذلك قوله في لفظ (غَفَر) : ((الغين والفاء والراء عُظْمُ بابه الستر... فالغَفْر: السَتر ، والغُفران والغُفر بمعنًى ، يقال غَفَر الله ذنبه ..ويقال : غَفَر الثوب إذا ثار زِئبِره ، وهو من الباب ؛لأنّ الزِئْبِر يغطّي وجه الثوب...))[٥].

وقد سبقهما إلى هذه الاشتقاقات الدلالية ابن جني في خصائصه ، وسّمى هذا النوع من الاشتقاق: (الصغير)،وعرفّه بأن ((تأخذ أصلاً من الأصول فتتقرّاه ،فتجمع بين معانيه ، وإن اختلفت صيغه ومبانيه ، كتركيب (س ل م) فأنّك تأخذ منه معنى السلامة في تصرّفه نحو سَلِمَ ويسلُمُ وسالِم وسَلمان وسَلمى والسلاَمة ... وعلى ذلك بقية الباب إذا تأّولته وبقية الأصول غيره))[٦] .

ويمكن أن ندخل مفاهيم (أصل الباب) و(المقياس) و(الاشتقاق الأصغر) في ضمن ما يسّميه المحدثون (المعنى الأساسي)[٧] ، أو (المعنى المركزي)[٨](**Central Meaning**) وهو المعنى الأصلي الذي يتصّوره السامع عند سماعه اللفظ[١]،الذي تجتمع حوله كل اشتقاقات ذلك اللفظ ودلالاته المتعددة .فمعنى التغطية يمثّل المعنى المركزي لكلّ الألفاظ المشتقة من (غَفَر) ، وكلّ مايدور حول هذا المعنى يُعدُّ معنًى فرعياً . والأمثلة على ذلك كثيرة في التبيان[٢].

---

(٢) المصدر نفسه .
(٣) ينظر (غفر): العين ٤٠٦/٤ ، وغريب الحديث لابن سلام : ٣/ ٣٤٨ ، والصحاح ٢ / ٢٥ ـ ٢٧ ، ولسان العرب ٢٥/٥ ـ ٢٦ .
(٤) ينظر (غفر) الإفصاح في فقه اللغة ١/ ٢٥ ـ ٢٧ ، والمعجم الوسيط ٢/ ٦٦٢ .
(٥) مقاييس اللغة ٤/ ٣٨٥ .
(٦) الخصائص ١٣٦/٢ .
(٧) اللغة والمعنى والسياق ٣٥ .
(٨) ينظر: ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث (بحث) : علي زوين ٧٣ .

(١) اللغة والمعنى والسياق ٢٤ .
(٢) ينظر: التبيان ٢٥٠/١ ، ٤٢٨ ، ٣٢١/٢ .
(٣) الكشاف١٤٣/١،وينظر:الدراسات النحويةواللغوية عند الزمخشري: فاضل السامرائي٢٩٧،ومنهج الطوسي٢٨٠ .
(٤) مجمع البيان ١٩٩/١ ، ٢٠٤ ، ٢٨٥/٢ ،٢١٣/٣، وينظر: منهج الطوسي ٢٨٠ .

واستُعمِل مصطلح (أصل الباب) بقصد المعنى المركزي لدى الزمخشري[٣] ، والطبرسي[٤] (ت ٥٤٨هـ) أيضاً .

وبالعودة إلى موقف المحدثين من التغيّر الدلالي ، يتبيّن أنّهم حدّدوا له عدّة أشكالٍ هي[٥]:

(١) تخصيص الدلالة .

(٢) تعميم الدلالة .

(٣) تغيّر مجال الدلالة .

(٤) رقيّ الدلالة وهبوطها .

(٥) المبالغة .

وأكثر هذه الأنواع شيوعاً هي الأنماط الثلاثة الأولى ، يقول فندريس : ((هناك تضييق عند الخروج من معنًى عامٍّ إلى معنًى خاصٍّ ... وهناك اتّساع في الحالة العكسيّة ، أي عند الخروج من معنًى خاصٍّ إلى معنًى عامٍّ ... ، وهناك انتقال عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لايختلفان من جهة العموم والخصوص ، كما في حالة انتقال الكلمة من المحلّ إلى الحال ، أو من السبب إلى المسبّب ، أو من العلامة الدالّة إلى الشيء المدلول عليه))[٦] .

وسيقف البحث إن شاء الله عند هذه الأنماط الثلاثة ؛ لأنّها احتلّت مكانة مميّزة في تفسير (التبيان) بما يُنبئ عن إحاطة الطوسي بجوانب دلاليّة كثيرة في علم العربية .

---

(٥) ينظر: دلالة الألفاظ : ١٥٢- ١٦٧ ، وعلم الدلالة (مختار) ٢٤٣ -٢٥٠ ، ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : عبد العزيز مطر ٢٨١ - ٢٨٨، وفقه اللغة وخصائص العربية ٢١٨ ،ودور الكلمة في اللغة ١٧٩ - ٢٠٢ .

(٦) اللغة : ٢٥٦.

المبحث الأول
تخصيص الدلالـة

يسمّى العـام المخصوص ، وهو ما وُضع في الأصل عامّاً ثمّ خُصّ في الاستعمال ببعض أفراده[١]، ويسمّى أيضاً قصر العام ، أو تخصيص الدلالة أو تضييق المعنى ويُراد به قصر الدلالة العامة للألفاظ على بعض أجزائها وتحديد مدلولها وتضييق شمولها ، إذ تصبح مختصّة بدلالة معينة أقلّ اتساعاً مما كانت عليه في الأصل[٢] ، فتشيع وتصبح هي الدلالة المتبادرة إلى الذهن عند سماع تلك الألفاظ . وهو صورة واضحة من صور التطّور الدلالي يمكن أن تُعزى إلى أمور عدّة هي :

(١) كثرة استعمال العام في بعض ما يدلّ عليه ، فيُزيل مع تقادم العهد عموم معناه ، ويقصُر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله[٣]. وهو ما يسمّى: الاستعمال العُرفي ، الذي سنقف عليه إن شاء الله .

(٢) انقراض طائفة من الأشياء أو العادات أو المظاهر التي تعّبر عن اللفظ دلالياً ،يؤدّي إلى تضييق دلالته واقتصارها على ما بقي من تلك الأشياء متداولاً[٤] .

(٣) إضافة بعض الملامح التمييزّية للفظ ، فكلّما ازدادت الملامح لشيء ما قلَّ عدد أفراده[٥].

(٤) تحقيق أمن اللبس ، فقد توقِع الدلالات العامـّة في سوء الفَهم بسبب شمولها لأشياء كثيرة ، فيكون التخصيص وسيلةً لتحديد المقصود على وجه الدقّة[٦].

وقد أدرك علماء العربية هذه الظاهرة وأشاروا إليها في دراساتهم اللغويةّ والبلاغّية والتفسيرّية والأصولّية . وإن لم يصرّحوا بالمصطلح الحديث . إذ وقفوا عند الألفاظ التي تخصّصت دلالتها وشرحوا أصولها اللغوية ومدى التطّور الحاصل في دلالتها وصولاً إلى معناها الجديد .

وأشهر من أشار إليها ابن قتيبة[٧]، وابو حاتم الرازي[٨](ت٣٣٧هـ)، وابن فارس[٩] ، والغزالي[١٠]، والرازي[١١]، والآمدي[١٢]، والسيوطي[١٣](ت٩١١هـ) .

---

(١) المزهر ٤٢٧/١ .

(٢) دلالة الألفاظ ١٥٢ ، وعلم اللغة (وافي) ٣١٩ ، وعلم الدلالة (مختار) ٢٤٥ ، ودور الكلمة في اللغة ١٨٠ ، وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة ٢٨٨ .

(٣) علم اللغة (وافي) ٣١٩ .

(٤) في الدلالة والتطور الدلالي : أحمد قدور ١٣١ (بحث) .

(٥) علم الدلالة (مختار) ٢٤٦ .

(٦) في الدلالة والتطور الدلالي١٣١ .

(٨) تفسير غريب القرآن ٧-٣٦ ، وتأويل مشكل القرآن ١٦١ ، ٤٧١، ٤٧٢ .

(٨) الزينة في الكلمات الإسلامية ٢٧/٢ وما بعدها .

(٩) الصاحبي ٧٨ ـ ٨٦ .

(١٠) المستصفى من علم الأصول

(١١) المحصول في علم أصول الفقه ١/ ٤١٠/١ ـ٤١٤ .

(١٢) الأحكام في اصول الأحكام ١ / ٢١ ـ ٢٢ .

وقد كان للطوسي اهتمام بالغ بهذه الظاهرة ، إذ كان يقف عند الألفاظ ليبيّن أصولها اللغوية وتطوّرها الدلالي وصولاً إلى ما انتهت إليه من معنىً متداولٍ ومستقرٍ ، وكان حريصاً على تأصيل الألفاظ والربط بين دلالتيها القديمة والجديدة ، إذ جعل المعاني الجديدة بشكل أو بآخر ذات صلة وثيقة بالمعنى القديم ، مما يوحي بعلميّته ودقة معرفته بخصائص اللغة العربية ومعانيها وسيرة تطوّرها وسعة اطلاعه على أصول شتى في هذا الميدان .

وقد اقتضت منهجية البحث أن تقسّم الألفاظ التي وقف عندها الطوسي على قسمين (الألفاظ العُرفية) التي خُصِّصت دلالتها بعُرف المجتمع والاستعمال اللغوي ، و(الألفاظ الإسلامية) التي خُصِّصت دلالتها بمفهوم الشريعة والدين . ولا يخرج التخصيص عن هذين النوعين من الألفاظ ، فالعُرف اللغوي والدين الإسلامي هما أكبر قوّتين مؤثّرتين في تغيير دلالة الألفاظ من العامّ إلى الخاصّ .

أولاً : الألفاظ العُرفية :

وهي الألفاظ المنقولة من بابها الأصلي بعرف الاستعمال[1] ،الذي هو العُرف القولي والاجتماعي الذي يُضفي أمراً دلالياً جديداً على عدد من الحقائق اللغوية امتداداً لمعانيها في أصل اللغة لتكون دالّة على معنىً مخصوص[2] ، إذ إنّ للشيوع والتعارف من قوّة الأثر ما يضاهي الأصل أحياناً ، ولا يقتصر ذلك على اللغة فحسب ،وإنما هو يتجاوزها إلى شتى ضروب الحياة المختلفة[3] .

وتسمى الألفاظ عُرفية باعتبارين[4]:

(١) أن يوضع الاسم لمعنىً عام ، ثمّ يُخصِّص عُرف الاستعمال من أهل اللغة ذلك الاسم ببعض مُسمّياته ، كاختصاص الدابّة بذوات الأربع مع أنّ الوضع لكلّ مايدبّ ، واختصاص اسم المتكلّم بالعالم بعلم الكلام مع أنّ كل قائل أو متلفّظ متكلّم .

---

[13] المزهر ٤٢٧/١ .

[1] الفروق في اللغة ٥٧ ، والإحكام في أصول الأحكام ١ / ٢١ .

[2] البحث اللغوي عند فخر الدين الرازي ٥٠ .

[3] التصور اللغوي عند الأصوليين ٦٣ .

[4] المستصفى من علم الأصول ١ / ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ، وينظر التصور اللغوي عند الأصوليين ٦٤ ، والبحث الدلالي عند المعتزلة ١٢٢ .

(٢) أن يصير الاسم شائعاً في غير ما وُضِع له أولاً ، أي فيما هو مَجاز فيه ، كلفظ (الغائط) الموضوع ابتداءً للمطمئنّ من الأرض ، فصار أصل الوضع منسيّاً بحكم المجاورة ، ودلّت الكلمة على قضاء الحاجة حيث ((يشتهر المجاز بحيث يكون استعمال الحقيقة منكراً))[١] ؛ ذلك لأنّ المجاز متى استقر في البيئة مدلوله وتحدّد معناه عاد إلى ما كان عليه أولاً في تسميته بالحقيقة مقيّدة بعرف هذه البيئة وتواضعها ، إذ يسمّى المَجاز حينئذ حقيقة عُرفّية[٢] ، وقد يُسمّى ((المجاز المنقول))[٣] .

وللاستعمال أثّر بالغ في تخصيص الألفاظ ، إذ يزدادُ معنى الكلمة تغّيراً كلما ازداد استعمالها ؛ ذلك لأنّ الذهن يوجّه في كل استعمال إلى اتجاهات جديدة توحي بمعانٍ جديدة[٤] ، ولذا ينشأ ما يُسمّى (التأقلُم : **Polysemie**) الذي هو: ((قدرة الكلمات على اتخاذ دلالات متنوعة تبعاً للاستعمالات المختلفة التي تستعمل فيها ، وعلى البقاء في اللغة مع هذه الدلالات))[٥] .

رأي الطوسي :

عُني الشيخ بالألفاظ العُرفية عنايةً بالغةً ، ولم يترك فرصة إلا وأشار إليها مقّراً ومحلّلاً دلالياً ، واستعمل ألفاظ وعبارات مختلفة في تسميتها والتعبير عنها ، من ذلك : (حقيقة العُرف)[٦] و(تخصّص في العرف)[٧] و(كثُر حتى صارَ ..)[٨] و(صارَعَلَماً)[٩] ، و(في عُرف الناس)[١٠] .

وكان من اهتمامه بهذه الألفاظ حرصه على التمييز بين معانيها ومعاني غيرها من ألفاظ اللغة . إذ فرّق بين المعنى الأصلي أو (الوَضعي) وبين المعنى (العُرفي) الذي تعارف عليه الناس . والمعنى (الوَضعي) هو المعنى الذي استُعمل فيه اللفظ في أصل وضعه اللغوي ولم يتجاوزه ،ومن ذلك وقوفه عند قوله تعالى :﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[البقرة :٧٥] .إذ بّين أنّ عبارة (كلام الله) يُراد بها تكلّمهُ على وجه الحقيقة ، وسماع اليهود ذلك منه ، كما يُسمع الكلام من أفواه البشر ، وإنّما المراد أنهم ((سمعوا ما

---

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة : علي بن حمزة العلوي ١ /٥٢ .
(٢) دراسات في القرآن ٢٩ .
(٣) المجاز وأثره في الدرس اللغوي : محمد بدري عبد الجليل ١١٩ .
(٤) اللغة ٢٥٤ .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) التبيان ٥/٥٨ ، ٤٥ .
(٧) التبيان ٢/ ١٨٧ .
(٨) التبيان ٢ / ٤٥ ، ٣/٣٠٥ .
(٩) التبيان ١/٢٢١ ، ٦/٢٧٠ .
(١٠) التبيان ١/٣٢ .

يُضاف إلى كلامه بضرب من العُرف دون حقيقة الوضع. ومن قال بهذا قال:هم الذين سمعوا كلام الله الذي أوحى الله إلى موسى،وقال قوم:هو التوراة التي علّمها علماء اليهود))[١].وحقيقة الوضع لديه هي المعنى الوضعي أو الأصلي للفظ.

وجاءت عبارة (كلام الله) في القرآن الكريم على وجوه[٢]:

أولها: الكلام المباشر من غير وحي الذي كلّم به موسى (عليه السلام)[٣] .

والثاني: الوحي الذي أوحى به إلى نبيّه محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وهو القرآن[٤] ،

والثالث: علم الله وعجائبه[٥] .

والراجح لدى أغلب المفسّرين أنّ المراد بكلام الله هو كتابه الذي أنزله على اليهود وهو التوراة[٦] .وذلك لاستبعاد سماعهم كلام الله تعالى على وجه الحقيقة ، فضلاً عن أنّ هذه العبارة وردت في مفهوم الإسلام دالة على كتاب الله العظيم المنزّل على نبيه المصطفى محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه الكرام .

ونجد الطوسي في مواضع يفرّق بين الألفاظ العُرفية والمجاز ، إذ يستبعد وجود المجاز من عددٍ من الآيات ويحمل الكلام على أنه حقيقة عرفّية ، كالذي في قوله تعالى: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة :٢٠٩] ، إذ فسّر الآية بقوله ((معنى الآية فإن زَللتُم بمعنى:تنحّيتُم عن القصد والشرائع وتركتُم ما أنتم عليه من الدين ..)) ، ثم بيّن أنّ : (زلّ) في الآية مجاز تشبيهاً بمن زلّ عن قصد الطريق ، وحقيقتهُ عصَيتم الله في ما أمركم به أو نهاكم عنه ، ثم رجّح أن يكون حقيقة عُرفية فقال: ((والأُولى أن يكون ذلك حقيقة في العُرف))[٧] .

والمجاز : هو خروج اللفظ عمّا وضع له في أصل اللغة ، فإذا نُقل من مدلوله الأصلي إلي مدلول آخر بالاستعمال والتعارف بين الناس ، وشاع واستقر بينهم بالمدلول الجديد صار حقيقة عُرفية[٨] .

و(زلّ) أصله في اللغة : زلقَ ، وزلّ عن مكانه[١]، ثم استُعمل على سبيل المجاز في الرأي الخاطئ ، وفي الميل عن شرائع الإسلام ، والخروج عن طاعة الله[٢] . إذ انتقلت دَلالته من الأصل

---

(١) التبيان ١ /٢٢١ ، ٦ / ٢٧٠ .
(٢) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : هارون بن موسى ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ، وكشف السرائر عن الوجوه والنظائر : ابن العماد ٢٨٩ .
(٣) ينظر: النساء : ٦٤ .
(٤) التوبة : ٦، والفتح :١٥ .
(٥) ينظر: الكهف :١٠٩ ، ولقمان : ٢٧ .
(٦) ينظر:جواهر الحسان ١ / ٨٠ ، والكشاف ١ /٢٩١ ، ومجمع البيان ١ /٣١٧ .
(٧) التبيان ٢ /١٨٧ ، وينظر معاني القرآن وإعرابه ١ /٢٧١ ، وجواهر الحسان ١ /١٥٩ ـ ١٦٠ ، ومجمع البيان ١٧٧/٢ ـ١٧٨ .
(٨) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ١ / ٥٢ .

الحسي إلي المجال المعنوي على سبيل المجاز ، وذكر الطوسي أنّ هذا المجاز لكثرة شُيوعه صار حقيقة عُرفّية ، حتى أنّ هذا اللفظ لا يدلّ في سياق هذه الآية إلاّ على الكفر والعصيان والخروج عن طاعة الله . ورجّحت هذه الدلالة القرائن المحيطة بها التي لا تحتمل الحقيقة . وهذا يعني أنّ الدلالة الحقيقّية والدلالة العرفّية المجازية يجوز أن تُستعملان معاً في التعبير عن المعاني ، غير أنّ لكلٍّ منهما سياقها الخاصّ بها .

ونراه يؤكّد أهمّية الاستعمال والعُرف اللغوي في إسقاط اسم المجاز عن الألفاظ كالذي في قوله تعالى﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [النساء: ٥٧] إذ قدّر فيها محذوفاً ، لأنّ التقدير تجري من تحت أشجارها وثمارها مياه الأنهار، غير أنّه بُعرف الاستعمال سقطَ عنه اسم مجاز، كما سقط في قولهم : هذا شعر امرئ القيس ، وإنّ المراد أنّه حكاية عنه [٣].

ويقسّم المحدثون الألفاظ العرفية على قسمين .

(١)**العامّة** : وهي الألفاظ التي تغّيرت بُعرف الاستعمال اللغوي ، ولكنّها لم تنشأ عن تواطؤ واتفاق الناس ، وإنّما تكلّم بها بعضهم فشاع استعمالها وارتضاها المجتمع .

(٢)**الخاصّة** :هي الألفاظ التي جرت على ألسنة العلماء أو الصناعيين أو أصحاب المهن ، ولكلّ منها ((اسمان لغويّ وصناعّي))[٤].

ومن أمثلتها المصطلحات الـ نحويّة والصرفّية واللغويّة والفقهّية والفلسفّية والمنطقّية وسائر المصطلحات العلمّية الأخرى ، وشبيه بذلك ما تقوم به لجان المجامع العلمية في الوقت الحاضر من الاتفاق على مصطلحات حديثة تواكب تطّورات العصر ومستلزمات المجتمع .

وسيقف البحث إن شاء الله عند نماذج لهذين القسمين في (تفسير التبيان) لأجل الكشف عن مقولات الطوسي الدلالّية ومدى عمقها في الدقة والتنظير .

(١) الألفاظ العُرفية العامّة :

وهي لديه كثيرة اقتصر البحث على نماذج منها دفعاً للإطالة:

---

(١) ينظر: (زلل) مقاييس اللغة ، ٤/٣ ، ولسان العرب ١٣ / ٣٢٥ ، وإصلاح الوجوه والنظائر : الدامغاني ٢١٩ .
(٢) المعجم الصافي ٢٣١ .
(٣) التبيان ١/ ١٠٨، وينظر مجمع البيان ١٣٤/٥ .
(٤) بحوث لغوية : أحمد مطلوب٧١ .

أ- **التبديل** : وهو مصدر الفعل بدّل ، وأصله في اللغة : تغيير الشيء وإن لم تأتِ ببديل[1]، وقد ورد هذا اللفظ في قوله تعالى:﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] إذ بيّن الطوسي أنّ : (التبديل رفع الشيء إلى غيره في مايقع موقعه ، إلاّ أنّه بالعرف لايُستعمل إلاّ في رفع الجيد بالرديء))[2] ، وقد اختلف اللغويون في هذا اللفظ ، فقيل : إنّ معناه تغيير الشيء عن حاله ، وفرّق بينه وبين الإبدال الذي هو جعل الشيء مكان الشيء[3] ، وهذا يعني أنّ التبديل تغيير صورة الشيء وبقاء جوهره[4] غير أنّه يفسّر أيضاً بمعنى الإبدال المخالف للتغيير ، أي بطلان عين الشيء والتعويض عنه بآخر[5] .

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم بالدلالتين[6] معاً ؛ إذ دلّ في مواضع على الإهلاك[7] والنسخ[8]والتغيير[9]، ودلّ في أخرى على التجديد[10]والتحويل من حال إلى حال[11]. ولكنّ الرأي الذي قال به الطوسي ، والذي ذهب إليه غير واحد من المفسرين[12] يصدُق على المعنى المتعارف عليه في هذا اللفظ في الاستعمال اليومي ، فلا يقال التبديل إلا لرفع الشيء ووضع آخر محلّه ، وهو فعل يلجأ اليه الفاعل حين يرى أنّ ذلك الشيء رديء ولابدّ من الإتيان بما هو جيد .

ب - **الجحيم** : وهو صيغة المبالغة من الفعل جَحَم على وزن (فعيل) وأصله في اللغة : النار المتأجّجة الشديدة الاشتعال ، وكلّ نار عظيمة في مُهواة فهي جحيم ، ثم صارت اسماً من أسماء جهنّم[13] .

وقد وقف الطوسي عند هذا اللفظ في قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة :١١٩] فذكر أنّ أصله هو:((النار الشديدة التأجج

---

[1] ينظر (بدل) : معجم مفردات ألفاظ القرآن ٣٦ ، ولسان العرب ٥١/١٣ .
[2] التبيان ٧١/٩ ، وينظر :٧/ ٤٥٦ ، ٨/ ٤٣٩ .
[3] معاني القرآن للفراء ، وينظر: الفروق في اللغة ٣٠٩ .
[4] لسان العرب (بدل) ١٣ /٥١ .
[5] ينظر: معاني القرآن الكريم ٢ / ١٩٦ ، والفروق في اللغة ٢٣٣ والتبيان في تفسير غريب القرآن ٨٨/١ .
[6] ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر ٦٤ ـ ٦٥ .
[7] ينظر :الإنسان : ٢٨ .
[8] ينظر: النحل : ١٠١ .
[9] ينظر :البقرة :١٨١.
[10] ينظر :النساء : ٥٦ .
[11] ينظر :إبراهيم : ٤٨.
[12] ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ٢٤٥ ، وفتح القدير ١ /٤١٩ ، وروح المعاني ٤ / ١٨٧ .
[13] ينظر: (جحم) : الزاهر ٢ /١٥٧ ومعجم مفردات ألفاظ القرآن ٨٦ ، ولسان العرب ١٢ / ٨٤ .

والالتهاب ... وتقول: جَحَمت النار جَحْماً : إذا اضطرمت ، وجُحْر جاحِم إذا اشتد اشتعاله، ومنه اشتقاق الجحيم ... والجحيم النار بعينها إذا شبّت وقودها . قال أميّة بن أبي الصلت:

إذا شبَّتْ جَهَنَّم ثمّ زاتْ وأعرَضَ عن قوابِسِها الجَحيم[1]

فصار كالعَلَم على جَهنّم))[2] ، إذ خرج لفظ الجحيم من معنى العموم الى معنى الإسمية والعَلَمية ، فصار لايُفهم منه إلا الدلالة على نار جهنم التي وعَدَ الله بها الكافرين والمذنبين في اليوم الآخر .

ج . **الحين** : أصله في اللغة : الوقت يقع لقليل الزمان وكثيره[3] ، وقيل هو وقت من الدهر مُبهَم يصلُح لجميع الأزمان[4]

وقد أشار الطوسي الى تخصيص دلالة هذا اللفظ حين وقف عند قوله تعالى: ﴿ولَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة :٣٦] ،فقال:((أصل الباب : الوقت ، والحين : وقت الهلاك ، ثم كثُر فسُمّي الهلاك به))[5] : فالأصل فيه هو الدلالة على الوقت عموماً ولكنّ لكثرة اقترانه بالهلاك وهو حدثٌ ، نُسي الزمن المقترِن به ، واختصّ اللفظ بالدلالة على ذلك الحدث . ومنهم من يفرّق بين الحِين . بكسر الحاء . والحَين . بفتحها . فالأولى تدلُّ على الوقت المطلق ، والثانية تدلُّ على الهلاك[6] ،ووردت في القرآن بالكسر فقط.

واختلف المتأولون في هذه الآية فقيل : إلى وقت الموت ، وقيل : إلى يوم القيامة، وقيل إلى فناء الأجيال، أي كلّ امرئ مستقّر إلى فناء أجله[7]. وروي عن ابن عباس أنه قال : الحين حينان ، حينٌ لايوقَف على حدّه ، والحين الذي ذكره الله عزّ وجل في قوله ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [ابراهيم : ٢٥] وهو ستة أشهر[8]، وروي عن الإمام علي (عليه السلام) ، أنه قال : أدنى الحين سنة[9] .

---

[1] أمية بن أبي الصلت حياته وشعره : بهجة الحديثي ٢٧٠ .
[2] التبيان ١/ ٤٣٧ .
[3] معاني القرآن الكريم ٣ /٥٢٨ ـ ٥٢٩ ، وجواهر الحسان ٩ /٣٦٠ .
[4] لسان العرب (حين) ١٦ / ٢٩٠ .
[5] التبيان ١ /١٦٥ .
[6] المعجم الصافي ١٣٨ .
[7] مجمع البيان١/٨٦ .
[8] الجامع لأحكام القرآن ١ / ٣٢١ ـ ٣٢٢ .
[9] جواهر الحسان ١ /٥٢ .

وبناءً على تلك الأقوال ، فإنّ الحين لفظ دالّ على أزمنة غير محددة، فقد يدلّ على السنين والأيام ، وقد يدلّ على يوم القيامة الذي لاينقضي أمده[1] ، وإنّ ما قال به الطوسي من اختصاصه بالهلاك ليس حُكماً مطلقاً ، وإنّما هو في سياقات خاصة تفرضها القرائن الدلالية .

د . **السبت** :أصله في اللغة :القَطْع[2] ، وهوأيضاً الحَلْق ، يُقال:سَبَتَ شعرَهُ سَبتاً :إذا حَلقَه ، وهو يرجع الى معنى القَطع[3]. ويقال لكلّ أرضٍ منقطعة عمّا حولها : سبتاء[4] .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥] . وقد بيّن الطوسي بأنّه : ((سُمّي السَبت سَبتاً ؛ لأنّ السَبت هو القطعة من الدَّهر فسُمّي بذلك اليوم))[5]، وفي هذا إشارة إلى اشتقاقه من القطع ،وهو ماتعارف عليه العرب في كلامهم[6] ، وعليه يُحمل تفسيرهم للسَبت بأنّه الراحَة والدَعة[7]؛ لأنّهُ انقطاع عن العمل .

واختلفت الأقوال في سبب تَسمية يوم السبت بذلك[8]، فقيل: إنّ بدءَ الخَلق كان يوم الأحد ، وجُمِع يوم الجمعة وقُطِع يوم السبت. على حين يرى أهل الإسلام أنّ ابتداء الخَلق كان يوم السَبت ، واتّصل إلى الخَميس ، ثمّ جُعلت الجُمعة عيداً ، فسُمّي اليوم الأوّل السَبت من حيث قُطع فيه بعضُ خَلق الأرض، بدليل قول الرسول . صلى الله عليه وآله وسلم . (**إنّ الله تعالى خَلقَ التربة في يوم السَبت ، وخَلقَ فيها الجبال يوم الأحد**)[9] .

وفسّر هذا اللفظ في جميع الآيات التي ورد فيها على أنّا بمعنى القَطع[10]، من ذلك قوله تعالى ﴿ يَوْمَ سَبْتِهِمْ ﴾[الأعراف :١٦٣] ، أي يوم قطعهم للعمل ، وقوله ﴿ يَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] ، أي لايقطعون العمل ، وقوله ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبأ: ٩] ، أي قطعاً للعمل وراحة لكم .

---

[1] الزاهر ٦٦/٢ ، وينظر إصلاح الوجوه والنظائر ٢٩٧ .
[2] مقاييس اللغة (سبت) ٣ /١٢٤ـ ١٢٥ ، وأمالي المرتضى ١/ ٣٣٧ ، ولسان العرب (سبت) ٣٤٢/٢ .
[3] أمالي المرتضى ٣٣٧/١ .
[4] المصدر نفسه ٣٣٨/١ .
[5] التبيان ١ /٢٩٠ ، وينظر: لسان العرب(سبت) ٢ /٣٤١ .
[6] الزاهر ٢ /١٤٥ .
[7] جامع البيان ٣٠ /٣ .
[8] أمالي المرتضى ١/ ٣٣٨ .
[9] صحيح ابن خزيمة: باب ذكر الساعة التي خلق فيها الله آدم من يوم الجمعة ١١٧/٣.
[10] ينظر: بصائر ذوي التمييز ٣ / ١٧١ .

وقد عدّ السيوطي هذا التخصيص غاية في الحسن ، لأنّه خُصّ في الاستعمال بأحد أيام الأسبوع ، وهو فردٌ من أفراد الدهر[1].

وهناك أمثلة أخرى كثيرة من هذا النوع في تفسير التبيان[2] .

(٢) الألفاظ العُرفية الخاصّة (الاصطلاحية):

كثُر هذا النوع من الألفاظ في تفسير التبيان ، إذ ضمّ ألفاظاً خاصة بعلم الكلام والمنطق والفلسفة ، فضلاً عن مصطلحات علوم العربية في الصوت والصرف والنحو ، التي يطول ذكرها ويقصُر المقام عن استيعابها ، ولذا اقتصر البحث على أشهر ألفاظ (مصطلحات) العلوم الأخرى التي اتضح تأثيرها في تفسير الطوسي وهي نوعان :

أ. **الألفاظ الكلامية** : وهي الألفاظ التي تغيّرت دلالتها بعد ظهور علم الكلام وما صاحبه من إبداع فكريّ وجدلٍ عقلّي ، فعلم الكلام : ((علم يُبحَث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته وأحوال المُمكنات من المَبْدأ والمَعاد على قانون الإسلام ...))[3] . وقد نشأ هذا العلم في دائرة الفكر الإسلامي ، وتأثّر بعد ذلك بالمنطق والفلسفة ، ولاسيّما بعد ظهور الفرق الإسلامية ، ممّا أضفى عليه منهجاً تفكيرياً خاصاً به ميّزه من سائر العلوم ، فقد عُرف بجملة من الألفاظ التي استعملت في اصطلاح المتكلمين وعُرفهم ، فانتقلت تلك الألفاظ من دلالتها اللغوية الأصلية الى دلالتها الاصطلاحية الجديدة الحادِثة بعد تطوّر الحياة الفكرية وظهور الجدل العقيدي ، لتوافق هذا العلم الجديد .

وقد ذكر الطوسي طائفة من هذه الألفاظ في أثناء تفسيره لآي الذكر الحكيم فوقف عندها شارحاً ومفسراً وموازناً بين دلالتها الأصلية ، ودلالتها الكلامية ، فمن ذلك :

١. **القديم** : وهو صيغة مبالغة من الفعل قدِم على زنة (فَعيل) ، وأصله في اللغة : التقدّم في الوجود ، بمعنى العتيق ، وهو نقيض الحدوث[4] .

وقد فسّر الطوسي هذا اللفظ الوارد في قوله تعالى:﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف : ٩٥] قائلاً : ((القديم في اللغة : هو كلّ شيء متقدّم الوجود ، وفي عُرف المتكلمين عبارة عن الموجود لم يزل))[5].

---

(١) المزهر ٤٢٧/١ .

(٢) ينظر:الخلود ١ / ١٧٩ ، والسوء ١ / ٢٢١ ، والرباط ٣ / ٩٥ ، المائدة ٤ / ٥٩ ، والجنة ٤ / ٣٦٧ ، والعمل والمعمول ٨ / ٥١٤ .

(٣) التعريفات ١٠٤ ، وينظر: المعجم الفلسفي : جميل صليبا ٢/ ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٤) ينظر(قدم) : الصحاح ٢٠٠٧/٥، ولسان العرب ٢ / ٤٦٥ ، والمعجم الصافي ٥١٨ .

(٥) التبيان ٦ / ١٩٣ ، وينظر: ٩ / ٢٧٣ .

وهذا اللفظ من الألفاظ التي أضفى عليها المتكلمون دلالة خاصّة بهم ، واستعملوها في جدلهم العقيدي وجعلوها من صفات الذات الإلهّية ، مع أنّها لم ترد في وصف الله في القرآن أو السّنة أو الأثر [١] .

وأكثر ما يُستعمل لفظ (القديم) باعتبار الزمان[٢]، فيكون عندئذ الشيء الموصوف به على نوعين : قديم بالقياس ، وهو شيء زمانه في الماضي أكثر من زمان شيء آخر هو قديم بالقياس إليه ، وقديم مُطلق ، وهو الشيء الذي وُجِد في زمانٍ غير متناهٍ[٣] .

أمّا إذا استُعمل لفظ (القديم) باعتبار الذات ، فلا يُطلق إلاّ على الذات الإلهّية ؛ لأنّه الواحد الحقّ الذي ليس له مبدأ لوجود ذاته أو مبدأ أوجب وجوده ، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علّواً كبيراً [٤] .

والمراد بالضلال في الآية الخطأ والذهاب عن الصواب في مبالغة يعقوب في الحزن على ابنه يوسف وحّبه له ، ولا يُراد بها الضلال عن الدين[٥]. وإنّما وُصِف الضلال بالقِدم على وجه المبالغة في الوصف ، مع أنّه ليس بأزلّي الوجود[٦] ؛ وذلك لأنّ أبناء يعقوب كانوا يَرَون أنّهم أحق بحبّ أبيهم من يوسف ؛ لأنّهم عُصبة بأيديهم شؤون البيت وحماية الأسرة ، ولذا وصفوا أباهم بالضلالة عن طريق الحكمة لتفضيله يوسف عليهم[٧]، وعيشه بالأماني البعيدة فيما كان يرجو من عوده بعد موتِه[٨] .

٢. الإنشاء وهو مصدر الفعل أنشأ ، وأصلهُ في اللغة : الخَلق والابتداء ، وانشأ الله الخلق أي ابتدأ خلقهم[٩] .

قال تعالى:﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾[الأنبياء:١١]

إذ فسر الطوسي (الإنشاء) بأنه : ((إيجاد الشيء من غير سبب يولّده... ومثل الإنشاء الاختراع والابتداع . هذا في عرف اللغة . فأّما في عُرف المتكلمين ، فالاختراع هو ابتداع الفعل في غير محلّ القدرة عليه))[١٠] . وفّرق بين (الإبتداع) و (الاختراع) تفريقاً دقيقاً فبّين : ((أنّ الابتداع فعل مالم يسبق الى مثله والاختراع فعل مالم يوجد سبب له، ولذلك يُقال: البِدَعة والسُّنة،فالبِدَعة إحداث مالم يُسبق إليه

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن : (قدم) ٤١١ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المعجم الفلسفي : مراد وهبة ٢٦٢ .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) ينظر: جامع البيان ٦١/١٣، وجواهر الحسان ٤ / ٤٢٣ ، ومجمع البيان ٣ / ٢٦٢ .
(٦) التبيان ٢ / ١٩٣ ، ومجمع البيان ٣ /٢٦٢ .
(٧) الميزان ١١ / ٢٦٩ .
(٨) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١ / ٥٦٠ .
(٩) العين ٢٨٧/٦ـ٢٨٨ ، وأساس البلاغة ٤٥٥ ، ولسان العرب ١ /١٧٠ .
(١٠) التبيان ٧ / ٢٣٤ .

مّما خالف السُنة،ولا يوصف بالاختراع غير الله؛ لأنّ حدّه ما أبتدئ في غير محلّ القدرة عليه...))[1] ، وبّين أنّ الخَرع لغةً هو القَطع والاجتزاء[2] .

ولم يرد لفظ الاختراع في القرآن الكريم ، وإنّما ورد الفعل (أنشأ) بصور مختلفة .فمن ذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾ [الملك :٢٣] وقوله ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣١] وقوله ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾[النجم : ٤٧]، والإنشاء في كلّ تلك الآيات بمعنى الخَلق والإحداث والاختراع[3].أو الإبداع ،وهي جميعها تدلّ على ابتداء خَلق الشيء وإنشاء صفته بلا احتذاء ولا اقتداء[4]. واختصّ الإنشاء بإيجاد الشيء وتربيته ، وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان[5] ، واختصّ وصف الإبداع بأنه لله تعالى ؛ لأنه إيجاد الشيء من غير آن ولازمان ولامكان ، فُيقال (بديع السماوات والأرض) : أي مُبدعُها[6]وقيل : هو إيجاد الشيء من لاشيء[7] ، وقيل هو اختراع الشيء دفعة ، وهو أمر يناسب الحِكمة .

أمّا الاختراع فهو إحداث الشيء من لاشيء ، وهو أمر يناسب القدرة ، وقيل لافرق بينهما وإنّما الإبداع والاختراع والخلق والإيجاد ألفاظ متقاربة المعاني[8] .

٣- البَصير : هي صيغة مبالغة من بَصرَ ، والبَصرُ هو إدراك العين . وقد يُطلق مجازاً على القوّة الباصِرة[9] .

قال تعالى: ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٩٦] وقد علّق الطوسي على لفظ البَصير بقوله : ((وعند المتكلمين المُبصر هو المُدرِك للمُبصَرات ،والبَصير هو الحّي الذي لاآفة به ؛ لأنه يجب أن يُبصِر المُبصَرات إذا وجدت ، وليس أحدهما هو الآخر ...))[1] فالمُبصر في اللغة اسم فاعِل من (أَبصَر) ، ويُراد بها

---

(١) التبيان ٢٣٤/٧ .
(٢) لسان العرب (خرع) ٨ / ٦٩ .
(٣) جواهر الحسان ١ /٥٠٦ ، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢ /٨٢٠ ، ومجمع البيان ٤ / ٤١ .
(٤) معجم مفرادت ألفاظ القرآن : (بدع) ٣٦ .
(٥) المصدر نفسه: (نشأ) ٥١٣ .
(٦) المصدر نفسه ٣٦ .
(٧) التعريفات ١٣ .
(٨) الكليات ٢٩ ـ ٣٠ .
(٩) ينظر: (بصر) لسان العرب ٦٤/٤ ، الكليات ٢٤٧ .
(١) التبيان ١/ ٣٦٠ ، وينظر: مجمع البيان ١ /١٦٥ .

كلّ حيّ يُبصِر الموجودات الطبيعية حوله ، على حين يشترط المتكلّمون فيه أن يكون مُدركاً لما يرى على وجه الحقيقة ، أمّا (البَصير) فهو على وجهين : ((أحدهما المختصّ بأنّه يُدرِك المُبصَر إذا وُجِد ، وأصله البَصَر وهو صحّة الرؤية ، ويؤخَذ منه صفة مُبصِر بمعنى راءٍ ، والرائي هو المُدرِك للمَرئي ... والآخر : البَصير بمعنى العالِم تقول منه : هو بَصير ، وله بِه بَصر . وبَصيرة أي :علم))[2] ، ذلك أنّ البَصير هو من كان له بَصيرة وهي ((نور القلب الذي به يُستبصَر))[3].وقيل هي ((قوّة في القلب تُدرك به المعقولات))[4] ،والبَصيرة للقلب كالبَصر للبَدن سمّيت بها الدلالة ؛لأنّها تجلّي لها الحق[5] ؛ولأنّها نفاذٌ في القلب،وقيل: هي العِبرة[6] .

ويفسّر لفظ (بَصير) في الآية بأنّ الله عالم بأعمال عباده،مُطّلع عليهم،ما أعلنوا وما أسرّوا ، يُشاهد الأشياء كلّها ظاهرها وباطنها بغير جارحة ، محيط بها وحافظ لها حتى يجازيهم بها ؛ وفي ذلك تشديد للوعيد[7] .

وهناك أمثلة أخرى من هذا النوع[8].

(ب) الألفاظ الفلسفية والمنطقية :

شاعت هذه الألفاظ في ظلّ الإسلام بعد اتصال العرب المسلمين بالتراث اليوناني ، فتُرجمت كتب أرسطو وسقراط وأفلاطون إلى العربية وظهرت حركة الفلسفة الإسلامية التي جمعت بين التراث الإسلامي والفلسفة اليونانية ،وسعت للإقرار بوجود إله واحد لا شريك له .

وعلم الفلسفة :هو علم حقائق الأشياء،والعمل بما هو أصلح،وهي قسمان:نظري وعملي[9] .

أمّا علم المنطق : فهو علمٌ يعصِم الذهن عن الخَطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة بالمعلومة وفائدتهُ تمييز الخطأ من الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها ليقف على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى الفكر[10] .

---

(2) الفروق في اللغة : ٧٤ .
(3) الكشاف ٢/ ٤٢ .
(4) الكليات ٢٧٤ .
(5) مجمع التبيان ٢/٣٤٥ .
(6) العين (بصر) ٧/ ١١٧ ـ ١١٨ .
(7) ينظر :جامع البيان ١ /٤٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢ /٣٥ ، وإرشاد العقل السليم ١ /١٣٣ .
(8) ينظر: حدّ الكلام ١ / ٦٨ ، والقتل والموت ١ / ٢٢٣ ، والجدل ٢ / ٢٠١ ، واللطف الإلهي ٢ /٣٥٤ ، والعلم والمعلوم ٢ /٩ ، ٣٩٣
(9) الحدود الفلسفية (ضمن المصطلح الفلسفي عند العرب) : الخوارزمي الكاتب ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .
(10) مقدمة ابن خلدون : ٤١٧ ، وينظر: مدخل إلى علم المنطق : مهدي فضل الله ٢٥.

وقد استعمل جملة من الألفاظ في ميدان هذين العلمين حملت معنًى اصطلاحياً جديداً ، فنُسي أصلها الأوّل ، واختصّت بالدلالتين المنطقية والفلسفية ، إذ مرَّ المصطلح الفلسفي بمرحلتين هامّتين هما :[١]

الأولى: تحديد المصطلح والتواضع عليه ، أو التعارف على الأخذ به .

والثانية: انتشار ذلك المصطلح في الدراسات الفلسفية التي ازدهرت في القرن الرابع للهجرة.

وقد وردت في التبيان ألفاظ فلسفية ومنطقية كثيرة تنبئ عن تأثّر الطوسي بهذين العلمين ، بما يدلّ على سعة اطلاعه وتنّوع ثقافته ، الأمر الذي جعله محيطاً باصطلاحات علوم عصره والعصور لتي سبقته ، ومن أهّم هذه الألفاظ :

١. الإرادة : وهو مصدر الفعل (أراد) ، أصله في اللغة : أحبَّ ، فأراد الشيء إرادة ورِيْدة : أحبَّه وعُني به وطلبه[٢] .

وقد عُني الطوسي بمفهوم الإرادة ، فذكره وحدّد أبعاده في أكثر من موضع ، وكان حريصاً على تـ حقيق معناه الدقيق ، لذا فرّق بينه وبين المحبّة بعد أن عدّهما من جنس واحد ، فقال : ((والمحبّة هي الإرادة إلا أّنها تُضاف إلى المراد تارة ،وإلى متعلّق بالمراد أخرى ، نحو أن تقول : أحِبُّ زيداً ، وأحِبُّ إكرامَ زيد ، ولاتقول في الإرادة ذلك ؛ لأنّك تقول أريد إكرامَ زيد ... ولاتقول : أريدُ زيداً ...))[٣] . فالمحّبة تكون للشخص نفسه ، وللأمورالمتعلّقة به ، أّما الإرادة فلا تكون إلا للمتعلّقات فقط .

ولهذا فإنّ المحّبة تستدعي في جملتها تقدير محذوف وليس كذلك الإرادة ؛ لأنّك ((إذا قلت : أحِب زيداً ، معناه أريدُ نفعه أو مدحه ، وإذا أحبَّ الله تعالى عبداً فمعناه أّنه يريد ثوابه .. وإذا قال : أحِبُّ الله معناه :أريد طاعتـه وإتباع أوامره ، ولايُقال :أريد زيداً ولا أريد الله ..))[٤] .

وهو يشترط في المحبّة الرغبة الصادقة المُنافية للكراهة ، على حين لا يشترطها في الإرادة ، لذا فإنّ الإنسان قد يفعل ما يُكرَه عليه ، قال :((وإنّما قلنا : إنّها من جنس الإرادة ، أي المحّبة ؛ لأنّ الكراهة تنافيها ولا يصحُّ اجتماعهما ؛ ولأّنها تتعلّق بما يصحُّ حدوثه لا كالإرادة ، فلا يصح أن يكون محّباً للإيمان كارهاً لـه ، كما بيّنا في أن يكون مُريداً لـه وكارهاً))[٥] . وفرّق الشيخ بين (الرِضا) و(الإرادة) على أساس زمان الحدث ؛ إذ ((الرِضا هو الإرادة إلا أّنها لاتسّمى بذلك إلا إذا وقع مُرادها ولم يتعقّبها كراهية ،فتسّمى حينئذ رِضا . فأّما الإرادة لما يقع في الحال أو فيما يُفعل بعد ، فلا تسّمى

---

[١] المصطلح الفلسفي عند العرب : عبد الأمير الأعسم ١٣ .
[٢] ينظر: (ريد) : لسان العرب ٣ / ١٩١ .
[٣] التبيان ٢ /٤٣٨ .
[٤] التبيان ٢ / ٦٢ .
[٥] التبيان ٢ / ١٤٤ .

رضا))[1] وقد تأتي إرادة الفعل موافقة لرغبة الداعي الى الفعل ، ولكنّها لاتعدّ بمثابة طاعة الأوامر ، فإنّ ((موافقة الإرادة قد تكون طاعة وقد تكون غير طاعة ، إذا لم تقع موقع الداعي الى الفعل نحو : إرادتي لأن يتصدّق زيد بدرهم من غير أن يشعر بذلك ، فلا يكون بفعله مُطيعاً لي ، ولو فعله من أجل إرادتي لكان مُطيعاً ، وكذلك لو أحسَّ بدعائي الى ذلك، فمالَ معه))[2] .

وقد عرّف الفلاسفة والمناطقة الإرادة بتعريفات عدة : فقيل هي ((قوّة يُقصد بها الشيء دون الشيء))[3] . وقيل ((هي قوّة فيها إمكان فعل أحد المتقابلين على السواء))[4] أو ((هي النزوع من إحساس أو تخّيل))[5] .

٢. الاستدلال والدليل: وهما لفظان مشتقان من الفعل دلّ،وأصله في اللغة هدى وسدّد ، وأبانَ الشيء بأمارة معينة. والدليل هو الدالّ الذي يُستدلّ به على المدلول،وهو الأمارة في الشيء[6]

والاستدلال في اصطلاح الفلاسفة هو : تقرير الدليل لإثبات المدلول ، سواء أكان ذلك من الأثر إلى المؤثّر أم بالعكس[7] ، وهو استكشاف الأسباب بالوقوف على العلاقات القائمة بين الأشياء[8] .أمّا الدليل فهو فاعِل الدلالة ، وهو المرشد المطلوب ، ويراد به العلامة المنصوبة لمعرفة المدلول بصحيح النظر[9] .

وقد استعمل الطوسي هذين المصطلحين في الوصول إلى المعاني الثواني التي يمكن استنباطها من ظاهر الآيات[10]،ونجده يصرّح بهما تارةً ويقصد إليهما قصداً معنوياً تارةً أخرى، وممّا صرّح فيه بالدليل والإستدلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة:٣٩] ، إذ قال: ((والاستدلال بهذه الآية على أنّ من مات مُصرّاً على الكفر، غير تائب منه، فكذّب بآيات ربّه، فهو مخلّد في نارجهّنم، صحيح ؛ لأنّ الظاهر يفيد ذلك. والاستدلال بها على أنّ عمل الجوارح من الكفرمن حيث قالوا : (كذّبوا بآياتنا) ، فبعيد؛ لأنّ التكذيب نفسه . وإن لم يكن كفراً وهو لا يقع إلاّ من كافرٍ. فهو دلالة عليه كالسجود للشمس وغيره))[1].

---

[1] التبيان ١٠ / ٣٩١ ، وينظر: ٥ / ٢١٩ .
[2] التبيان ٢ /٤٣٩ ، وينظر: ٣ / ١٤ .
[3] الحدود الفلسفية ٢١٤ .
[4] تهافت التهافت : ابن رشد ٩
[5] أهل المدينة الفاضلة : ابن رشد ٢٠ ، وينظر المعجم الفلسفي(مراد) ٧
[6] مقاييس اللغة (دلّ) ٢ / ٢٥٨ ، ولسان العرب (دلل) ١١ / ٢٤٨ .
[7] المعجم الفلسفي (مراد) ٧ .
[8] مدخل الى علم المنطق ٢٢ .
[9] الكليات ٤٣٩ .
[10] التبيان١/٤٧١،٤٢٠،٤٠٩،٢٨٧،٢/٣٤٠،١٤٤،١١٧،٧٢،١٨/٥٥٠ .
[1] التبيان١/١٧٧ ـ ١٧٨ .

ومن أمثلة مايقصد فيه إلى الاستدلال معنوياً تفسيره قوله تعالى:﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٥] ، إذ استدلّ من الآية على((امتنان من الله تعالى على خلقه، بأن علّمهم ما لم يكونوا عالمين به ، إمّا بخلق العلوم في قلوبهم من الضروريات أو بنصب الأدلّة لهم على الوصول إليها فيما لم يعلموه ضرورةً ، وذلك من أعظم نِعَم الله تعالى على خلقه ، وفي ذلك دلالة على أنّه تعالى عالِم ؛لأنّ العِلم لا يقع إلاّ من عالِم))[٢] .

٣. **البرهان** : هو اسم مشتق من الفعل بَرْهَنَ ، أصلهُ في اللغة : بَرهَنَ يُبرهِنُ بَرهنةً : إذا أقام الحجّة القاطعة ، فالبرهان الحجّة والدليل[٣] .

وقد ذكره الطوسي وأراد به جملة من المعاني المفسّرة له ، قال : ((البرهان والحجّة والدلالة والبيان بمعنى واحد ، وهو ما أمكن الاستدلال به على ما هو دلالةٌ عليه ، مع قصد فاعلهُ إلى ذلك))[٤] .

وفرّق بينهما في موضع آخر نقلاً عن علي بن عيسى الرّماني وهو أنّ : ((البيان إظهار المعنى في نفسه بمثل إظهار نقيضه ، والبرهان إظهار صحتهُ بما يستحيل في نقيضه ، كالبيان عن معنى قِدَمِ الأجسام ومعنى حدوثها . فالبرهان يشهد بصحة حدوثها وفساد قِدمها))[٥] . وقال أيضاً : ((البرهان إظهار صحة المعنى وفساد نقيضه ...)) [٦] وهذا ، يعني أن البرهان لديه هوالحجّة التي قدمها المتكلم أو الكاتب لإثبات أمر أو حقيقة ونفي ما يناقضها أو يخالفها ، ويعرّفهُ الفلاسفة بأنّه ((قياس يقيني))[٧] أو هو ((القياس المؤلف من اليقينات سواء كانت إبتداء وهي الضروريات أو بواسطة وهي النظريات ...))[٨] . والقياس :((مؤلَف من قضايا متى سَلِمت ، لزم عنه لذاته قول آخر))[١] ويُعدّ البرهان من الأسس المنطقية التي يستند إليها الاستدلال ، فهو وسيلة للوصول إلى المدلول المراد إثباته[٢] .

---

[٢] التبيان١٠/٣٩٠ .
[٣] لسان العرب(برهن) ١٣ / ٥١
[٤] التبيان ١ / ٤١١ .
[٥] التبيان ٥ / ٣١١ .
[٦] التبيان ٤ / ٣٩٠ .
[٧] المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين (ضمن المصطلح الفلسفي عند العرب) : الآمدي ٣٤٠
[٨] المعجم الفلسفي (مراد)٣١ .
[١] المنطق : محمد رضا المظفر ٢١٩ .
[٢] ينظر: المصدر نفسه ١٩٠ ـ ٢٥٠ .

٤. الَجواهر والأعراض : أصل الَجْوهر في اللغة : كلّ حجرٍ ُيستخرج من شيءٍ ينتفع به . وجوهر كل شيء مأُيستفاد منه[٣]، وقيل : هو فارسّي معرب[٤] . والَعْرض له معانٍ عدّة ، فهو خِلاف الطول ، وهو من َعرض الشيء ورؤيته ، والعارض هو الطارئ من حوادث الدهر التي تصيب الإنسان ، والتعّرض هو الاعتراض في الطريق[٥].

وقد ذكر الطوسي هذين المصطلحين متلازمين في تفسيره لطائفة من الآيات ، وأشار الى عدد من صفاتهما ، وهي :

١ . إن الَجوهر يشغلُ حيزاً ، والَعرض يحلّ في الجوهر من غير أن يشغل حيزاً[٦] .

٢ . إن الَجوهر يختصّ بوقت معّين لوجوده ، والَعرض لايصحّ عليه البقاء الدائم بل هو متغّير ، فلا يوجد إلا حيث يوجد الجوهر[٧] .

٣ . يجوز انتقال الجواهر في التوارث ، ولايجوز انتقال الأعراض في ذلك إلا على سبيل المجاز ، كقولهم : العلماء َورثَة الأنبياء يرثون عِلمهم[٨] .

والَجوهر في اصطلاح الفلاسفة والمناطقة هو : الشيء القائم بنفسه الحامل لغيره ، الذي لايفتقر وجوده الى شيء مثل : َحَجر ، وَرُجل[٩] . وهو أّول الَمقولات العشر التي قال بها أرسطو في كتابه المسّمى قاطيغورياس أو المقولات[١٠] أّما الَعرض فهو المقولة الثانية في كتاب أرسطو[١١] ، ويعّرف بأّنه ما لا يقوم بنفسه وإّنما يحلّ في َجوهر أو في محلّ أو في موضوع[١٢] .

وقد وردت في التفسير ألفاظ من هذا النوع كثيرة[١٣]، فضلاً عن ظهور أثر الثقافة المنطقية والفلسفية للطوسي على طريقة شروحهِ للألفاظ ، فكثيراً ما يحدّها بحدود فلسفية ، ومنها قوله : ((الرجل هو إنسان خارج عن حدّ الصبي من الُذكران ، وكلّ رجل إنسان ، وليس كلّ إنسان رجلاً ؛ لأّن المرأة إنسان))[١] ، وكذلك قوله : ((الُحسبان والظنّ واحد ، وهو ما قوي عند الظاّن كون الَمظنون على ما ظّنه ُ مع تجويزِهِ أن يكون على غيرِهِ ، فبالقّوة يتميز من اعتقاد التقليد والتخمين، وبالتجويز

---

[٣] لسان العرب :(جوهر) ٤ / ١٥٢ .
[٤] جمهرة اللغة :(جوهر) ٢ / ٨٧ .
[٦] لسان العرب :(عرض) ٧ / ١٦٥ ـ ١٦٩ .
[٦] التبيان ٥ / ٤٨٤ .
[٧] التبيان ٥ / ٣٣٦ .
[٨] التبيان ٤ / ٤٨٢ .
[٩] ينظر:الحدود(ضمن المصطلح الفلسفي عند العرب):ابن سينا٢٤٩،والتعريفات٤٩،المعجم الفلسفي (صليبا)٦٩/٢.
[١٠] المنطق : أرسطو .
[١١] المنطق :
[١٢] الحدود ٢٥٠ .
[١٣] ينظر: الفساد ٣٥/٢، ٩ /٧١، والتسلسل١٣٠/٤ ، والسبب والمسبب٢٦٨/٤ ، والبطلان٥٢٨-٥٢٩ العلة والمعلول٥ / ٢٣ .
[١] التبيان ٤ / ٤٣٩ .

يتّميز من العلم ؛ لأنّ مع العلم القَطع))[٢] إذ يتضح أثر التحليل الفلسفي الذي لايتناول الأشياء كما هي أو كما تظهر للحواس ، وإنّما يحلّلها على وفق ما يتصوّره الإنسان في فكره عن الأشياء والموجودات[٣] ؛ لأنّ الدلالة الفلسفية تحتاج إلى صورة ذهنية تُستقى من الفكر أو الواقع المادي الذي تُمثل اللغة ظاهرته العقلية الكبرى[٤].

ثانياً: الألفاظ الإسلامية :

يُعدّ الإسلام حدثاً مهماً في تاريخ الإنسانية عامّة والأمة العربية خاصّة،فقد جاء بمفاهيم وقيم تتناسب والعقيدة الجديدة ، وقدّم فكراً إنسانياً عظيماً عبّر عنه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وكان القرآن الكريم مُعجزة الإسلام الكبرى الذي صار قدوة لكلّ خطيب وشاعر ومنشئ وأديب ، ولذلك كلّه كان من الطبيعي أن يكون له أثر في العربية ولاسّيما في دلالات ألفاظها، يقول ابن فارس: ((كانت العرب في جاهليتها على إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ، فلّما جاء الله جلّ ثناؤه بالإسلام حا لت أحوال ونُسخت ديانات وأُبطلت أمور ، ونُقلت من اللغة ألفاظ من مَواضع إلى مَواضع أُخر بزيادات زيدت ، وشرائع شُرّعت ، وشد رائط شُرطت ، فعفى الآخِر الأوّل))[٥].

ويمتلك الشرع ولاية التصرف في الألفاظ كما يمتلكها أهل اللغة ، وربّما كانت هيمنته أقوى من هيمنة اللغة نفسها ؛((لأنّ الشرع إذا أوجب ذلك كان في بابه أقوى مما تقتضيه اللغة))[٦] ، وإنّما جاز انتقال الألفاظ اللغوية إلى الدلالة الإسلامية ؛ لأنّ المعاني متغّيرة والألفاظ ثابتة[٧]؛ ولذلك فهي تنتقل من أصلها اللغوي إلي ميادين وعلوم عدّة ، وبعد أن يشيع استعمالها في الوضع الشرعي أو العلمي الجديد تصد بح مستقرة على دلالتها المستحَدثة حتى يُنسى أصلها الأّول ، فتصير كالحقيقة ، ولذلك تسمى (الحقيقة المجازية) ، وتعّرف بأّنها ((اللفظة التي يستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدلّ عليه في أصل وضعها اللغوي))[١]، وقد لا تخرج عن ذلك الأصل بل تبقى مرتبطة به ، ولكلّ لفظة منها اسمان: لغوي وشرعي[٢].

وتُعّد عملية توليد الألفاظ الإسلامية من و سائل نمّو اللغة ، ومن مظاهر تغّيرها الدلالي على سبيل التوّسع في القول والتخصيص في الدلالة ؛ ذلك أنّ لهذه الألفاظ دلالات أصلية مُستقاة من المعجم ،

---

(٢) التبيان ٤ / ٣٨٥ .
(٣) معاني الكينونة والفلسفة التحليلية : سامي أدهم(بحث) ٥٨ .
(٤) البحث الدلالي عند ابن سينا ١٣٠ ـ ١٣١ .
(٥) الصاحبي ٧٨ .
(٦) المغني في أبواب التوحيد والعدل ٥/ ١٩٢ .
(٧)المصدر نفسه ٥ /١٧٢ ـ ١٧٣ .
(١) مفتاح العلوم : السكاكي ١٧٠ ، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة ١ /٥٢ ، والتلخيص في علوم البلاغة : القزويني ٢٩٢ ، وينظر بحوث لغوية ٧٣ ، ومعجم المصطلحات البلاغية ٤٥٥/٢ .
(٢) الصاحبي ٨٦ .

ثّم تُصبح مصطلحات دعت الحاجة إليها في الإسلام .وبين الدلالتين علاقة واضحة ، وتمثّل هذه الألفاظ أول باب من أبواب التجّوز في حياة اللغة بعد ظهور الإسلام ، الأمر الذي يعكس الأثر الحي للدين الإسلامي في حياة اللغة العربية ودلالة ألفاظها[٣].

وقد عُني علماء العربية بالألفاظ الإسلامية وتناولوها في كتبهم المؤلّفة في التفسير والحديث . ومن أشهرهم ابن قتيبة في كتابيه(تفسير غريب القرآن) و(تفسير غريب الحديث) إذ ذكر طائفة منها ، ولذا يرجّح أن يكون هو واضع نواة هذا اللون من الدراسة ، حيث أرسى اللبنة الأولى التي تأسست عليها دراسات اللغويين من بعده[٤] .

وألّف فيها تأليفاً منفرداً أبو حاتم الرازي كتابه (الزينة في الكلمات الإسلامية) درس فيه طائفة منها ، وبّين أصولها اللغوية وصلتها بدلالتها الشرعية .

ومع أنّ علماءنا قد اتفقوا على وقوع الألفاظ العُرفية وأقرّوا بانتقالها إلى حقيقة عُرفية ثابتة بلا خلاف ، فإّنهم قد اختلفوا في وقوع الألفاظ الإسلامية ومدى ثبوتها ، وكيف حدثت عملية نقلها الى الشرع ؟ وكانوا في هذا الخلاف على مذاهب عدّة نوجزها بما يأتي :

المذهب الأول :مذهب المعتزلة القائلين بوقوع الألفاظ الإسلامية ونقلها نقلاً كلياً من دلالتها الأصلية الى الشرعية[٥] ؛ لأّنها لأُيفهم منها عند إطلاقها إلا معانيها الجديدة التي جاء بها الشارع ، ولا يخطر ببال السامع معناها الأول ، كلفظ المؤمن والفاسق والكافر والصلاة والزكاة والصوم[٦] .

المذهب الثاني : مذهب أبى بكر الباقلاني الأشعري الذي أنكر رأي المعتزلة ، وقال بعدم انتقال الألفاظ الإسلامية بل هي باقية على أصل وضعها اللغوي ؛ لأنّ الإسلام تصرّف بوضع الشروط وليس بتغيير الوضع ، فالصلاة هي دعاء في اللغة والشرع[١].

المذهب الثالث : هو مذهب العلماء المتوسّطين بين المذهبين السابقين ، إذ جاء رأيهم رداً على من سبقهم ، ويقول أصحابه بوقوع النقل في دلالة الألفاظ الإسلامية ، ولكنه ليس نقلاً كلياً ، إذ تبقى المناسبة والصلة قائمة بين الدلالتين ، ومن أشهر من قال به :الجويني[٢] (ت ٤٧٨هـ) والغزالي[٣]

---

[٣] دراسات في القرآن ٣٦ .
[٤] المباحث اللغوية والنحوية عند ابن قتيبة ١٠٧ .
[٥] المعتمد في أصول الفقه ٢٤/١ ، وينظر: البحث الدلالي عند المعتزلة ١٣٠ ـ ١٣١ .
[٦] الإحكام في أصول الأحكام ١ / ١٣٥ ، وإرشاد الفحول : الشوكاني ٢٢ .
[١] شرح اللمع في الأصول : الباقلاني ١ / ١٧٣ .
[٢] البرهان في أصول الفقه : الجويني ١ / ١٧٧ وينظر: البحث اللغوي عند الجويني : هادي الشجيري ٣٥ .
[٣] المستصفى علم الأصول ١ / ٣٣٠ ـ ٣٣١ ، وينظر: البحث الدلالي عند الغزالي ١١٢ .

وعلي بن حمزة العلوي[٤] (ت ٧٤٩هـ) الذين أيّدوا فكرة التوسّط وقالوا بأنّ الشرع زاد في مقتضى تلك الألفاظ حتى صارت في معانيها الشرعية حقائق ولا سبيل الى إنكار ذلك .

المذهب الرابع : وهو ماتفرّد به الفخر الرازي حين قال :إنّ هذه الألفاظ تطلق على معانيها على سبيل المجاز من الحقائق اللغوية[٥] .

وقد كتب كثير من المحدثين[٦] في هذا الخلاف والردّ عليه ، لذا فإنّ البحث يبتعد عن الإطالة والوقوف عنده ، وإنّما أوجز بالكلام على المذاهب الأربعة تمهيداً للوقوف على رأي الطوسي ، وتحديداً لمذهبه من هذه الألفاظ ، ومدى توافق المحدثين معه .

وقبل التوقف عند رأيه لابدّ من تحديد موقف هذا البحث من قضية الألفاظ الإسلامية ومادار حولها من خلاف ، والراجح في كلّ ذلك ، ما يفرضه واقع حال تلك الألفاظ وهو المذهب الثالث القائل بوجود علاقة حتمية بين المعنى اللغوي والمعنى الإسلامي لتلك الألفاظ ؛ لأنّ الإسلام جاء بلسان العرب ، ولابدّ أن تُبنى مصطلحاته على ما تعارف عليه العرب وألِفوه. وهو الرأي الراجح لدى أغلب المحدثين[٧] ؛ وذلك لأنّ ((معظم المصطلحات الفقهية الإسلامية في العبادات وغيرها ... محوّل عن معانٍ لغويّة عامّة إلى معانٍ اصطلاحية خاصّة عن طريق القصد والتعّمد))[٨].

ومن المفيد الإشارة إلى أنّ اختلاف العلماء الأوائل في الألفاظ الإسلامية ، كان في طريقة نشوئها ، لا في حقيقة وجودها ، فهم جميعاً متّفقون على ذلك ، ولم يكن اختلافهم إلا من اختلاف نظراتهم ومناهجهم في فهم النص القرآني وتفسيره ، لأنّ هذه الألفاظ أحدثت تغّيراً دلالياً كبيراً له آفاقه المتجدّدة وله استعمالاته المتعّددة ، الأمر الذي أدّى إلى تعدّد المناهج التحليلية والنظرات التفسيرية لهذه الألفاظ[١].

رأي الشيخ الطوسي :

عُني بالألفاظ الإسلامية ، وكان له وقفات دلالية جديرة بالعناية ، لكنّه لم يسمّها بهذه التسمية ،ولم يتّحدث عن كيفية نشوئها ، ولم يخُض طويلاً في خلافات العلماء حولها ، وإنّما كان يقف شارحاً ومفسّراً فيؤكد نسبتها إلى الشرع تارة ، ويكتفي بشرحها لغوياً تارة أخرى ، وقد وردت هذه الألفاظ في تفسيره على نوعين :

---

[٤] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ١ / ٥٦ ـ ٥٧ .
[٥] المحصول في علم أصول الفقه٤١٥/١/١ ، وينظر: البحث اللغوي عند فخر الدين الرازي ٣٥٠ .
[٦] التصور اللغوي عند الأصوليين ٨٧ ـ ٧٩ ، ونحو وعي لغوي : مازن المبارك ١٠٨،والتطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : عودة خليل أبو عوده ٨٧ ، وأثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية :عبد القادر السعدي ٣٤ ـ٣٥.
[٧] ينظر: المصادر أنفسها.
[٨] اللغة العربية معناها ومبناها ٣٢٢ .
[١] دراسات في القرآن ١٠٦ .

(١) ألفاظ إسلامية عامّة تتعلق بالشريعة والعقيدة الإسلامية وأركانها وأجزائها .

(٢) ألفاظ إسلامية خاصّة تتعلق بعلوم القرآن وعلمي الفقه والأصول .

وسقف البحث على نماذج لكلّ منها وعلى النحو الآتي :

(١) الألفاظ الإسلامية العامة :

وتسّمى أيضاً الألفاظ الشرعية ، وقد كان للطوسي في تناولها أسلوبان[٢] :

أحدهما : أن يبدأ ببيان الدلالة اللغوية مشيراً إلى الأصل اللغوي ثّم ينتقل إلى الدلالة الشرعية . من ذلك وقوفه عند لفظ **(الكفر)** في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٦] إذ قال: ((الكُفر هو الجُحود والسِتر ، ولذلك سُّمي الليل كافراً لظُلمته ، وسُّمي الزارع كافراً لتَغطيته البذور ، ويقال :فلان متكفّر بسلاحه : إذا تغطّى به ، وفي الشرع : عبارة عّمن جحد ما أوجب الله عليه معرفته من توحيده وعدله ومعرفة نبّيه والإقرار بما جاء به من أركان الشرع فمن جَحد شيئاً من ذلك كان كافراً))[٣]. وهو ما جاءت به معجمات العربية[٤] ، حيث الكفر متعارف فيمن يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة[٥] ، كما أّنه ستر نعمة المنعم وعدم الاعتراف به[٦] .

وقد ورد لفظ الكفر في القرآن الكريم بدلالته اللغوية[١]والشرعية[٢]، إذ جاءت كلّ دلالة في سياقها المناسب لها .

والآخر : أن يبدأ بذكر المفهوم الشرعي للفظ ثم ينتقل إلى بيان دلالته اللغوية ، كما هي الحال في وقوفه عند لفظ **(الشريعة)** في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية : ١٨] . إذ قال : ((الشريعةُ السُنّة التي مَن سلك طريقها أّنته الى الُبغية كالشريعة التي هي طريق الى الماء ، وهي علامة منصوبة على الطريق الى الجّنة كأداء هذا الوصول الى الماء، فالشريعة العلامات المنصوبة عن الأمر والنهي المؤّية الى الجّنة

---

[٢] ينظر: منهج الطوسي ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .
[٣] التبيان ١ /٦٠ .
[٤] ينظر :(كفر) العين ٥/ ٣٥٦ ،و تفسير غريب القرآن ٢٨٧ ، والزاهر ١ /٢١٦ ، والأشباه والنظائر : مقاتل بن سليمان ٩٥ ـ ٩٧ .
[٥] معجم مفردات ألفاظ القرآن (كفر) ٤٥١ .
[٦] التعريفات ١٠٤ .
[١] ينظر: آل عمران : ١٩٥ ، والنساء : ٣١ ، والمائدة : ٤٥ ، ٨٩ ، ٩٥ ...
[٢] ينظر :المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي : (كفر) ٦٠٥ ـ ٦١٢ .

))[3]، وهو ما ورد في معجمات العربية أيضاً [4].ونرى الطوسي هنا يستلّ من الأصل اللغوي تفسيراً واضحاً للفظ الشريعة ساعياً إلى تأصيله متابعاً دورانه في اللغة والاستعمال القرآني .وكان حريصاً على ذلك يرمي منه الوقوف على الصلة المعنوية بين الألفاظ الشرعية ودلالاتها الأصلية .

وإن دلّ منهجه هذا على شيء ، فإنّما هو يدلّ على إقراره بوجود هذه الصلة وسعيه للكشف عنها ، فيتّضح بجلاء أنّه من أصحاب المذهب الثالث المتوسّط الذي يؤيّده أغلب علماء العربية من قدماء ومحدثين . ويؤكّد ذلك ردّه على من قال إنّ الألفاظ الشرعية باقية على معناها اللغوي مع إضافة شروط لها ، إذ قال : ((وأمّا الصلاة فهي الدعاء في اللغة ، قال الأعشى :

لَها حارِسٌ لا يَبرحُ الدَّهـرَ بيتَها فإنْ ذُبِحَتْ صلَّى عَليْها وزَمزَما[5]

يعني دعا لها . وأصل الاشتقاق في الصلاة من اللزوم ، من قوله تعالى ﴿ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً ﴾ [الغاشية:٤] ، والمصدر الصَلا ، ومنه اصطلى بالنار إذا لَزَمها ، والمُصلّي الذي يجيء في إثر السابق للزوم أثره٠٠٠ فأمّا في الشرع ، ففي الناس من قال : إنّها تخصّصت بالدعاء والذكر في موضع مخصوص ، ومنهم من قال . وهو الصحيح . إنها في الشرع عبارة عن الركوع والسجود على وجهٍ مخصوص ، وأركان وأذكار مخصوصة))[6].

وفي أكثر من موضوع يشير الطوسي إلى أنّ الدلالة الشرعية للألفاظ تضفي عليها تخصيصاً يحدّدها ، فهو يُدرك ظاهرة تخصيص الدلالة التي تطرأ على الألفاظ فتضيّق معناها، ومن أمثلة ذلك تفسيره لفظ **(الصوم)** إذ قال : ((الصوم في الشرع هو الإمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص ، ممّن هو على صفات مخصوصة ، في زمان مخصوص ، ومن شرطه انعقاد النية))[1].والصوم في اللغة : الإمساك عن الطعام والشراب والكلام ، فيقال : صامَتْ الفرس أي أمسكَتْ عن الطعام[2].

وأشار أيضاً إلى التخصيص في شرحه للفظي **الحجّ والعُمرة** ، إذ قال في الأوّل : ((هو القصد إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك مخصوصة بها في أوقات مخصوصة ... والعُمرة هي الزيارة في اللغة ، وفي الشرع عبارة عن زيارة البيت لأداء مناسك مخصوصة في أي وقت كان من أيام السنة))[3] ، وقال في موضع آخر : ((الحجّ : قصد البيت بالعمل والإحرام والطواف والوقوف بعرفة

---

(٣) التبيان ٩ / ٢٥٥ .
(٤) ينظر(شرع): مقاييس اللغة ٣ / ٢٦٢ ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن ٢٦٥ .
(٥) ديوان الأعشى .
(٦) التبيان ١ / ٥٦ .
(١) التبيان ٢ / ١١٥ .
(٢) ينظر(صوم) : الصاحبي ٨٥ ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن ٢٩٨ ، ولسان العرب ١٢ / ٣٥٠ ، والتعريفات ٧٧ .
(٣) التبيان ٢ / ١٥٤ ـ ١٥٥ .

والسعي بين الصفا والمروة ، واشتقاقه من الحجّ الذي هو القصد على وجه التكرار والتوجه ...وأّما العُمرة في الأصل فهي: الزيارة،وهي هاهنا زيارة البيت بالعمل المشروع من طواف الزيارة والإحرام،وأُخِذت العُمرة من العِمارة ؛لأنّ الزائر يعمُره بزيارته له))[٤].وهو ما جاء في المعجمات العربية القديمة وكتب اللغة والتفاسير[٥].

وهناك أمثلة أخرى من هذا النوع في تفسير التبيان[٦].

(٢) الألفاظ الإسلامية الخاصة :

وتدخل ضمن هذا النوع المصطلحات الخاصّة بعلوم القرآن والفقه وأصول الدين التي تناولتها الكتب المختصّة بذلك ، فضلاً عن التفاسير المختلفة . ولن يطيل البحث في الحديث عنها : بل سيقف على نماذج توضيحية فحسب :

أ . **المُحكَم والمُتشابَه** :وهما من مصطلحات علوم القرآن المهمة لتعلّقهما بمعاني القرآن وتفسيره ، وجاءا على صيغة اسم المفعول من الفعلين(أُحكِم وتشوبِه) . وأصل (حَكَم) في اللغة : منَع، ومنه حَكَمةُ الدابّة ، وهو الحَديدة التي يلجم بها الحيوان ، والحِكْمة: هي كلّ كلمة وعظتكَ أو زجرتكَ أو منعتكَ من قبيح[٧].

وفي ذلك يقول الطوسي : ((الأصل في الحِكَمة المَنع ، فهي تمنع الفعل من الخلَل والفساد ، والحكيم هو العالِم بوجوه الحكمة في الفعل ممّا يَصرِف عن خلافها))[١] . أمّا (**المُحْكَم**)فقد عرّفه بأنّه ((ما أنبأ لفظه عن معناه من غير اعتبار أمر ينضمّ إليه سواء أ كان اللفظ لغوياً أو عرفياً ،ولا يحتاج إلى ضروب من التأويل))[٣].وقال في موضع آخر: ((المُحكَم هو ما عُلِم المُراد بظاهرِه من غير قرينةٍ تقترن إليه،ولا دلالة تدلّ على المراد به ؛ لوضوحه نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا ﴾[٤] وقوله : ﴿ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ ﴾[٥] ؛ لأنه لايحتاج في معرفة المُراد به إلى دليل))[٦] .

---

[٤] التبيان ٢/٤٢-٤٣.
[٥] ينظر (حج):جمهرة اللغة١/٤٨-٤٩،ومعاني القرآن واعرابه١/٢٣٤، والصاحبي٨٦، ولسان العرب٢/٢٢٦-٢٢٧.
[٦] ينظر: الإيمان١/٥٤-٥٥،والفاسق١/١١٨،والسجود١/١٤٨،والتسبيح١/١٣٤والملّة٤/٣٣٤،والمنافق٥/٢٥٠.
[٧] ينظر: (حكم) جمهرة اللغة ٢ / ١٨٦ ، ولسان العرب ١٢ / ١٤٢ .
[١] التبيان ٥ / ١٦١ .
[٣] التبيان ١ / ١٠ .
[٤] يونس : ٤٤ .
[٥] النساء : ٤٠ .
[٦] التبيان ٢ / ٣٩٤ .

والمُتشابَه أصلهُ في اللغة من تشابَه : أي صار بين الشيئين شَبهٌ يُقارب بينهما فتشابها واشتبها[٧] .

وعرّفه الطوسي ((بأنّه ما كان المُراد به لا يُعرف بظاهِره بل يحتاج الى دليل، وذلك ماكان مُحمّلاً لأمور كثيرة ، أو أمرين ، ولا يجوز أن يكون الجميع مُراداً))[٨]،ولكن ((لا يُعلَم المُراد بظاهِره حتى يقترن به ما يدلّ على المُراد منه نحو قوله : (وَأَضَلّه الله على عِلْم)[٩] ، فإنّه يُفارق قوله : ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[١٠] ، لأنّ إضلال السامري قبيح ، وإضلال الله ، بمعنى حُكْمِه بأنّ العبد ضالّ، ليس قبيحاً بل هو حسن ...))[١١] .

اختلفت تعريفات المفسّرين والأصوليين للمُحكم والمُتشابه[١٢] ، ولكنّهم لم يخرجوا عن المعنى الذي قال به ابن عباس، فالمُحكم لديه هو: ((ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً من التأويل حيث تتضح دلالته ظاهرة فلا يحتمل التأويل ...والمتشابه هو ما احتمل التأويل بخفاء دلالته ...))[١٣].

وقد تناول الطوسي ما يتعلّق بهذين المفهومين على وجه التفصيل عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ... ﴾ [آل عمران : ٧] .وعلّل نزول المتشابه ، بأنه أدعى ((للحثّ على النظر الذي يوجب العِلم دون الاتكال على الخَبر من غير نظر ، وذلك أنّه لو لم يعلَم بالنظر أنّ جميع ما يأتي به الرسول حق يجوز أن يكون الخبر كذباً ، وبطلت دلالة السمع وفائدتهُ ، فلحاجة العباد إلى ذلك من الوجه الذي بيّناه ، أنزل الله متشابهاً ، ولولا ذلك لّما بانت منزلة العلماء ، وفضلهم على غيرهم ؛ لأنّه لو كان كلّهُ مُحكماً لكان من يتكلم باللغة العربية عالِماً به ، ولا كان يُشتبه على أحد المُراد به ، فيتساوى الناس في عِلم ذلك ...))[١] .

---

(٧) لسان العرب (شبه) ١٣ / ٥٠٣ .

(٨) التبيان ١ / ١٠ .

(٩) الجاثية : ٢٢ .

(١٠) طه : ٨٥ .

(١١) التبيان ٢ / ٣٩٥ .

(١٢) ينظر : جامع البيان ٣ / ١١٥ ـ ١١٧ ، والمستصفى من علم الأصول١٠٦/١، وميزان الأصول في نتائج العقول : السمرقندي ١ / ٥٩٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٤ / ٨ ـ ١١ .

(١٣) المستصفى من علم الأصول ١٠٦/١ .

(١) التبيان ٢ /٣٩٥ـ٣٩٦ .

ب . الظاهر : من مصطلحات علوم القرآن ، ورد على زِنة اسم الفاعل من الفعل ظَهَر ، وأصله في اللغة :خلاف بطُن ،والظاهِر خلاف الباطِن ،وظهَر يَظهُر ظُهوراً ، أي انكشف وبرز ، وظاهُر كلّ شيء أعلاه[٢] .

عرّفه الأصوليون بأنّه : ((ما يُعرف المُراد منه بنفس السماع من غير تأّمل ،وهو الذي يُسابق الى العقول والأوهام لظهوره موضوعاً فيما هو المراد))[٣] .

وعرّفه الطوسي بأّنه : ((الذي يصحّ أن يُدرَك من غير كشفٍ عنه ..و[كلّ ما][٤] يُعلم بأوائل العقول ظاهر ،و[كلّ ما][٥] يُعلم بدليل العقل باطن ؛لأنّ دليل العقل يجري مجرى الكشف عن صحّة المعنى))[٦].ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا ﴾ [البقرة:٢٧٥].

وهو يُطلق هذا المصطلح على الألفاظ المفردة والتراكيب والسياق ،ويعتمد عليه حجّةً في التفسير، إذ لايعمد إلى التقدير والتأويل ، ما لم يكن هناك دليل يدلّ على ذلك ويوجبه ؛ ولذلك نراه عادة يأخذ بالمعنى الأظهر للفظ أو العبارة عندما يفسّرهما ، فيعتمد المعنى المتبادر منهما الذي يُفهم عن قرب[٧] .

ج. المُجمَل : وهو من مصطلحات علوم القرآن أيضاً ورد على زِنة اسم المفعول من الفعل أَجْمَلَ ، وأصله في اللغة من قولهم: أجمَلَ الشيء إجمالاً : إذا جمَعه بعد تفرّقه ، ومنه أجملتُ الجواب وحصّلته : إذا أوجزته[١] .

وعرّفه الطوسي[٢] بأّنه((ما لايُفهم المُراد بعينه بظاهره ، بل يَحتاج إلى بيان))وسمّاه في موضع آخر ((العامّ))[٣] . ويُقابل المُجمَل أو ما في الجملة من إجمال ((التفصيل))[٤] وهو الكلام الذي يوضّح الدلالة ويكشف عنها .

---

[٢] ينظر (ظهر) : جمهرة اللغة ٢ / ٣٧٩ ، ومقاييس اللغة ٣ / ٤٧١ ، ولسان العرب ٤ / ٥٢٠ ـ ٥٢٣ .
[٣] ينظر: أصول السرخسي١٦٤/١،وميزان الأصول٥٠٥/١،وأصول الفقه لأبي زهرة١٦٩.
[٤] و [٥] وردت في النص :كلـّما ،والصواب ما أثبتناه .
[٦] التبيان ٤ / ٢٣١ .
[٧] التبيان ١ / ٢٥٣ ، ٣٦٨ ، ٣ / ١١٠، ٥ / ٢٢٩ ، وينظر: منهج الطوسي ٢٨٤ ـ ٢٨٦ .

[١] ينظر: (جمل)جمهرة اللغة ٢ / ١١١ ، ومقاييس اللغة ٤ / ٢٥٣ .
[٢] التبيان ٣ / ١٥٦ .
[٣] التبيان ٤ / ٢٥٣ .
[٤] التبيان ١ / ٣٠٣ ، ٣٩٩ ،٤٠١ ، ٤ ، ٢٩٩ ، ٥٣٢ .

وفي اصطلاح الأصوليين (المُجمَل) : هو اللفظ المتوارد عليه معنيان أو أكثر من غير تعيين لأحد تلك المعاني . فالمُراد منه مخفيٌّ ، وبالإمكان إزالة ذلك الخفاء ممّن صدر منه الإجمال[٥] . ومن أمثلته قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ [المائدة : ٣] .

د ـ **التحريم والتحليل** : وهما من مصطلحات الفقه الإسلامي ، ورد اللفظان على صيغة المصدر بزنة (تفعيل) ،مشتقّين من الفعلين (حَرَم) و (حلّ) ،وأصل حرَم في اللغة : منَع من الخير ، فالمَحروم هوالممنوع من الخير الذي لاينمي له مال . والتحريم خلاف التحليل[٦] ، أمّا حلَّ يحُلُّ فأصله: أباح ، والحَلال ضدّ الحَرام[٧].

وعرّفهما الطوسي بأنّ التحريم :((هو المَنع من الفعل بإقامة الدليل على وجوب تجنّبه ، وضدّه التحليل : وهو الإطلاق في الفعل بالبيان عن جواز تناوله . وأصل التحريم :المَنع في قولهم : حُرِم فلان الرزق فهو مَحروم حِرماناً ...))[٨]

فالحرام إذن أنواع ، إذ يشمل كلّ ممنوع من أي جهة كان فـ((الممنوع منه :إمّا بتسخير إلهي ، وإمّا بمَنع قهري ، وإمّا بمَنع من جهة العقل أو من جهة الشَرع أو من جهة من يُرتسم أمره))[٩] فهو ذو دلالة عامة اختصّ في الإسلام بالممنوع بتسخير إلهي ، فكلّ ما أوجب الله الامتناع عنه حرام في شَرعنا ، أما ما يجب الامتناع عنه بأمر الحاكم أو الدولة أو ولي الأمر أو صاحب الشأن فيُسمّى : ممنوعاً .

هـ . **الفقه** : هو اسم مصدر الفعل (فقِه) ، وأصله في اللغة : العلم بالشيء والفهم له[١]. وهو اسم خاص بعلم معرفة الأحكام الشرعية في الإسلام .

عرّفه الطوسي فقال : ((الفِقْه فهم موجبات المعنى المضمّنة لها من غير تصريح بالدلالة عليها ، وصار بالعُرف مختصّاً بمعرفة الحلال والحرام وما طريقه الشرع))[٢] . ويشير بذلك إلى أنّ هذا اللفظ كان عامّ الدلالة ثم اختصّ بواحد من علوم الشريعة الإسلامية ، فصار : ((عَلَماً لضَرب من علوم الدين))[٣] .

---

(٥) ينظر : المعتمد في أصول الفقه ٣١٧ ، والمستصفى من علم الأصول ١ / ٣٤٥ ، والمحصول في علم أصول الفقه ١ / ٣/ ٢٣١ ، والبحث اللغوي عند فخر الذين الرازي .
(٦) ينظر(حرم) : جمهرة اللغة ١٤٢/٢ ـ١٤٣ ، ولسان العرب ١٥/١٥ .
(٧) ينظر: جمهرة اللغة (حلّ) ٦٤/١ ، ولسان العرب (حلل) ١٦٣/١١ـ١٦٥ .
(٨) التبيان ٤ /٣٨٩ .
(٩) مفردات ألفاظ القرآن (حرم) ١١٣ .
(١) ينظر(فقه) : جمهرة اللغة ١٥٧/٣ ، ولسان العرب ١٧ / ٤١٨ .
(٢) التبيان ٥ / ٣٢٢ .
(٣) التبيان ٦ /٥٣ .

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن بدلالته العامّة الدالّة على الفهم العميق النافذ الذي يتعرّف غايات الأقوال والأفعال[٤] ، وذلك في قوله تعالى﴿ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ﴾ [النساء : ٧٨] .

ويتفق قدماء الأصوليين [٥]ومحدثيهم[٦] على أنّ الفقه هو: العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلّتها التفصيلية .

ولأنّ الطوسي فقيهاً وأصولياً قبل أن يكون مفسّراً ، فقد كان تفسيره زاخراً بالمصطلحات الفقهية : كالمُطلق والمُقّيد[٧]، والعام والخاص[٨] ، والناسخ والمنسوخ[٩] ، وزخر كذلك باستدلالات فقهية استقاها من آيات الذكر الحكيم بعد أن سبرغور المعاني الثانوية التي تحملها ، فلا يغفُل أيّ موضع يمكن الإشارة فيه إلى مفهوم أو حُكم فقهي مُستنبط من كلام الله تعالى. فمن ذلك وقوفه عند قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ . . . ﴾ [البقرة : ١٨٧] . إذ بّين أنّ المراد بياض الفجر من سواد الليل ، ثم حكى بصيغة التضعيف (قيل) إنّه : خيط الفجر الثاني ممّا كان في موضعه من الظلام ، وقيل: النهار من الليل ، فأّول النهار طلوع الفجر لأّنه أوسع ضياءً وحكى قولاً آخر رُوي فيه: أنّ الخيط الأبيض هو ضوء الشمس ، ولكّنه رجّح القول الأول ؛ لأنّ عليه أكثر المفسرين ، وجميع الفقهاء بلاخلاف [١٠] .

وقد عُني بالموازنة بين المذاهب الإسلامية في الأحكام الفقهية[١] ، حتى أّنه قد يعقد فصلاً فقهياً يجمع فيه مسائل وأحكاماً في أمر من أمور الشريعة[٢] أو بعض فروضها وينحو في ذلك محنى الموازنة بين المدارس الإسلامية فتجد لديه أراء كبار أئمة المسلمين كأبي حنيفة والمالكي والشافعي ، وبذلك يصلح تفسيره أن يكون مرجعاً من مراجع الفقه الإسلامي المقاَرن ، فضلاً عن أّنه كثيراً ما يُحيل الى

---

[٤] أصول الفقه لأبي زهرة ٦ .
[٥] ينظر : المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري ٨/١ ، والمستصفى من علم الأصول١/١.
[٦] أصول الفقه لأبي زهرة ٦ .
[٧] التبيان ٣٩٦/٣ ، ٦/٤ ، ١٠ ، ٨٨ ، ١٣٢/٥ ... .
[٨] التبيان ٤٢/١ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ١٢١ ، ٢٨/٢ ، ٨٥ ، ١٨٥ ، ٩٥/٣ ، ٤٢٣ ... .
[٩] التبيان ٣٣١/١ ، ٣٩٣ ، ـ ٣٩٥ ، ٤٠٧ ، ١٥/٢، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ٣٤٠/٤ .
[١٠] التبيان ١٣٤/٢ ، وينظر: مجمع البيان ٢٧٩/١ .
[١] ينظر: التبيان ٤٤/٢ ، ١٤٠ .
[٢] التبيان ١٢٦/٢ .

كتبه الفقهية مثل (عدة الأصول) [٣]وهو في أصول الفقه ،و(النهاية) و (المبسوط)[٤] وهما في الفقه ، والخلاف بين الفقهاء[٥] ، وهو من آصل كتب الخلاف في الفقه الإسلامي .

---

[٣] ينظر: التبيان ٣٠٣/١ ، ١٣٥/٢ .
[٤] ينظر: التبيان ١٠٤/٢ .
[٥] ينظر: التبيان ٣٠٣/١ ، ١٥٥، ١٥٩ .

المبحث الثاني

تعميـم الدلالـة

يُسمّى ما وُضِع في الأصل خاصاً ثم استعمل عاماً[1] ، ويسمّى أيضاً تعميم الخاص أو توسيع المعنى ، ويُراد به توسّع دلالة الكلمة وانتقالها من معناها الخاص الى معنى أكثر شمولاً وأعمّ دلالة[2] . ويُعزى ذلك إلى سببين رئيسيين :

(١) كثرة استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع تزيل مع تقادم العهد خصوص المعنى وتُكسبه العموم[3] .

(٢) قلّة الملامح التمييزية للشيء تزيد من عدد أفراده ، أو ما يدخل تحته ، وهذا عكس ما فسّر به تضييق المعنى . فالعلاقة إذن عكسية ، فبزيادة الملامح يكون التخصص ، وبقلتها يكون التعميم[4] .

ولاتقلّ أهميّة هذا الشكل من التغيّر الدلالي عن أهميّة سابقه ، وإن كان د. إبراهيم أنيس يرى أنّ تعميم الدلالات أقلّ شيوعاً في اللغات من تخصيصها[5] ، وهو الصحيح ؛ لأنّ ماورد في الكتب القديمة والحديثة من ألفاظ قد عمّمت دلالتها أقلّ بكثير من الألفاظ التي خصّصت دلالتها . ولو حاولنا الوقوف عند ملاحظته هذه وبحثنا عن تعليل مناسب لها ، لتبين لنا أن الإنسان بصورة خاصة . والحياة بصورة عامة . تميل في تطورها نحو التيسير والتحديد والدقّة في التعامل مع الأشياء ، ومن وسائل هذا التيسير تخصيص الدلالة ، إذ يعيّن لكلّ اسم مُسمّى ، ولكلّ معنىً لفظٌ خاصٌ به ، على حين أنّ تعميم الدلالة يجعل تحديد المعاني والمسمّيات أقلّ وقوعاً ، وذلك لاشتراك اللفظ الواحد في أكثر من معنى ، ولذلك كان وجوده في العُرف اللغوي الاجتماعي أقلّ .

وقد أدرك علماء اللغة الأوائل هذا اللون من التغيّر الدلالي ، وأشاروا إليه في طائفة من كتبهم ، ومنهم ابن دريد(ت ٣٢١هـ) في كتابه (جمهرة اللغة) إذ يعقد فصلاً بعنوان (باب الاستعارات) يتحدث فيه عن اتساع دلالة طائفة من الألفاظ[6] . وكذلك الخطّابي (ت ٣٨٨هـ) في رسالته التي وضعها في إعجاز القرآن إذ وقف عند توسع الدلالة وجعل الخاص عاماً : فقال : ((وقد يُتوسَع في ذلك حتى يُجعَل العَقر أكلاً ، وكذلك اللّسْع ؟ ... وحُكي أيضاً عن الأعراب :(أكلوني البراغيث)،فجعل قَرص البرغوث أَكْلاً ،ومثل هذا الكلام كثير))[7] .

---

(١) المزهر ١/ ٤٢٩ .
(٢) دلالة الألفاظ ١٥٤ ، وعلم اللغة (وافي) ٢٩٢ ، وعلم الدلالة (مختار) ٢٤٣ ودور الكلمة في اللغة ١٨٠ .
(٣) علم اللغة (وافي) ٢٩٢
(٤) علم الدلالة (مختار) ٢٤٥ .
(٥) دلالة الألفاظ ١٥٤ .
(٦) جمهرة اللغة ٤٣٢/٣ ـ ٤٣٤.
(٧) بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) :الخطابي ٤٢ .

ومنهم أيضاً ابن فارس في كتابه (الصاحبي) في باب (القول في أصول أسماء قيس عليها وأُلحق بها غيرها))[1] ، فضلاً عمّا جاء متناثراً في كتب اللغة والمعاجم والتفاسير .

رأي الشيخ الطوسي :

وقف الطوسي عند جملة من الألفاظ التي تعّمت دلالاتها واتّسع معناها ، ولم يفُته التنبيه على ذلك ، فهو يلتقطْه أي نما كان ، ويُشير إليه بعد أن يؤصّل دلالته الجديدة بالعودة الى جذورها وأصل وضعها اللغوي ، ثم يتدّرج وصولاً إلى المعنى الجديد .

وهو ينسب هذا التعميم . في الغالب . إلى الاستعمال العُرفي ، فيعلّله مرّة بالاتساع ومرّة بالكثرة . وقد وردت الألفاظ التي لحقها التعميم قليلة في تفسيره ، قياساً الى الألفاظ التي لحقها التخصيص ، ولكنّ شرحه وتحليله لها لايخلو من دقّة وسعة علم ، ولذا سيقف البحث عند جميع الألفاظ التي عرض لها جنياً للفائدة المبتغاة منه ، وعلى الوجه الآتي :

١ـ تَعالَوا : هو فعل أمر من الفعل (علا) وأصله في اللغة : الارتفاع أو الصعود الى المُرتفع ، فتعالَوا بمعنى اصعدوا وارتفعوا[2] .

وقد قال تعالى ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾[آل عمران : ٦١] ، على لسان النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته اليهود إلى المباهلة . وفسّر الطوسي لفظ (تعالَوا) هنا بأنّ أصلها : ((من العُلّو، يقال منه: تعاليتُ أتعالى تعالياً : إذا جئت ، وأصله المَجيء إلى الارتفاع ، إلا أنّه كثُر في الاستعمال حتى صار لكلّ مجيء ، وصار تعالَ بمعنى هلُّم))[3] .

فأصل اللفظ إذن أن يُدعى الإنسان إلى مكا ن عالٍ ، ثّم صار لدعوة الإنسان إلى كلّ مكان[4] . فانتقلت بذلك دلالته من مكان محدّد إلى كلّ الأمكنة ، وهذا انتقال من خاص إلى عام. ومن دلالة هذا اللفظ أيضاً القهر ، يقال فلان علا فلاناً إذا قهره ،والعلّي الرفيع، وتعالى ترفّع[5] .

٢ـ التفضُّل : مصدر الفعل فضُل على زنة(تفعُّل) ، وأصله في اللغة : التطّول على غيرك وتفضّلت عليه وأفضلت : تطّولت ، ورجل مِفضال:كثير الفَضل والخير والمعروف[6] .

(١) الصاحبي ١١٢ .
(٢) ينظر(علا) : العين ٢/٢٤٥ ـ ٢٤٧ ، والصحاح ٦/٢٤٣٤ ـ ٢٤٣٧ ، ولسان العرب ١٠/٩٠ .
(٣) التبيان ٢/٤٨٤ .
(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن (علا) ٣٥٨ .
(٥) مقاييس اللغة ٤/١١٢ .
(٦) ينظر(فضل) : معجم مفردات ألفاظ القرآن ٣٩٦ ، ولسان العرب ١٤ /٤٠ .

ووقف الطوسي عند قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[آل عمران : ٧٤] ، فذكر اشتقاقات لفظ الفضل ، ومنها التفضُّل ، وهو ((زيادة النفع على مقدار الاستحقاق ثم كثُر استعماله حتى صار لكلّ نفع قَصَدَ به فاعله أن ينفع صاحبه))[1].

وقد منح الله تعالى عباده ثلاث منافع : منفعة التفضُّل ، ومنفعة عِوض ،ومنفعة ثواب ، فأمّا المنفعة على سبيل التفضُّل فهي الواقعة ابتداءً من غير سبب استحقاق ، ولفاعلها أن يفعلها وله ألا يفعلها . وأمّا منفعة العِوض فهي المنفعة المستحقّة من غير أجر أو تعظيم ، وأمّا منفعة الثواب فهي المستحقّة على وجه التعظيم والتبجيل ، وبذا يكون التفضُّل أصلٌ لسائر المنافع من حيث يجب تقديمه وتأخّر ما عداه[2] ، فلا بدّ لكلّ حي من منفعة التفضُّل ؛لأنّها هبةٌ من الله من غير استحقاق وبلا احتساب

٣ـ **السمــاء** : اسم مشتق من الفعل سما وأصله في اللغة : ارتفع وعلا، ومنه : سَمَوْتُ مثل عَلَوْتُ ، وسَما بصَرُه : عَلا[3] .

وعلّل الطوسي تسمية السماء بهذا الاسم فقال : ((وسمّى السماء سماءً لعلوّها من الأرض وعلوّ مكانها من خلقه ، وكلّ شيء كان فوق شيء ، فهو لما تحته سماء لذلك ، وقيل لسقف البيت سماء ؛ لأنّه فوقه. وسمّي السحاب سَماءً ، ويقال: سَما فلان لفلان : إذا أشرف له ، وقصد نحوه عالياً عليه))[4] . وهو ما ورد في معجمات العربية[5] ،وقال به غير واحد من المفسّرين[6].

٤ـ **الصبــر** : اسم مصدر الفعل صَبَرَ ، وأصله في اللغة : الحَبْس والمَنْع، والصبور : هو المَحبوس[7] .

ومنه نهي الرسول . صلى الله عليه وآله وسلّم **أن تُصْبَرَ البهيمة وتُرمى حتى تُقتَل**[8].

ووقف الطوسي عند هذا اللفظ مفسّراً له في أكثر من موضع ، فهو كما يقول : ((حَبْسُ النفس عن الخروج إلى مالا يجوز من ترك الحق ، وضدّه الجَزَع))[9] . ثم بيّن أنّ أصل باب هذا اللفظ هو الحبس ، وقال : ((وأصل الصَبْر: هو مَنعُ النّفْس محابّها وكفّها عن هواها، ومنه

(١) التبيان ٥٠٣/٢ .
(٢) آمالي المرتضى ٤٧/١ .
(٣) ينظر(سما) : مقاييس اللغة : ٩٨/٣ ، ولسان العرب ١٥ /٣٩٧ .
(٤) التبيان ١٠٠/١
(٥) ينظر :هامش (٣)
(٦) ينظر: جامع البيان ١٦٢/١، ومعاني القرآن وإعرابه٩٩/١، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن:(سما) ٢٤٩ ، ومجمع البيان/٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢١٦/١.
(٧) ينظر(صبر) : الزاهر ٢١٢/٢ ، ومقاييس اللغة : ٣/ ٣٢٩ ، ولسان العرب ٤/ ٤٣٨.
(٨) ينظر غريب الحديث لابن سلام ٢٥٥/١ ،والفائق في غريب الحديث : الزمخشري ٢٧٦/٢ .
(٩) التبيان ٨٠/٦

الصبر على المصيبة ، لكفّه نفسه عن الجَزَع ، وقيل لشهر رمضان : الصبر ، لصبر صائمه عن الطعام والشراب ... والصبر نَصْب الإنسان للقتل ... وكلّ من حبسته لقتل أو يمين فهو قتل صبر ويمين صبر))[1]. ويوافق كلامه ماجاء لدى سابقيه ، فالصبر ضدّ الجَزَع . والصبر على الشدّة بمعنى صَبْر النفس عن أيّ قول أو فعل ، وصبرتُ على مصائب الزمان أي : حسبتُ نفسي عن الجَزَع وعدم التحمّل[2] .وهو بهذا المعنى لدى المحدثين أيضاً[3].

٥ . **الصياصي** : جمع صيصية ، وهو اسم مشتق من الفعل صَيَصَ، وأصله في اللغة : من صاصَتْ النخلة إذا صارت شيصاً بلا نَوى[4] .

وقد ورد هذا اللفظ في قوله تعالى :﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ . .﴾ [الأحزاب : ٢٦]، فعلّق الطوسي عليه قائلاً :((الصياصي : الحصون التي يُمتَنع بها ،واحدها صيصية ، والصيصية قرن البقرة وشوكة الديك أيضاً ، وهي شوكة الحائك أيضاً ...))[5] .

وأقدم من وقف عند هذا اللفظ مبّيناً دلالته أبو عبيد القاسم بن سلاّم الذي عدّه من المشترك[6] ،وبّين دلالته العامّة فقال : ((كلّ من يتحصّن بشيءٍ فهو له صيصية))[7] . ووقف عنده أيضاً أبو عمرو الجاحظ ، متتبعاً التغّير الدلالي الذي مرّ به، وصولاً إلى دلالته القرآنية إذ قال : ((العرب تُسّمي الدارع وذا الجُنّة صاحبَ سلاح ، فلّما كان اسم سلاح الديك وما يَمتنع به صيصية ،سمّوا قرن الثور الذي يجرح صيصية،على أنّه يشبّه في صورته بصيصية الديك وإن كان أعظم . ثم لّما وجدوا الآجام معاقلهم وحصونهم وجُنّتهم ، وكانت في مجرى التُرس والدّرع والبيضة ،أجروها مجرى السلاح ، ثم سمّوها صياصي ، ثّم أسموا شوكة الحائك التي بها تُهّيأ السُداة واللُحْمة ، إذا كانت مشّبهة بها في الصورة))[8] والجاحظ هنا يبّين حركة تطّور هذا اللفظ وانتقاله من مُسّمى إلى آخر ، مع وجود صلة معنوية تحتفظ بها كل المُسّميات هي القّوة والدفاع عن النفس وتأمين الحماية[9]،سوى صيصية الحائك التي ترتبط بتلك المسميات ارتباطاً حسياً من حيث التشابه الشكلي ،وقد جعل ابن دريد آلة الحائك الأصل اللغوي للفظ (صَيص) ، وكلّ ما

---

(١) التبيان ٢٠١/١-٢٠٢ .
(٢) ينظر(صبر) :مقاييس اللغة ٣٢٩/٣ ، والفروق في اللغة ١٩٥ .
(٣) المعجم الوسيط ٥٠٨/١ .
(٤) لسان العرب (صيص) ٥١/٧
(٥) التبيان ٣٣٣/٨ .
(٦) كتاب الأجناس من كلام العرب ٣ .
(٧) المصدر نفسه ٣٠ .
(٨) الحيوان ٢٣٤/١ -٢٣٥ ، وينظر الدراسات القرآنية عند الجاحظ : خالد محمد حماش ١٦٥
(٩) الدراسات القرآنية عند الجاحظ ١٦٥.

عداها دلالات أخرى متطّورة[1] ، ولكنّ الراجح رأي الجاحظ لأّنه يمثّل التطّور الطبيعي لهذا اللفظ . إذ نجده ينتقل في تغّيره الدلالي نحو التعميم ، من مجال حسّي إلى مجال حسّي آخر ثم إلى مجال معنوي عام خلافاً لما يراه الراغب الأصفهاني من أنّ هذا اللفظ يميل نحو التخصيص إذ قال : ((كلّ ما ُيتحصّن به ُيقال له صيصّية ولهذا النظر قيل لقرن البقرة صيصّية ، وللشوكة التي يقاتل بها الديك صيصية))[2] .

٦. **الطَلَب** : اسم مصدر الفعل طلب ، وأصله في اللغة : السعي للحصول على الشيء ومحاولة وجدانه وأخذه[3] .

روى الطوسي عن الرّماني أنّ أصل الطلب هو: ((تقليب الأمر لوجدان ما ُيهلِك ... ثّم قيل للُمريد من غيرِه فعلاً : طالبٌ لذلك الفعل بإرادته أو أمره ، والمفكّر في المعنى (طالب) لإدراك ما فيه ، وكذلك السائل))[4] ومعنى كلامه أنّ هذا اللفظ خاص بالبحث عن سبيل لهلاك العدو ، ثّم صار عاّم ُيراد بها السعي للحصول على أيّ شيء سواء أكان معنوياً أم مادياً ، خيراً أم شراً ، فصار المعنى المتبادر الى ذهن السامع الآن هو: ((الفحص عن وجود الشيء عيناً كان أو معنًى))[5] .

ويفّرق أبوهلال العسكري بين الطَلَب والسؤال ، فالسؤال لايكون إلا كلاماً ، والطَلَب يكون بالسعي وغيره ، وأشار إلى إمكان تَسمية الطَلَب التماساً على سبيل المَجاز . والالتماس هو طَلَبٌ باللْمس .[6]

٧.**العالَم** : وهو اسم مشتق من الفعل عَلِم ، وأصله في اللغة : كلّ شيء فيه أثر يتمّيز به من غيره ، ومنه العَلامة والعَلَم[7].

والعالَم كما يقول الطوسي :((في ُعرف اللغة :عبارة عن الجمع من العقلاء؛ لأّنهم يقولون جاءني عالَم من الناس ، ولا يقولون جاءني عالَم من البقَر ، وفي ُعرف الناس :عبارة عن جميع المخلوقات ، وقيل إّنه أيضاً اسم لكلّ صنف ، وأهل كلّ زمن من كلّ صنف ُيسّمى عالَماً ؛ ولذلك ُجمِع عالَمون لعالَم كلّ زمان))[8] .

---

(1) جمهرة اللغة (صيص) ١/١٥٦ ، ١٨٣
(2) معجم مفردات ألفاظ القرآن (صيص) ٢٩٩ .
(3) ينظر: (طلب) : العين ٧/٤٣٠ ، وجمهرة اللغة ١/٣٠٩ ، ١/٥٥٩ .
(4) التبيان ٧/٤٨ .
(5) معجم مفردات ألفاظ القرآن (طلب) ٣١٥ .
(6) الفروق في اللغة ٢٨٤ .
(7) مقاييس اللغة (علم) ٤/١٠٩ .
(8) التبيان ١/٣٢ .

فباتفاق أهل العربية (العالَم) مختصّ بمن يَعقل[1] ، ثم توسّعت دلالاته لتشمل كلّ الكائنات الحيّة ، وأصناف المخلوقات عامّة[2] .

وفرّق عدد من العلماء بين العالَم والناس ؛ لأنّ العالَم هو ما يحوي الفُلك ،ويقول غيرهم: العالَم السُفلي ويقصدون به الأرض ،والعالَم العُلوي ويريدون به السماء وما فيها ، ويُقال على وجه التشبيه: الإنسان العالّم الصغير[3] ، وذلك لأنّ كلّ عالَم هو جنس من الخَلق له مَعالِم أو علامات تميّزه من غيره[4] .

٨ـ **العِيـر** : أصله في اللغة بفتح العين : الحمار الوحشي والأهلي أيضاً ، وبالكسر القافلة أو الإبل التي تحمل الميرة[5]، وقيل هو كلّما امتير عليه إبلاً كانت أو حميراً أو بغالاً[6] . وقيل : إنّه سُمي عيراً لتردّده ومجيئه وذهابه ؛ لأنّ للفظ العيرأصلاً آخر هوالمجيء والذهاب ، ومنه عار يعير وهو ذهابه كأنّه متلفّت من صاحبه ،ويقال قصيدة عائرة :أي سائرة[7] .

وقد اتسعت دلالة هذا اللفظ فصارت تُطلق على كلّ قافلة ، يقول الطوسي : ((العِير قافلة الحَمير ، والأصل : الحَمير إلا أنّه كثُر حتى صارت تسّمى كلّ قافلة محمّلة عيراً تشبيهاً))[8]،ثم اتسعت دلالته أكثر فصارت تُطلق على ((كلّ جماعة خرجت من بلد الى آخر))[9] .

وقيل : العير هي الإبل التي تحمل الميرة ثم غلبَ على كلّ قافلة[10]، وقيل أيضاً : العير هم القوم الذين معهم أحمال الميرة ، وذلك اسم للرجال والجمال الحاملة للميرة[11]. فلا تكون الإبل ولاالقافلة عيراً حتى يُمتار بها[12].

٩ـ **الملاقـاة** :وهو مصدر الفعل لَقي ، وأصله في اللغة رأى ،والتقى وتقابل ، ولقّاه الشيء :ألقاه إليه،بمعنى طرحه[13] .

قال تعالى : ﴿فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة : ٣٧] إذ ورد لفظ

---

(١) الصحاح (علم) ١٩٩١/٥ .
(٢) المعجم الوسيط (علم) ٦٣٠/٢ .
(٣) الفروق في اللغة ٢٦٩ .
(٤) مقاييس اللغة ١١٠/٤ .
(٥) الميرة:هي الطعام الذي يمتاره الإنسان ،أي يجلبه إلى أهله من السوق.ينظر: (مير) معجم مفردات ألفاظ القرآن٤٨٩،ولسان العرب١٨٨/٥.
(٦) ينظر(عير) : القاموس المحيط ٥٧٤/١ ، ومختار الصحاح ١٩٤/١ .
(٧) مقاييس اللغة (عير) ١٩١/٤ .
(٨) التبيان ١٦٩/٦ .
(٩) المصدر نفسه ١٩٢/٦ .
(١٠) لسان العرب (عير)٦٢٤/٤ .
(١١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم (عير) ٣٦٦ .
(١٢) لسان العرب (عير) ٦٢٤/٤ .
(١٣) ينظر(لقي) : مقاييس اللغة ٢٦١/١٥ ، والقاموس المحيط ١٧١٦/١ .

(تلقّى) دالّ على التلقّي المعنوي ، فعلّق الطوسي على ذلك مبّيناً أنّ : ((أصل المُلاقاة المُلاصقة ، ولكّنه كثُر حتى قيل : لاقى فلانٌ فلاناً : إذا قارَبه وإن لم يُلاصقه ، وكذلك تَلاقى الجيشان وتَلاقى الفَرسان ، ويقال :تَلاقى الخَطّان أي:تَماسّا ،وتقول تلقّيتُ الرجل بمعنى استقبلتُه ، وتلقّاني استقبلَني))[1]

واللقاء هو مُقابلة الشيء ومُصادفته ، ويُقال ذلك في الإدراك بالحسّ والبصر وبالبصيرة [2].
وقيل : لا تكون المُلاقاة إلا من قُدّام[3].

فالتلقّي وهو مَصدر الفعل تَلقّى ، كان في أصله اللغوي يدلّ على استقبال الشيء المادي على سبيل المُلاصقة والمُلامسة ، أي تلقّيه باليدين مثلاً ، وبالتطّور الدلالي صار اللفظ دالاً على تلقّي واستقبال الأمور المعنوية ، كالكلام والتحية والسؤال وغير ذلك . ويقال: إنّ الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه هي قوله : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف:٢٣]، فأوحى له ربّه كلمات يرجع بها الى الله[4]، وفي هذا تشريعٌ للتوبة رحمةً للعباد .

المبحث الثالث

---

[1] التبيان ١٦٦/١ .
[2] معجم مفردات ألفاظ القرآن (لقي) : ٤٧٣ .
[3] الفروق في اللغة ٣٠٢ .
[4] التبيان ١٦٩/١ ، وينظر جامع البيان ٢٤٢/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٤/١ .

تغيّر المجال الدلالي

وُيسّمى نقل المعنى أو تغيّر مجال الاستعمال،ويحدث فيه انتقال دَلالة اللفظ من مجال دلالي إلى مجال دلالي آخر،ولكن ليس على وجه التخصيص أو التعميم،وإنّما على وجه المخالفة[١] .

وهو الشكل الثالث من أشكال التغّير الدلالي، ولكّنه يختلف عن سابقَيه بأنّ ((اللفظ يتخذ سبيلاً يجتاز فيه ما بين نقطة تداوله ومعناه الأّول إلى نقطة أخرى يجري استعماله فيها ، ولا يشترط التقفية إليه على آثار المرحلة الأولى ، بل يقوم احتمال تعايش الدَلالتين إلى جانب احتمال طُغيان الدلالة المتطّورة عن سابقها))[٢] .

وتتحّول الألفاظ عن مجالها الدلالي إلى مجال آخر بطرق دَلالية عرفها العرب منذ القدم ، وهي الخروج من الحقيقة إلى المَجاز بأساليب التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل ، وأهّمها فاعلية في التغّير الدلالي أسلوبا الاستعارة والمجاز المرسل ، وهما قسما المجاز اللغوي الذي يتّم فيه نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معانٍ أُخَر بينها صلة ومناسبة ، حيث تكون في الاستعارة صلة الُمشابهة ، وفي المجاز المرسل صلة مُلابسة وعلاقات أخرى من غير المشابهة، مثل : السببّية ،والجزئّية،والكلّية ،والحالّية والمحلّية،والمجاَورة،والزمانّية،والآلّية[٣] .

وللمجاز اللغوي أهمّية بالغة تكمُن في كونه وسيلةً مهمةً من وسائل التوّسع اللغوي ، إذ يُثري اللغة ، ويسدّ أوجه النقص في الألفاظ والتراكيب المحدودة ، فتتجّدد المعاني والألفاظ وتبتعد عن الخمول والرتابة[٤] وهذا ناتج من المواضعة التي تمثّل تشكّلاً دائماً ومستمراً للغة[٥]، وفي ذلك يصدُق قول ابن جني: ((إنّ أكثر اللغة مع تأّمله مجاز لاحقيقة))[٦] .

وُيعدُّ المجاز المحرّك للطاقة التعبيرية في اللغة ؛ إذ تنتقل من التصريح الى الإيحاء ، وهو أحد طاقات الحركة الذاتية لها ؛ لأّنه ُيهّيء الألفاظ لاستيعاب المدلولات الجديدة من دون الحاجة إلى استحداث ألفاظ جديدة لها ، قد تؤدّي إلى إرباك الرصيد اللغوي . وبذلك يكون المجاز بمثابة جسر تعُبر عليه الألفاظ بين الحقول الدلالية المتعدّدة[٧] ؛ لتؤدّي جانبها الوظيفي

---

(١) ينظر: التعريفات ٤ ، ودلالة الألفاظ ١٦٠ ، وعلم الدلالة (مختار) ٢٤٧ ،ودور الكلمة في اللغة ١٨١ .
(٢) علم الدلالة العربي ٣١٤ ـ ٣١٥ .
(٣) علم البيان : عبد العزيز عتيق ١٤٣ ـ ١٦٥ .
(٤) عوامل التطور اللغوي ٥٧ .
(٥) قاموس اللسانيات : عبد السلام المسدي ٤٤ .
(٦) الخصائص ٢/٤٤٧ .
(٧) قاموس اللسانيات ٤٤

الأول وهو التكريس النفعي في التعامل الدائم معها ، مّما يمنحها حياة مستديمة لاتنتهي ، ولترقى كذلك إلى المراتب العُليا في تعاملها الفني وتسخيرها الإبداعي[1] . فيكون للمجاز عندئذ أثر بالغ في لغة التعامل الاجتماعي ولغة الإبداع .

ولم يكن هذا النوع من التغّير خافياً لدى العرب ؛ لأّنهم منذ عصرما قبل الإسلام على دراية بأّن اللفظ الواحد ينتقل بين معنيين مختلفين ، وذلك حين يُصَرف اللفظ عن أصله وينتقل معناه ، وهم على دراية أيضاً بأّن هذا النقل لا يحدث مالم تتوفر جملة من العلاقات بين المَنقول والمَنقول إليه[2] .

وقد أجاز ابن جني تعّمد نقل الدلالات اللغوية إّما بتحويل الألفاظ عن معانيها أو بتحويل المعاني عن الألفاظ فقال : ((ثّم لك من بعد أن تنقل هذه المواضعة إلى غيرها فتقول : الذي اسمه إنسان فليجعل مكانه مَرْد ، والذي اسمه رأس فليجعل مكانه سُر ...))[3]، وهو يعلّل ظاهرة (إيراد المعنى الُمراد بغير اللفظ الُمعتاد) بطواعية اللغة ، ذلك أّن المجاز ((موضع قد استعمله العرب واتبعتها فيه العلماء ، والسبب في هذا الاتساع أّن المعنى المراد مفادٌ من الموضعين جميعاً . أي الحقيقة والمجاز . فلّما آذنا به وأدّيا إليه ، سامحوا أنفسهم في العبارة عنه))[4].

وأشار ابن فارس[5] أيضاً إلى ظاهرة التغّير الدلالي بالمجاز وعدّها من سُنن العرب في كلامهم ، وكذلك فعل الثعالبي[6] ، حيث خصّص فصلاً عن الحقيقة والمجاز ذكر فيه نماذج من انتقال مجالات الدلالة بالمجاز ، وعبد القاهر الجرجاني أيضاً الذي أُولى هذه الظاهرة عنايةً فائقةً وله فيها آراء خالدة[7] ، وقد جمع السيوطي آراء القدماء في فصل سّماه (معرفة الحقيقة والمجاز) وساقَ له أمثلة كثيرة[8] .

رأي الطوسي :

عُني صاحب (التبيان) بموضوع الحقيقة والمجاز في تفسيره ، واعتمد المجاز كثيراً وسيلةً في فهم آيات من القرآن الكريم ، وفي ردّه الاتهامات الباطلة التي تحدث فاهَ بها مَن لا دين ولا فَهم له ، وفي تأويل الآيات التي يؤدّي ظاهرها إلى تجسيم الذات الإلهّية .

---

(1) التفكير اللساني في الحضارة العربية ١٨٨ .
(2) المجاز في البلاغة العربية ٢٠٩-٢١٥ .
(3) الخصائص ١/ ٤٤ ، وينظر التفكير اللساني ١٨٦ .
(4) الخصائص ٢ /٤٦٦ .
(5) الصاحبي ١١٠ - ١١١ ، ٣٣٤ - ٣٣٦ .
(6) فقه اللغة وسر العربية ٥٤٣ - ٥٤٦ .
(7) ينظر أسرار البلاغة ٢٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ودلائل الاعجاز ٢٧٧ - ٢٩٣ ، ٣٤٦ - ٣٤٨ .
(8) المزهر ١ / ٣٥٥ - ٣٦٨ .

ونراه يُفضّل المجاز على الحقيقة غالباً ، إلاّ أنّ أفضليّته ليست مُطلقة بل هي نسبية تختصّ بموضعٍ من دون آخر[1]، وفي هذه الموازنة يرى أنّ كلاً من الحقيقة والمجاز لهما مواضعهما التي يُفضّلان فيها . فقد يكون في موضعه أُولى وأحسن من الحقيقة ؛ لأنّ فيه من الإيجاز والمبالغة في المعنى مالا تنوب مَنابه الحقيقة[2]. وهو يرفض وقوع المجاز من غير ضرورة ، وذلك حين يكفي ظاهر القول للدلالة على المعنى[3] ، ويرجّح الحقيقة إذا لم يدلّ دليل على إرادة المجاز ؛ لأنّ الحقيقة هي الأصل[4] .

وكان له آراء في المجاز بأنواعه ووقفات دلالية مُهمّة ، إذ التفت إلى عدد من علاقات المجاز العقلي[5] ، والمجاز المرسل[6] ، والاستعارة ، وأشادَ بحسنها وروعة بيانها في طائفة من آيات القرآن[7] .

وكان الدكتور كاصد ياسر الزيدي قد فصّل في دراسته للمجاز فكفانا بذلك مؤونة البحث فيه وأضاء لنا سبيله ،ولذا فقد حرص البحث على تناول المجاز عند الطوسي من جانب آخر يُلحظ فيه إشارته إلى تغيّر المجال الدلالي للألفاظ المُتحوّلة عن معانيها .

وأول تلك الإشارات وأهمّها تسميته عملية التحوّل أو التغيّر الدلالي بعملية (نقل المعنى) ، إذ قال في تفصيل لفظ القوي : ((القوي القادر العظيم المقدور ، ومنه وصف الله تعالى القوي العزيز ، وأصل القوّة شدّة الفتل من قِوى الحبل ، وهي طاقاته يفتل عليها ، ثم نقل المعنى إلى القدرة على الفعل))[8] .

و قد ظهر مصطلح (نقل المعنى) في زمن مبكّر ، إذ يرجّح بعض المحدثين[9] أن يكون أوّل من استعمل مصطلح النقل هو القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني(ت ٣٩٢هـ)[10].

ويرى الطوسي أنّ أسلوب نقل المعنى شائع في أغلب اللغات فضلاً عن شيوعه في العربية ، إذ ذكر أنّ : ((العرب يفهم بعضُها مُراد بعض بهذه الأشياء ، فمن تعلّق بشيء من هذا ليطعَن به ،فإنّما يطعن على لغة العرب ، بل على لغة نفسه من أهل أيّ لغة كان . فإنّ هذا

---

(1) منهج الطوسي ٣٥٥ ، وينظر التبيان ٨ / ٣٨ .
(2) المصدران أنفسهما.
(3) التبيان ٢٩٠/١ ـ ٢٩١ .
(4) التبيان ٦٩/٢ .
(5) التبيان ١٥٠/٦ ، ٤٠٠/١٠ وينظر: منهج الطوسي ٣٥٦ ـ ٣٥٧ .
(6) التبيان ٤١٢/١ ، ١٠١/٣ ، وينظر: منهج الطوسي ٣٥٧ .
(7) التبيان٦٣/١ ، ٣١١ ،١٠٤/٧ ، وينظر: منهج الطوسي ٣٥٨-٣٥٩ .
(8) التبيان ٤٤/٨ .
(9) مهدي صالح السامرائي : المجاز في البلاغة العربية ٢٠٨ ،
(10) الوساطة بين المتنبي وخصومه :القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ٤١ .

موجود ومُتعارف في كلّ لغة ، وعند كلّ جيلٍ))[1] . فهو يردّ مطاعن أعداء العربية الذين اتخذوا من المجاز وسيلة لوصفها بالضعف وعدم التطّور ، بتأكيده اتصاف اللغات عموماً بصفة الاستعمال المجازي وانتقال المعاني .

ومن المفيد الإشارة هنا إلى أنّ وقوف الدارس على آراء علماء العربية . وبضمنهم الطوسي . حول ظا هرة نقل المعنى يؤكد أنّ أصول هذه الدراسة بدأت لدى العرب ، ثّم انتقلت إلى الغرب الذين نظّروا لها ودرسوها على نحو أدقّ وأوسع فخرجوا بنظرياتهم الدلالية الحديثة حول هذه الظاهرة .

وقد درسها أغلب المحدثين الذين ألّفوا في علم الدلالة ، وهم يتفقون على أنّ المجالات الدلالية للألفاظ اللغوية تقسّم على ثلاثة أقسام[2] :

(١) المجالات أو الحقول الدلالية المحسوسة (المادية) المتصلة ، كنظام الألوان .

(٢) المجالات أو الحقول الدلالية ذات العناصر المنفصلة ، كنظام العلاقات الأسرية .

(٣) المجالات أو الحقول الدلالية غير المحسوسة أو التجريدية كألفاظ الخصائص الفكرية ، يضاف إلى ذلك أيضاً ألفاظ الخصائص النفسية .

وفي تغّير المجال الذي نحن بصدَد دراسته في هذا المبحث نتناول الألفاظ التي انتقلت دلالتها من مجال دلالي إلى آخر ، والاتجاه الواضح في هذا الانتقال يشيع بين مستويين : أحدهما الانتقال من المادي إلى المعنوي أو من الحسي إلى الذهني ، والآخر الانتقال من المادي إلى مادي آخر ، أو من الحسي إلى حسي آخر مثله .

وقد عُني الطوسي بالإشارة إلى الأصل الحسي والمعنوي للألفاظ القرآنية ، وكان يحبّ تتبع هذه الظاهرة في تفسيره للألفاظ ،ولكن في بعض الأحيان تجد((كلامه مشوب باضطراب ، إذ لايكاد يستقرّ على رأي في أّيهما أسبق الحسي أم المعنوي ، فتارة يجعل الحسي هوالأصل ، وأخرى يجعل المعنوي هو الأصل ، مع أنّ الأول فيما انتهى إليه علم اللغة الحديث[3]هو الصحيح ؛ لأّنه يمثّل المعنى الأصلي الحقيقي الذي يتفرّع عنه عادة عن طريق المجاز ما يشيع من المعنويات))[4].

---

(١) التبيان ٣١٢/١ .

(٢) علم الدلالة (مختار) ١٠٧ ، والمجال الدلالي بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة : علي زوين ٧٤ .

(٣) في اللهجات العربية ٦٥ .

(٤) منهج الطوسي ٢٩١ .

ومثال جعله الحسي أصلاً للمعنوي قوله : ((والصَبرٌ مأخوذٌ من الصَبر المرِّ ؛ لأنه تجرّع مَرارة الحق بِحَبس النَفس عن الخروج الى الُشْتَهى))[1] أمّا جعله المعنوي أصلاً للحسي فمثاله جعله (الربّ) مشتقاً من التربية[2] ، وجعله الجانّ وهو الحيّة الصغيرة ، مشتقاً من الاجتنان وهو الاستتار[3] ، والعكس في كلّ هذا هو الصحيح ، فالتربية من ربَّ بمعنى اعتنى[4]، والجانّ من جنَّ بمعنى استتر[5].

وعلى الرغم من أنّ اضطراب الطوسي في تحديد الأصل اللغوي يعدّ مأخذاً علمياً عليه لكن هذا لايمنع من القول إنّه كان مُدرِكاً للجانب الدلالي في هذه المسألة ، ومُدرِكاً تماماً لأهمية تحديد الدلالة الأصلية للألفاظ ؛ لأنّ هذا يُعين الدارس على فَهم مسيرة التطّور والتغّير التاريخي لها ، ولذلك كان مولَعاً بالوقوف على خطوات التطّور هذه في كثير من الألفاظ التي يفسّرها،فجاء تفسيره زاخراً بالمعاني والدلالات اللغوية التي تغني القارئ عن الرجوع إلى المعجمات .

ويعبّر الطوسي عن الدلالتين الحسيّة والمعنوية بألفاظ وعبارات مختلفة،نوجزها بما يأتي:

(١) **الأعْيان والأعْراض** : قال : ((الإرْثُ تَرْكُ الماضي للباقي ما يَصيرُ له بَعدهُ ، وحقيقة ذلك في الأعيان التي يصحّ فيها الانتقال ، وقد استُعمِل على وجه المجاز في الأعراض فقيل : العُلماء وَرَثة الأنبياء ...))[6]

(٢) **ما يقعُ به الإحساسُ ومالا يقعُ به** : قال في تشبيه الإيمان بالله بالعُروة الوُثْقى بأنه ((جرى مَجرى المَثَل لحُسْن البَيان بإخراج مالا يقع به الإحساس إلى ما يقع به ...))[7].

(٣) **ما يُبصَر وما يُعلَم** : قال في تفسير لفظ (غَمرات) في قوله تعالى :﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأنعام :٩٣] . بأنّ : ((كلّ من كان في شيء كثير يُقال له : غَمره فلاناً ذلك ، ويُقال : قد غَمره فلان الدَين معناه كثُر ، فصار فيما يُعلَم بمنزلَة مايُبصَر ،

---

[1] التبيان ٨١/٦ ، وينظر ١٩١/٤ ـ ١٩٢ ، ٢٦٧ ، ٤٢٤ .
[2] و[3] التبيان ٣٢/١
[4] لسان العرب(ربب) ٤٠١/١ .
[5] لسان العرب (جنن) ٩٢/١٣-٩٣ .
[6] التبيان ٤٨٢/١ .
[7] التبيان٣١٣/٢ .
[8] التبيان ٤ / ٢٠٣ .

قد غمر وغطّى من كثرته ...))[٨]. فالذي يُبصر تُدركه حاسّة البصر ، فهو محسوس ، والذي يعلم يُدرِكه العقلُ فهو معنى مجردٌ . والدين معنى مجردٌ ، أمّا الغمر فيكون للمحسوس كالماء مثلاً .

(٤) **ما يظهرُ أثرُه** : قال : ((وإنّما قيل : سَكَتَ الغضبُ وسَكتَ الحُزنُ على طريق المجاز إلا أنّه في شيء يظهرُ أثرُه ، فيكون بمنزلة الناطق به))[١] .فالذي يظهر أثرُهُ هو المحسوس ، وعلى هذا فالمعنوي لا يظهرُ أثرُه .

(٥) **المُتَصَوَّر في النَفْس** ، وهو المعنوي ، ذكر ذلك في تعليله تشبيه ثِمار شَجَرة الزَّقوم برؤوس الشياطين ، إذ قال : ((إنّ قُبْح صورة الشياطين مُتصوَّر في النفس ، ولذلك يقولونه لشيء يستقبحونه جداً كأنّه شيطان))[٢] .

وتبعاً للوقفات الدلالية التي وقفها صاحب التبيان حول هذا الشكل من التغّير الدلالي فقد جاء الانتقال في المعنى على ثلاثة مستويات :

١. الانتقال من مجال حسي إلى مجال حسي آخر .

٢. الانتقال من مجال حسي إلى مجال معنوي .

٣. الانتقال من مجال معنوي إلى مجال حسي .

وتعدّ هذه التغيرات مؤشّراً مهمّاً يفيد في معرفة الأحوال الاجتماعية للشعوب المختلفة ويُلقي الضوء على النواحي النفسية الخاصة بكلّ منها .[٣]

(١) الانتقال من مجال حسي إلى مجال حسي آخر :

أصل دلالة الألفاظ باتفاق القدماء والمحدثين هو حسي ، فبعد أن انتهى طور نشأة اللغة بالتواضع ، بدأت مرحلة ثانية هي طور الانتقال بين المُسمّيات الحسية ، إذ كان المجاز وسيلتها في ذلك الخروج من الجُمود والرَتابة ، ممّا يمنح الألفاظ حيوية وفاعلية أكثر[٤] .

فقد يحدث الانتقال بين المحسوسات بعضها مع بعض ؛ لصلة بين الدلالتين المكانية أو الزمانية أو الجزئية . فهناك ألفاظ كثيرة لوحظ تطوّرها في الدلالة ، فانتقل كلّ منها من دلالته إلى دلالة أخرى تشترك معها في المكان والزمان أو التسّبب أو المجاورة أو علاقة الجزء بالكلّ والعكس[٥] . ووسيلة هذا النوع من الانتقال الكناية والمجاز المرسل بكلّ علاقته ، وقد ورد في تفسير التبيان قليلاً ،ضمّ الأمثلة الآتية :

---

(١) التبيان ٥٥٣/٤ .
(٢) التبيان ٥٠٢/٨ .
(٣) علم اللغة بين التراث والمعاصرة ٢٩٢ .
(٤) دلالة الألفاظ ١٦١ ، وكلام العرب ٤١ ـ ٤٢ .
(٥) دلالة الألفاظ ١٦٥ .

أ ـ **الوجـه** : وقف الطوسي عند قوله تعالى : ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ... ﴾ [البقرة : ١١٢] وفسّر المراد بلفظ (وجهه) هنا فقال : ((وإنما جاز أسلَمَ وجهه لله على معنى أسلَمَ نفسه لله ،على مجرى كلام العرب في استعمال وجه الشيء وهم يريدون نفس الشيء ، إلا أنّهم ذكروه باللفظ الأشرف ودلّوا عليه به))[١] . فالمُراد إذن التوجّه لله لذلك قيل : وجه الكلام، أي أوّله ، وقيل : وجه الرأي أي الذي يبدو منه ويعرف به ، والوجه من كلّ شيء أوّل ما يبدو فيظهر بظهور ما بعده[٢] .

والوجه القصد بالفعل ، ومنه قولنا في الصلاة : وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض : أي قصَدتُ قَصْدي بصلاتي وعَملي . ويعّبر الوجه عن الذات الإلهية[٣] ومنه قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص :٨٨] وقوله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن :٢٦ـ٢٧] .

والانتقال هنا على سبيل المجاز حيث العلاقة بين الدلالتين علاقة الجزء بالكل ، فالوجه جزء من الإنسان ، ويعبّر به عن الإنسان نفسه ، وعن نواياه ومقاصده .

ب ـ **السَلْخ** : قال تعالى : ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس :٣٧] وفسّر الطوسي هذا القول بأنّهم ((داخلون في الظلمة لاضياء لهم فيه بالشمس ، فالسَلْخ إخراج الشيء من لباسه ، ومنه إخراج الحيوان من جلده ، يقال سَلَخَ يسْلُخُ سَلْخاً فهو سالِخ ، ومنه قوله : ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾[٤] أي : فخرج منها خروج الشيء ممّالابَسه))[٥] .

و(السَلْخ) لغة : إخراج الشيء ممّا يلابسُه وممّا التحَم به ، ومنه إخراج الحيوان من جلده[٦] . وجاء هذا اللفظة في الآية السابقة على سبيل الاستعارة ، وهي من بدائع الاستعارات الإسلامية التي وقف عليها أكثر البلاغيين والمفسرين ، إذ شبّه سبحانه خروج النهار من مكان الليل بخروج المَسْلوخ من جلده ، وهي استعارة مكنية[٧] ؛لأنّ المشّبه به محذوف ودلّ عليه بإحدى لوازمه ، و هي السَلْخ، وبدأ التعبير القرآني بالليل لأنّه الأصل ، حيث هواء الكون يبقى مُظلماً حتى يُضيؤه

---

[١] التبيان ١٧/٤١٣ .
[٢] ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن:الشريف الرضي ١١٨ ، ومجمع البيان ٨٦/١ .
[٣] آمالي المرتضى ١/ ٥٩٠ ـ ٥٩٢ .
[٤] الأعراف : ١٧٥ .
[٥] التبيان ٤٥٨/٨ ـ ٤٥٩ .
[٦] ينظر(سلخ): العين ١٩٨/٤ ، ومقاييس اللغة ٩٤/٣ .
[٧] مفتاح العلوم ١٨١ ، وينظر: علم البيان١٧٥ .

الله بضياء الشمس ، فإذا سَلخ منه ذلك الضياء وأُزيل عنه عاد ُظلماً ، وكأنّ الليل جسّم والنهار قشرتُ ه[1] . وقد عدَلَ التعبير عن لفظ (أُخرِج) إلى لفظ (سَلَخ) ؛ تجسيداً لقدرة الخالق وعظمة تدبيره ، وتصويراً عِلمياً دقيقاً للحقيقة الكونية[2]

ج . **التموّج** : قال تعالى : ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف : ٩٩] والُمراد ب(يموج) كما يرى الطوسي: ((بأّنهم يموجون في بناء السدِّ ويخوضون فيه متعجِّبين من السدِّ ... فكانت حالة هؤلاء كما الماء الذي يتموَّج لاضطراب أمواجه))[3] .

والتموُّج لغة : هو اضطراب الماء بعضه ببعض ، حيث انتقلت دلالته من وصف الماء إلى وصف الناس . على سبيل الكناية . حيث يرمز التموّج إلى الاضطراب ؛ إذ يُقال : ماجَ القوم : إذا اختلفت أمو ُرهم واضطرَبت ، وماجَ الناس في الفتنة ، وماجَت الفتنة وكل شيء اضطربَ فقد ماجَ[4].

(٣) الانتقال من مجال حسي إلى مجال معنوي :

بعد تطّور الحياة ورُقّيها ازداد العقل رقياً ، وبدأ التفكير البشري يتطلّع إلى الغيبيات والمعقولات والمجّردات ، ولأجل تسميتها ، نقلت أسماء المحسوسات إلى المعنويات . وكلّما ارتقى الإنسان جنح إلى استخراج الدلالات المجّردة وتوليدها والاعتماد عليها في الاستعمال ؛ ولذلك فإنّ الألفاظ المستعملة هنا تنتقل دلالتها من مجالها الحسي الأصلي إلى المجال الذهني الجديد[5]، وهو أمر طبيعي؛ لأنّ اللغة تنتقل ((من الإشارة إلى العبارة ومن التجسيد إلى التجريد))[6]، والتجريد هو ((قيام الأسماء أو الصفات مقام ُسمّياتها وَموصوفاتها ،أو حلول الألفاظ محلّ الأشياء التي تدلّ عليها))[7]،إذ يصبح الإنسان قادراً على الفصل بين الإشارة اللغوية والمادة والموقف ، فيشير بالكلمة إلى الأشياء والأحداث سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، على حين تبقى إشارات الحيوان مشّخصة وملتصقة بالواقعة الطبيعية[8] .

---

[1] ينظر: تلخيص البيان ٢٧٤ ، ومجمع البيان ٤٢٤/٤ .
[2] المعاني في ضوء أساليب القرآن : عبد الفتاح لاشين ١٦٨ .
[3] التبيان ٩٤/٧ .
[4] ينظر: (موج) مقاييس اللغة ٢٨٤/٥ ، ولسان العرب ٣٧/٢ ، والمعجم الوسيط ٨٩٨/٢
[5] ينظر دلالة الألفاظ ١٦٢ ، وكلام العرب ٤٢ ، وعلم الدلالة العربي ٢٨٩ .
[6] المباحث اللغوية في العراق ١٠٤ .
[7] اللغة والفكر :نوري جعفر ٥٩ .
[8] الأصوات والإشارات ٥٩ .

ويحدث هذا الانتقال عبر المراحل الزمنية الممتّدة في مسيرة حياة اللغة ، فهو لايحدث فجأة وبسرعة ، وإنّما يحدث بصورة تدريجية ، إذ تظلّ الدلالتان الحسية والمعنوية سائدتين معاً جنباً إلى جنب حقبة من الزمن ، ووسيلة هذا الانتقال . كما سبق الذكر . هي الكناية والتشبيه والاستعارة التي تعدّ من أهمّ وسائل نقل المعنى وتوسيع الدلالة ، وهي في هذا الباب وسيلة لنموّ اللغة وليس للتأثير الفني[1] . حيث اتخذت وسيلة للتعبير عن المشاعر والعواطف والمعاني النفسية والعقلية .

ويمثّل هذا المستوى الاتجاه الظاهر في تطوّر دلالة الألفاظ ؛ لأنّ هذا الاتجاه أكثر شيوعاً من الانتقال في الاتجاه المضاد[2] .

وقد وردت الأمثلة على هذا المستوى في تفسير التبيان كثيرة جداً ، وسيقتصر البحث على نماذج منها .

أ . العلم إبصار والجهل عمى :قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ... ﴾ [الأنعام : ١٠٤]، وقد وقف الطوسي عند هذه الاستعارة فقال : ((وقوله(فَمن أَبصَر فلَنفسِه) ، يعني من تبيّن بهذه الحجج ،بأن نظَر فيها حتى أوجَبتْ له العلَم وتبّين بها ، فمنفعة ذلك تعود عليه ولنفسه بما نظَر ، ومن عُمِّيَ فلم ينظر فيها ، وصدَف عنها حتى جهِل فعلى نفسه ؛ لأنّ عقاب تفريطه لازم له وحال ٌ به ، فسمّي العلم والتبيين إبصاراً مجازاً وسُمّي الجْهل عَمىً توسّعاً))[3] .

وظاهر عبارته الأخيرة يوحي بوجود فرق بين المجاز والتوسّع ،ولكنّ الطوسي لم يقصد ذلك ، وإنّما جاء كلامه على سبيل التفصيل في القول ، فالمجاز هو وسيلة التوسّع في اللغة ؛ لأنّ ما حدث من نقل الدلالة في لفظ (أبصر) قد حدث في لفظ (عَمَي) ذلك أنّ اللفظين يدلاّن على طاقة حسية ، ف(أبصَر) أصله : رأى المُبصَرات بعينه وأدركها على وجه الحقيقة[4] ، وعَمِي أصلهُ : فقد القدرة على رؤية المُبصَرات لعاهة في عينيه[5] .

وشأن من استدلّ بالبراهين التي قدّمها الله على يد أنبيائه وكُتبه لتدلّ على وحدانيته وربوبيته ، كشأن من يسير مُبصِراً طريقه الصحيح . أمّا من عَزفَ عن تلك البراهين وامتنع من الأخذ بها والاعتبار منها فشأنه شأن الأعمى الذي لايُبصِر طريقه يسير على غير هدىً .

(١) دلالة الألفاظ ١٦٢ .
(٢) دلالة الألفاظ١٦٢ ، ودور الكلمة في اللغة ١٨٦ ، وفقه اللغة وخصائص العربية ٢٢٢ .
(٣) التبيان ٤/٢٢٧ .
(٤) ينظر (بصر): الصحاح ٢ / ٥٩١ ، ولسان العرب ٤ / ٦٤ ، والمعجم الوسيط ١/ ٥٩ .
(٥) ينظر (عمي)" مقاييس اللغة ٤ / ١٣٢ ، ولسان العرب ١٥ / ٩٥ ، والمعجم الوسيط ٢ / ٦٣٥ .

ويتفق المفسّرون على ماقاله الطوسي وهو أنّ الإبصار في هذه الآية يُراد به معرفة الحق والعمل به ، والعَمى يُراد به التجاهل عن ا لحق والتغافل عنه وترك العمل به ؛ لأنّ البَصيرة للقلب كالبصَر للبدن . فهي البيِّنة والدلالة التي تجلّي الحق وتبصّر بحقيقة الأمور[1] .

ب . **إبصار النهار** : قال تعالى :﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ [يونس :٦٧] ، وقال الطوسي في هذه الاستعارة : ((وجَعلَ النهار مُبصِراً ، وإنّما يُبصَر فيه تشبيهاً ومجازاً واستعارة بسببه على وجه المبالغة))[2] فهو يرى أنّ هذا التعبير جَمَع بين المجاز والتشبيه والاستعارة ؛ وذلك لأنّ وصف النهار بالإبصار خروج عن الحقيقة ، حيث شّبه النهار بالإنسان المُبصر ؛ لأنّ المشّبه به َمحذوف وذُكرت إحدى صفاته وهي الإبصار ، فهو استعارة مكنية وتفسير ذلك : أنّ النهار ُسبّب للإبصار بضوئه الذي يبعث على العمل والنشاط والرؤية الواضحة ، والتفكّر في خلق الله حتى كأنه هو المُبصِر لكلّ شيء ، وهذا على وجه المبالغة[3] . ولو وصف النهار بأنّه مُضيء لما كان له وَقع ٌ كوصفه بالإبصار ، فهذا أبلغ وأدلّ على َموقع النعمة ؛ لأنّه يَكشف عن وجه المَنفعة[4] ، التي توحي لنا بأنّ النهار يرقُبنا ويُبصِر أعمالنا وكأنّ له عينيين ليشهد علينا أعمالنا في الخير والشر[5] .

ج . **الإرث** : ورد اللفظ بصيغة المضارع في قوله تعالى :﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ [الأعراف : ١٠٠] ، وقد عدّ الطوسي الإرث هنا : ((على وجه المجاز ؛ لأنّ الإرث ترك الماضي للباقي ما يَصيرُ له بعده ، وحقيقة ذلك في الأعيان التي يصحّ فيها الانتقال ، وقد استُعمل على وجه المجاز في الأعراض ، فقيل العُلماء وَرثة الأنبياء ؛ لأنّهم تعلّموا منهم وقاموا بما أدّوه إليهم))[6] .

وقد سبقت الإشارة إلى تحديد مفهومي الأعْيان والأعْراض[7] ، ونجد في هذا اللفظ انتقالاً من دلالة حسية تتمثل بما يتركه المتوفّى من مال وأرض ودار وكلّ شيء كان مُلكاً له إلى بنيه وأقا ربه . فالإنسان وارث وموروث . إلى دلالة معنوية هي العِلْم والفِكر والثقافة الدينية التي يتركها الأنبياء لعلماء أديانهم ، فليس للأنبياء إرثٌ سوى العِلم والمَعرفة والدين . وقد قال تعالى على

---

(١) ينظر الكشاف ٢/ ٤٢ ، ومجمع البيان ٢ /٣٤٥ .
(٢) التبيان ٤٠٥/٥ .
(٣) تلخيص البيان ١٥٦
(٤) النكت في إعجاز القرآن ٨١ .
(٥) التعبير القرآني : فاضل السامرائي ٢٨-٢٩ .
(٦) التبيان ٤٨٢/٤ .
(٧) ينظر: ص ١٩٩من الرسالة.

لسان زكريا (عليه السلام) : ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ﴾ [مريم :٥ . ٦] ، يريد وِراثة النُّبوة والعِلم والفَضيلة من دون المال ، فالمال لاقَدر له عند الأنبياء حتى يتنافسوا فيه أو يتوارثوه ، بل قلّما يقتنون المال ويتملّكونه[١] . وقد قال رسول الله . صلى الله عليه وآله وسلم . (**نحنُ معاشَر الأنبياءِ لا نورَثُ،ما تركناه ُ صدقةً**)[٢].

د . **الأسباب** :في قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ﴾ [ص :١٠] ، وقف الطوسي عند هذا اللفظ فقال : ((وهي جمع سَبب ، وكلّ مايتوصل به إلى المطلوب من حَبل أو سُلّم أو وَسيلة أو رَحِم أو قَرابة أو طَريق أو جِهة ، فهو سَبب ، ومنه قيل : تسبَّبتُ بكذا إلى كذا ، أي توصلتُ به إليه))[٣] .

وهو يشير هنا إلى الأصل الحسي للفظ (سَبب) ، وكيفية تدرّجه في الدلالة وانتقاله إلى مجال معنوي . وإن لم يفصح عن ذلك . لأنّ الحَبل والسُلّم شيئان ماديان أو حسيان ، والوَسيلة والرَحِم والطَريق والجِهة أشياء معنوية ، والسبب في أصله اللغوي : الحَبل القوي الطويل الذي يُستعمل للصعود والانحدار[٤] ، وسُمّي كلّ ما يُتوصّل به إلى شيء سبباً[٥] .

واختلف المفسرون في هذه الآية فقد قيل الأسباب : الَمعارِج والَمناهِج التي يتوسَّل بها للصعود إلى السماء[٦] ، وقيل هي الحِيَل ، أي : فَليحتالوا في أسبابٍ توصِلهم إلى السموات ، وقيل : أسباب السموات أبوابها[٧] .

د . **الإلقـاء** : قال الطوسي : ((وحقيقة الإلقاء تصيّر الشيء إلى جِهة السُفل))[٨] وحدّده في موضع آخر بأنّه في الأصل حسّي الدلالة ثم انتقل إلى دلالة معنوية ، يقول : ((والإلقاء حقيقته في الأعيان))[٩] ، ومثّل له بقوله تعالى : ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ ﴾ [الأعراف :١٥٠] ، ثم انتقل إلى الدلالة على المعنويات ،ومثّل له بقول القائل : ((ألقى عليه مسألةً مجازاً ، كما يُقال طَرَح علّي مسألة))[١٠] ، ولذا ((استعمل في الرُعب مجازاً))[١١] ، ومنه قوله تعالى : ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ

(١) بصائر ذوي التمييز ١٩٥/٥ .
(٢) صحيح مسلم:باب حكم الفيء ١٣٧٨/٣ ،وسنن الترمذي: باب ما جاء في تركة رسول الله ١٥٧/٤.
(٣) التبيان ٥٣٦/٨ .
(٤) ينظر (سبب) العين ٢٠٣/٧ ، ولسان العرب ٤٥٩/١ .
(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ٢٢٥ .
(٦) الميزان ١٧ /١٩٣ .
(٧) مجمع البيان ٤٦٦/٤ .
(٨) التبيان ١٥١/٢ .
(٩) التبيان ١٦/٣ .
(١٠) التبيان ١٥١/٢ .

﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ﴾ [آل عمران : ١٥١] ، ومثله قوله تعالى : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه : ٣٩] .

والإلقاء في اللغة مِن ألقى: بمعنى طَرَحَ ورَمى بالشيء مِن يَده، وألقى المَتاع على الدابّة : وضَعه ، وألقى الله الشيء في القلوب :قذفَه ، وألقى إليه القولَ وبالقول :أبلغه إيّاه ، وألقى إليه السلام ، حيّاه به[1] ، إذ انتقل الإلقاء من طَرحِ الأشياء المحسوسة إلى طَرحِ المعنويات .

هـ ـ سُكوت الغضب : ومن جميل وقفاته الدلالية في هذا المستوى، وقوفه عند قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف :١٥٤] ولذا سيذكر نصه كاملاً من دون تجزئة لما فيه من فائدة دلالية متميّزة لم يقف عليها البحث عند سواه من المفسّرين الذين سبقوه، إذ قال : (((لّما سكَتَ) ،سكَنَ ، وسُمي ذلك سُكوتاً وإن كان الغضب لايتكلّم لأنّه كان بفَوْرته دالاً على ما في النفس من المَغضوب عليه ، كان بمنزلَة الناطِق بذلك ، فإذا سكَت تلك الفَوْرة كانت بمنزلة الساكت عمّا كان متكلماً به،والسُكوت في هذ ا الموضِع أحسنُ من السُكون ؛ لتضمّنه معنى سُكوته مع سُكون غضَبه . والسُكوت هوالإمساك عن الكلام بهيئة منافية لسببه ، وهو تسكينُ آلة الكَلام ، وإنّما قيل سكَتَ الغضَب وسكَتَ الحُزن على طريق المَجاز ، إلا أنّه في شيء يَظهر أثَره ، فيكون بمنزِلة الناطِق))[2] فالسكوت لديه أعمّ من السُكون ،وقد استعيرت لفظة (سكَتَ) للتعبير عن سُكون غَضَب موسى (عليه السلام) ، وهو من باب استعارة محسوس . وهو الكلام المسموع لمعقول وهو الغضب الذي يمثل حالة انفعالية يمرّ بها الإنسان إذا حدث مالا يرضيه .

وهذه الاستعارة ضرب من التشخيص الفنّي أضفت على معنى الغضب الحياة ،وخلعت صفة الأنسنة على ماهو نفسي وذلك بتصييره ناطقاً ثمّ ساكتاً ،وكأنّه إنسان مسلّط على موسى (عليه السلام) يدفعُه ويحثّه على الانفعال ويُغريه بإلقاء الألواح وجرّ رأس أخيه ، حتى إذا سكَتَ عنه وتَركَه لشأنِه وقطَع الإغراءَ، عاد موسى (عليه السلام) إلى نفسه ، وفي ذلك حُسن التعبير وبلاغة الأسلوب[3] . ولم يكن ذلك الحُسن ، إلا لأنّ السُكوت أوسع دلالة على ثَوَران ذلك الغضب، فلو قال سَكَن لما كان له ذلك الأثَر ، لأنّ الغضَبَ يُجيِّشُ في نفس الغَضبان حديثاً

---

(١١) التبيان ١٦/٣ .

(١) ينظر (لقي) مقاييس اللغة ٢٦٠/٥ ـ٢٦١ ، ولسان العرب ١٥ /٢٥٧ ، والمعجم الوسيط ٨٤٢/٢ .

(٢) التبيان ٥٥٣/٤ .

(٣) الكشاف ١٢٠/١ .

يدفُعه إلى أفعالٍ يُطفئ بها غضبه فإذا سَكَن ذلك الغضَب ،وهَدأت نفُسه ، كان ذلك بمنزلة سُكوت حديث نفسِه لهُ ، وسُكوت إغرائها لهُ بتلك الأفعال ، وكأنّ الغضب هو النفس الناطقة[١].

و. **يد الله** : ورد هذا التركيب الإضافي في قوله تعالى :﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ... ﴾ [المائدة :٦٤] ،وقد ذكر الطوسي في تفسير نسبة اليد إلى الله تعالى بأنّها تأتي على خمسة أوجه :((أحدها : الجارِحة ، الثاني : النِعمة ، الثالث : القوّة ، الرابع : المُلْك ، الخامس : تحقيق إضافةِ الفعل))[٢]، ويتضح هنا تتّبعه للتطّور الدلالي لهذا اللفظ، فهو يدلّ أولاً على أصله الحسي الذي هو الجارِحة أي اليد المعروفة لدى الإنسان ، ثم انتقل للدلالة على معانٍ عدّة كالنِعمة والقوّة والمُلْك ، ونظّر لذلك بقوله تعالى : ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص:٤٥] والمُراد أولي القوى ، وبقول العرب: لفلان على فلان يدٌ ، أي نِعمَة[٣] .

ومعنى قوله بل(يداهُ مبسوطتان) أي : نِعمهُ مَبسوطَة ، وورد اللفظ مثنّى على سبيل المبالغة في صفة النِعمَة ، وبأنّ النعمة مَبسوطة في الدنيا والآخرة[٤] ؛ لأنّ كلاً من النوعين اختصّ بصفة تُخاف صفة الآخر، فنعَم الدنيا الزائلة تختلف عن نِعم الآخرة الخالدة ، ولذلك صارا كأنهما جِنسان مختلفان فثُنّيت اللفظة للدلالة عليهما[٥] ، وقيل : إنّ الردّ ورَد بالتثنية ليكون((أبلغ وأدلَّ على إثبات غاية السَخاء له ونفي البُخل عنه ، وذلك أنّ غاية مايبذله السَخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعاً ، فبُنِيَ المجاز على ذلك))[٦] . وفي هذا التعبير كناية عن القدرة ، بل كمال القدرة ، وفيها إيحاءٌ بانتساب تلك القدرة العظيمة إلى الخالق عزَّ وجلَّ كانتساب الإنفاق والجود إلى اليد من حيث بَسطِها وغَلّها[٧].

وواضح في هذا التفسير انتقال دلالة لفظ(اليد) من مجال حسي إلى آخر معنوي ، والفائدة من هذا الانتقال تصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسية ملازمة لها غالباً ، ولاشيء أثبت من الصور الحسية في الذهن ((لأنّ الجوارِح خُدم القلب، فإذا ذهبَ القلبُ إلى شيء ذَهاباً مَعقولاً ، ذهبَ الجوارح نحو ذلك الشيء ذَهاباً مَحسوساً))[٨] . ولّما كان البُخل والجُود أمرين معنويين

---

[١] التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور ١٢٢/٩ .
[٢] التبيان ٥٨٠/٣ .
[٣] التبيان ٥٨١/٣ .
[٤] التبيان ٣/ ٥٨١ ، وينظر مجمع البيان ٢١٨/٢ .
[٥] ينظر: تلخيص البيان ١٣٣ ، وأمالي المرتضى ٤/٢ .
[٦] الكشاف ١/ ٦٢٨ .
[٧] الميزان في تفسير ٣١/٦ .
[٨] نتائج الفكر في النحو ٢٢٧ .

لأيدركان بالحسّ ، وتلازمهما صورتان حسيتان هما: قَبض اليد للُبخل وَبسطها للجُود ، فقد عبّر عنهما بما يلازمهما لتوضيح صورتيهما وتيسير فهمهما[1] .

ويقال مثل هذا الكلام في جميع الآيات التي ورد فيها ذكر جوارح منسوبة إلى الذات الإلهية؛ لأنّها جميعاً وردت على سبيل الكناية للدلالة على القدرة والهيمنة الإلهية والتمكّن على التصرّف والتدبير في أمور الخلق .

وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع في تفسير التبيان[2] .

(٤) الانتقال من مجال معنوي إلى مجال حسي :

يحدث في هذا المستوى انتقال الألفاظ من مجال دلالتها المعنوية إلى مجال دلالي حسي،ويرمي هذا الأسلوب إلى توضيح الدلالة عبر عملية التصوير ، وهي نوع من المجاز يسعى إلى الإثارة والإبداع البلاغي[3] ، وهي وسيلة من وسائل القرآن الفّعالة في تحقيق مَقاصده وأغراضه، وفي إظهار المعاني وتَقريبها ، إذ تظهر المعاني الُمجّردة في صور حسّيّة رائعة ، وتجري مَجرى الأمثال، كقوله تعالى في تصوير عمل الكافرين والمنافقين (هباء)[4].

والتصوير المقصود في هذا الحديث هو الخاصّ بالألفاظ ، وليس بالصوَر المركّبة أو الُجمل ؛ لأنّ البحث بصدد التغّير الدلالي الخاصّ بالألفاظ من دون التراكيب ، إذ تُدرك الفكرة التي يعّبر عنها اللفظ المفرد بالحواسّ كأّنها تُرى أو تُسَمع أو تُلَمس .

وجاء هذا النوع من الانتقال قليلاً قياساً إلى المستوى الثاني الذي كان أكثر شيوعاً في اللغة[5] ، وهو كذلك في تفسير التبيان ؛ إذ ورد مثالان، **أحدهما:** متفق عليه لدى المفسرين والبلاغيين ، **والآخر** : وقع فيه الطوسي بِوَهْم وخالَف سابقيه ولاحقيه .

المثال الأّول هو: (رؤوس الشياطين) : قال تعالى في وصف شجرة الزقوم : ﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الصافات:٦٥] ، وهذه من أشهر التشبيهات التي وقفت عندها أكثر كتب التفسير والبلاغة واللغة ، وقد ذكر الطوسي أنّ هناك ثلاثة أقوال في تأويل هذا التشبيه يسوّغ استعمال رؤوس الشياطين مع أّنها لم تُرَ قط ، أهمّها . وهو الراجِح لديه . ((أنّ قبح

---

[1] الكشاف : حاشية الشريف الجرجاني ٦٢٨/١ .

[2] ينظر: شراء الكفر بالإيمان ٣٤٨/١ ، والصفح ٤٠٧/١ ، والذكر ٣١/٢ ، والدرجات ١٩١/٤ ، وغمر ٤ /٢٠٣ ، والحرج ٢٦٧/٤ ، والمكر ٤/ ٤٨٠ ـ ٤٨١ ، والفتنة ٥/ ٢٣١ ، والوحي ٦/ ٤٠٣ ، وأشتعل الرأس ١٠٤/٧ ، والعقبة ٣٥٣/١٠ ـ ٣٥٤ ، وغيرها كثير .

[3] دلالة الألفاظ ١٦٠ .

[4] الطبيعة في القرآن الكريم : كاصد ياسر الزيدي ٤٥٨ .

[5] دور الكلمة في اللغة ١٨٦ .

الشيطان مُتصوَّر في النَّفْس ، ولذلك يقولون لشيء يستقبِحونه جداً : كأنّه شيطان ، وقال امرئ القيس :

أتَقتُلُني والمُشَرَّفيُّ مُضاجِعي وَمَسْنونَةٌ زُرْقٌ كأنْيابِ أغْوالِ[1]

فشبّه النُصول بأنياب الأغوال ، وهي لم تُرَ ، ويقولون : كأنّه شيطان وانقلب عليّ كأنّه شيطان))[2] .

وقوله (مُتصوَّر في النَّفْس) معناه: أنّه ذو دلالة معنوية ، إذ انتقلت دلالة عبارة (رؤوس الشياطين) من مجالها الذهني الذي تتصوَّره العقول على غايةٍ من القبح والبشاعة إلى مجال حسي هو ثمار شجرة الزقوم ،ووسيلة هذا الانتقال هو التشبيه،ووجه التشبيه هو الصورة القبيحة للشيطان ؛ لأنّه كائن مَنبوذ تنفُر منه النُفوس ، وتحمِل له صورة غاية في القبح والبشاعة ، مثيرة للرُعب والخوف ، فشُبِّهَت بها ثمار هذه الشجرة لقُبح منظَرِها على سبيل تشبيه الغائب بالحاضر .

وروي عن ابن عباس أنّه كان لأهل مكة جبال قبيحة المنظر وكانوا يُسمّونها رؤوس الشياطين لقُبحها إذا نظروا إليها ، فشبَّه لهم ثَمر الزَّقوم في المنظَر بتلك الجبال ،ويجوز أيضاً حَمْل ذلك على مذهب العرب في تسميتهم كلّ ما يستعظمونه شيطاناً ، وتشبيههم بالشياطين على سبيل التهويل[3] .

وقد ذكر المفسّرون لهذا التشبيه تفسيرات حسية كثيرة ، غير أنّهم في الغالب يرجّحون المعنى الخيالي[4] ؛ لأنّ ذلك يضفي عليها مزيداً من التخويف والتنفير ،وهو المَرمى الذي قصد إليه التعبير القرآني[5] : وقيل: إنّ جميع التفسيرات الحسية قائمة على التفسير المعنوي له[6].

والتشبيه هنا تخييلي[7] ،وهو المركّب من أمور كلّ واحد منها موجود يُدرك بالحسّ ، ولكن هيأته التركيبية ليس لها وجود حقيقي في عالم الواقع ، وإنّما لها وجود متخيَّل أو خيالي[8] **والمثال الثاني هو: (السُفَهاء)** : الذي ورد في قوله تعالى : ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة :١٣] ، وفي هذا اللفظ يقول الطوسي : ((هي جمع سَفيه ... والسَفيه الضَعيف الرأي الجاهل

---

(١) ديوان امرئ القيس ١٦٢ .
(٢) التبيان ٨ / ٥٠٢ .
(٣) الجمان في تشبيهات القرآن :ابن ناقيا البغدادي ٢٤٦ ـ ٢٤٧.
(٤) معاني القرآن للفراء ٣٨٧/٢ ، وتأويل مشكل القرآن٣٨٨ ـ ٣٩٠ ، والكامل في اللغة والأدب: المبرد ٩٣/٣ ، وجامع البيان ٢٣ /٦٣ـ٦٤ وجواهر الحسان ١٩/٤ .
(٥) التشبيهات القرآنية والبيئية العربية : واجدة الأطرقجي ٢٥٤ ـ ٢٥٦ .
(٦) و (٧) الكشاف ٣٤٢/٣ .
(٨) علم البيان ٦٨ .

القليل المعرفة بمواضع المنافِع والَضار ، لذلك سَمى الله الصبيان سُفهاء بقوله : ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ السُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء :٥] ...وأصل السَفَه : خِفَّة الحِلْم وكَثرة الجَهل ، وثوب سَفيه إذا كان رَقيقاً بالياً ، وسَفِهَته الريح أي طَيَّرته كلّ مُطيَّر))[١] . فأصل اللفظ لديه هو معنوي ، وقد يُطلق على خفة الثوب فينتقل إلى مجال حسي ،ولكنّ الراجح أنّ السفه أصلُه الخِفَّة والحَركة ، فيقال تَسَفَّهَت الريح إذا اضطربت ، وسَفَّهَته الريح أي استَخَفَّتْه فحرَّكته ومالتْ به ، والثوب السَفيه هو رَديء النَسيج الخَفيف ، وزِمام سَفيه مُضطَرب ، وناقةٌ سَفيهة الزِمام خفيفة السَير[٢] ؛ولذلك يوصف الجاهل بأنّه خَفيف العَقل سَفيه[٣] ، فاللفظ دالّ في أصله على معانٍ حسية، ثم تطّورت لتدلَّ على معنًى مجرَّد هو العقل .

ولكنّ هذا التطّور لم يؤثّر على المعنى الأصلي للفظ ، فليس من الضروري أن تندَثر الدلالة القديمة ، ولهذا ((فمن الواجب ألاّ يفوتنا أنّ الدلالة الحقيقية قد تتعدّد ، أي أنّ اللفظ ينحرِف عن مجاله الحقيقي ، ثم يشيع المِجاز حتى يُصبح مألوفاً ، ويكون للفظ دلالتان و استعمالان وكلاهما من الحقيقة))[٤] .

وهذا هو الذي دعانا إلى القول أنّ الطوسي قد وَهِم في جَعْل صفة الثّوب السَفيه متطوِّرة من السَفه الذي هو الخِفَّة والجَهل على حين أثبتت المعجمات العربية عكس ذلك ، وهو ما يتوافق مع ما قال به علم اللغة الحديث من أنّ الحسي هو الأصل لكلّ المعنويات .

---

[١] التبيان ٧٧/١ ـ٧٨ ، وينظر معاني القرآن وإعرابه ٨٨/١.
[٢] ينظر (سفه) :مقاييس اللغة ٧٩/٣ ، ولسان العرب ١٣ /٤٩٧ ـ ٤٩٩ ، والمعجم الوسيط ٤٣٧/١ .
[٣] ينظر: العين (سفه) ٩/٤ ، وتأويل مشكل القرآن ٤١٠ .
[٤] دلالة الألفاظ ١٣٢ ـ ١٣٣ .

الباب الثاني

الدلالة التركيبية

توطئـة :

التركيب هو تأليف الألفاظ وضمّ بعضها إلى بعض في بناءٍ مُتكامل المعنى ، ولكلّ تركيب تكوينه الخاصّ به ، الذي تتحدّد بموجبه فاعليته في التعبير عن المعنى المُراد .

والتركيب هو أهمّ وسائل إنتاج الدَلالة ، فلا دَلالة بلا تركيب ؛ لأنّ الألفاظ المفردة لا يمكن أن تُحقّق الوظيفة الأساسية للغة ، ألا وهي التعبير عن مُكوّنات الفكر[1] ، ولا يكون هذا إلا بترتيب تلك الألفاظ ترتيباً معيناً في ضمن تركيبٍ يؤلّف فيه المتكلّم بين الألفاظ على وفق المعاني وحَسبما تقتضيه الدلالة . ((فليس الغَرضُ بنَظم الكَلِم أن توالتْ ألفاظها في النُطق ، بل أن تناسقَتْ دَلالتها ، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العَقل))[2] .

والصورة الواضحة للتركيب هي الجُملة ، التي تمثّل الأساس المَتين الذي يرتكز إليه على النحو . وقد عُني علماء العربية القدماء بدراسة الجملة وعرّفوها بأنّها : الكلام الذي يحسُن السكوت عليه[3] . وأفاضوا في دراستها من الناحيتين الشكلّية والدلالّية ، يشهد بذلك كتاب سيبويه الذي يُعدّ أقدم كتاب نحويّ وصلَ إلينا ، إذ تَجده حريصاً على الإحاطة بكلّ ما يتعلّق بالأساليب العربّية من خصائص لغوّية ونحوّية وبيانّية ، ولا يكتفي بالوقوف عندها ، بل يُشير إلى مَواطِن الحُسن والقُبح فيها ، وإلى أسباب ذلك ، بما يصُبّ في صَميم الدَرس النحوي الدلالي الذي يقوم على دراسة نَظم الكلام وأسرار تأليفه ومدى مُلاءمته لظروف القول[4] .

وهو ما وجدناه لدى غيره من علماء النحو أمثال : المبرّد ، وابن جني ، وعبد القاهر الجرجاني ، والزمخشري وغيرهم .

وكذلك عُني المحدثون بدراسة الجُملة ، ولاسيّما العالم اللغوي دي سوسير الذي وضع أسسَ المنهج الوصفي في دراسة اللغة في مستوياتها المختلفة : الصوتي ، والصرفي ، والدلالي ، والتركيبي ، فظهر ما يُعرف بعلم الألسنية الذي يعنى بالتركيب العام للنظام اللغوي[5] ، والذي نضج أكثر على يد العالم (تشومسكي) صاحب النظرية التوليدية التحويلية التي تناولت إرساء قواعد جملة من المفاهيم ، وقالت بإمكانية توليد عدد لا محدود من الجمل مشتقة من جملة واحدة بعد إجراء التحويلات عليها[6] .

---

(1) أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث : توفيق الزيدي ٧٣ .
(2) دلائل الإعجاز ٩٥ .
(3) ينظر المقتضب ٨/١ ، وشرح ابن عقيل ١٤/١ ، ومغني اللبيب ٣٧٤/٢.
(4) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: قيس اسماعيل الأوسي ٢٧، ٣٢ .
(5) الألسنية (علم اللغة الحديث) :المبادئ والأعلام :ميشال زكريا ١٤٠ ـ ١٤٣ .
(6) البنى النحوية ١١٥ ـ ١١٦ .

وقد منح الدكتور مهدي المخزومي الجملة بُعدها العام حين عدَّها : ((الصورة اللفظية الصُغرى في الكلام المُفيد في أيّة لغة من اللغات ، وهي المُركّب الذي يُبين المُتكلّم به أنّ صورةً ذهنيةً كانت قد تألّفت أجزاؤها في ذهنه ، ثمّ هي الوسيلة التي تنقل ما جالَ في ذهن المتكلّم إلى ذهنِ السامع))[1] .

وتجتمع ثلاثة أُسس في مَنح الجُملة دَلالتها الخاصّة هي :

١ . ارتباط الألفاظ بعَلاقات نحويّة تنتظم بها المعاني المُراد التعبير عنها في نصٍّ يقوم على قواعدَ نحويّة صحيحة .

٢ . ارتباط الألفاظ بعَلاقات سياقية تنتظم بها مُفرداتها بعضها مع بعض ، وتنتظم هي مع ما قبلها وما بَعدها في تتابع فكريّ مُتناسق يخضع للمعنى العام للنصّ الكلي .

٣ . وقد يلجأ المُتكلّم إلى العدول عن العُلاقات النحويّة المُباشرة إلى أساليب بيانيّة أو بلاغيّة يرقى بموجبها المستوى الفنّي لكلامِه .

وبناءاً على هذه الأُسس ، فإنّ الدلالة التركيبيّة تضمّ ثلاثة أنواع من الدَلالات المُتآزِرة بعضها مع بعض في مَنح النصّ حيويّته وفاعليّته في إيصال المَعنى المُراد ،وهذه الأنواع هي: النحويّة ، والسياقيّة ، والبلاغيّة .

وقد تناول الأستاذ الدكتور كاصد ياسر الزيدي الجانب البلاغي في تفسير التبيان[2] ، مستوعباً أغلب المباحث ، بمّا لا يدع مجالاً لمزيد من البحث فيه ، ممّا وفر مجالاً علمياً للوقوف على الدَلالتين النحويّة والسياقيّة ، لأهميّتهما في تفسير التبيان ، ولما في ذلك من كشف عن الفِكْر الدلالي الذي خلّفه الطوسي في هذا الميدان .

فالنحو والسياق من أهمّ الأسس التي ارتكز عليها الطوسي في الجانب الدَلالي التركيبي في تفسيره ، بهما يوجّه المعاني ويوثّق النصوص ، ويُبطل الاتهامات ويرُد المزاعم ، فكان لهما حيزٌ واسعٌ في وقفاته الدلاليّة ، فضلاً عمّا ذُكر سالفاً في باب الألفاظ المُفردة .

---

[1] في النحو العربي ، نقد وتوجيه : مهدي المخزومي ٣١ ، وينظر من أسرار اللغة: ابراهيم أنيس ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .
[2] ينظر : منهج الطوسي ٣٢٤ ـ ٣٦٠ .

توطئـة :

وهـي الدلالـة المُستَمَدة مـن نظـام الجُملـة وترتيبهـا وحركـات إعرابهـا[١] ، أو هـي مُحَصّـل العَلاقات النحويّة بين كلمات الجُملة الواحدة ، سمّاها ابن جني الدلالة المعنويّة[٢] .

تقوم على فَهم معاني الكلام ، تلك المعاني التي كانت مَحطّ عنايةأهل العربية كافّة ، فقد عُني بها النحويون ودرسوها في الأبواب النحويّة المُختلفة وحدّدوا دَلالاتها، ومَن المقصود بها، أهو المتكلم أم المخاطَب ؟ وحدّدوا نوعها هل هي مَن الخبر أو غير الخبر[٣] .

وعُني بها أيضاً المفسّرون واعتمدوا عليها أساساً لفهم النص القرآني إذ بموجبها يوجّه النحو وأساليب التعبير الأخرى ،وهي في كل ذلك لا تأتي مُنفصِلة ، بل تُدرس في ضمن التفسير العام للقرآن[٤] .

كما عُني بها البلاغيون ، وجَعلوها عِلماً قائماً بنفسه سمّوه علم المعاني ، الذي يشكّل مع علمي البيان والبديع العلوم الأساس للبلاغة ، فدَرسوا علم المعاني بتفصيل وتشعّبوا في ذكر المعاني المَجازية التي تخرُج إليها الأساليب النحويّة الأصيلة من أمرٍ واستفهامٍ ونداءٍ ونهيٍ وغيرِ ذلك[٥] .

وحَظيت الدلالة النحويّة بعناية الأصوليين أيضاً ؛ لأنّها من الأُسس التي يعتمدونها في الوصول إلى الأحكام الشرعية ؛إذ إنّ علم الأصول ((مُرتبط بتوجيه الترتيب اللفظي وبيان دلالته التي تختلف من تركيب إلى آخر ، وكم من المَسائل الشرعيّة التي يختلف الحُكم فيها تبعاً لاختلاف التركيب ومَدلوله))[٦] .

ومن العلماء المعنيين بالدلالة النحويّة الطوسي الذي كان أصولياً ومفسّراً رائداً في زمنه وزمن لاحقيه ، ولا تزال كتُبه حتى الآن منارَ الباحثين ومدارَ درس الطالبين .

وقد تجلّت عنايته بها في عدّة جوانب جعلها البحث على أربعة مباحث : الأوّل في معاني الكلام ، والثاني في دَلالة الجُملة وعَوارضها ، والثالث في دَلالة الإعراب وما يترتّب عليه من تغيّر في الدلالات ، والرابع في دَلالة الحروف بأنواعها .

---

(١) التطور الدلالي بين لغة الشعرالجاهلي ولغة القرآن الكريم ٢٧٦ .

(٢) الخصائص ٣/١٠٠ ـ ١٠١ .

(٣) أثر المعنى في الدراسات النحوية حتى القرن الرابع الهجري :كريم حسين ناصح الخالدي ٣٥٢ .

(٤) ينظر : الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري٢٣٥ـ٢٤٥ ،والدرس النحوي في كتب الأمالي في القرن الرابع للهجرة:خزعل فتحي زيدان٩٤ـ١٢٠،والنسفي نحوياً من خلال تفسيره:حامد عبد المحسن١٠٣ـ١٢٠، والبحث النحوي عند الإمام الواحدي :عبد المجيد كاظم٢٠٦ـ٢٣٤،والمباحث النحوية في تفسير مجمع البيان للطبرسي : عامر عيدان ٢٤٥ ـ ٣١٨ .

(٥) ينظر: مفتاح العلوم ١٥٢، والإيضاح في علوم البلاغة :الخطيب القزويني ١ / ١٢ .

(٦) أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام ٣٩ .

المبحث الأول

دلالـة معانـي الكـلام

يقسّم الكلام تَبعاً لمعناه على قسمين : الخبر والإنشاء. قال الخطيب القزويني : ((وَوجه الحَصْر أنّ الكلام : إمّا خبٌر يكون أو إنشاء ؛ لأنّه إمّا أن يكون لنسبتِه خارجٌ تُطابقه أو لا تُطابقه ، أو لا يكون لها خارج ...)) (1) .

ولكلٍّ من هذين القسمين دلالتُه الخاصّة التي يَمتاز بها مِن الآخر ، غير أنّهما يتبادلان المَواقع ، فَيخرُج الخبر إلى الإنشاء أو العكس ، إذا اقتضى ذلك السياق وأعانَتْ عليه القرائن المُحيطة بالنصّ(2)

والتبادل بين الدَلالتين فرعٌ باسق من تناسب النظم القرآني وروعة الإعجاز ، وقد يكون ذلك التناسب بّيناً باهراً ، وقد يأتي بخَفاء لا يُدرِكه إلا ذهنٌ لّماح وقّاد . وهو وسيلة من وسائل تعدّد معاني النصّ الواحد فلو ((تأمّلتَ لوجدتَ الحقيقة المعنويّة وا لنفسيّة المعبّر عنها بلفظ الإنشاء غير الحقيقة المعنويّة المعبر عنها بلفظ الخبر))(3) .

أولاً : الخبـر :

هو كلام يَحتمل الصِدْق والكَذِب(4) ، والصدق : هو مُطابقة النسبة الكلامّية المفهومة من الخبر للنسبة الخارجّية الظاهرة في الواقع الحقيقي ، أّما الكذب: فهو عدم مُطابقة الكلام لواقع الحال(5). أّما الإنشاء : فهو ما لم يحتمل الصدق والكذب ؛ لأّنه كلام يُنشئه المُتكلم من ذات نفسه ، ولا يُشترط فيه أن يكون له نسبة خارجّية تطابقه أو لا تطابقه .

وبمعنى آخر فإنّ الخبرَ : ((نقلُ حقيقةٍ أو معلومةٍ يقفُ عليها المتكلم أو المنشئ ، فيعّبُر عنها لينقلَها لَمن يُلقي إليه الكلام ،وهذا المُتلقي يستطيع أن يُحقّق منها صدقاً وكذباً لو أراد ؛لأّن لها وجوداً في خارج كلام المتكلّم، وأّنه هو الذي ينشئه ، فلا يستطيع المُتلقي أن يصل إليه إلا إذا أنشأ المتكلّم لينقله إليه))(6) ، ولذلكُ وصِفَت الجملة الإنشائّية بأّنها موجِدة لمعناها ، والخبرّية بأنها حاكِية عنه(7) .

---

(1) الإيضاح في علوم البلاغة 13/1 .

(2) ينظر : الكتاب 504/3 ، والإيضاح في علوم البلاغة 146/1 ـ 147 ، والبرهان في علوم القرآن 347/3 ـ352 ، والطراز المتضمّن لأسرار البلاغة 293/3 ـ 394 .

(3) دلالات التراكيب:محمد حسنين أبو موسى 284،وينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي:عبد القادر حسين 92ـ 93.

(4) ينظر: المقتضب 89/3 ، والأصول في النحو 62/1 ، والحدود في النحو(ضمن رسالتان في اللغة): الرماني73، ومفتاح العلوم 78 .

(5) المعاني في ضوء أساليب القرآن 119 ـ120.

(6) نحو المعاني : أحمد عبد الستار الجواري 113 .

(7) البحث النحوي عند الأصوليين 260 .

وقد وقف الطوسي عند الخَبر وَعَدّه ((أصْلاً للجُمل))[1] ، وفرّق بينه وبين الإنشاء مبّيناً أنّ الُمخبِر يدلّ في الخبر((على كّون الُمخَبِر به ، وليس كذلك الأمر والنهي والاستخبار ؛ لأّنه لايدلّ على كون المَدلول عليه))[2] ، إذ يدلّ الخبر على وجود الُمخبر به في الواقع الخارجي ، وليس كذلك الإنشاء .

و أشار إلى أنّ التغاُير المعنوي بين أسلوَبْي الخبر والإنشاء ، سَببٌ في التغاُير اللفظي بينهما ، إذ يؤكَد الخبر بأبلغ التأكيد وهو القَسَم ، على حين لايحتاج الإنشاء إلى ذلك بل ُيكتفى فيه بنون التوكيد[3] . وإّنما كان ذلك لأنّ الخبرَ َيحتمِل الصدق والكذب ، فلا بدّ من توكيده لتمكّن المعنى في نفس المخاطَب ، ولذلك استُعملَت معه أساليب توكيد مختلفة مثل (إنّ وأنّ) ، والقَسم ، ولام الابتداء ، على حين لايحتاج الإنشاء إلى ذلك لعدم احتماله الصِدق والكَذب ، فجيء بأخفّ الأدوات توكيداً . وهي النون . لتثبيت المعنى .

أغراض الخبر :

ُيلقي المتكلّم خبَره وفي نفسه أحد الغَرَضين الآتيين[4]:

١ . إبلاغ المخاطَب ُحكْماً ما ، يكون خالي الذهن منه ، وُيسّمى هذا الغَرضُ فائدةَ الخبر .

٢ . لزوم إفادة المخاطَب العالِم بالُحكْم ، ولكّنه إّما شاكٌّ به أو منكٌر ، فُيدخل المتكلّم على خبره ما ُيزيل هذا الشكَّ وَيرِدّ ذلك الإنكار ، وُيسّمى هذا الغرض حينئذ لازِم الفائدة .

وقد أشار الطوسي إلى أنّ الخبر قد ُيلقى على َمن هو عالٌم به غير خالي الذهن منه ولاشاكٌّ فيه أو منكٌر له ، وذلك حين يكون كالعلّة لما َبعده ، فحين فسّر قوله تعالى على لسان نوح . عليه السلام . : ﴿ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۞ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا ﴾[الشعراء: ١١٧-١١٨]، علّل إخبار نوح ربّه بأن قومه قد كذّبوه مع عِلْم الله بذلك ؛((لأّنه كالعلّة فيما جاء بعده ، فكأّنه قال: ﴿افْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ ؛ لأنهم كذّبوني ، إلا أّنه جاء بصيغة الخبر دون صيغة العلّة ، وإذا كان على معنى العلّة حَُسن أن يأتي بما يعلُمه المتكلّم والمخاطَب))[5]. فليس المقصود إخبار الله تعالى بالتكذيب ؛ لأّنه عالِم بذلك بلاشكّ ، ولكنّ المراد تبيين علّة دعاء نوح على قومه الذين كذّبوه ، فأراد : إّني لا أدعوكَ لِما آذْوني ؛ وإّنما أدعوكَ لأجلكَ وأجل دينكَ وإثباتِ صدقِ وحيكَ ورسالتكَ[6] .

---

[1] و[2] و[3] التبيان ٢/٢٣ ، وينظر : دلائل الإعجاز ٤٦٠ .

[4] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ١/١٧ ـ ١٨ ، والتلخيص في علوم البلاغة ٤١ ـ ٤٢ ، والمعاني في ضوء أساليب القرآن ١٢٢ ـ ١٢٤ .

[5] التبيان ٨ / ٤٢ .

[6] التفسير الكبير ٢٤/٨ / ٥٢١ .

ومن النصوص السابقة يـ تبيّن أنّ الطوسي يُعطي للمُتكلّم والمخاطَب أهمّية بالغة في توجيه الخبر والغرض منه ، إذ يربط تـ نوع الخبر بتنوّع حال المخاطَب ، وهي إمّا الجهل بالخبر أو الشكّ فيه أو الإنكار له ، وما خرج عن هذه الأحوال يجدُ له تعليلاً يُناسبه ، وهو في ذلك يسير على خطى سابقيه من علماء العربيّة الأوائل الذين أُولوا هذا الجانب اهتماماً كبيراً ، وأشاروا في دراستهم النحويّة والبلاغيّة إلى أنّ كثيراً من الأحكام النحويّة تكون استجابةً لحال المخاطَب ، وفسّروا كثيراً من الاستعمالات اللغويّة وطرائق بناء الجُملة العربيةّ وحالا ت الإعراب المُختلفة تبعاً لما يكون عليه المخاطَب وأكّدوا ضرورة مُراعاة الأحوال المُحيطة به[1] فكانوا بذلك قادرين على فهم البنية العميقة للتركيب النحوي[2] .

وقد لقي موضوع مُراعاة المُخاطَب في صياغة الكلام عناية لدى المُحدثين أيضاً ، وفي ذلك يرى د. مهدي المخزومي أنّ فهم الجُملة يتوقف على حال المُتكلم والمخاطَب ، لأنّها ((خاضعة لمُناسبات القول وللعلاقة بين المُتكلّم والمُخاطَب ولا يتّم التفاهم في أيّ لغة إلا إذا روعيت تلك المُناسبات ، وأخذت العلاقة بين أصحابها بنظر الاعتبار ، ولكن لايكون الكلام مفيداً ولا الخبر مؤدّياً غـ رضه ما لم يكن حال المُخاطَب ملحوظاً ليقع الكلام في نفس المُخاطَب موقع الاحتفاء والقبول))[3] .

دلالة الخبر:

ومن مظاهر عناية الطوسي بدلالات معاني الكلام تنبيهه على خروج الخبر عن دلالته الأصلية إلى دلالات أخرى مُكتسبة يفرضها السياق وواقع الحال والظروف المُحيطة بكلّ من المُتكلّم والمُخاطَب ، وقد حفلت الآيات القرآنية بالكثير من تلك الدلالات التي أشار إليها في عدّة مواضع من تفسيره ، من ذلك :

(١) دلالة الخبر على الأمر :

وذلك في قوله تعالى :﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ ﴾ [الأنفال : ٦٥] فالكلام : ((وإن كان بلفظ الخبر ، فالمُراد به الأمر))[4] ، ومعناه يدلّ على وجوب ثبات المؤمن الواحد لعشرة كفّار في القتال ، فضلاً عن ذلك فإنّ الدلالة الشرطيّة ماثلة في هذا الخبر ، لأنّ الشرط أحياناً لا يُراد به الإخبار المُتضمّن تعلّق شيءٍ بشيءٍ ، وإنّما قد يُراد به الأمر بمضمونه ، كأنّه قد قال : التزموا هذا واثبتوا واصبروا . والدليل على إرادة الأمر في هذه الآية

---

[1] مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه:كريم حسين ناصح الخالدي ١٨ (بحث).
[2] نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي:نهاد موسى٨٨،وينظر مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية١٨
[3] في النحو العربي : نقد وتوجيه ٢٢٥ ، وينظر مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية ١٨ .
[4] التبيان ١٥٣/٥ ، وينظر منهج الطوسي ٣٣٢ .

قوله تعالى بعدها: ﴿ الْئَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال : ٦٦] إذ ، نسخت هذه الآية حُكم التي سبقتها ؛ لأنّ الله علم أنّ فها إجهاداً وكُلفةً على المسلمين ، وتغّيرت المصلحة في ذلك ، فنقلهم إلى وجوب ثبات الواحد لاثنين من الكفّار فخفّف ذلك عنهم[١] .

وخروج الخبر إلى الأمر من الأساليب التعبيرّية التي عرفها عُلماء العربية ، وأشار إليه غير واحد منهم[٢] ، وعلّله الزمخشري بأّنه : ((تأكيد للأمر بأّنه مّما يجب أن يُتلقّى بالُمسارعة إلى امتثاله))[٣] .

(٢) دلالة الخبر على الإلزام :

ومن ذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم . عليه السلام . في شأن تكسير الأصنام: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾[الأنبياء: ٦٣] ، فقد خرج الكلام ((مَخرَج الخبر ، وليس بخَبر، وإنّما هو إلزامٌ دلَّ على تلك الحال ،كأّنه قال بل ما تُنكِرون فعلَهُ كبيرُهم هذا ...))[٤] .

والإلزام إثبات الُحكم والأمر على الُمخاطَب[٥]، ويأتي على عدّة صيغ فتارةً بالسؤال ، وتارةً بلفظ الخبر[٦] ، ومعناه في الآية : أنّ من اعتقد وآمن بعبادة هذه الأصنام يلزَمه أن يُثبِت لها فعلاً ، فإلهكم هو الذي كسّر الآلهة لأنّ غير الإله لا يقدِر على فعل ذلك[٧] .

(٣)دلالة الخبر على التقريع والتوبيخ :

ومن ذلك قوله تعالى في خطاب الُمكّذبين والُمعاندين: ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطفّفين: ١٧] قال الطوسي : ((قال لهم على وجه التقريع والتبكيت : هذا الذي فعلَ بكم من العِقاب ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ في دار التكليف ، وإنما سُمي مثل هذا الخطاب

---

(١) التبيان ١٥٤/٥ ، وينظر في هذه الآية جامع البيان ٩٣/١٠ ومعاني القرآن الكريم ١٦٩/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٢٣/٣ .

(٢) ينظر: الصاحبي : ٢٩٠ .

(٣) الكشاف ٣٦٥/١ .

(٤) التبيان ٢٥٩/٧ .

(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن (لزم) ٤٧٠ .

(٦) مجمع البيان ٥٣/٤ .

(٧) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٣٠٠/١١ ، وروح المعاني ٦٤/١٧.

تَقريعاً ؛ لأنه خبر بما يَقرع بشدّة الغمّ على وجه الذّم ، فكلّ خبر على هذا الوصف فهو تقريع وتوبيخ))[1] . وهو ما ذهبَ إليه غير واحد من المفسّرين[2] .

والتّقريع هو التّأنيب واللّوم[3] أمّا التّوبيخ فهو التّهديد والتّأنيب واللّوم[4] ، وهما معنيان مُتقاربان يدلاّن على الوَعيد والتّهديد ، ولذا وَردا مُتلازمين لدى الطوسي في كثيرٍ من وصفه للمعاني الثواني .

(٤) دَلالة الخبر على التهديد :

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ [العلق : ٨] ، فقد جاء الكلام على وَجه التّهديد للإنسان العاصي ، والتّحذير للطاغي من عاقبة الطغيان ، والتّذكير له بأنّ مرجعه إلى الله يُحاسبه ويُجازيه على أفعاله[5] .

(٥) دَلالة الخبر على الدعاء :

ذكَر الطوسي أنّ الكلام قد يأتي على صيغة الخَبر ويُراد به الدعاء ، في نحو قولك : غفرَ الله له[6] ، وفسّر قوله تعالى على لسان يوسف . عليه السلام . : في خطابه لأخوته ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف : ٩٢] ، مُبيّناً أنّ المُراد بقوله ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الدعاء لهم بالمَغفرة[7] . وهو المعنى الذي اتّفق عليه أغلب النُحاة والمفسّرين[8] .

ويفسّر هذا الأسلوب على أنه من باب التفاؤل وإدخال السرور على المُخاطَب ، وعُدلَ فيه عن صيغة الأمر إلى المضارع للدَلالة على تحقّق الوقوع تفاؤلاً[9] .

وفي التبيان إشارات أخرى إلى معانٍ إضافية خَرج لها الخبر في القرآن الكريم[10] ، تؤكّد أنّ الطوسي مُدركٌ تماماً أنّ التعبير القرآني الواحد يحتمل أكثر من دلالة ، وأنّ هذا سمة عامّة في

---

(١) التبيان ٣٠٠/١٠ .
(٢) ينظر مجمع البيان ٤٥٢/٥ ، والميزان ٣٤٩/٢ .
(٣) لسان العرب : (قرع) ٢٦٦/٨ .
(٤) لسان العرب : (وبخ) ٦٦/٣ .
(٥) التبيان ٣٠/١٠ ، وينظر الكشاف ٢٧١/٤ ، وروح المعاني ١٨٢/٣٠ .
(٦) التبيان ٤٢٤/٤ .
(٧) التبيان ١٩١/٦ .
(٨) ينظر : المقتضب ١٧٥/٤ ، والأصول في النحو ١٧٠/٢ ـ ١٧١ ، والصاحبي ٢٩١ ، وجامع البيان ٥٦/٣ ، والكشاف ٣٤٢/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٨/٩ .
(٩) المعاني في ضوء أساليب القرآن ١٩٢ .
(١٠) ينظر : ٤٠٩/١ ، ١٨٣/٤ ، ٣٤٨ ، ٢٥٠/٩ ، ٤٥٣ .

كلام العرب . وهو ما أيّدته النظرية التوليدية والتحويلية الحديثة التي قال بها تشومسكي ، إذ تمُثّل دلالة الخبر الأصلية البِنية السطحّية للجملة ، أمّا المعاني الإضافية التي خَرج إليها، فهي البِنى العميقة المتولّدة عن الخبر الأصلي ، والتي تتحدد تبعاً لمقتضى الحال والسياق العام . ويتضّح ذلك في المخطط الآتي :

البنية السطحية(الخبر)	البنية العميقة(معانٍ أخر)
إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين	الأمر: ليغلبْ كلّ واحد منكم عشرة مقاتلين
بل فعله كبيرهم هذا	الإلزام : عبادتكم لهذا الصنم تلزم ثبوت الفعل له .
هذا الذي كنتم به تكذبون	التقريع والتوبيخ : لم كذبتم بما أنزل عليكم؟ .
إنّ إلى ربّك الرُجعى	التهديد : إنّ مَرجِعك إلى الله فيحاسبك على أفعالك .
غفر الله لك ، ويغفر الله لكم	الدعاء : اللهم اغفر له .

المعاني الداخلة على الخبر :

تطرّق الطوسي لطائفة من الأساليب النحوية التي تَعرِض للخبر ، فتدخُل على الجملة الخبرّية لدلالة معنوّية ، أهمّها : التوْكيد والقَصْر ، اللذان يُعدّان من أساليب التحويل المهمّة لبِنية الجُملة العربّية ، وسيقف البحث عند كلٍّ منهما بإيجاز وكما هو آتٍ :

(١) التوكيد :

وهو تمكين المعنى في نفس المخاطَب وتقوية أمره[١] ، يدخل على الخبر أكثر ممّا هو في الإنشاء ، لاحتمال الأوّل الصدق والكذب ، فيأتي التوكيد لتحقيق صدقهِ وإزالة الشكّ فيه .

وقد ذكر الطوسي عدّة أساليب للتوكيد هي :

أ . **لام الابتـداء** : وهي لام مَفتوحة مُهملة تدخلُ على المبتدأ ، فتقطع ُ ما قبلها أنْ يعملَ فيما بعدها ، ولها صدر الكلام غالباً . وظيفتها توكيد الجملة المثبتة وإزالة الشكّ عنها ، نحو : قد علمتُ لَزيدٌ خيرٌ منكَ[٤] .

ب . **إنّ وأنّ** : وهما من الحروف المشّبهة بالفعل تدخلُ على المبتدأ فتؤكّده فيكون الكلام كأنّه مكّرر مرّتين ، وإذا اجتمعت مع لام الابتداء ((زُحلِقَت اللامُ إلى الخبر لئلاّ يَجتمع تأكيدان على كلمةٍ واحدةٍ))[٥]، وذلك لأنّ (إنّ) عاملةٌ تنصب المبتدأ وترفع الخبر، ولام الابتداء غير عاملةٍ ، فقُدِّم العامل على غير العامل[٦]، إذ لا تفقد اللام دَلالتها على التوكيد بتأخيرها. وهذا ما ثبتَ لدى سابقيه ولاحقيه من النحاة[٧].

ت . **التوكيـد المعنـوي** : مثل : جميع وأجمع وكلّ ونفس وعين ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة :١٦١] إذ بينّ الشيخ دلالة التأكيد بـ(أجمعين) فقال : ((ليرتفعَ الاحتمالُ والإبهامُ قبل أن يُنظَر في تحقيق الاستدلال ، ولهذا لم يُجِزْ الأخفش : رأيتُ أحدَ الرجُلين كِلْيهما ، وأجازَ رأيتُهما كِلْيهما ؛ لأنّك إذا ذكرتَ الحُكم مَقروناً بالدليل عليه أزَلْتَ الإبهام للفَساد ، وإذا ذكرتَ الحُكْم وحدَه ، فقد يُتوَّهم عليك الغلَطُ في

---

(١) التبيان ٩/٣ ، ٣١ .

(٤) التبيان ١٦٣/٥ ، وينظر: اللامات :الزجاجي ٦٩ ـ ٧٠ ،وأساليب التأكيد في العربية:إلياس ديب٢٣٧.

(٥) التبيان ٢٦٣/٥ .

(٦) التبيان ١١/١٠ .

(٧) ينظر: الكتاب ١٤٦/٣ـ١٤٨ ، والمقتضب ٣٤٤/٢ ، وشرح الكافية ٣٩٣/٢ .

المَقْصد ، بقولك :أحد الرجلين ، ولّما ذكرتَ التثنيةَ وذكرتَ أحداً ، كُنتَ بمنزلة مَن ذكَر الحُكْم والدليلَ عليه ، فأمّا ذِكْر التثنيةِ في: رأيتُهما ، فبَمنزِلة ذِكرِ الحُكْم وحده ...))[1] .

و(أجمع)من ألفاظ الإحاطة ، تُستعمل للتوكيد بمعنى (كلّ)وهي تُشير إلى العموم والشُمول[2] .

ث . **التوكيد بالحال والصفة والمصدر** :فمثال الحال قولُه تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة : ٢٠٨] ، إذ وردت (كَافَّة) بمعنى جميعاً منصوبة على أنها حال الضمير المُتّصل العائد على المؤمنين[3]، ومثال الصِفة المؤكّدة قولُه تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ... ﴾ [النحل : ٥١] ، فقد عدّ الطوسي مجيء (اثنين) و(واحد) في الآية وَصفاً لما قبلَها وتأكيداً له[4] .

ومثالُ المصدر قولُه تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء : ١٦٤]وقولُه: ﴿وَأَرْسَلْنَكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء : ٧٩] ، فقد ورد المصدران (تكليماً) و(رسولاً) لتأكيد وُقوعِ الفِعلين على الحقيقة[5] .

ج . **التوكيد بزيادة حروف(الباء،ومِن،وإن،وأنْ،وما،ولا)** :ومثاله قولُه تعالى: ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء : ٥٥] ، فقد ذكر الطوسي أنّ (الباء) هنا زائدة ((لتأكيد الاختصاص ؛ لأنه يتعلّق به من وَجهين : وَجه الفعل في (كفى جهنم) ، كقولكَ : كفى الله ، للدلالة على أنّ الكفاية تُضافُ إليه من أوْكد الوجوه ، وهو وَجه الفِعل ووَجه المَصدر))[6] . وهذه الزيادة غالبة ، ، وهي لدى الفَرّاء دالّة على التعجب[7] ، لكنّها لدى الزجاج تفيد التوكيد وتحمل دلالة الأمر، والمعنى

---

(1) التبيان ٥١/٢ .
(2) معاني النحو ٥٢٤/٤ ـ ٥٢٦ .
(3) التبيان ١٨٦/٢ .
(4) التبيان ٣٨٩/٦ ـ ٣٩٠ ، وينظر : الكشاف ٤١٣/٢ ،ومجمع البيان٣٦٥/٣.
(5) التبيان ٣٩٤/٣ ، ٢٦٧/٣ ، وينظر: مجمع البيان١٤١/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/٦ .
(6) التبيان ٢٣٠/٣ .
(7) معاني القرآن للفراء ١١٩/٢ ـ ١٢٠ ، وينظر معاني النحو ٢٧/٣ ـ ٢٨ .

: اكتفوا بنار جهنّم وشدّة توقّدها[١] . وأخذ بهذا القول ابن قيم الجوزية[٢] ، كما استحسنه ابن هشام وعدّ دخول الباء هنا الغالب في الاستعمال[٣].

وتزاد (الباء) في عدّة مواضع للتوكيد ، فقد تدخل على المبتدأ ، نحو: بحسبك رغيفٌ ، وقد تدخل على المفعول به ، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة :١٩٥] .وتُزاد أيضاً في خبر (ما) و(ليس) النافيتين ، وخبر (كان) المنفية[٤] .

وقد يكون التوكيد بزيادة (ما) نحو قوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ [المؤمنون : ٤٠] ، إذ أفادَتْ (ما) : ((التأكيد لتمكين المعنى في النفس فيجري مجرى التكرير))[٥] . وعدّها القُرطبي عماداً للكلام في دلالته على التوكيد[٦] ، إذ يتجسّد المعنى بها ويتوثّق .

و(ما) اسم لغير العاقل ، لكنّها تَرِد حرفاً في عدّة مواضع ، منها : وقوعها بعد حروف الجرّ، نحو: بما ،وعمّا ،وممّا[٧].

(٢) القصر : وهو((بِنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف))[٨] وهو أيضاً تخصيص شيءٍ بشيءٍ بطريقٍ مخصوص[٩] ، ويكون بأربع طرائق : النفي والاستثناء ، وإدخال (إنّما)، والتقديم لما حقّه التأخير ، والعطف بـ (لا ،وبل ،ولكن) . وقد سمّاه الطوسي الاختصاص[١٠] ، وهو لديه يأتي بطريقتين :

أ . إدخال إنّما على الخبر : ومعنى (إنّما) لديه ((اختصاص ما ذكر لمعنًى دون غيره))[١١] ، وفائدتها: ((إثبات الشيء ونفي ما سواه))[١٢] ، ونسبَ ذلك لطائفةٍ من علماء اللغة الأوائل[١٣] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه٥٦/٢، وينظر:٦٥ .
(٢) بدائع الفوائد:ابن قيم الجوزية ٧٧/٢.
(٣) مغني اللبيب١٠٦/١،وينظر الجر بالحرف في النحو العربي :صادق حسين المالكي٣٦٠-٣٦١.
(٤) ينظر أساليب التأكيد في العربية٣٠٢-٣٠٤.
(٥) التبيان ٣١/٣ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢١٩/١٩ .
(٧) ينظر أساليب التأكيد في العربية٢٩٠-٢٩١.
(٨) النكت في إعجاز القرآن ٧٦ .
(٩) مفتاح العلوم ١٣٩ ، والتعريفات ٩٩ .
(١٠) التبيان ٥٦٠/٣ ، ٣٢٣/٤ ، ٤٧٧/٥ .
(١١) التبيان ٤٧٧/٥ .
(١٢) التبيان ٨٣/٢ .
(١٣) ينظر الكتاب ١٢٩/٣-١٣٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه٢٤٣/١.

وعلّل إفادتها هذا المعنى بـ ((أنّها لمّا كانت (إنّ) للتأكيد ثم ضُمّ إليها (ما) للتأكيد أيضاً ، أكّدت (إنّ) من جهة التحقيق للشيء ، وأكّدت (ما) من جهة نفي ما عداه ، فكأنّك إذا قلتَ: إنّي بَشر ، فالمعنى: أنا بَشر على الحقيقة ، فإذا قلت: إنّما أنا بشر ، فقد ضممتُ إلى هذا القول : ما أنا إلاّ بَشر))(١) . وفي هذا قصرُ الموصوف على الصفة ، أي: إنّ هذا الموصوف ليس له إلاّ هذه الصفة التي يختصّ بها وتميّزه من سواه من المَخلوقات .

وكذلك إذ قال القائل : ((إنّما لك عندي درهم ، فُهِم منه نَفي ما زاد عليه ، وقام مقام قولِه : ليس لك عندي إلاّ درهم ، ولذلك يقولون : إنّما النحاة المُدقّقون البصريون ، يريدون نفيَ التدقيق عن غيرِهم ، ومثلهُ قولهُم : إنّما السَخاء سَخاء حاتِم ، يريدون نفيَ السَخاء عن غيرِه))(٢) . وفي هذا قصر الصفة على الموصوف ، أي: إنّ هذه الصفة مُقتصرة على (حاتِم) فلا أحدَ سواه يتّصف بها كما اتّصف هو بها .

ومن أمثلته قولُه تعالى : ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل : ٥١] إذ بيّن الطوسي دلالة (إنّما) على القَصْر فقال : ((أخبرَ أنّه إله واحد لا أكثَر منه ؛ لأنّ لفظة (إنّما) تُفيد ثبوت الإله الواحد ، ونفي ما زادَ عليه))(٣) فقد قَصَر صفة التوحيد على (الله) الواحد الأحَد الذي لا تَجوز الألُوهية إلاّ له .

ومنه أيضاً قولُه تعالى : ﴿إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ [الأنعام :١٥٦] ، فقد خصّ طائفتي اليهود والنصارى ((بالذِكر لشُهرَتهما وظُهور أمرِهما))(٤) .وقولُه : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة : ٥٥] فقد أفادت (إنّما) تخصيص الوِلاية(٥) .

ب . **النفي وأداة الاستثناء (إلاّ)**: قال : ((وإلاّ حقيقتها الاستثناء ، ومعنى ذلك الاختصاص بالشيء دون غيره . كقولك :جاءني القوم إلاّ زيداً ، فقد اختصصتَ زيداً بأنّه لم يجئ ، وإذا قلت : ما جاءني إلاّ زيدٌ ، فقد اختصصت زيداً بأنّه جاء ، وإذا قلت: ما جاءني زيدٌ إلا راكباً ، فقد

(١) التبيان ٨٣/٣ ، وينظر ٣٢٣/٤ .
(٢) التبيان ٥٦٠/٣ .
(٣) التبيان ٣٨٩/٦ .
(٤) التبيان ٣٢٣/٤ ـ ٣٢٤ .
(٥) التبيان ٥٦٠/٣ ، وينظر التفسير الكبير ٣٨٣/١٢/٤ .

اختصَصْته بهذه الحال دون غيرها من المَشي والعدو ، وما أشبه ذلك))[1] . وقد نسبَ الزركشي قول الطوسي هذا بنصّه إلى الرّماني[2] ، وهو من المصادر المهّمة التي استقى الطوسي منها علَمه ، سواءً من تفسيره الشهير أم من كتبه اللغوية والبلاغية .

والظاهر من كلام الشيخ أّنه لا يفرق بين القصر بـ(إنّما) والقصر بـ(إلاّ) ، إذ يفسّر الأّول بالثاني ، وهو ما قاله الزجاج[3] . غير أنّ علماء البلاغة فرّقوا بينهما ، فقد خصّ عبد القاهر الجرجاني (إنّما) بخِطاب المُخاطَب غير المُنكر ولا الشاكّ في الخبر ، في نحو قولك : إنّما هو أخوك ، لمِن تريد أن تنّبهه إلى حقّ أخيه عليه، على حين يُستعمل (النفي والاستثناء) مع الخبر الذي يُنكِره المُخاطَب أو يشكّ فيه نحو قولك: ما هو إلاّ مُصيب لمَن أنكَر صوابَ القول[4] .

ويرى الدكتور مهدي المخزومي أنّ الاستثناء المفرَّغ نوعٌ من القَصر ،ونفى دَلالتَه على الاستثناء أصلاً ، إذ عدّ (إلا) أداة قَصْر ؛ لأّنها سُبقَت بنفي ، ولذا يُفضّل تسمية هذا الأسلوب بالقَصر بـ(إلا)[5]، وتابعه في ذلك المحدثون ، بدليل تطابق دلالة الأسلوبين ، فهما بمثابة ظاهر الشيء وباطنه[6] .

ثانياً : الإنشاء

وهو الكلام الذي لا يَحتمل الصدق والكَذب[1]؛ لأّنه ليس لنِسبَتِه خارجٌ تُطابقُه أو لا تُطابقُه[2] ، فهو لا يُفيد المُخاطَب إعْلاَمه بأمرٍ قديمٍ في زمانٍ مضى ، أو في زمانٍ دائمٍ ، أو سيتمُّ في زمانٍ آتٍ[3] . وهو على قسمين[4] :

---

(1) التبيان ٤٩/٢ .
(2) البرهان في علوم القرآن ٢٤١/٤ .
(3) معاني القرآن وإعرابه٢٤٣/١.
(4) دلائل الإعجاز ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ، وينظر معاني النحو ٢٥٧/١ ـ ٢٥٨ .
(5) في النحو العربي : نقد وتوجيه ٢٤٠ .
(6) إلياس ديب:أساليب التأكيد في العربية٦٣ـ٦٤.
(1) مفتاح العلوم ١٤٥ ، والإيضاح في علوم البلاغة ١٣/١ .
(2) التعريفات ٢٧ .

أولُهما : الطَلَبي : الذي يَستدعي مَطلوباً غيرَ حاصِل وقتَ الطَلَب ، ويَشملُ صِيَغ الأمر والنهي والاستفهام والنداء .

الآخر : غير الطَلَبي: الذي لا يَستدعي ، وله عدّة صِيَغ ، منها: أفعال المَدح والذَّم وصيغ التَرّجي والتَعجُّب .

(١)الإنشاء الطَلَبي :

وهو مَحطُّ عناية النحاة والبلاغيين أكثر من غير الطلبي ؛ لتَنوّع دَلالاته وخُروجها من مُقتَضى ظواهرِها إلى دَلالات أُخرى يَقتَضيها السياق والمَقام .

وقد عُني به أيضاً الطوسي فوقفَ عند أساليبِه مفسّراً ومحلّلاً ومعلّلاً ، فزَخَر مُؤلَّفه بمادةٍ دَلاليّة غزيرة في هذا الميدان . وسيقف البحث عند نماذج للأساليب التي تناولها وأشار إلى معانيها الإضافيّة ، إذ يَقصُر المَقام عن استيفائِها واستقصائِها كلِّها .

أ . دَلالة الأمر :

وهو طَلَب حُصول الفعل على جِهة الاستعلاء ،بمعنى: أنّ الأمر أعلى مَقاماً من المَأمور ، ويأتي بدَلالته الحقيقيّة على أربع صيغ[٥] : فِعل الأمر نحو : اصْنَع ، والفِعل المضارع المُقتَرن بلام الأمر نحو: وَلْيَكْتُبْ. واسم فِعل الأمر نحو ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[المائدة: ١٠٥] والمَصدر النائب عن فِعل الأمر نحو : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء : ٣٦] .

وقد نبّه الطوسي على أنّ الأمر في حقيقته يكونُ طَلَباً للفعل على سَبيل الإيجاب[٦] ، أي الوُجوب واللزوم ، وإنّما يكونُ ذلك بتأويل الأمر على حقيقته القطعيّة من غيرِ تأويلٍ بمعنى آخر ، وأجازَ خروجَه عن أصلِه إلى النّدب الذي هو دون الوُجوب[١] ؛ وذلك إذا استجدّتْ قرائنُ سياقيّة استدْعتْ خروجَ الأمر إلى معنىً آخر .

فحين فسّر قوله تعالى :﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء :٣] قال : ((مَن استدلّ بقولِه (فانْكِحوا)على وُجوب التَزويج من حيث أنّ الأمر يقتَضي

(٣) في النحو العربي ، قواعد وتطبيق: مهدي المخزومي ١٦٥ .
(٤) الإيضاح في علوم البلاغة١/ ١٣٠ ـ ١٣١ .
(٥) ينظر مفتاح العلوم١٤٥ ـ١٤٦ ، والإيضاح في علوم البلاغة ١/ ١٤٣ .
(٦) التبيان ٩/ ٤٤١ .
(١) التبيان ٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨

الإيجاب فقد أَخْطأَ ؛ لأنَّ ظاهِر الأمر وإن اقتَضى الإيجاب فقد يَصرِف عنه بدليلٍ ،وقد قَام الدليل على أنّ الأمر ليس بواجب...))[٢] فهو لديه مَندوبٌ لاواجِب،وهو كذلك لدى غيره مِن المفسّرين[٣] .

ومن الدَلالات الأخرى التي يخرُج إليها الأمر :

١. الدعاء :وقد فرّق الطوسي بين الأمرِ والدعاءِ على أساس ماهيةّ المُخاطَب ومنزلَتِه فقال : ((الفَرق بينَ الدعاء إلى الفعل وبين الأمر به ، أنّ الأَمر فيه تَرغيب في الفِعل المَأمور به ويقتَضي الرُتْبة ، وهي أن يكون إلى مَن دونَه ، وليس كذلك الدعاء ؛ لأنّه يَصِحُّ ممّن هو دون ذلك))[٤] ، وقال أيضاً : ((الدعاء طلب الفعل من المَدعّو ، وصيغتُه صيغةُ الأمر إلاّ أنّ الدعاء لمَن فَوقَك والأمر لمَن دونَك))[٥] . وهو قولُ المبّرد[٦] وابن خالويه[٧] وغيرهما[٨] .

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة : ٢٠١] وقوله : ﴿رَبَّنَآ فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران : ١٩٣].

ويفّرق النحاة والبلاغيون[٩] بين الأمر والدعاء بحُسبان أنّ مَناطَ الأّول هو الاستعلاء ومَناطَ الثاني هو التضَّرع والخُضوع .

٢. الإباحة : وهي : الإذْن بإتيان الفِعل كيفَ شاءَ الفاعِل[١٠] . ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة : ١٧٢]، وقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ﴾ [المائدة :٢]، فكلا الآيتين صورتُها صورةُ الأمرِ ومَعناها الإباحة[١]، أو الإِذْن[٢] ، إذ أباحَ لهم أن يأكُلوا من حَلال ما رَزقهم ، وأن يَصْطادوا بعد التحلّل من الإحرام .

---

[٢] التبيان ٣/١٠ ـ ١٠٨ .
[٣] ينظر : جامع البيان ٢٣٨/٤ ، والكشاف٤٧٩/١ ، والتفسير الكبير ٤٨٦/٩/٣ ـ ٤٨٨ .
[٤] التبيان ١٠٠/٥ .
[٥] التبيان ١٣٤/٦ ،وينظر١٣٠/٢.
[٦] المقتضب١٣٢/٢.
[٧] إعراب ثلاثين سورة من القرآن ٣٩
[٨] ينظر: البرهان في وجوه البيان :ابن وهب الكاتب ٢٦٩، والصاحبي ١٨٥ .
[٩] ينظر : الكتاب ١ /١٤٢ ، ٣ / ٨ ، والمقتضب ٤٤/٢، والإيضاح في علوم البلاغة ١ / ٢٤٣.
[١٠]التعريفات ١١ .
[١] التبيان ٢ /٨١ ، ٣ /٤٢٣ .
[٢] ينظر : معاني القرآن للفراء ١ / ١٨٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢ / ١٤٣ ، ٣ / ٤٢٣ .

٣. المُداوَمة والاستمرار : وهي طَلب دَوام الفعل والمُواظَبة عليه[٣] . وقد أشارَ إليها الطوسي في تفسير قوله تعالى ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[الفاتحة:٦]، إذ قال ((ويجوز أن يكون المُراد استمرار التَّكليف والتَّعريض للثواب ، لأنّ إدامتَه ليستْ بواجبة بل هو تفضّل مَحْض جازَ أن يُرغَب فيه بالدعاء))[٤] . وقال بهذه الدَلالة غيرُ واحد من المفسّرين[٥].

ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ... ﴾[النساء : ١٣٦]، فالخطاب ((لجميع المؤمنين الذين هم مؤمنون على الحقيقة ظاهراً أو باطناً ، أمَرَهم الله تعالى بأنْ يُؤمنوا به في المستقبل وأنْ يَستديموا الإيمان ، ولايَنتقلوا عنه ؛ لأنّ الإيمان الذي هو التَّصديق لايبقى ، وإنّما يستمر بأنْ يُجدّده الإنسان حالاً بعد حال))[٦] ، وهذا رأي الزّجّاج[٧] ، والزمخشري[٨] ، والرازي[٩].

٤ . **التحدّي والتعجيز:** وهو إظهار ضَعف المُخاطَب وعدم قُدرته على أداءِ الفعل المَطلوب منه[١٠]. ومثاله قوله تعالى :﴿ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾ [هود : ١٣] ، وقوله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة : ٢٣] . ففي هذه الآيات يأمر المتكلّم المُخاطَب بفعل يعجز عن أدائه إظهاراً لخسارته وتحدّياً له على وَجه اليقين ، إذ يتحدّى الله عزَّ وجلَّ الكفّار المُعاندين بأن يأتوا بعشر سُور من القرآن من تأليفهم[١١] ، وحين ثبتَ عجزَهم ، تحدّاهم بسورة واحدة[١٢].

وكذلك يتحدّى موسى . عليه السلام . السَحرة بأنْ يَفعلوا ما يَستطيع هو فِعْله[١] ، وهذا ما أشارَ إليه طائفة من المفسّرين[٢] .

٥.التَّيئيس : وهو انقطاع الأمَل والرَجاء في حُدوث الفعل . ومنه قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة : ٨٠] ، فقد جاء

---

(٣) لسان العرب (دوم) ١٢ / ٢١٢ .
(٤) التبيان ١ / ٤١ .
(٥) ينظر : جامع البيان ١ /٥٥ ، والكشاف ١ / ٦٧ .
(٦) التبيان ٣ / ٣٥٧ ـ ٣٥٨ .
(٧) معاني القرآن وإعرابه١١٩/٢.
(٨) الكشاف ١ / ٥٧١ .
(٩) التفسير الكبير م٤ ١١ / ٢٤٢ .
(١٠) علم المعاني : عبد العزيز عتيق ٨١ .
(١١) التبيان ٤٥٦/٥ .
(١٢) التبيان ٣٧٨/٥ .
(١) التبيان ٢٠/٨ .
(٢) ينظر : جامع البيان ١٦٥/١ـ١٦٧،و٩/١٢ـ١٠، والكشاف ٢٦١/٢ ، ومدارك التنزيل ٤٧/٢ .

الكلام على ((صيغة الأمر والمُراد به المبالغة في الإياس من المغفرة ، لأنّه لو طَلَبها طِلْبة المَأمور بها ،أ و تركَها تركَ المَنهيِّ عنها، لكان ذلك سَواءٌ في أنّ الله لا يفعلها))[٣].

وقد اختلف العلماء في تأويل هذه الآية ، فهي لدى الزمخشري[٤] خارجة إلى معنى الخبر والشرط معاً . على حين رجّح القرطبي[٥] دلالتها على التيئيس بدليل قرينة السياق اللفظي المتمثّلة بقوله تعالى : (فلن يغفر الله لهم) .

وهناك دَلالات أخرى يخرُج إليها الأمر أشارَ إليها الطوسي مثل : الخبر[٦] في قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦٦] ، والشرط[٧] في قوله تعالى ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة : ١٤] ، والتعجُّب[٨] في قوله تعالى:﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم : ٣٨] ، والإلزام[٩] في قوله تعالى :﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس:٣٨] ، والترغيب [١٠] في قوله تعالى : ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ [النور : ٣٣] .

---

[٣] التبيان ٢٦٧/٥ .
[٤] الكشاف٢/٢٠٤ـ٢٠٥ .
[٥] الجامع لأحكام القرآن ٢١٩/٨ ـ ٢٢٠ .
[٦] التبيان ١٧/٥ .
[٧] التبيان ١٨٤/٥ ـ ١٨٥ .
[٨] التبيان ١٢٧/٧ .
[٩] التبيان ٢٥٩/٧ .
[١٠] التبيان ٤٣٣/٧ .

ب . دلالة النهي :

وهو طَلبُ الكَفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء[1] ، وهو خِلاف الأمر ، فقد فرّق بينهما ابن السراج بقوله : ((إذا قلتَ (قُم) إنّما تأمره بأن يكونَ منه قيام ، فإذا نَهَيْتَ فقلتَ : (لا تَقُمْ) فقد أردتَ منه نَفي ذلك ، فكما أنّ (الأمر) يُرادُ به الإيجاب ، فكذلك (النَهي) يُرادُ به النَفي))[2]. وله صيغة واحدة هي المضارع المسبوق بلا الناهية نحو: لا تلعَبْ ، ولا تُفسدْ ، ولا تُهمِلْ .

وقد وقف الطوسي عند هذا الأسلوب ووازن بينَه وبينَ الأمر من عدة وُجوه أهمّها :

١ ـ إنّهما يَلتقيان في الدَلالة على أكثر من معنًى ، من ذلك دَلالتهما على الزَجْر والتَهديد ، إذ يكون الزَجر في النَهي لِمَن هو دونَ الناهي[3] .

٢ ـ فرّق بينهما في المَفهوم ، حين وازَنَ بين قَوْل القائل : انتَهوا من شُرْب الخَمر ، وقولُه : لا تَشْرَبوا الخَمر . فالمعنى في القَولين مُختلف ؛ ((لأنه إذا قال : انتَهوا دلّ على أنه مُريدٌ لأمر يُنافي شُرب الخَمر ، وصيغة النَهي إنّما تدلّ على كَراهَة الشُرب ؛ لأنّه قد يَنصرف عن الشُرب إلى أخذ أشياءَ مُباحة ، وليس كذلك المَأمور به ؛ لأنه لا يَنصرف عنه إلا في مَحذورٍ ، والمَنهي عنه قد يَنصرف إلى غير مَفروض))[4]، بمعنى أنّ النهيَ أبلغُ في تَرك الخَمر من الأمر بالانتهاء منه ، إذ النَهي يوجب تَركه على سبيل الحُرْمَة ، والثاني لا يُشير إلى حُرْمَته وإنّما إلى وُجوبِ الانتهاء منه مع احتمال العَودة إليه .

وأشارَ إلى أنّ النهيَ قد يكون عن شيءٍ ويُراد به شيءٌ آخر ، من ذلك قولُه تعالى على لسانِ إبراهيم ويعقوبَ . عليهما السلام . لأولادهما: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢] . إذ إنّ ظاهر الكلام يدلّ على أنّ النهيَ عن المَوت ، ولكنّ المَوت ليس في مَقدور البَشر ، فكيفَ يصحُّ أن يُنهى عَنه ؟ أجاب الطوسي عن ذلك فقال: ((اللفظُ وإن كان على لفظ النَهي ، فما نُهوا عن المَوت، وإنّما نُهوا في الحقيقة عن تَرْك الإسلام ، لئلاّ يُصادفُهم المَوت عليه. وتقديرُه: لا تتعرّضوا للمَوت على تَرك الإسلام بفِعل الكُفر ، ومثلُه من كلامِ العرب : لا أرَينَّكَ هاهنا ، فالنَهي في اللفظ للمتكلّم ، وإنّما هو في الحقيقة للمُخاطَب ، فكأنّه قالَ : لا تتعرّض لأن أراكَ بكونك هاهنا ... والأصل في هذا أنّ التَعريض لوُقوع الشيء بمنزلة إيقاع الشيء))[1] ، أي

---

[1] ينظر : مفتاح العلوم ١٥٢ ـ ١٥٣ ، والإيضاح في علوم البلاغة ١٤٥/١ .
[2] الأصول في النحو ١٥٧/٢ ، وينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٤٦٥ .
[3] التبيان ١٨٠/٣ .
[4] التبيان ١٩/٤
[1] التبيان ٤٧٤/١ .

إنزال السَبب بمنزلة الُمسبِّب[٢]. وهي الوصّية التي يوصي بها الأنبياء َبنيهم، والُمراد بها إخلاص العبادة والتَوحيد لله[٣] .

والمعنى عند الزمخشري : ((إظهار أنّ موتَهم لا على حال الثَبات على الإسلام ، موتٌ لا خيَر فيه ، وأّنه ليس بَموت السُعَداء ... وتقول في (الأمر) أيضاً : (ُمتْ وأنتَ شَهيدٌ) ، وليس ُمرادُك الأمر بالَموت ، ولكنْ بالكْون على ِصفة الشُهَداء إذا ماتَ ...))[٤] ، وذكَر نظائر في كلام العرب بأُسلوب الَنهي هذا ، مثل قولهم لا تُصَلِّ إلاّ وأنتَ خاشِعٌ ، وقولُهم : لا تُصلِّ إلاّ في المسجد .

وَنلَحظ في ُموازَنة الطوسي بينَ الأمر والَنهي إشارته إلى أنّ الُجملة الواحدة قد تحتمل معنيين ُمختلفين ، أو كما يسميها تشومسكي جملتي نواة مختلفتين[٥]، ويتّضح هذا في المخطّط الآتي :

(١) اترك الخمر
- ◄ الوجوب : لا تشربوا الخمر
- ◄ الكراَهة : انتهوا من شرب الخمر

(٢) لا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون
- ◄ ترك الموت : أي لا تموتوا إلا وأنتم مسلمون. وهي دلالة غير صحيحة لعدم مطابقتها الواقع ، فالموت ليس في مقدور البشر
- ◄ ترك الكفر :لتكن نهايتكم على الإسلام ،أي: اتركواالكُفر والَزموا الإسلام

ومن الَدلالات التي َيخُرج إليها الَنهي أيضاً :

---

(٢) منهج الطوسي ٣٣٥ .
(٣) ينظر جامع البيان ٥٦٠/١ ـ ٥٦١ ، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٣٢/١ .
(٤) الكشاف ٤٥٠/١ ، وينظر الجامع لأحكام القرآن ١٣٦/٢ .
(٥) البنى النحوية ١١٥ ـ١١٦ .

١. **الدعاء** : من ذلك قولُه تعالى : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾[البقرة : ٢٨٦] ، الذي جَرى مَجرى الاعتذار[١]، ويُروى أنّه الدعاء والالتماس الذي توجّه به الرسول . صلى الله عليه وآله وسلم . في ليلة الإسراء والمعراج ، وطَلبَ به تَخفيف الحِمل على أمّته والتَقليل من التَكاليف والتَجاوُز عن الخَطأ والنِسيان[٢] .

٢. **التنزيه** : من ذلك قوله تعالى :﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الكهف : ٢٤] . فقد فسّر الطوسي النَّهي هنا بأنّه ((ليس نَهي تَحريم ، وإنّما هو نَهي تنزيه ؛ لأنّه لو لم يَقُل ذلك لَما أثِم ، بلا خلاف ...))[٣] . وسمّاه الزمخشري (تأديباً)[٤] ، فمن حُسْن الأدب أن يقول المسلم كلمة : (إن شاء الله) ، عند كلّ عملٍ يَنوي فِعلَه مُستقبلاً ، ففيه التوكّل على الله والاستعانة به والإقرار بمشيئته قبل كلّ شيء .

٣. **الكَراهة** : من ذلك قوله تعالى :﴿ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام : ١٤] بيَّن الطوسي أنّ النهي هنا جاء على سبيل الكَراهة ، والمعنى ((أُمرتُ بذلك ونُهيتُ عن الشِرْك ... وإنّما المُراد ... أنّه كُرِه مني الشِّرك))[٥] ، والتقدير : قيل لي : لاتكونَنَّ من المشركين ، إذ اجتزئ بِذكْر الأمر من ذِكْر القَول ، فقد كان الأمر معلوماً أنّه قول[٦] .

ج . دَلالة الاستفهام :

هو طَلبُ فَهم شيءٍ لم يَسبق لكَ عِلمٌ به ، باستعمال إحدى أدواته وهي : الهمزة وهل ومَن و متى وأيّان وأين وأنّى وكيف وكم وأي[٧] .

وقد عُني الطوسي بهذا الأسلوب في القرآن وكلام العرب عناية فائقة وسمّاه في بعض المَواضع السؤال[١] ، وفي آخر الاستخبار[٢] .

---

(١) التبيان ٣٨٥/٢ .
(٢) ينظر : مجمع البيان٤٠٣/١-٤٠٤، والجامع لأحكام القرآن ٤٢٥/٣ ـ ٤٢٦ .
(٣) التبيان ٢٨/٧ .
(٤) الكشاف ٤٨٠/٢ ، وينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٤٨٧ .
(٥) التبيان ٨٩/٤ .
(٦) ينظر : جامع البيان ١٥٨/٧ ـ ١٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٩٧/٦ .
(٧) ينظر : الحدود في النحو ٧٣ ، والصاحبي ٢٩٢ ، ومغني اللبيب ١٣/١ ، والتعريفات ١٨ .
(١) التبيان ٤٣٩/٤ ، ٣٥٠ ، ٢٣٨/١٠ .
(٢) التبيان ٢٣/٢ .

وعرَّف الاستفهام بأَّنه : ((طَلَب الإخبار بصيغةٍ مخصوصةٍ في الكلام))[3] ، وأشار إلى أّنه ((يقتضي الإخبار عمّا يُحتاج إليه))[4] ، وفرّق بينَه وبينَ الخبر ، إذ إنّ ((الاستفهام موكولٌ إلى بيان المُجيب والخَبر إلى بيان المُخبِر))[5]. فالمُخاطَب هو الذي يُبيّن المعنى المُستفهَم عنه ، أمّا الخبر فيبيّنه المتكلّم نفسه .

وفي كلامه إشارةٌ إلى أنّ الاستفهام أصلُه خبر ، وقد صرّح به في أكثر من موضع[6] ، وهو ما يُقرّه علم اللغة الحديث[7] ، إذ إنّ الاستفهام في مفهومه التركيبي : تحويلُ تركيبٍ إخباريّ إلى استفسارٍ، باستعمال أدواتٍ خاصّةٍ وتنغيمٍ مُعيّن ، فالجملة النواة هي خبريّة ، وبإضافة إحدى أدوات الاستفهام إليها تحوّلت إلى جملة جديدة .

وذكر الطوسي شيئاً من آداب الاستفهام ، منها أنّ((كلَّ ما يزجر العَقل عنه ، بما فيه الداعي إلى الفَساد لايجوز السؤال عنه ، كسُؤال الجَدل لدَفع الحقّ ونُصرَة الباطل ، وكالسُؤال الذي يقتضي فاحش الجَواب ؛ لأنّه كالأمر بالقَبيح))[8] .

وبيّن أنّ الدلالة الأصلية للاستفهام هي الاسترشاد والاستعلام ، كقولكَ : أين زيدٌ ؟ ومَن عندكَ ؟ وعدّه ممّا لا يَجوز على الخالق تعالى اسمُه[9] . وقد يَخرج إلى دلالات إضافية يقتضيها السياق أهمّها :

١. **التوبيخ والتقريع** : قال : ((هو خَبر في المعنى كقولكَ : ألمْ أُحسِن إليكَ فكفرتَ نِعمَتي ؟ ألمْ أعطِكَ فجَحدتَ عطيّتي؟))[10]، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ﴾[ياسين : ٦٠] وقوله : ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ﴾ [الأنعام : ١٣٠] وقوله : ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المؤمنون :١٠٥] ، فالآيات الثلاث وإن خرَجَ الاستفهام فيها إلى التقريع والتوبيخ ، فإنّه إثبات للخَبر المُستفهَم عنه ، والمعنى أنّ الله(عهِدَ إلى عباده) و (أنّه أرسلَ إليهم رسولاً) و (أنّه بعثَ إليهم من يَتلو عليهم آياته) ولكنّ الجَواب على هذه الأسئلة ((لايأتي إلاّ بما يَسوء من القبيح))[1] ؛ لأنّه إقرارٌ بالكُفر والإنكار والعِصيان ، ولذا دخلَ التقريع مع الاستفهام . فضلاً عن ذلك فإنّ دُخول همزَة الاستفهام على حَرف الجحدِ أو النَفي يُفيد الإثبات والتقرير[2] ، وقد أشارَ إلى ذلك

---

[3] التبيان ٢٣٨/١٠ .
[4] التبيان ٧٥/٢ .
[5] التبيان ٣٤٤/٤ .
[6] ينظر : التبيان ٣٤٩/٤ ، ٢٠١/٧ ، ٤٠٢/٨ ، ٤٥٢ .
[7] الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية ٣٢ .
[8] التبيان ٢٣٨/١٠ .
[9] و[10] التبيان ٣٤٩/٤ .
[1] التبيان ٤٣٩/٤ .
[2] ينظر : شرح الكافية ٣٨٨/٢ ـ ٣٨٩ .

الطوسي[3] ومثّل له بقوله تعالى :﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة : ٤٠] وقوله : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] . وعدّ هذا الأسلوب أشدَّ مبالغة في المَدح[4] ، وهو كذلك لدى غيره من المفسّرين[5] .

٢. **الإخبار** : ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأعراف: ٣٧] إذ بيّن الطوسي أنّ ((المُراد به الإخبار عن عِظَم جُرم من يفتري على الله كذباً ... وإنّما أُورِد هذا الخَبر بلفظِ الاستفهام ؛ لأنّه أبلَغ بردِّ المُخاطَب إلى نفسه مع تحريك النفس له بطريق السؤال))[6] . إذ يستخلص الجواب من المخاطَب نفسه باستجاشة ضميره وبعثه على الإقرار بالخَبر . والمعنى إنّ أشنعَ ظُلمٍ هو الافتراءُ على الله تعالى والتكذيب بآياته ، والمُراد هو الخَبر لا السؤال[7] ، وقيل يُراد به التوبيخ[8] .

٣. **التقرير** : وهو أنواع ، فإمّا أن يكونَ تقريراً بالإثبات[9]، كقوله تعالى : ﴿ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ : ٤٠] .

أو يكون تقريراً بالنفي ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران:١٦٠] ، إذ بيّن الطوسي أنّ المُراد ((التقرير بالنفي في صورة الاستفهام ، أي لاينصُرُكم أحدٌ من بَعده ، كما تقول : من يعذِلك إنْ فسَّقك الإمام ، وإنّما تضمّن حَرف الاستفهام معنى النَفي ؛ لأنّ جَوابَه يجبُ أن يكونَ بالنفي ، فصار ذكرُه يُغني عن ذكر جَوابه ، وكان أبلَغ لتقريرِ المُخاطَب فيه))[10] ، فجواب هذا الأسلوب هو (لا) ، أمّا جَواب التقرير بالإثبات فهو (بلى) ؛ ولأنّ الجوابَ مَفهوم من صيغة السؤال وهو : ألاّ أحدَ يخذلُكم بعد أنْ ينصُركم الله ، والنصرُ من الله لا من غيره ، فقد استُغنيَ بذكرِه عن ذكرِ الجواب[1] .

---

(٣) التبيان ٤٠٠/١

(٤) التبيان ٤٥١/٧ .

(٥) ينظر : الكشاف ٣٩٨/٣ ، والتفسير الكبير ٩/ ٤٥٣/٢٦ ـ ٤٥٤ .

(٦) التبيان ٣٩٤/٤ ـ ٣٩٥ .

(٧) ينظر :الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٩٢/١-٣٤٨ ، الجامع لأحكام القرآن ١١٥/٧ ، ٢٠٣ .

(٨) ينظر تأويل مشكل القرآن ٢٦٥

(٩) التبيان ٤٠٢/٨ ، وينظر ٢٠١/٧ ، ٢٦٩ .

(١٠) التبيان ٣٣/٣ .

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠٠/٨ .

وقد يكون للتقرير ((بالعجز والجهل ، كقولك للرجل : هل تعلم الغيب ؟ وهل تعرف ما يكون غداً ...))[2] .

٤ . **الإنكار** : وقد وردت آيات كثيرة بهذه الدلالة وقف عندها الطوسي . وقد عدَّ الاستفهام الخارج إلى الإنكار من الأساليب المهمّة في الجدال ؛ ((لأنه أبلغ في الكلام وأشدُّ مظاهرةً في الحجاج أن يخرج الكلام مخرج التقرير بالحقّ فتلتزم الحُجّة والإنكار له فتظهر الفضيحةُ ، فلذلك أخرج الجحد في الإخبار مخرج الاستفهام))[3] ، وإنّما أفاد الإنكار ((لأنه لاجوابَ لصاحبه إلاّ بما هو قبيح))[4]، أو ((مُنكَر في القول))[5] ، وإنّما جاء بهذه الدلالة ((لأنه أشدُّ في الذمِّ والتوبيخ))[6] .

ومن أمثلته قولُه تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ [المائدة:٧٤]، وقولُه: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الصافات :١٥٣]، وقولُه: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الزمر:٩]. إذ يرى الطوسي أنّ الاستفهام في كلّ ذلك دالّ على إنكارِ المُستفهَم عنه[7] ، وهو لدى غيره إنكارٌ وتعجُّب من إصرارهم على الكُفر[8]، وقيل:هو تقريع وتوبيخ[9]، وهي جميعاً معانٍ مُتداخلةٌ لاخلافَ بينها .

٥ . **التعجب** :ومنه قولُه تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [النساء:٧٧] .والمعنى ((ألمْ ينته علمُك إلى هؤلاء ؟ تعجُّباً من ذلك ، ولو قال :ألم ترَ هؤلاء ؟ أو ألمْ تعلم هؤلاء ؟ لم يَظهرْ فيه معنى التعجُّب منهم كما يَظهر بـ(إلى) ؛ لأنّها تُؤذن بحالٍ بعيدةٍ قد لا ينتهي إليها ؛ لبُعدها ، لما فيها من التعجُّب الذي يَقع بها))[10] ، إذ أظهرَ حرفُ الجرِّ دلالةَ التعجُّب في هذا الاستفهام الذي نزَلَ في أصحاب رسول الله . صلى الله عليه وآله وسلم . الذي استأذنوه وهُم في مكّة لقتالِ المُشركين، فلم يأذن لهم الرسول وأمرَهم بإقامة الصلاة ، ولّما أمرَهم بالقتال وهُم في المدينة ، خَشوا ذلك وكَرِهوه حِرصاً على الدنيا وخَوفاً من المُشركين ،وجاء التعجُّب من ذلك؛ لأنه لم يكن ينبغي أن يَصدُر هذا منهم[1] .

---

(٢) التبيان ٣٥٠/٤.
(٣) التبيان ٤ / ٣٥٠ .
(٤) التبيان ١ / ٤٧٥ .
(٥) التبيان ٤ / ٣٦٦ .
(٦) التبيان ٨ / ٤٥٢ .
(٧) التبيان ٧ / ٤٥١ .
(٨) ينظر : مدارك التنزيل١ / ٢٩٥ ، وروح المعاني ٦ / ٢٠٨ .
(٩) ينظر :جامع البيان ٢٣ /١٠٦، ١٣٣/١٥ ،والجامع لأحكام القرآن٢٥٠/٦ .
(١٠) التبيان ٣ / ٢٦٢ .
(١) ينظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز١ / ٢٧٥ ، وروح المعاني ٥ / ٨٥ .

وُيلَحظ من تحليل الطوسي دَلالّياً لهذه الآيات ، أّنه مُدرِك لتكّونها من بِنَيتَين : السطحية والعميقة ، تتمثّل الأولى بإسلوب الاستفهام المَنطوق ، والثانية بالدَلالة الُمستَوحاة منه، التي تَحتَمل في الوقت نفسهِ دَلالتين : الأولى خَبرّية ،والثانية مُنّوعة تبعاً للسياق ويتّضح هذا في المخطّط الآتي :

البنية السطحية(الاستفهام)	البنية العميقة(معانٍ أخر)
أليسَ الله بقادرٍ على أن يُحيي الَموتى	١ . الخَبر: الله قادر على إحياء الموتى ٢. القَصر: لا أحَد قادر على إحياء الموتى غير الله
أليسَ اللهُ بكافٍ عبدَه	١ . الخَبر: الله كافٍ عبده ٢ القَصر: لا أحد يكفي عبده غير الله
فمن أظلُم ممّن افترى على الله كذباً	١ . الخَبر: أظلُم الناس مَن افترى على الله الكذب
وإن يخذِلْكُم الله فَمن ذا الذي يَنُصرْكم	١ . الخَبر: الله هو القادر على خُذْلان عبادِه ونصرِهم ٢. القَصر: لا أحَد ينصرُ العبادَ بعد أن يخذِلَهم الله
أفلا يَتوبون إلى الله ويَستغفرونَه	١ . الخَبر: الكفّار لايتوبون إلى الله ويَستغفرونَه ٢ . الإنكار: لَم لايَتوبون إلى الله ويَستغفرونَه
ألم تَر إلى الذين قيلَ لهم كُفّوا أيديَكم وأقيموا الصلاة	١. الخَبر: قيل للذين طلبوا القتال اتركوا القتال وأقيموا الصلاة ٢. التعجُّب: كيف لم تعلم بالذين طلبوا القتال وأُمِروا بتركه وإقامة الصلاة؟

د . النـداء : هو دَعوَة الُمخاطَب بحَرفٍ يَنوب مَناب الفِعل ، كأدْعو ونحوه ، وأدواتُه ثمانٍ: (يا،والهمزة ،وأيّ ، وآي ، وآ ، وأيا ، وهيا ، ووا)[1] .

---

[1] ينظر : شرح عبد الرحمن البرقوقي (ضمن التلخيص في علوم البلاغة)١٧١ ، وعروس الأفراح(ضمن شروح

وقد وقف الطوسي عند هذا الأسلوب في القرآن وأشارَ إلى دَلالته وصُوره ، وبّين أنّ الأصل فيه هو ((تنبيه الُمنادى لُيقبِلَ عليكَ))[٢] ، وهو((الدعاء بمدّ الصَوت على طريقة يافلان...))[٣]. وهذا القول لأبي بكر بن السراج حين عرّف النداء بأنه((تنبيه المدعو ليُقبل عليكَ))[٤]

وأشارَالطوسي إلى أنّ النداء قد َيخرج عن دَلالته الأصلّية إلى دَلالات إضافّية أهّمها :

١ . **الدعاء :** إذا كان النداء ُمَوّجهاً لله تعالى كان الُمراد به الُدعاء ، ولذا ليجوز فيه حذف حرف النداء للاستغناء عنه ؛لأنّ الله سبحانه وتعالى لاَيغيبُ عنه شيء ، من ذلك قولنا : رّبنا ، فإذا أُثبت حرف النداء في الدعاء ، في نحو : ياالله اغفر لي ((يجوز أن َيخُرج َمخَرج التنبيه التأكيد أن ُيقبِلَ عليكَ بَرحمتِه ، ولأّنك تسألُه سؤالَ الُمحتاج أن ُينّبه على حالِه ؛ لأنّ ذلك أبلغُ في الُدعاء وأحَسنُ في المعنى))[٥] .

وقد أجازَ النحاة حذفَ حرف النداء تخفيفاً إذا كان المنادى ُمقبلاً عليكَ ُمتنّبهاً لما تقولُه له[٦] ، ولذلك جعلوه خاصّاً بالُمنادى القريب[٧] . ولقُرب الله من عبادِه وإقباله عليهم بوجهِه الكريم ، فقد جازَ حذفُ أداة النداء عند الُدعاء .

٢ . **التنبيه :** إذا كان النداء لما لاينادى خَرَجَ مَخرَج التنبيه لُلمخاطَب .من ذلك قولُه تعالى ﴿يَحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾[الأنعام : ٣١] . فقد بّين الطوسي أنّ الَحْسرة أمٌر معنوي ((لاتُدعى ، وإنّما ُدعاؤها تنبيهٌ لُلمخاطَبين ،و(الَحْسرة) شدّة الَنَدم حتى َيحسُر النادم كما يحسُر الذي تقوم به دابّته في السَفَر الَبعيد))[٨]، ومعنى الآية :((انتَبِهوا على أّنا قد خَسِرنا))[٩] . وقيل: إنّ (يا حسرتنا) نداء الَحسرة والَويل على الَمجاز ، والتقدير :ياحسرةً احضَري لهذا أوانكِ ، والمعنى: تنبيه أنفُسِهم لتَذّكر أسباب الَحسرة وهي عدم الامتثال لأوامر الله . ويدلّ هذا اللفظ على الَندامة وتَضييع العمل[١٠] .

ونقلَ عن الزجاج قولَه : إنّ العرب إذا أرادت المبالغة في الإخبار عن أمرٍ عظيمٍ يقع فيه جعلته نداءً ، فيكون لفظُه لفظَ ما ُينّبه ، والُمنّبه به غيرُه كقوله تعالى: ﴿يَحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾

التلخيص): بهاء الدين السبكي ٢ /٣٣٣ .
(٢) التبيان ٢ /١٧١ .
(٣) التبيان ٣ / ٥٦٩ .
(٤) الأصول في النحو ١ /٤٠١ .
(٥) التبيان ٢ /١٧١ .
(٦) شرح الكافية ١ / ١٥٩ ، والبرهان في علوم القرآن ٣ / ١٠٦ ، وينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٢٦٨ .
(٧) شرح المفصل ٢ / ١٥ ، وينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٢٦٨ .
(٨) و(٩) التبيان ٤ / ١١٥ .
(١٠) ينظر : جامع البيان ١٧٩/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٤١٣/٦ ، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٣٩

[يس : ٣٠] ، وقوله أيضاً :﴿ يَحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ ﴾ [الزمر : ٥٦] . وعدّ التعبير القرآني في هذه الآيات أبلغ من قول القائل: أنا أتحسّر على العباد ، أو قوله : الحسرة علينا في تفريطنا[١] .

وقد أشار سيبويه إلى أنّ قول القائل: يا عجباه ، معناه إحضَرْ وتعالَ يا عجب ، وهو أبلغ من قولِه: تعجَّبتُ منه[٢] .

(٢) الإنشاء غير الطلبي :

ويشمَل المعاني التي لا تكون طَلباً ولا خَبراً وهي : أفعال المُقاربة ، وصيَغ المَدح والذّم ، وصيَغ العقود ، ودلالة (لعل) و(رُبّ) و(كم) الخبرّية .

ولم يُعنَ علماء العربية بهذه المعاني عنايتَهم بالطَلبّية ، ومنهم الطوسي الذي قلّتْ لمحاتُه الدَلاليّة في الإنشاء غير الطَلبي . وسيقف البحث عند ذكرٍ موجزٍ لطائفةٍ منها :

أ. **صيغ المدح والذم** : وهي صيغ جامدةٌ يُراد بها التعبير عن مَدح صفةٍ أو ذمها . وتشمَل : نِعْم ، وبِئْس ، وحبّذا ، وساءَ وما جرى مجراها. وقد اختلف النحاة في هذه الصيغ، إذ جعلها بعضهم أفعالا، وجعلها آخرون أسماءً[٣] .

وتُستعمَل هذه الصيغ للجنس كلّه ممدوحاً أو مذموماً ، ثم يُخصّ بالذكر فَردٌ معيّن ، قال سيبويه : ((إذا قلت : (عبدُ الله نِعمَ الرجلُ) ، فإنّما تريدُ أن تجعلَه من أمةٍ كلّهم صالحٌ ، ولم تُرِد أن تعرّفَ شيئاً بعينِه بالصَلاح بعد نِعَم))[٤] .

وقد فرّق الطوسي بين دَلالة هذا الأسلوب على الإخبار ودَلالته على الإنشاء ، وذلك حين وقف عند قولِه تعالى :﴿ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ [الصافات : ١٧٧] . فقال : ((أي بئس الصباحُ صباحٌ من خَوفٍ وحَذرٍ ... ولو كان بمعنى الإخبار المَحْض لجازَ أن يُقال: ساءَه يسوؤه سَوءاً ، أي أوْقَع به ما يسوؤه))[٥] ؛ لأنّ في قولِه ﴿ فساء صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ إنشاءٌ للذّم وهو غُير موجودٍ في الواقع الخارجي ، وإنّما هو معنىً يُستفاد عند التلفّظ بالقَول ، والتقدير : فساءَ الصباحُ صباحُ الذين أُنذِروا بالعَذاب ، وخُصّ الصَباح بالذِكر؛ لأنّ العَذاب كان يأتيهم فيه[٦] .

---

[١] التبيان ١١٥/٤ ،وينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤١/٢.
[٢] الكتاب٢١٧/٢ ، وينظر : معاني القرآن الكريم ٤١٥/٢ .
[٣] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٩٧/١ومابعدها.
[٤] الكتاب ١٧٧/٢ ، وينظر : معاني النحو ٦٧٢/٤ .
[٥] التبيان ٥٣٨/٨ .
[٦] معاني القرآن الكريم ٧٠/٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤٠/١٥ .

وفي هذه التفرقة يقول الرضي الاسترابادي : ((إنّك إذا قلتَ: نِعم الرجلُ زيدٌ ، فإنّما تُنشئ المدح وتُحدِثه بهذا اللفظ ، وليس المدح موجوداً في الخارج في أحد الأزمنة مقصوداً مُطابقة هذا الكلام إيّاه حتى يكون خبراً ، بل تقصد بهذا الكلام مدحه على جودته الحاصلة خارجاً ، ولو كان إخباراً صرفاً عن جودته خارجاً ، لدخله التصديق والتكذيب ...))[٢] أي:صار خبراً .

ويفسّر الطوسي (ساء)على الدوام بمعنى (بِئس)[٣] ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام : ٣١] وقوله ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف : ١٧٧]

ومن أمثلة المدحِ وقوفُه عند قوله تعالى : ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة : ٢٧١] ، إذ قال : ((والتقدير نعم شيئاً إبداؤها ، فالإبداء هو المخصوص بالمدح ، إلا أنّ المضاف حُذفَ وأُقيم المضافُ إليه الذي هو ضمير الصدقات مقامه ...))[٤] . والمعنى أن تُظهِروا وتُعلِنوا إعطاء الصدقات ، فنِعم العملُ هو .

وقد يُحذَف المخصوصُ بالمدح لدلالة الكلام عليه ، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات: ٧٥] . فقد ((أخبر أنّ نوحاً نادى الله ودعاه واستنصره على قومه ، وأنّه تعالى أجابه ، وأنّه - جلّ وعزّ- نِعم المجيبُ لمن دعاه ، وتقديره : فلنِعْم المجيبون نحنُ له ...))[٥] .

ورُوي هذا عن الكسائي[٦] والطبري[٧]وغيرهما[٨].

ب القَسَم : عرّفه بأنّه ((تأكيد الخبر بما جعله في حيّز المُتحقّق))[٩] ، ويكون بالباء والتاء والواو ، وتدخل اللام في جوابه زيادةً في التأكيد . وهو لديه أبلغ درجات التوكيد[١٠] .

وقد خَصَّ الخبر بالقَسَم ،على حين خَصَّ الإنشاء بنون التوكيد ، قال : ((والنون الثقيلة يؤكّد بها الأمر والنهي ، ولا يؤكّد بها الخبر)) ثم بيّن سبب ذلك فقال : ((فأُلزِم الخبر التأكيد ليدلَّ على اختلاف المعنى في المُؤكّد ، و لّما كان الخبرُ أصلَ الجمل أُكّد بأبلغ التأكيد ، وهو القَسَم))[١]

---

[٢] شرح الكافية ٢٩٨/٢ - ٢٩٩ .
[٣] ينظر التبيان ١١٦/٤ ، ٣٤/٥ - ٣٥ .
[٤] التبيان ٣٥١/٢ ، وروح المعاني ٣ / ٦٣ .
[٥] التبيان ٨ / ٥٠٥ .
[٦] معاني القرآن للكسائي ٢١٩ .
[٧] جامع البيان ٢٣ / ٩٧ .
[٨] ينظر : الوجيز في تفسيركتاب الله العزيز ٢ / ٩١١ ، والجامع لأحكام القرآن١٥ / ٨٩ .
[٩] التبيان ١٩٠/١٠ .
[١٠] التبيان ٢٣/٢ ، وينظر : منهج الطوسي ٣٣١ .

. وهوبذلك يتّخذه وسيلةً للتفرقة بين الخبر والإنشاء ، فالاختلاف المعنوي بينهما كان سبباً في اختلاف أدوات التوكيد الداخلة عليهما ؛ ذلك لأنّ حاجة المتكلّم إلى التوكيد البليغ في إلقاء الخبر أكثر من حاجته في إلقاء الإنشاء ، لاحتمال أن يكون المُخاطَب مُنكراً للخبرأو شاكّاً فيه، وعدم احتماله ذلك في الإنشاء ، ولإزالة هذا الشك وردّ الإنكار ؛ ولتحقيق صِدْق الخبر يُؤْتى بالقَسم .

ولهذا الغرض دخلت نون التوكيد على الفعل المضارع المسبوق بلام القسم ، نحو قول القائل : قد علمتَ إنّ زيداً لَيقومَنّ[2] ؛ لأنّه خبر واجب الحُدوث مُستقبلاً ، ولذا لَزِمَته النون تأكيداً لحدوثه ، إذ ((لا تدخل في الخبر إلاّ في القَسَم أو ما أشْبَهَ القَسَم))[3] ، فلا تدخل على الخبر الواجب في مثل : هو ، إذ لا يجوز أن تقول : هونّ ((لأنّ هذه النون تُؤذِن بأنّ ما دخلَتْ عليه قد احتاج إلى التأكيد لخَفاء أمرِه من جهة المُستقبل))[4] .

وقد يُشبِه الشرطُ القَسَمَ في التأكيد ، وذلك إذا دخلت (ما) على حرف الشرط (إنْ) ، فيُصبح الكلام ((بمنزِلة ما هو غير كائنٍ حتى احتيج معه إلى القَسَم مع خَفاء أمرِهِ من جهة المستقبل))[5] ، ولذا تدخل النون في الشَرط وكأنّها داخلةٌ في جواب القَسَم من ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ [الزخرف : ٤١] ، إذ بيّن الطوسي سبب دخول النون على الشَرط فقال: ((معناه : إنْ نذهبْ بكَ ، فلمّا دخلَت (ما)على حَرف الشَرط ، أشْبهَ القَسَم في التأكيد والإيذان بطلَب التَصديق ، فدخلت النون في الكلام لذلك ؛ لأنّ النون تُلزَم في جَواب القَسَم ولا تُلزَم في الجَزاء ؛ لأنّه شُبِّه به ، وإنّما وَجبَ بإذهابِ النبيّ إهلاكُ قومِه من الكفّار ، لأنّه علامة اليأس من فَلاحِ أحدٍ منهم))[6] . فالشَرط هنا بمنزِلة لام القَسَم ، والمعنى : فإنْ قبضْناكَ يا مُحمَّد قبل أنْ تَنصُرك على أعدائك وتَشفي صُدور المؤمنين ، فإنّا مُنتقمون من الكفّار أشدَّ الانتقام في الآخرة[7] .

ت . دلالة (لعلَّ) :

(1) التبيان ٣/٣٠ .
(2) التبيان ١/١٧٣ .
(3) التبيان ٤/٣٩٢ .
(4) التبيان ٤/٣٩٢ .
(5) التبيان ٩/٢٠١ .
(6) الكشاف ٣/٤٨٩ .

وهي من الأحُرف المشّبهة بالفعل التي تدخلُ على المبتدأ والخبر ، فتنصبُ الأوّل اسماً لها وترفعُ الثاني خبراً لها . وهي تفيد تَوقُّع شيءٍ مرجوٍّ أو مَخوف[1] ، فتكونُ في الترّجي للمرجوّ المَحبوب ، وللإشفاقِ في المَخوفِ المَكروه[2] ، وتختصُّ بالمُمْكن المُتوقّع[3] . وقد تخرُج عن دَلالتها الأصليّة إلى دَلالات أخرى يقتَضيها السياقُ وحالُ المتكلّم والمُخاطَب .

وقد أشارَ الطوسي إلى طائفة من دَلالاتها أهمّها :

١ـ **الترّجي** : قال : (((لعلّ) للترجّي ، إلا أنّه يكون لترَجّي المُخاطِب تارةً ، ولترَجّي المُخاطَب تارةً أُخرى))[4]،إذ يربط دلالة الحدث الكلامي بالباثّ والمتلقّي معاً، ويمثّل هذا الإرتباط أهمّ الأسس التي اعتمدها علم اللسانيات الحديث في استنطاق الفكر العربي القديم[5].

وهو يستبعد دلالتها على الترّجي في القول العائد لله عزَّ وجلّ ، بل يحملُه دوماً على أنّه ترجٍّ من العِباد ، إذ لا يجوز الترّجي على الله .ومن ذلك قولُه تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، فقد ذكر في دَلالة(لعلّ) قولين :

أحدهما : ((ليرشُدوا ، فتكون دالّةً على العِوض في الإجابة من الله تعالى للعَبد)) ، أي هي بمَعنى: (كي) . إذ وردَت مَسبوقةً بطَلَب الدُعاء والاستِجابة ، والمَعنى: فليستَجيبوا لي بالطاعة وليُؤمنوا بي ، فيُصدّقوا على طاعتِهم إيّاي بالثَواب منّي لهُم وليَهتَدوا بذلك من فعلهم فيرشُدوا[6]

والآخر : ((على الرجاء والطَمع ؛ لأنْ يرشُدوا ، ويكونُ متعلّقاً بفعل العِباد))، أي توقُّع وترجّي استجابة الدُعاء من الله[7] ، وهو أملٌ مُتعلّق في نفس كلّ مؤمنٍ .

والراجح هو الرأي الأوّل ؛ لأنّ فيه معنى تأكيد الثَواب والهِداية بعد الإيمان بالله والقيام بطاعته ، وهو الأنسب لسياق الآية المعنوي ؛لأنّ فيها وَعداً من الله الذي لا يُخلف وَعده باستجابة الدعاء ، ولتأكيد هذه الاستجابة لا يمكن أن تكونَ(لعلّ) دالّةً على الترجّي أو الشكّ ، وإنّما هي بمعنى (كي) .

---

(١) الكتاب ١٤٨/٢، والمفصل ١٤٠ .
(٢) الكتاب ٢٣٣/٤ ، وشرح ابن عقيل ٣٤٦/١ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٣٢٩/١ ، وشرح قطر الندى وبل الصدى :ابن هشام الأنصاري ١٤٩ .
(٣) مغني اللبيب ٢٨٧/١ .
(٤) التبيان ١٧٥/٧ .
(٥) ينظر:
(٦) جامع البيان ١٥٨/٢ ـ ١٦١ .
(٧) البرهان في علوم القرآن ٩٣/١ .

ومنه أيضاً قوله تعالى :﴿ لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه :٤٤] ، فالحديث ُموّجه لموسى . عليه السلام . وأخيه هارون حين أمرهما الله أن يذهبا إلى فرعون ويدعواه إلى الإيمان بالله وبما جاءا به ((على الرجاء والطمع لا على اليأس من فلاحه ، فوقع التعبد لهما على هذا الوجه ؛ لأنّه أبلغ في دعائه إلى الحقّ بالحرص الذي يكون من الراجي للأمر ...))[1] .

٢. التعليل : إذ تأتي بمعنى (لام الغرض) ، أو بمعنى (لكي) من ذلك قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة : ٢١٩] ، فهي لدى الطوسي بمعنى: ((لكي تتفكّروا، وهي لام الغرض، وفي ذلك دلالة على أنّ الله تعالى أراد منهم التفكّر سواءً تفكّروا أو لم يتفكّروا))[3] ، وقد وردت (لعلّ) بهذه الدلالة في القرآن كثيراً[4] .

٣. التنبيه : ويدخل في باب الترجّي ، ومنه قوله تعالى :﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة :٧٣] ، فالمعنى : ((لتعقلوا ، وقد كانوا عقّالاً قبل ذلك ؛ لأنّ من لا عقل له لا تلزمه الحجّة ، لكنّه أراد تنبيههم ، وأن يقبلوا ما يدعون إليه ويطيعوه ويعرفوه حقّ معرفته))[5] ، فليست (لعلّ) هنا للترجي أو التعليل ؛ لأنّ التعقّل موجودٌ أصلاً ، ولكنّها أفادت التنبيه على ضرورة أخذ هذه الدعوة بالعقل والتدبير[6] .

٤ـ الشكّ : وعدّه ممّا لا يجوز على الله تعالى[7] ، وهو يدخلُ أيضاً في باب الترجّي ؛ لأنّ الترجّي يقوم أصلاً على الشكّ في توقّع حصول الشيء أو عدم حصوله . ومثاله قوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران : ١٣٢] . والمعنى : ((ينبغي للعباد أن يعملوا بطاعة الله على الرجاء للرحمة بدخول الجنة ... وفيها معنى الشكّ ، لكنّه للعباد دون الله تعالى))[8] ، وقيل :أي لترحموا فلا تعذّبوا[9] .

ويستدلّ النسفي[1](ت٧١٠هـ) من هذه الآية على أنّ بلوغ رضا الله ودخول الجنة ليس بالأعمال الصالحة فقط ، وإنّما هو برحمةٍ من الله سبحانه وتعالى ، فعلى الرغم من أنّ (لعلّ) في

---

(١) التبيان ١٧٥/٧ ، وينظر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز ٦٩٦/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٠/١١ ـ٢٠١ .
(٣) التبيان ٢١٤/٢ .
(٤) ينظر : البقرة : ٢١ ، ٥٢ ، ٦٥ ، ١٧٩، ١٥٠ ، آل عمران : ١٠٣ ، ١٢٣ ، المائدة : ٦ ، ٣٥ ، وغيرها كثير .
(٥) التبيان ٣٠٥/١ .
(٦) التفسير الكبير ١/ ٥٥٤/٣ .
(٧) التبيان ٥٨٨/٢ .
(٨) التبيان ٥٩٠/٢ .
(٩) جامع البيان ٩١/٤ .
(١) مدارك التنزيل ١٧٨/١ .

القرآن تُفيد التحقيق ، لكنّ إصابة رِضا الله أمرٌ صَعبُ الوُصول دقيقُ المسلك ، فالسَعيد من رَحمه الله ، والشَقيُ من أخرَجه من رَحمته .

جـ . دلالة (كَم) الخبرية و (رُبّ) :

و(كَم) الخبرية هي كناية عن العَدد المُبْهم ، تدلّ على الكَثرة ، وَيستَعملها من يُريد التفاخر والتكثير[٢] . وسُمّيت خَبريّة ؛ لأنها تَحتَمل الصدق والكَذب خلافاً لـ(كَم) الاستفهاميّة الطَلَبية ، والفرق بينهما أنّه في الاستفهاميّة يُسأل عن عددٍ مُبهَمٍ يُراد معرفتُه نحو : كَمْ رجُلاً عندكَ ؟ ويكون مُمَيّزها مَنصوباً ، وفي الخَبريّة تُخبِر عن عددٍ كثيرٍ ، نحو : كَمْ رجلٍ عندكَ ، ويكون مميّزها مَجروراً . وتأتي (كَم) في الخَبر بمعنى (رُبّ) ، غير أنّ (كَم) اسم و(رُبّ) حَرف جرٍّ فما بَعد (كَم) يجوز فيه الرفع والجر ، وما بَعد (رُبّ) لا يجوز فيه إلاّ الجرّ[٣] .

وقد فرّق الطوسي بينَ دَلالة هذين الحرفين ، حين فسّر قوله تعالى :﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء : ١٧] .إذ قال : (((كَم) يُفيد التكثير ضدّ (رُبّ) الذي يُفيد التقليل))[٤]، وأشارَ إلى هذه المقابلة المعنوية بين(كم) الخبرية و(ربّ) قبلَه الرمّاني[٥] وتُعرَفُ هذه المقابلةُ في اللغة باسم (الحَمْل على النَقيض) إذ يُحمَل الشيء على ضدِّه[٦].

وتُعرَب (كَم) مَفعولاً للفعل :أهلكنا ، وجاءت (مِن) هنا لتُبين إبهامَها ، والمعنى كثيراً من القرون[٧] . إذ تصف الآية كثرة الأقوام الذين كفروا وحلَّ بهم البَوار، وفيها تخويف لكفّار مكّة ووعيد من الله تعالى وتهديد لهم بالعقاب ،وإعلامٌ منه أنّهم إن لم يَنتهوا عمّا هُم عليه مُقيمون من تكذيبهم رسوله عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه الكرام[٨] ، فإنّهم مهلكون كما أهلك السابقون .

المبحث الثاني

دلالـة الجملـة

---

[٢] شرح المفصل ١٢٦/٤،وشرح قطر الندى٢٤٠، وشرح شذور الذهب ٥٤٦، وينظر: معاني النحو ٤٣٢/٢ ـ٤٣٣
[٣] الكتاب ١٥٦/٢ ، ١٦١ ، ١٧٠ ، والمقتضب ٦٥/٣ ـ ٦٦ .
[٤] التبيان ٦/ ٤٦٢ .
[٥] الحدود في النحو ٣٨ .
[٦] دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء : بتول قاسم ناصر ٣٣
[٧] مدارك التنزيل ٤٥/٣ .
[٨] ينظر :جامع البيان ١٥ /٥٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/١٠ .

الجُملة في تعريف النُحاة هي الكلام الذي يتَركّب من كلَمتين أو أكثر ولهُ معنىً مُفيد مُستقل[1]. وتقوم على أساس التركيب الإسنادي الذي يُعدّ من أهمّ أنواع التركيب في العربية ، ويقوم أيضاً على رُكنين أساسين لاغنى له عنهما ، هما : المسند والمسند إليه .

وقد عُني علماء العربية بدراسة الجُملة وأشاروا إلى أنواعها ومكّوناتها ودَلالاتها وإعرابها[2]، وعدّها المحدثون أساس الدراسات الدلالية الحديثة[3] فبموجَبها تتحدّد دَلالة الألفاظ المُفردة ، وتتغيّر الروابط التي تربطُها ، ثمّ يتحدّد المعنى العام الذي ربّما يوحي إلى معنىً آخر يمثّل الدلالة المَقصودة .

وقد قسّم القدماء الجُملة بحَسب أركان إسنادها على أربعة أقسام : الإسميّة والفعليّة ، وأضاف إليهما ابن السراج الظَرفّية حين عدّها قسماً مستقلاً ، كما أضاف الزمخشري القسم الرابع وهو الجملة الشرطّية ، إذ اتخذوا صدرَ الجملة معياراً لتحديد نوع الجملة . وقد ذكر ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) هذه الأقسام ، فقال ((الإسمية هي التي صدرُها اسم، كزيد قائم، وهيهات العقيق ... والفعلية هي التي صدرُها فعل ، كقامَ زيد وضُرِبَ اللص ...والظرفّية هي المصدَّرة بظرفٍ أو جارٍّ ومجرورٍ ، نحو: أ عندكَ زيد؟ ، وأ في الدار زيد؟ إذا قدَّرتَ زيداً فاعلاً بالظرف والجارِّ والمجرور ، لا بالاستقرار المَحذوف ولامبتدأً مُخبَراً عنه بهما ، ومثّل الزمخشري لذلك بفي الدار من قولك: زيدٌ في الدار، وهو مَبني على أنّ الاستقرار المقدّر فعلٌ لا اسمٌ وعلى أنّه حذف وحده ، وانتقل الضمير إلى الظروف بعد أن عمِلَ فيه . وزاد الزمخشري وغيره الجملة الشرطية ، والصواب أنّها من قبيل الفعلّية))[4].

وقد عُني أغلب النحاة الأوائل بدلالة الجملتين الاسميّة والفعلّية ، وربطوا هاتين الدلالتين بالشكل التكويني لكلٍّ منهما . فالمُصدّرة بالاسم تعدُّ جملةً اسميةً، وتكتسب من تصدُّر الاسم الدلالة على الاستقرار والثبوت . أمّا المُصدّرة بالفعل فهي جملة فعلّية تكتسب من تصدّر الفعل الدلالة على التغيّر والحدوث[5].

وقد أشار ابن جني إلى هذا الفرق الدلالي فقال : ((فقولُك : إذا زُرتَني فأنا ممّن يُحسِن إليك ، أي فحريٌّ بي أن أُحسِن إليكَ ، ولو جاء بالفعل مُصارحاً به فقال : إذا زرتَني أحسنتُ إليكَ لم يكن في لفظهِ ذكرُ عادتهِ التي يَستعملُها من الإحسان إلى زائرِه ، وجاز أيضاً أن يُظنَّ به عَجْزاً أو فُتوراً دونه، فإذا ذكر أنّ ذلك عادتَه ومظنّة منه ، كانت النفوس إلى وقوعه أسكن وبه أوثق ،

(١) ينظر: المقتضب ٨/١ ، وشرح ابن عقيل ١ / ١٤ ، ومغني اللبيب ٣٧٤/٢.
(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٨٩ ، ١١٣ .
(٣) علم الدلالة (بالمر)٤٦ .
(٤) مغني اللبيب ٢ / ٣٧٦ ، وينظر : الدلالة في النحو العربي ٨٣ .
(٥) الدلالة في النحو العربي ٨٤ .

فاعرف هذه المعاريض في القول ، ولا ترينّها تصرّفاً واتساعاً في اللغة المجرّدة عن الأغراض المُراد فيها ،والمعاني المُحوّلة عليها))[1] .

ويفرّق المحدثون بينهما على أساس النسبة بين المُسند والمُسند إليه ، فالجملة الاسمية هي التي تعبّر عن نسبة صفةٍ شيءٍ ، نحو : البيت جديد ، وزيد حكيم ، فكلا الطرفين اسم ، أمّا الفعلّية فهي التي تعبّر عن حدَثٍ مُسندٍ إلى زمن منسوبٍ إلى الفاعل[2] . نحو: قرأ محمد .

أمّا فيما يَخصّ الجملة الظرفية ورأي ابن السراج في استقلاليتها، فقد أيّده من القدماء أبو علي الفارسي وعدّه مذهباً حسناً[3] .

وقد لقي استقلال الجملة الشرطية قَبولاً وتأييداً لدى المحدثين أكثر ممّا لقيته الجُملة الظرفّية ، فعلى الرغم من أنّ أغلبهم يعدّون الجملة الشرطّية من قبيل الفعلّية ، غير أنّ طائفة منهم يفصِلون الشرطّية عن الفعلّية ؛ لأنّ المعنى النحوي المُستفاد من الجملة الشرطّية يختلف عن المعنى النحوي المُستفاد من الجملة الفعلّية ، فالأولى تدلّ على (الحُكْم بالنسبةِ) ،والثانية تدلّ على نسبةِ الحدَث إلى الفاعل .

ومعيار الفصل بين الجملتين هو مبدأ تعلق جملة الشرط بجملة الجزاء ، إذ يتعلّق الحُكم الذي يتضمّنه الجزاء بالحُكم الذي يتضمّنه الشرط ، فالنسبة بينهما إذن تعليقية[4] . فلا تظهر دَلالة الجملة ((من عَلاقة الفعل المُسند إليه أو عَلاقة المَبني بالمَبني عليه ، وإنّما هي عَلاقة جملة بجملة أخرى قد تأتي فعلّية أو اسمّية ، وقد تكون خبرّية أو إنشائّية ، فإن دلالة هذه الجملة مُكتسَبة إذن من طبيعة تركيبها))[5] .

وقد عُني الطوسي بالجمل الاسمّية والفعلّية والشرطّية ، ولم يَرِد عنه ما يُشير إلى استقلالية الجملة الشرطية ، غير أنّ عنايته بها وبأحكامِها ودَلالاتها دعا البحث لدراستها على نحو مستقل ليتبيّن جهده الدلالي المميّز في دراسة هذه الجملة ، ولم يرد له رأي حول الجملة الظرفية .

(١) دلالة الجملة الاسمية :

يتّفق علماء العربية على أنّ الجملة الاسمية تدلّ على الثبوت والدوام في الخبر الذي تُخبِر به ، يقول عبد القاهر الجرجاني : ((إنّ موضوع الاسم على أن يثُبت به المعنى للشيء من غير أن يقتَضي تجدّده شيئاً بعد شيء ، وأمّا الفعل فموضوعه على أنّه يقتضي تجدّد المعنى المثبت

---

(١) المحتسب ٢٧٤/٢ ، وينظر أثر المعنى في الدراسات النحوية ٣١٨ .
(٢) ينظر: اللغة ١٦٢ ـ ١٦٣ ، والبحث النحوي عند الأصوليين ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .
(٢) المسائل العسكريات ٨٣ ـ ٨٤ ، وينظر : أثر المعنى في الدراسات النحوية ٣١٨ .
(٤) البحث النحوي عند الأصوليين ٢٥٦ ـ ٢٥٨ .
(٥) الدلالة في النحو العربي : ٨٤ .

به شيئاً بعد شيء))[1] ، إذ وُضِعت الجملة الاسمية للإخبار بثُبوت المُسند للمُسند إليه ، بلا دَلالة على تجدّد أو استمرار .

وقد أشار الطوسي إلى هذه الدلالة في أكثر من موضع في تفسيره ، منها :

أ . قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة:٤٠] فقد ذكَر الطوسي فيه قراءتين ، بنصب (كلمة) الثانية ورفعها[2] . ووجّه القراءتين فقال : ((قرأ يَعقوب وحدَه ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ بالنصب ، على تقدير :وجعل كلمةَ الله هي العليا . ومن رفَع أستأنفَ،وهو أبلغ ُ ؛ لأنّه يفيد أنّ كلمة الله هي العليا على كلّ حال))[3] فبالرفع تكون الجملة اسمية ، وبالنصب تكون فعلية ، والاسميّة أرجح وأبلغ ؛لأنها تدلّ على دوام عُلّو كلمة الله وثبوتها في كل حالٍ وزمان ، على حين تدلّ الفعلّية على احتمال تجدّد علّوها وتغّيره وعدم استمراره .وهو ما ثبت في أكثر من تفسير[4] .

ب . قوله تعالى :﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ... ﴾[البقرة : ٧٩] فقد ذكر فيها وجهين: برفع (ويل) ونصبها. قال : ((ولو كان في غير القرآن ، لجاز بالنصب على معنى :جعل الله ويلاً للذين ، والرفع على معنى ثبوت الويل للذين))[5] . أي إنّ الجملة الاسمية المقدّرة : هذا ويلٌ أو هو ويلٌ ، دلّت على ثُبوت الويل للكافرين ودوامه على وَجه الدُعاء عليهم . وقد عدّ القراءة بالنصب ممّا لا يجوز في القرآن ؛لأنّها لم ترِد في كتاب الله إلاّ مرفوعة ، ومنه قوله: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين : ١] . فكلّ ذلك ورَدت (ويلٌ) فيه مرفوعةً ؛ لأنّه دعاء بثبوت الويل والعقاب لكلّ من عصى الله[6] ، والويل كلمة جامعة للشّر كلّه تأتي للتَقبيح في نحو قوله : ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٨] ، وتأتي للتحسّر والتفّجع[1] ، نحو قوله تعالى على لسان هابيل: ﴿يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾[المائدة:٣١] .

---

(١) دلائل الإعجاز ١٨٢ ، وينظر : معاني الأبنية ٩ ، والدلالة في النحو العربي٨٣ ـ ٨٤ ، وفي النحو العربي : قواعد وتطبيق ٨٦ ، والصيغ الزمنية في اللغة العربية: مالك المطلبي٨٤ .

(٢) قرأها يعقوب بنصب التاء من (كلمة) ، وقرأ الباقون بالرفع . النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ٢٧٩/٢ .

(٣) التبيان ٢٢١/٥ .

(٤) ينظر جامع البيان ١٣٧/١٠ ، والجامع لأحكام القرآن١٤٩/٨ ، وروح المعاني ٩٩/١٠ .

(٥) التبيان ٣٢١/١ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٨/٢ ، وروح المعاني ٣٠٢/١ .

(١) تأويل شكل القرآن ٤٢٤ ،

ج . قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ، فقد منَع الطوسي قراءته بنصب (أحياء) ، فقال: ((وقوله : (بل أحياء) رُفِع على أنه خبر الابتداء ، وتقديره : بل هُم أحياءٌ ، ولا يجوز فيه النصب بحال ؛ لأنه كان يصير المعنى : بل احسبْنهم أحياء ، والمُراد :بل اعلَمهم أحياء))[٢] ؛ لأنّ في النصب دَلالة على عدم اليقين من وُجودهم أحياءً ، بل هو ظنٌ وحُسبان ، وفي الرفعً دلالة على اليقين من ذلك ؛ لأنّ العلم يقينٌ ، واليقين ثبوتٌ واستقرارٌ؛ لذا فإنّ رفع (أحياء) على أنها خبر لمبتدأ محذوف ، يدلّ على ثبوت الحياة ودوامِها للشهداء في جنّات النعيم ، وهو ما حقّقته الجملة الاسمية[٣] .

د . قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة : ٣٨] فقد أكّد الطوسي دلالة الآية على ((عُموم وجوب القطع على مَن يكون سارقاً أو سارقة ...))[٤] ، فالجواب ثبوتُ الحكم والدوامِ عليه وهو مُستفاد من الصيغة الاسمية للجُملة ؛ أمّا العُموم فمُستفاد من دخول (أل) التعريف على المبتدأ ، فقد أفادَ استيعاب كلّ سارقٍ وسارقةٍ؛ لأنّ الألف واللام ((إذا دخلا على الأسماء المشتقّة أفادا الاستغراق ...))[٥] . وذكر في قراءتها وجهين[٦] :

الرفع والنصب ، وقد أجاز سيبويه النصب [٧] ، كما أجازالفرّاء الوجهين[٨] ، غير أنّه رجّح الرفَع ؛ لأنّ معناه الجزاء وتقديره : مَن سرقَ فاقطَعوا يدَه ، وهي المرجّحة لدى الشيخ أيضاً ؛ لأنّ الجملة اسمية تكون بالرفعويتحقّق بها الثبوت والوجوب ، وهو رأي الطبرسي[٩] والرازي[١٠] أيضاً .

(٢) دلالة الجملة الفعلية :

مفادُها الإخبار بُطلق العَمل مَقروناً بالزمان من غير أن يكون مبالغةً وتوكيداً[١] . إذ تدلّ على عدّة صورٍ من الأحداث والأزمان الدالّة عل التغّير والتجدّد ، فهي موضوعة لتصوير الحَدث في الماضي أو الحال أو المستقبل ، فتدلّ على تجدّد سابقٍ أو حاضرٍ أو آتٍ[٢] .

---

[٢] التبيان ٤٦/٣ ـ ٤٧ .
[٣] ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧٣/٢ ، وروح المعاني ١٢١/٤ .
[٤] و[٥] التبيان ٥١٥/٣ .
[٦] قرأها عيسى بن عمر وابن أبي عبلة بالنصب ، وقرأها الباقون بالرفع ،ينظر : البحر المحيط ٤٧٦/٣
[٧] الكتاب ١٤٣/١ ـ ١٤٤ ، وينظر البحر المحيط٤٧٦/٣ .
[٨] معاني القرآن للفراء ٣٠٦/١ .
[٩] مجمع البيان ٥١٤/٣ .
[١٠] التفسير الكبير ٣٥١/١١/٤ .
[١] أساليب بلاغية :احمد مطلوب١٤٢ .
[٢] الكليات ١٥٣/٢ ـ ١٥٤ ، وينظر: الجملة الفعلية ودلالتها في آيات الآخرة:مجيد طارش عبد ٧٢ .

وتكتسب هذه الدلالة من الفعل الذي ((يقتضي تجدّد المعنى شيئاً بعد شيء))[٣] . وهو بصيغه الثلاث يُشعر بالحُدوث ، ففي الماضي انقضاء للحَدَث ، وفي المضارع حُدوث واستمرار، وقد يكون حضوراً ومشاهدةً حاليةً ، أو يكون لاحقاً ومواعدةً مستقبليةً[٤] . ولكنّ هذه الدلالات غير ثابتة بل تتغيّر بتغيّر سياقات الأفعال وتراكيبها .

وقد عُني القدماء[٥] والمحدثون[٦] باستعمال الأفعال وتنوّعه ووقفوا عند دلالته ومعانيه . ومنهم الطوسي الذي كان له وقفات دلالية وتحليلات فكرّية بنّاءة نقف على أهمّها فيما يأتي :

أ . **الدلالة على تجدّد الحدث آناً بعد آن** : ومنه قوله تعالى :﴿ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال : ٥٦] . إذ يعلّل الشيخ مجيء الفعل المضارع معطوفاً على الماضي فيقول ((وقوله تعالى: (ثم ينقضون) عطف المستقبل على الماضي ؛ لأنّ الغرض أنّ من شأنهم نقضَ العهد مرّة بعد أخرى ، في مستقبل أوقاتهم بعد العهد إليهم ...))[٧] . ويدلّ المضارع على تجدّد نقضهم للعهد حالاً ومستقبلاً ؛ لأنّ هذا سلوكهم وخلقهم الذي لا يبدّلونه[٨] .

ومنه أيضاً قوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[الحج :٢٥] وقوله :﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد : ٣٠] ، إذ عطف المضارع على الماضي للدلالة على أنّ شأن الكفّار أن يصدّوا عن سبيل الله في كلّ حين ، وإنّ شأن المؤمنين أن تطمئنّ قلوبهم بذكر الله في كلّ حين[٩] .

ب . **الدلالة على تقريب الحَدَث والإشعار بتحقّق وقوعه**[١] :ويتجلّى هذا في استعمال القرآن الكريم للفعل الماضي في تصوير أحداثٍ لم تقع بعد ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل : ١] فقد عبّر عن مجئ يوم الساعة بالفعل الماضي ، وهو لم يأتِ بعد ، قال الطوسي : ((وإنّما قال : (أتى أمر الله) ولم يقل : يأتي ؛ لأنّ الله تعالى قرّب أمر الساعة

---

(٣) دلائل الإعجاز ١٨٢ .
(٤) البرهان الكاشف : ابن الزملكاني ١٤٠ .
(٥) ينظر:تنزيه القرآن عن المطاعن :القاضي عبد الجبار الأسد آبادي١٢٥ ،ودلائل الإعجاز ١٨٢-١٨٥.
(٦) ينظر:الفعل زمانه وأبنيته : ابراهيم السامرائي ، والدلالة الزمنية في الجملة العربية :علي جابر المنصوري ، ومعجم الجملة القرآنية (القسم الثاني: الدلالة الزمنية للأفعال في القرآن الكريم):طالب اسماعيل الزوبعي .
(٧) التبيان ١٤٣/٥ ، وينظر: منهج الطوسي ٣٥٠ .
(٨) ينظر: التفسير الكبير ٤٩٧/١٥/٥ ، وروح المعاني ٢٢/١٠ .
(٩) التبيان٣٠٦/٧ .
(١) منهج الطوسي ٣٥٠ .

فجعلها كلَمح البصر ، فقال : ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾[٢] ، وقال ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[٣]وكلّ ما هو آتٍ قريب ، فعبّر بلفظ الماضي ليكون أبلغ في الموعظة))[٤]ويعضّد هذه الدلالة العميقة ما يكتنف الكلام من سياقات وقرائن دلالية مختلفة، وهو ما ذهب إليه غير واحد من المفسرين[٥] .

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾[الأعراف:٤٤] وقوله ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنعام : ٣٠] ، إذ استعمل الماضي في تصوير أحداثٍ مستقبلّية لغَرض تقريبِها واستحضار صورها وكأّنها حادثةٌ لا َمحال[٦] .

ومما دلّ على التقريب أيضاً ، قوله تعالى : ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾[الأنفال : ٤٤] . إذ قال الطوسي : ((والمعنى يكون َمفعولاً في المستقبل ، لتحقيق كونه لا َمحال حتى صارَ بمنزلة ما قد كان إذا قد علم الله أّنه كائن لا َمحالة))[٧] .

ج . **الدلالة على سرعة وقوع الفعل** : ومن ذلك قوله تعالى :﴿ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر : ٦٨]، فقد اجتمعت إذا الفجائية مع الفعل المضارع للدلالة على قُدرة الله تعالى على سُرعة إيجاد الناس يوم القيامة وَبعثهم [٨]

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم : ٢٥] فقد َعبّر بأمر القيام والَبعث للحساب بالدعوة أو الدعاء ، والمعنى : ((أخرَجكم من الأرض من قُبوركم بعد أن كنتُم أمواتاً يبعثكم ليوم الحساب ، فعّبر عن ذلك بما هو بمنزلة الدعاء ، وبمنزلة (كُنْ فَيَكون) في سُرعة تأتّي ذلك وامتناع التَعذّر عليه ...))[١] . وفي الكلام دلالةٌ على سرعة استجابة المأمورين لأمر الله من غير توقّف ولا تلّبث ، فإذا نادى الُمنادي : يا أهل القبور قوموا ، فلا تبقى نسمةٌ من الأّولين والآخرين إلاّ قامت ُمتثَلة لأمر الله[٢].

---

(٢) النحل : ٧٧

(٣) الإسراء : ١.

(٤) التبيان ٣٥٨/٦ .

(٥) ينظر معاني القرآن الكريم ٥٠/٤ ، والتفسير الكبير ١٦٨/١٩/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٦٥/١٠ .

(٦) التبيان ٦٥/٢ .

(٧) التبيان ١٣١/٥ .

(٨) التبيان ٤٦/٩ ـ ٤٧ .

(١) التبيان ٢٤٣/٩ .

(٢) ينظر: الكشاف٢١٩/٣ـ٢٢٠.

وقد يأتي فعل الأمر على غير دلالته الأصلية ، إذ لا يدلّ على الأمر الحقيقي بل على سُرعة وقوع الفعل وسُهولة تحققه ، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة : ٦٥] فلم يأتِ الأمر على وجه الحقيقة ، وإنّما هو((إخبارٌ عن سُرعة فعله ومسخه إيّاهم))[3] ، وذلك ؛((لأنّه تعالى لا يأمر المعدوم ، وإنّما هو إخبار عن تسهيل الفعل))[4] .

د . **الدلالة على المبالغة في تصوير الفعل وتفخيم أثره** :ويتحقّق هذا بإسناد الفعل إلى غير فاعلِه ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأنعام : ١٠٤] . فالبصائر جمع بصيرة ، وهي أمر معنوي لا يصحّ إسناد المجيء إليه ، قال الطوسي في ذلك : ((وإنّما وُصِفت الدلالة . أي البصيرة . بأنّها جائية ، وإن كان لا يجوز أن يُقال :جاءت الحركة ، ولا جاء السكون ، ولا الاعتماد وغير ذلك من الأغراض ؛ لتفخيم شأن الدلالة ، حيث كانت بمنزلة الغائب المتوقّع حضوره للنفس ، كما يقال : جاءتْ العافية ، وانصرفَ المرض ، وأقبلَ السعدُ ، وأدبرَ النحس))[5] . والبصائر هنا هي نزول المطر وخُروج النبات والحَبّ المُتراكم ، وجنّات النخيل والأعناب والزيتون ، وخلق الإنسان والموجودات ، وهي في أنفسها بصائر[6] ؛ لقوّة دلالتها على الخالق ، فهي توجِب البصائر لمن عرفها ووقف على حقيقتِها ، ولقوّة دلالتِها فقد وُصِف بأوصاف الأحياء من مجيءٍ وحركةٍ .

ومنه أيضاً قوله تعالى :﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان : ١٢] ، وعلّل الطوسي إسناد الرؤية إلى النار فقال : ((ونسبَ الرؤية إلى النار ، وإنّما هم يَرَوْنَها ؛ لأنّ ذلك أبلغُ ، كأنّها تراهُم رؤيةَ الغضبان الذي يَزفُر غيظاً ، فهُم يرونها على تلك الصفة ، ويسمعون منها تلك الحال الهائلة))[7] .

(٣)دلالة الجملة الشرطية :

الشرط أسلوب إخباري يحتمل الصدق والكذب مقّيد التعليق ، وهو وقوع الشيء لوقوع غيره فإذا وُجِد الأوّل وُجِد الثاني[1].

---

[3] التبيان ٢٩٠/١ ، و ينظر:التفسير الكبير ٥٤١/٣/١ .
[4] التبيان ١٧/٥ .
[5] التبيان ٢٢٦/٤ ، وينظر ١٨٩/٢ .
[6] التفسير الكبير ١٣/٥ / ١٠٤ ـ ١٠٥ .
[7] التبيان ٤٧٥/٧ .
[1] ينظر : المقتضب ٢ / ٤٦ ، والأصول في النحو ٢ / ١٥٨ ، والتعريفات ٧٣ .

ويقتضي الشرط وجود جملتين : الأولى فعلّية وتُسّمى جملة الشرط ، والثانية إّما اسمية أو فعلّية ، وتسّمى جملة الجزاء أو جواب الشرط .وترتبط الجملتان ارتباطاً سببياً ، فإذا قلت : إن تأتني أُعطك دِرهماً فالإتيان سبب العطّية ، والعطّية مترتّبة على الإتيان متسبّبة عنه[٢].

وقد سبقت الإشارة إلى أّن نسبة التعليق التي اختص بها الشرط هي التي دعت الزمخشري إلى جعل الجملة الشرطية قسماً مستقلاً عن الجملة الفعلية .

وقد ُعني الطوسي بهذه الجملة ودلالاتها وأحوال أفعالها عنايةً فائقةً تتجلّى في الجوانب الآتية :

١ . أشارَ إلى أّن الشرط لايتّم معناه إلا بجزائه ، وشّبه العلاقة بينهما بالعلاقة بين المبتدأ والخبر ، فقال : ((الجزاء وجوابه بمنزلة المبتدأ والخبر؛ لأّن الشرط لايتّم إلا بجزائه ، كما لايتّم المبتدأ إلا بخَبره ، ألا ترى أّنك لو قلتَ : إن تقُم ، وتَسكتْ ، لم يجرِ ، كما لو قلتَ : زيدٌ ، لم يكُن كلاماً حتى تأتَي بالخبر))[٣]. وهو يوجب مجيء الجزاء بعد الشرط بلا فصل أو تراخٍ ، ولذا جاز أن يكون الجزاء بالفاء ، ولم يجز بـ(ثّم) ، ((لأّنها للتراخي بين الشيئين ، وذلك نحو قولك : إن تأتني فلكَ درهم ، فوجوب الدرهم بالاتيان عقيبه بلا فصل ...))[٤] .

ويشبه الطوسي الجملة الشرطية بالجملة الإسمية المركّبة من جملتين من حيث التكوين الخارجي ومن حيث التعلق والارتباط ، فيسّميها : االشرطّية المركّبة ، وذلك حين أعرب قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨]، فقال :((وقوله : (**إّما يأتينّكم**) شرط وجوابه الفاء ، وما بعد قوله : (**فمن**) شرط آخر ، وجوابه الذي بعده من قوله : (فلا خوف عليهم) ، وهو نظير المبتدأ والخبر الذي يكون خبره مبتدأ وخبراً ، وهذا في مُقدّمات القياسات يُسّمى الشرطّية المركّبة ، وذلك أّن المقدّم فيها إذا وَجبَ ، وَجبَ التالي المُترّتب عليه))[٥] . فهو يعتمد القياس في تسمية هذه الجملة ، وهو الأصل الثاني من أصول النحو المهمة .

وقد استعمل مصطلح الجملة المركّبة ابن السراج في باب المبتدأ والخبر[١]. وذكرها بعده ابن يعيش في باب الاشتغال ،إذ قسمها على جملتين: الكبرى التي تضّم داخلها جملةً صغرى ،ومثل للأولى بقول القائل: زيدٌ لقيته ،وللثانية بجملة الخبر: لقيته[٢] . وقال ابن هشام فيها : ((الكبرى هي الاسمّية

---

(٢) الأصول في النحو ٢/ ١٥٨ .
(٣) التبيان ١ / ١٧٤ ، وينظر : الأصول في النحو ٢/ ١٥٨ .
(٤) التبيان ٢ / ٥١٦ ـ ٥١٧ .
(٥) التبيان ١ / ١٧٤ ، وينظر : منهج الطوسي ٣١٥ .
(١) الأصول في النحو ١ / ٦٤ ، وينظر : أثر المعنى في الدراسات النحوية ٣١٩ .
(٢) شرح المفصل ٢ / ٣٣ .

التي خبرها جملة ، نحو (زيدٌ قائم أبوه ُ) و(زيدٌ أبوه ُ قائم) . والصغرى هي المبنّية على المبتدأ كالجملة المُخبَر عنها في المثالين))[٣]. ثم قسّم الكبرى على قسمين ((ذات الوجهين : هي اسميّة الصدر وفعليّة العجز نحو: (زيدٌ يقوم أبوه ُ ،)وينبغي أن يُ راد عكس ذلك في نحو :(ظننتُ زيداً أبوه ُ قائم)...وذات الوجه نحو: (زيدٌ أبوه ُ قائم) ، ومثله على ما قدّمنا نحو: (ظننت زيداً يقوم أبوه)...)) [٤].

٢ . يقتضي الشرط شكّ المُخبِر في صِدْق الخَبر ، ولذا يدخله التوكيد مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١] ، إذ دخل الجملة توكيدان :(إنّ واللام) ؛ لأنّ الحديث عن وجوب ترك أكل الميتة ، و((من استحل الميتة كافر بالإجماع ، ومن أكلها محرّماً مختاراً فهو فاسق ...))[٥] ، ولدحض أدنى شك في وجوب الترك أم جواز الأكل جاء التأكيدان بما يُعطي الحُكْم صفته القطعية .

وقد يدخل القسم والتوكيد معاً في جملة الشرط ، إن كان المُخاطَب مُنكِراً إنكاراً تاماً للخبر ، من ذلك قوله تعالى على لسان أخوة يوسف: ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾ [يوسف: ١٤] ، فلأجل إقناع أبيهم المُنكِر لأعذارِهم أقسموا على ما قالوه ، إذ ((اللام في قوله (لَئِن) هي التي يُتلقّى بها القَسَم ، فكأنّهم أقسموا على ما قالوه ، وأعظم الخُسران ما يَذهب بالثواب ويؤدّي إلى العقاب ، فلذلك أقسموا عليه...))[٦] . والتقدير :والله لَئِن أكله الذئب إنّا إذاً لَخاسرون ، ودخلت اللام لتأكيد كون الشرط مُستلزِماً للجزاء[٧] .

وعلى الرغم من أنّ الجملة الشرطية تقتضي الشكّ ، إلا أنّها استُعمِلت في التعبير القرآني في الإخبار عن الله تعالى ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[الأنفال: ٢٩]، ويعلّل الطوسي ذلك بقوله: ((لأنّ الله تعالى يُعامِل عباده في الجزاء مُعاملة الشاكّ للمُظاهرة في العَدل ، ولذلك جازت صفة الابتلاء والإخبار ، لِما في ذلك من البّينات أنّ الجزاء على ما يَظهر من الفعل ، دون ما في المعلوم مما لم يقع منه))[١]. إذ يُجازي الله عبادَه على قَدر أفعالهم ،على الرغم من عِلمه بما سيكون منهم ، وإنّما استعمل أسلوب الشرط ترهيباً وترغيباً وإظهاراً لحكم الله العادل وصيغة تعامله مع عباده . ولذا يختبر الله عباده ويبتليهم

---

[٣] مغني اللبيب ٢ / ٣٨٠ ، وينظر : أثر المعنى في الدراسات النحوية ٣١٩
[٤] المصدر نفسه ٣٨٢/٢ .
[٥] التبيان ٤ / ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .
[٦] التبيان ٦ / ١٠٨ .
[٧] ينظر : الكشاف ٣٠٦/٣ ، والتفسير الكبير ٦ / ١٨ / ٤٢٦ ـ ٤٢٧ .
[١] التبيان ٥ / ١٠٨ .

ليرى أعمالهم فيحاسبهم على ما يقع من أفعالهم ، وليس على ما اطّلع عليه في دواخلهم ممّا لم يقع بعد منهم .

٣ . ذهب النحاة إلى أنّ الشرط يفيد الاستقبال وإن كان فعله ماضياً ؛لأنّ أدواته تقلب الماضي إلى المُستقبل[٢] ، وقد أشار الطوسي إلى هذا المعنى[٣] ، ولذا كان يؤوّل كلّ فعل ماضٍ في الشرط بطريقة أو بأخرى بالدلالة على المستقبل ، كما أنّه صرّح بأنّ ((حرف الجزاء لمّا كان يعمل في الفعل قوِيَ على نقله من الماضي إلى الاستقبال))[٤].

ومثاله قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[آل عمران: ٨٢] ، فمعنى الآية يوجب أن يكون الشرط وجزاؤه في المستقبل ، لكنّ الفعل فيها ورد بصيغة الماضي ، وقد أوّله الطوسي فقال: ((إنْ كان شرطاً وجزاءً في المستقبل فانّ الماضي يدخل فيه من وجهين :

أحدهما :أن يكون تقديره : فمن يصحُّ أنّه تولّى . كما قال ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ ﴾[٥] ، أي إن يصحّ أنّ ﴿قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ﴾ . **والآخر** : مساواة الماضي للمستقبل فيدخل في دلالته ...))[٦] ، ونسب مثل هذا القول في موضع آخر لابن السراج[٧] .

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾[الحشر:١٢]، إذ قال في تأويل مجيء الفعل ماضياً أنّه ((جاء على تقدير المستقبل كما يجيء في الماضي بـ(لو) ؛ لتبيين خَورِهم وضَعْفِ قلوبِهم ...))[٨]، وكأنّ تقدير الكلام : لو نصروهم لولّوا الأدبار وكأنّه قد وقع .

ويعلّل مجيء الماضي في الشرط بالدلالة على تحقّق وقوع الفعل ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير:١] ، ففي هذه الآية وما يماثلها تجد ((اللفظ وإن كان ماضياً فالمراد به الاستقبال ؛ لأنّه إذا أخبر تعالى بشيءٍ فلا بُدّ من كونه ، فكأنّه واقعٌ ، والفعل الماضي

---

[٢] شرح التصريح على التوضيح : خالد الأزهري ٢ / ٢٤٩ ، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٢ / ١٢٢ ، وينظر : معاني النحو ٤ / ٤٤٢ .
[٣] التبيان ٣ / ٤١ ـ ٤٢ .
[٤] التبيان ٢ /٥١٧ ، وينظر ٤ / ٥٢٤ .
[٥] يوسف :٢٦ .
[٦] التبيان ٢ / ٥١٦ .
[٧] التبيان ٦ / ١٢٧ ، وينظر : الأصول في النحو ٢ / ١٩٠ ـ ١٩٢ .
[٨] التبيان ٩ / ٥٦٩ .

يكون بمعنى المستقبل في الشرط والجزاء ، وفي أفعال الله ، وفي الدعاء كقولك : حفظكَ الله وأطالَ بقاءك))[1] .

وقد يُقابل بين فعلَيْ الشرط فيأتي بالماضي في مُقابل الأمر الدالّ على الاستقبال في مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ [الأنعام : ١٤٧] ، وإنّما كان ذلك ((لتأكيد وقوع القول بعد التكذيب ، إذ كونُه جواباً يدلّ على ذلك))[2].

ولايُستبعد أن يدلّ الشرط على المضي بكان وبغيرها ، ففي التعبير القرآني عدّة نماذجَ لذلك ، أشار إليها طائفة من العلماء المتأخرين ، وأكّدوا أنّ هذه الدلالة تفيد تحقّق وقوع الحدَث[3] .

ويلحظ أنّ تحليلات الطوسي لدَلالة أفعال الشرط تُشابه تحليلاته لدَلالة الأفعال في غير الشرط ، ممّا يؤكّد جعله الجملة الشرطية نوعاً من الجملة الفعلية ، وليس قسماً مستقلاً بنفسه .

عوارض بناء الجملة :

تتعرّض بنية الجملة العربية لعدد من التغييرات التي يَقتَضيها التعبير عن المعاني المختلفة منها : التقديم والتأخير ، الذكر والحذف ، الفصل والوصل ، الإيجاز والإطناب ، وكانت هذه

---

(1) التبيان ١٠ / ٢٨٠ .
(2) التبيان ٤ / ٣٠٨ .
(3) شرح الكافية ٢ / ٢٩٣ ، وبدائع الفوائد ١ /٤٥ ، وينظر: معاني النحو ٤٤٢ ـ ٤٤٧ .

العوارض محطّ عناية علماء اللغة عامة ، وعلماء النحو خاصة ، فتناولوها بالتحليل والتعليل وسَعوا للكشف عن دَلالتها المُتنوّعة .

وقد عُني بها الطوسي أيضاً ؛ لأنّها من السمات المُميّزة لأسلوب القرآن الكريم ، ومن الظواهر الدلاليّة المهمة التي يترتّب عليها فَهم معانيه الظاهرة والباطنة ، وقد فصّل القول في هذه المباحث البلاغية الدكتور كاصد ياسر الزيدي في دراسته القيّمة لمنهج الطوسي[1]. ولذا سيقف البحث على الجانب الدلالي منها ، وسيقتصر الحديث على طائفة من الظواهر الأسلوبية التي تعرض للجملة وكان للطوسي فيها جهد مميّز .

١ . التقديم والتأخير:

تخضع الجُملة العربية لَمجموعة من العَلاقات المتآلفة في نسيج متماسك ، تعدّ الأساس في بناء التركيب النحوي ، فمِن غيرها لا يمكن أن يؤدّي هذا التركيب دلالةً مفهومةً .

وأهّم هذه العلاقات هي الإسناد ، وهو ((عملية ذهنية تعمل على ربط المسند بالمسند إليه))[2]، ولايمكن أن تخلو الجملة الصحيحة من مسند ومسند إليه ، فضلاً عمّا يلحق بها من متعلقات متّممة للجملة من مَفاعيل وظروف ونَحوها ، وهي التي تَمنح التركيب النحوي دَلالة أوسع بين المتكلم والسامع .

وتخضع الجملة العربية لمِعيار الرُتبة بالدرجة الأساس ، إذ تدلّ على المعنى بوضع مخصوصٍ وترتيبٍ مخصوصٍ ، وهي ما تُعرف في علم اللغة الحديث بالبِنية التكوينية ، أو جُملة النَواة[3] ، أو المُكوّن التركيبي الأساس[4] ، وهي من أهّم مبادئ نظرية تشومسكي اللغوية ، فإذا بُدِّل ذلك الوَضع أو الترتيب أو تغيَّرت الدلالة . فالرُتبة هي القرينة اللفظية التي تحدّد معنى الكلمة[5]، إذ يتقدّم الفعل على الفاعل ، والمبتدأ على الخبر. فضلاً عن ذلك فإنّ الكلمة في الجملة العربية تأتي حاملةً ما يدلّ على وظيفتها النحوية من خلال ما يظهر عليها من حركاتٍ إعرابية ، إذ تتولّى هذه الحركات مهمّة تبيان المَوقع الوظيفي للكلمة في الجملة ، مما يُهيّء لها حريةً ومرونةً في الانتقال بين أبعاد السياق اللغوي ، فتتقدّم وتتأخّر تبعاً للمعنى المقصود[1]، إذ

---

[1] منهج الطوسي ٣٢٤ ـ ٣٦٧ .
[2] في النحو العربي:نقد وتوجيه٣١ .
[3] البنى النحوية ١١٥ـ١١٦ .
[4] الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد الجملة العربية(الجملة البسيطة) ١٥ ـ ١٦ .
[5] اللغة العربية معناها ومبناها ١٩١

[1] في النحو العربي: نقد وتوجيه ٦٧ ـ ٦٨ .
[2] ينظر : الكتاب ١ / ٣٤ ، ٥٦ ، وتأويل مشكل القرآن ١٦ ، والمقتضب ٣ / ١١٨ ـ ١١٩،٤ /١٦٨ ـ١٧٢ ، والأصول في النحو ٢ / ٢٢٢ـ٢٥٥ ، والخصائص ٢ / ٣٨٢ ـ ٣٨٩ ، ودلائل الاعجاز ١٣٥ ـ ١٤٧ .
[3] البلاغة العربية ٢٣٨ .
[4] ينظر : البلاغة والاسلوبية ٢٠١ .

يطرأ على الجملة مُقتضيات معنوية مختلفة تدعو إلى تغيير ترتيبها مع الاحتفاظ بالعلامات الإعرابية وسيلةً للكشف عن الرُتب الأصلّية للكلمات ، وتنشأ بذلك البنى التوليدية والتحويلة تبعاً لقواعد التحويل والتوليد التي يُعدّ التقديم والتأخير واحداً منها .

وقد عُني القدماء[٢] بهذه الظاهرة واتخذوها وسيلةُ لكشف الثراء الدلالي للغة العربية عامّة ، ولغة القرآن خاصة ، وعُني بها بوجه خاص البلاغيون وتتّبعوا دَلالات الترتيب ، فوجدوا أنّ سياقات التقديم والتأخير تحكُمها ثلاثة جوانب[٣] :

١ . التصورات الذهنية للُمبدع أو المتكلّم.

٢ . الاحتياجات الدلالية للمتلقي أو المخاطب.

٣ . طبيعة الصياغة المثالية للجملة .

واتخذوا من الرُتبة النحوية في الجملة أصلاً أو مِعياراً يُقاس عليه العُدول لتأدية أغراض دَلالية معينة ، ما كانت تؤدّيها الكلمة لو أنّها بقيت في مكانها الأصلي[٤]، ومن تلك الأغراض : التخصيص والتعظيم والتشريف والكثرة والعناية وغير ذلك .

وقد وقف الطوسي عند هذه الظاهرة وهو يُدرِك أنها بمثابة تركيب سياقي وائتلاف دلالي يَقصدُه المتكلّم ويعنيه ، إذ عرّفها فقال: ((التقديم ترتيب الشيء قبل غيره ، وضدّه التأخير ، وهو ترتيب الشيء بعد غيره ، ويكون التقديم والتأخير في الزمان ، وفي المكان ،وفي الَمرتبة، كتقديم الُمخَبر عنه في الَمرتَبة ، وهو مؤخّر في الذِكر كقولك : في الدار زَيد . وكذلك الضمير في (غُلاَمه ضربَ زيدٌ) وهو مُقدَّم في اللفظ مُؤخَّر في الرُتبة))[٥]. وهو بذلك يتحدّث عن البِنية السطحية المتمثّلة بالجُمل المنطوقة والبِنية العميقة المتمثلة بالجملة المؤّولة عنها ، كما أنّ جملة (غلاَمهُ ضربَ زيدٌ) ، تُعدّ غير صحيحة ؛ لأّنها خالفت القواعد الصحيحة في ترتيب الجمل العربية[٦] ، إذ يعود الضمير على متأخِّرٍ رُتبةً ، والأصل أن يعودَ على ما تقَدم عليه في الُرتبة ، ولابدّ لتبرير هذا الترتيب من أن نعتمدَ تحويلاً ينزل به المفعول (غلاَمه) من رُتبة التقديم إلى رًتبة التأخّر ليكون بعد الفعل والفاعل ، والتقدير : ضربَ زيدٌ غلاَمه ، فتكون الجملة الصحيحة المتمثلة بالبنية العميقة على الوجه الآتي :

---

[٥] التبيان ١٠ / ١٩٤

[٦] الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) ٩ .

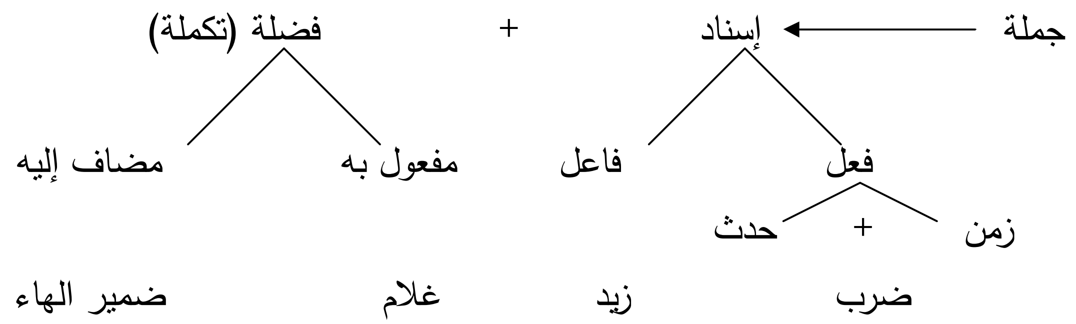

وقد علّل الطوسي العدول عن الترتيب الأصلي للجملة القرآنية بتعليلات دَلالية متباينة ، لكنّه بنحو عام يرفض هذا العدول في اللغة الاعتيادية من غير حاجة إليه ، كما يرفض تقديره في الجملة القرآنية من غير حاجة لذلك . فحين وقف عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ...﴾ [البقرة : ٥٥] ، نقل في تفسير (جهرة) رأيين ، الأول : ((إنّ قولهم: (جهرة) من صفة السؤال على التقديم والتأخير كأنّه قال: وإذا قلتم جهرة: لن نؤمن لك حتى نرى الله)) ، والثاني . وهو الغالب . أنّها من صفة الرؤية ، وهو الأقوى ؛ لأنّ ما قالوه تركُ الظاهر ، وتقدير التقديم والتأخير [كذا][1] ليس هنا إلى ذلك حاجة))[2] . وكأنّه يرى أنّ المُكوِّن التركيبي لهذه الآية مُتطابق مع المُكوِّن الدَلالي لها ، ولذا فهو يرفض أي قولٍ بتقدير التحويل .

ومن الأغراض الدلالّية التي أشار إليها والتي تحقّقت بهذا الأسلوب ما يأتي :

(١) **التخصيص** : من ذلك قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة : ٥]إذ قُدّم المفعول به . وهو ضمير النصب المُنفصِل الدالّ على الخالق جلَّ جلاله . على الفعل ، لاختصاصه بالعبادة ، ولذا فضّل الطوسي التقديم ((لأنّه لو أخّر لكان قد قدّم ذكَر العباد على المَعبود ، وليس بجّيد))[3] .

وهذا التقديم من أساليب القَصر في العربية ، يقول فيه ابن جني ((إنّ أصل وضع المفعول أن يكون فضلةً وبعد الفاعل ، كـ (ضربَ زيدٌ عمراً) ، فإذا عَناهم ذكر المفعول قدَّموه على الفاعل

[1] الصواب : وليس هنا إلى ذلك حاجة .
[2] التبيان ٢٣٥/١ .
[3] التبيان ٣٧/١ .

فقالوا : (ضرب عمراً زيدٌ) ، فإن ازدادت عنايتهم به قدَّموه على الفعل الناصبة فقالوا: (عمراً ضرب زيدٌ)...))[1]

وتقديم الضمير في الآية أبلغ وأدلّ على الاختصاص[2] ، وعدّه ابن القيم الجوزية ((من باب تقديم الغايات والوسائل . إذ العِبادَة غاية العِباد التي خُلِقوا لها، والاستعانة وسيلةٌ إليها))[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى :﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ ﴾ [الزمر : ٦٦]، والمعنى ((وَجِّه عبادَتك إليه تعالى وحده دون الأصنام ودون كلّ وثنٍ))[4] .

(٢) العناية بالمقدّم : وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢١٣] . فقد وقف الطوسي عند تقديم ذكر (الاختلاف) على ذكر الحق ، قال : ((فإنّ قيل : إذا كانوا إنّما هُدوا للحقّ من الاختلاف ، فلِمَ قيل : للاختلاف من الحق ؟ قيل : لأنّه لمّا كانت العناية بذكرِ الاختلاف كان أَولى بالتقديم ...))[5] وهو لدى الطبري من المقلوب المعروف عند العرب[6] .

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ...﴾ [هود: ٢٥-٢٦] ، إذ علّل الطوسي تقديم العبادة على سواها من الطاعات فقال : ((وإنما بُدِئ بالدعاء إلى العِباد دون سائر الطاعات ؛ لأنها أهمّ ما يُدعى إليه مَن خالف الحقّ فيه ؛ لأنّه يجب أن يفعل كلّ واحدة من الطاعات على وَجه الإخلاص والعبادة فيها لله))[7] . فلأنّ عبادة الله هي أساس الرسالات السماويّة وأوّل التعاليم الدينيّة المكلّف بها البشر ، فقد ورَدت متقدّمة في الآية على سواها من الطاعات . وهو من باب تقديم الأهمّ والعناية به ، وفي ذلك يقول سيبويه : ((كأنّهم إنّما يُقدّمون الذي بَيانه أهّم لهم ، وهُم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمّانهم ويَعنيانهم))[8] .

---

(١) المحتسب ١/٦٥-٦٦ .
(٢) الكشاف ١/٦٢ ،ومجمع البيان ١/٢٥.
(٣) التفسير القيم : ٦٥ - ٦٩، وينظر ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن : عبد الفتاح لاشين ١٢٢ .
(٤) التبيان : ٩/٤٤ ، ٢/١٨٩ ، ٣/١٣٢ .
(٥) التبيان ٢/١٩٦ .
(٦) جامع البيان ٢/٣٤٠ .
(٧) التبيان ٥/٤٧٠ .
(٨) الكتاب ١/٣٤ .

٣ ـ **تقديم السَبب على المُسبِّب** : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾[الأنفال : ١٤] . قال الطوسي : ((وإنّما قدّم الخبر في قوله : (وأن للكافرين) على الاسم لدلالته على الكفر الذي هو السبب للعذاب ، ومرتبة السَبب قبل المُسبِّب))[١] .

٤ . **تقديم الأعرَف** : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة : ١٤٣] فقد علّل الشيخ تقديم (الرأفة) على (الرَحمة) فقال : ((لأنّ الرَأفة أشدُّ مبالغةً من الرَحمة ليجريَ على طريقة التقديم بما هو أعرَف مَجرى أسماء الأعلام ، ثم إتْباعه بما هو دون منه ليكون مجموع ذلك تعريفاً أبلغَ منه ، ولو انفرد كلّ واحد عن الآخر كما هو في الرحمن الرحيم))[٢] أي أن اجتماع الرأفة والرحمة أبلغ من انفراد كلّ منهما ، لأنّ في كلّ منهما خصوصيّة في المعنى تحقّق باجتماعها فائدة دلاليّة هي قّوة المبالغة ، إذ الرَحمةُ أعّم وأشمل من الرَأفة وهي إفضال من الله وإنعام ، أّما الرأفة فهي أخصّ ،لأنّ فيها دَفعاً للمَكروه وإزالة للضرر[٣] .

(٢) الحذف :

كما ذكرنا سالفاً فإنّ الجملة العربية تتكون من ركنين أساسيين لا يمكن الاستغناء عنهما هما : المسند والمسند إليه ، وقد يلحق بهما بعض العناصر المكّملة لهما كالمفاعيل والظروف والجار والمجرور ، مّما سّمي فضلة .

ولكنّ حذف أحد هذه المُكوِّنات أحياناً يكون أفضل من ذكرها ؛ لأنّ المحذوف ((إذ دلّت عليه القرينة كان ذكره ثقيلاً في موضعه ؛ لأّنه تعريف لما عُرِّف ، وبيان لما بُيّن ، وإذا حذفتَ المعروفَ فقد رفعتَ الثقل عن السامع))[٤] .

والحذف إسقاطُ كلمة بخلَفٍ يقوُم مقامَها[٥] وهولا يأتي اعتباطاً ،إنّما هو من أسرار اللغة ودَقائقها العجيبة تتحقّق به أغراض دَلالّية جّمة ، وقد قال فيه الجرجاني : ((هذا بابٌ دَقيق المَسلك لَطيف المَأخذ ، عَجيب الأمر شَبيه بالسِحر ، فإنّكَ ترى به ترك الذِكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدُكَ أنطقَ ما تكون إذا لم تَنطق ، وأتّم ما تكون بياناً إذا لم تُبِن))[٦].

---

[١] التبيان ٩٠/٥ .
[٢] التبيان ١١/٢ .
[٣] التفسير الكبير ٩٣/٤/٢-٩٤ .
[٤] ابن القيم وحسه البلاغي ٨٥ .
[٥] الحدود في النحو ٧٠.
[٦] دلائل الإعجاز : ١٦٢ .

وقد عُني النحاة والبلاغيون بهذه الظاهرة وعدّوها من أسباب صفاء العبارة وقوّة الإيحاء وسبك البناء ، وأجازوها في حالاتٍ خاصةٍ من التعبير منها[١] :

١.أن يحقّقَ الحذفُ فائدةَ الخبر ، وذلك حين يَعلَم الُمخاطَب بقَصد الُمتكلّم .

٢. أن تدلّ القرائن ومُقتضيات الحال على الكلام المَحذوف ، فيفهَم السامع الُمراد منه .

٣ . دلالة السياق على المَحذوف .

وقد عُني الطوسي بهذه الظاهرة وأشارَ إليها في مَواضعها الُمتشّعبة من القرآن الكريم ، وأفاضَ في التعليلات والتأويلات لوجوه الحَذف وأسبابِه ودَلالاتِه . وقد وَضع للحذف شرطاً قال فيه : ((ليسَ كلّ كلامٍ دالّ على معنىً غير مذكورٍ يكون فيه حذفٌ ؛ لأنّ قولك : زيدٌ ضاربٌ ، دلَّ على مَضروب ، وليس بمحذوفٍ ، وكذلك زيدٌ قاتلٌ ، دالٌّ على مَقتول ، وليس بَمحذوف))[٢] ، فالمحذوف ما يحتمل ذكره في الكلام من غير إخلالٍ بالمعنى ، فلا يجوز القول: زيدٌ ضاربٌ المَضروب ، وقد أشار الفراء قبله إلى مايقرب من هذا المعنى[٣] .

ويُشير هذا القول إلى ما ذكرَه الُمحدثون بعدهما من أنّ لهذا النوع من الجمل بِنيتين هَيكلّيتين ، الأولى:صحيحة التركيب والقواعد واضحة المعنى مؤدّية للفائدة ، والأخرى: تشاركها المعنى وصحيحة التركيب أيضاً ،غير أنّها غير مفيدة للمعنى. فقول القائل : زيدٌ ضاربٌ المَضروب، تجد فيه كلمة المَضروب غير مُستساغة ؛ لأنّها لا تفيد السامع شيئاً يجهله[٤] ، فمما لاشكّ فيه أنّ لكلّ ضَرْبٍ ضارِباً ومَضروباً ، فالدَلالة بين فعل الضَرْب والمَفعول به المَضروب ، دَلالة التزامّية تُفهم من الكلام من غير تأويلٍ . وعلى هذا فالُمكوِّن الدَلالي للجُملة يتمثّل بالبِنية السطحية لها ،ولا يحتاج إلى البِنية العميقة الُمقدّرة . ولم يُجِز الشيخ الحذفَ من غير دَلالة تُنبئُ عنه[٥] ، وقد أعطى للقرائن اللفظية والمعنوية أثراً بالغاً في معرفة المحذوف والدَلالة عليه . وذكر طائفة من الأسباب التي تستدعي الحذفَ ، نذكر منها ما يأتي :

أ. دلالة الكلام على المحذوف :من ذلك حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في مثل قوله تعالى :﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ...﴾[النساء: ١٢٧] ، إذ يُقدِّر الطوسي محذوفاً في الآية ، والتقدير: ((يسألُكَ يامحّمد ، أصحابكَ أن تُفتيهم في أمر النساء ،

[١] ينظر: الكتاب٢ /١٣٠ ، والمقتضب٢/١٣٧ـ١٣٩،١٥١ـ١٥٢ ،٤/ ١٢٩ـ١٣٠ ، والأصول في النحو ٢/٥٤ ، وأثر المعنى في الدراسات النحوية٣٢٥ـ٣٢٦ .

[٢] التبيان ٢/٣٢ .

[٣] معاني القرآن للفراء٣/١٨٢ .

[٤] ينظر: ابن جني عالم العربية ١٧٤ ـ ١٧٦ .

[٥] التبيان ٢/٥١٥ .

والواجب لهنّ وعليهنّ . واكتفى بذِكْر النساء من ذِكْر شأنهنّ لدَلالة الكلام على المُراد...))[١]، وهو قول الطبري أيضاً [٢]، وكذلك الزركشي الذي ذكَر نماذجَ قرآنيةً كثيرةً لهذا الحذف[٣].

ومنه أيضاً حذف المفعول به في قوله تعالى على لسان الذين آمنوا بالله وكتبه ورسله و ملائكته :﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[البقرة : ٢٨٥] ، فالمحذوف هو مفعولَي (سمِعْنا) و(أطَعْنا) ، والتقدير : سمِعنا قولَه وأطَعْنا أمرَه ، وسبب هذا الحذف .كما يرى الطوسي . هو((دلالة الكلام عليه لأنهم مُدِحوا به ، وكان اعترافاً منهم))[٤].

ب . **الحذف اكتفاءً بفَهم السامِع** :وذلك بتوفّر القرينة المعنوية، ومنه قوله تعالى ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [البقرة : ٩٣]، فقد قدّر الطوسي حذفاً في الآية . والأصل : أُشرِبوا في قلوبِهم حُبَّ العِجلِ ((ولكن يُترَك ذكرُ الحُبّ اكتفاءً بفَهم السامِع لمعنى الكلام ، إذ كان معلوماً أنّ العِجل لايشرُبه القلب ، وإنّ الذي أُشرِبَ منه حبَّه ...))[٥] ، وعدّه الفراء من المجاز[٦].

ج . **الحذف للمبالغة** :ومنه حذف الجار والمجرور المتعلّق بالمُشتق ، ، قال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الأنعام : ١٠٢] ، فالتقدير : إنّه خالق كلّ شيء من أصناف الخَلق ، وبيّن الطوسي أن الحذف جاء ((اختصاراً في المُبالغة بقيام الدَلالة على أنه لايدخل فيه ما لم يَخْلقه من أصناف الأشياء من المَعدوم ...ومثله في المبالغة قوله : ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾[٧] ، وقوله: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾[٨]...))[٩] ، وإنّما جاز حذف الجار والمجرور هنا ، لأنّ (كلّ) إذا أُضيفت إلى نكرةٍ أفادَتْ الاستغراق والشمول ، وبها يثبت الحُكم لكلّ فردٍ من المَخلوقات[١٠] .

---

[١] التبيان ٣ / ٣٤٣ .
[٢] جامع البيان ٥ / ٢٩٨ .
[٣] ينظر : البرهان في علوم القرآن ٣ / ١٥٢ .
[٤] التبيان ٢ / ٣٨٣ ، وينظر : ٢ / ٧٨ .
[٥] التبيان ١ / ٣٥٤ ـ ٤٥٥ .
[٦] معاني القرآن للفراء ٦١/١ .
[٧] الاحقاف : ٢٥ .
[٨] النمل : ٢٣ .
[٩] التبيان ٤ / ٢٢٢ .
[١٠] أحكام كلّ وما عليه تدلّ : تقي الدين السبكي ٤٠ ، ومغني اللبيب ١ / ١٩٣ .

ومنه أيضاً حذف المَنهي عنه زيادةً في المبالغة ، إذ قال تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال:٢١] ، فالتقدير: ولاتكونوا في قولكم المُنكَر هذا كالذين ....، إذ ((حذف المَنهي عنه ؛ لأنه قد دلّ عليه من غير جهة الذِكْر له ، وفي ذلك غاية البلاغة ...))[١]

ومنه أيضاً حذف جواب (لو) فقد ورد كثيراً في القرآن الكريم وهو يُضفي على المعنى مبالغةً وتأكيداً ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة: ٥٩]، إذ قدّر الطوسي جواب (لو) المحذوف فقال: ((والجواب محذوف ، والتقدير : لكان خيراً لهم وأعود عليهم ، وحذفُ الجواب في مثل هذا أبلغ ، لأنه لتأكيد الخبر ، به استُغني عن ذكرهِ))[٢] ، وهو كذلك لدى سابقيه ولاحقيه من المفسرين[٣] .

وقد يكون في حذف الجواب مبالغةً وتهويلاً للجزاء ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال:٥٠] ، فقد استدلّ الطوسي بقرينة لفظيّة . هي الكلام المذكور على جواب (لو) المحذوف ، والتقدير : ((رأيتَ منظراً عظيماً أو أمراً عجيباً أو عقاباً شديداً ، وحذفُ الجواب في مثل هذا أبلغ ؛ لأنّ الكلام يدلّ عليه ، والمَرئي ليس بمَذكورٍ في الكلام ، ولكنّ فيه دَلالةً عليه ؛ لأنّ تقديره :لو رأيتَ الملائكة يضربون من الكفّار الوجوه والأدبار ، وحذفه أبلغ وأوجز مع أنّ الكلام يدلّ عليه))[٤]، وهو ما قال به غير واحد من المفسرين[٥].

وجملة التأويلات التي قال بها الطوسي في الآيات المذكورة سالفاً ، تشير إلى أنّ السامع لها يُدرِك أنّ لكلٍّ منها جملة نواة ترتكز إليها وتتفرّع عنها ، وتتعدّد بتعدّد التأويلات ، فهاهُم علماؤنا الأفاضل يُدرِكون ما توصّل إليه علماء اللغة المحدثون ،الذين تلقّفوا علم الأوائل وأخضعوه لأطُر الحداثة والتطّور، فزادوا وفصّلوا ونظّروا لدراسات لغويّة نحويّة دلاليّة منّوعة.

(١) التبيان ٥ / ٩٧ .
(٢) التبيان ٥ / ٢٤٣ .
(٣) ينظر : جامع البيان ١٠ / ٢٢ ـ ٢٣ ، والتفسير الكبير ٦ / ١٦ / ٧٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٨ / ٢٨ ، وروح المعاني ١٠ / ١٦ ـ ١٧ .
(٤) التبيان ٥ / ١٣٧ ، وينظر : ٢ / ٦٤ ، ومنهج الطوسي ٣٤٥ .
(٥) ينظر : التفسير الكبير ٥ / ١٥ /٤٩٣، والجامع لأحكام القرآن/٧ ٤١ـ ٤٢،وروح المعاني ٧ / ٢٢٣، ٢٦ / ٧٦.

(٣) الفَصل والوَصل :

وهو العِلم بمَواقِع الجُمل والوقوف على ما ينبغي أن يُصنَع فيها من العَطف والاستئناف والوصول إلى كيفيّة إيقاع حروف العَطف في مَواقِعها ، أو تَركها عند عدم الحاجة إليها. فالوَصل عطفُ مفردةٍ على أخرى ، أو جملةٍ على أخرى ، والفصل ترك هذا العطف[1] .

وقد عُني بهذه الظاهرة النحاة والبلاغيون ، ودرسوا المعاني الدقيقة لحالتي الفَصل والوَصل ، ودَلالة العطف وحروفه ، وقد عدّها عبد القاهر الجرجاني : ((من أسرار البلاغة ، وممّا لا يتأتّى لتَمام الصواب فيه إلا الأَعْراب الخُلّص ، وإلاّ قومٌ طُبِعوا على البلاغة وأوتوا فنّاً من المَعرفة في ذَوق الكلام ...)) [2] .

وعُني الشيخ بهذه الظاهرة أيضاً ، ووقف عند آيات كثيرة مُحلّلاً ومُعلّلاً ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران : ١١١] . فقد ذكر أنّ الفعل (يُنصَرون) : ((رُفِع على الاستئناف ولم يُعطف ليجري الثاني على مثال الأوّل ؛ لأنّ سبب التولية القتال ، وليس كذلك مَنع النصر ، لأنّ سببه الكفر))[3]، إذ لا يجوز العطف لعدم اتفاق الفعلين (يُولّوكم) و (يُنصَرون) في المعنى ، لأنّ منع النصر ليس مَعلولاً للقتال ، بل هو مَعلول الكفر ، ولا رابطة بين الاثنين ، فالكلام مَقطوع عمّا قبله وليس مَوصولاً به ، ولذا وجبَ رفعُه على الاستئناف [4]وصار الفعل ضرورةً لازمةً .

وممّا رُفِع على الاستئناف وفُصِل عما قبله لفظ (رضوان) في قوله تعالى :﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ٧٢] ، وإنما رُفع (رضوان) كما يرى الطوسي ؛ ((لأنّه استأنفه للتعظيم كما يقول القائل : أعطيتكَ ووصلتكَ ، ثمّ يقول : وحُسنُ رأيٍ منكَ ورضايَ عنكَ خيرٌ من جميع ذلك))[5] . فقد فصَل نعمة (رضوان الله) عن سائر النِعَم التي ذكرها أولاً ، تمييزاً لها وتعظيماً ؛ لأنّها غاية المؤمن وبها ينال كلّ ما دونها من جنات

---

[1] ينظر: دلائل الإعجاز ٢٢٣ . والتعريفات ٩٥ .
[2] دلائل الإعجاز ٢٢٣ .
[3] التبيان ٥٩٩/٢ .
[4] منهج الطوسي ٣٤٠ .
[5] التبيان ٢٥٩/٥ .

النعيم والمساكن الطّيبة والخلود في الجنة[1]، فرضا الله هو غايتُنا وسبب سعادتنا . وعلى هذا فالفصل هنا راجح ،لأنّه يتيح للمُتلقّي تحديد المعنى بوجه دَقيق .

ومنه أيضاً قوله تعالى :﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان : ٦٨ . ٦٩] ، فقد ذكر الطوسي في هذه الآية قراءتين[2] ، بجزم (يُضاعَف) وبرفعه ، فمن قرأ بالجزم أراد الوَصل ، وجعل الفعل ((بدلاً من جواب الشرط ؛ لأنّ الشرط قولُه (ومن يفعل ذلك) وجزاؤه (يلق آثاماً) . وعلامة الجزم سقوطُ الألف من آخره ، و(يُضاعَف) بدلٌ منه ، ويخلدُ عُطِف عليه))[3] ، ومن قرأ بالرفع فقد فصَل واستأنف ، ((لأنّ الشرط والجزاء قد تّم))[4] . وهو الراجح لدى ابن جني في مُحتسبه[5] .

وأشار إلى الوصل أيضاً ، في المفردة ، وفي الجملة ، فمن أمثلة الأول قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١١٢] . فقد نُكِرَت الصفات السبعة الأولى مُنفصلةً لاختلاف دَلالاتها ، على حين عُطف (الناهون) و(الحافظون) . والسبب في ذلك لدى الطوسي : ((لأنّه لا يكاد يُذكَر على الإفراد ، بل يُقال : الأمر بالَمعروف والنَهي عن الُمنكر ، فجاءت الصفة مُصاحبةً للأولى . فأّما قوله (الحافظون) ؛ فلأنّه جاء وهو أقرب إلى المعطوف ...))[6] . إذ إنّ الأمر بالَمعروف والنَهي عن الُمنكر بمثابة صفةٍ واحدة ، فالأولى تستدعي مُصاحبة الثانية ، ولذا جازالعطف بين الأمر والنهي لاشتراكهما في الدلالة على معنىً واحدٍ أو صفةٍ واحدةٍ . ويشير في كلامه إلى أثر السياق في عطف لفظ (الحافظون) إذ عُطفَ إتباعاً لَعطف سابقه .

وقد ورَدت هذه الأوصاف مُنفصلةً عن بعضها ؛ لأنّ في ذلك إيحاء بالكمال وتمام الخُلُق ، وهو مبالغةٌ في وَصف المؤمنين بالَمنزلة الرَفيعة وبشرى لهم بالثواب الجزيل . وقيل : إن سَبب العطف هو أنّ الصفات الأولى عباداتٌ يأتي الإنسان بها لنفسه ، أّما الأخيرة الَمعطوفة فعبادات متعلّقة بالغير ، فأُدخلت الواو تنبيهاً على ما يصحُبها من مَشقّة ومِحنة[1] .

---

(١) جامع البيان ١٨٣/١٠ .
(٢) قرأها ابن كثير : (يضعِّفْ) بتشديد العين وجزم الفعل ، وقرأها عاصم (يضاعف) بالرفع ، وقرأها ابن عامر (يضعّفُ)وقرأها حفص وأبو عمرو (يضاعف) . السبعة في القراءات ٤٦٧ .
(٣) و(٤) التبيان ٥٠٧/٧ .
(٥) المحتسب ١٤٩/١ ـ ١٥٠ .
(٦) التبيان ٣٠٦/٥ ـ ٣٠٧ .
(١) التفسير الكبير ١٥٥/١٦/٦ .

ومثال وَصل جُملةٍ بجملةٍ قوله تعالى : ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ، الذي عُطف على قوله:﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [آل عمران:١٦٤]. فبين الطوسي سبب العطف هنا وقال: ((وإنّما دخلت الواو في (أَولّما أصابتكم) لَعطف جملة على جملةٍ ، إلا أنّه تقدَّمها ألف الاستفهام ؛ لأنّ له صدرَ الكلام))[٢] ، وجاء العطف هنا ((ليدلّ على تعلّقه به في المعنى ، وذلك أنّه وَصل التقريع على الخطيئة بالتذكير بالنعمة لفرقة واحدة ...))[٣] ، إذ إنّ التقابل المعنوي بين الجملتين سوّغ العطف ، والتقابل ضرب من الإتصال المعنوي في الكلام[٤]، وهو من الروابط الدلالية القوّية التي توجِب أن يوصَل بين المعنيين المتقابلين لتتجلّى للمُتلقّي دَلالة كلٍّ منهما .

المبحث الثالث
دلالـة الإعـراب

(٢) التبيان ٣/٤٠ .
(٣) التبيان ٣/٤٠.
(٤) منهج الطوسي ٣٤٠ .

الإعراب من أهمّ الخصائص المميّزة للغة العربية ، وهو مظهر لفظي خارجي للعلاقات الداخلية في التركيب النحوي[١] ، وبه يبين المتكلم عن معاني اللغة ، وبه يفرّق بين المعاني المتكافئة في الكلام[٢] .

قال الزجّاجي : ((الإعراب أصله: البيان ، ويقال : أعرَبَ الرجلُ عن حاجته :إذا أبان عنها ، ورجلٌ مُعرِبٌ أي: مُبينٌ عن نفسه ، ومنه الحديث (**الثيِّبُ تُعرِبُ عَنْ نَفْسِها** ...)[٣] وهذا أصله ، ثم إنّ النحويين لمّا رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركاتٍ تدلّ على المعاني وتُبين عنها سمّوها إعراباً أي: بياناً ، وكأنّ البيانَ بها يكون))[٤] .

والإعراب وُجِدَ في اللغة منذ عصر ما قبل الإسلام ، فقد وَرِثَ العرب لغتهم مُعربةً ، وهم بحسّهم اللغوي الرفيع يُدرِكون أنّ الإعراب وسيلة للتفرقة بين المعاني . ويؤكّد هذا ابن جني في حكايةٍ رواها عن الأعرابي التميمي الذي حاول أن يديرَه عن إلتزامِ وجه من وجوه الإعراب في الموضع الذي يدلّ عليه ، فلم يستطع ، مُستدلاً بذلك على أنّ العرب الأوائل عارفون حقيقة الارتباط بين الإعراب والمعنى ، إذ كانوا يتأمّلون مواضع كلامهم ويُعطون كلّ موضع حقّه من الإعراب ، وهُم في ذلك على بَصيرة نافذة ، ونقد مُميّز[٥] .

ومما يؤكّد وجود الإعراب في العربية ، تجلّيه بصورة واضحة في لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وحرص المسلمين على ضبط لغة الدين واستهوالهم اللحن فيها في عصر صدر الإسلام وما بعده[٦] وهو الأمر الذي مهّد لنشأة علم النحو، الذي يقوم على ربط الإعراب بالدلالة على معاني الكلام ، التي هي المعاني النحوية . فتجد الخليل وسيبويه ومَن تابعهما يشيرون إلى ذلك صراحةً في مؤلّفاتهم[٧] ، فقد أدركوا عَلاقة هذه المعاني بالعوامل التي تُحدثُها ، ودَلالة الإعراب على هذه العوامل . ثمّ أشاروا إلى مُناسبة أصوات عَلامات الإعراب لمعانيها ، وإلى دَلالتها على المعاني الإضافيّة التي يكتسبُها الكلام ليُناسب المَقامات التي يُقال فيها ، وهي المعاني البَلاغية شديدة الصلة بالمعاني النحوية[١] .

وقد اتّفق جمهور النحويين القدماء على دَلالة الحركات الإعرابية على المعاني ، سوى قطرب محمد بن المستنير (ت بعد ٢٠٦هـ) الذي رفضَ هذا القول ، وجاء برأيٍ مخالفٍ لهم ، وهو أنّ

---

[١] الدلالة اللغوية عند العرب ١٩٤ .
[٢] ينظر: تأويل مشكل القرآن ١٤-١٥ ، والصاحبي ٧٦ ،
[٣] سنن ابن ماجة: باب استئمار البكر والثيب ٦٠٢/١ .
[٤] الإيضاح في علل النحو : ٩١ ، وينظر الجمل في النحو ٢٦١ .
[٥] الخصائص ٧٦/١ ، وينظر دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء ٢٨ .
[٦] ينظر: فقه اللغة العربية : ١٢٩ - ١٣٤ .
[٧] ينظر :الكتاب ٩١/١ - ٩٣ ، والجمل في النحو ٢٦٠ .
[١] دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء ٣٣ .

الحركات التي تَعرِض لأواخرِ الكلمات ، إنّما جيء بها للتخفيف من الثِقل الناشئ من إسكان الحروف ،إذ ((أعرَبتْ العرب كلامها ؛ لأنّ الاسم في حال الوَقف يلزُمه السُكون للوَقف ، فلو جعلوا وصلَه بالسُكون أيضاً ، لكان يلزُمه الإسكان في الوَقف والوَصل ، وكانوا يُبطئون عند الإدراج ، فلمّا وصَلوا وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك مُعاقباً للإسكان ليتعدّل الكلام))[٢] . متأثراً في ذلك برأي الخليل الذي نقله سيبويه ، وقال فيه((وزعم الخليل أنّ الفتحة والكسرة والضمة زوائد ، وهنّ يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلّم بها))[٣] ، ولكنّه لم يجعله الوظيفة الوحيدة للحركات ، بدليل ما نقله عنه سيبويه في مواضع أخر من جعله الحركات علامات على المعاني[٤] .

ونقل الزجّاجي قول من ردّ على قطرب فقال : ((لو كان كما زعم لجاز خفض الفاعل مرةً ، ورفعه أخرى ونصبه ، وجازَ نصب المضاف إليه ؛ لأنّ القصد في هذا إنّما هو الحركة تُعاقبُ سكوناً يَعتدل به الكلام ، وأيّ حركةٍ أتى بها المُتكلّم أجزأتْه ، فهومُخيّر في ذلك. وفي هذا فسادُ الكلام وخروجٌ على أوضاع العرب وحكمة نظام كلامهم))[٥] .

أمّا المحدثون فقد سارَ أغلبهم على مذهب جمهور النحويين في القول بوجود الإعراب وأثره في المعنى النحوي ، سوى د. ابراهيم أنيس[٦] ود. نهاد موسى[٧] اللذين أيّدا رأي قطرب ، فضلاً عن ذلك فإنّ د. نهاد جعل المِعيار الذي بموجبه تتحدّد الوظيفة التركيبية أو المعنى النحوي للكلمة متمثلاً بالقرائن اللفظية والمعنوية من نبر وتنغيم وترتيب وليس للحركات أثر في ذلك[٨] .

وردّ ذلك طائفة من المُحدثين[٩] مؤكّدين وجودالإعراب قبل الإسلام وبعده ، بدليل وجوده في القصائد الشعرية، وفي القرآن الكريم رسماً وتلاوةً . والحركات لديهم ثلاث : الضمّة وهي علُم الإسناد ، والكسرة وهي علُم الإضافة ، والفتحة وهي علُم ما ليس بإسناد ولا إضافة . وهي لديهم علامات المعنى ، فلكي نفهم النص يجب أن ننظر إلى علامات إعرابه سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة ، لُنحدّد بموجَبها المَبنى العام للجملة الذي يقَودنا إلى المعنى .

وتعدّ لغة القرآن من أقوى الأدلّة على أثر الحركات الإعرابية في المَعنى ؛ لأنّ عُمق معانيه ودقّة أحكامِه توجِب تحديد المَوقع الإعرابي لكلّ كلمةِ في جملة من الآيات ، من ذلك قوله تعالى

---

(٢) الإيضاح في علل النحو:الزجاجي ٧٠ ـ ٧١

(٣) الكتاب٤/٢٤١ـ٢٤٢ .

(٤) الكتاب١/٩٢.

(٥) المصدر والموضع أنفسهما .

(٦) ينظر :من أسرار اللغة ٢٠٢ـ٢١١ .

(٧) و(٨) تاريخ العربية ٢٠ .

(٩) ينظر إحياء النحو : إبراهيم مصطفى ٤٨ ـ ٥٢ ، وفي النحو العربي : نقد وتوجيه : ٦٣ ، وفقه اللغة(وافي) ٢١٥ والفعل : زمانه وأبنيته ٢٢٤ ، واللغة العربية : معناها ومبناها١٩١ .

:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[فاطر : ٢٨] ، وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة : ٣] وقوله :﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

ويمكن أن نوجز أهمّ الوظائف التركيبّية التي تؤدّيها العلامات الإعرابية بما يأتي :

١. تُحدّد مواقع الكلم في الجملة ، وتُحدّد على ضوء ذلك المعنى المُراد .

٢. تُفرّق بين الضمائر المُتّصلة من حيث جهتها ، فالتاء المرفوعة تدلّ على المتكلم ، والمفتوحة تدلّ على المُخاطَب ، والمجرورة تدلّ على المُخاطَبة[1] .

٣. تحقّق الوظيفة التي ذكرها الخليل ومن بعدِه قطرب ، وهي ربط الحركات بين الصوامت في تأليف الكلمة الواحدة والجملة التامّة ليتمكّن المتكلم من التلفّظ بها ، أي لتسهيل النطق .

٤. فضلاً عمّا لها من أثر في تحديد الدَلالات الخاصّة للكلمة الواحدة إذ تتغّير دَلالتها تبعاً لحركاتها الداخلية ، فهي تارةً اسم فاعل ، وتارةً اسم مفعول نحو : مُكرِم ومُكرَم ، وتارةً فعلٌ مبني للمجهول نحو كتَبَ وكُتِبَ ، وتارةً مصدر وأخرى فعل نحو : عِلْم وعَلِم ، وتارةً مفرد وأخرى جمع نحو : أَسَد وأُسْد .

وقد كان للقراءات المتعدّدة أثر بالغ في تغيّر المعاني لذلك عُني النحاة بهذه القراءات ، لأنّها تُعينهم في معرفة سُبُل الكشف عن المعاني المختلفة للتركيب الواحد ، وتجلّى ذلك في تراثهم الثّر الذي يعكس عبقريّتهم وعمق نظَرهم في إدراك أثَر الإعراب في التعبير عن المعاني المختلفة ، وأقدُمهم في ذلك سيبويه الذي زخَر كتابه بإشارات جمّة لهذه الظاهرة التي كانت هي الأساس الذي اعتمد عليه من بعده المفسّرون والبلاغيون والنقاد ، فجاءت التفاسير زاخرة بهذه القراءات والعناية بها[2] .

ومن تلك التفاسير (تفسير التبيان) ، فقد عُني الطوسي بإعراب القرآن الكريم وصولاً إلى معانيه ، وجعل في تفسيره باب (الإعراب) ، إذ ((أعرَبَ كثيراً من الألفاظ والتراكيب القرآنية مبّيناً لها الوجوه النحوية المتباينة دون أن يهمل المعنى الذي عليه المَدار في الإعراب ، فهو حين يُبين هذه الوجوه المُحتَملة يُقرِّب للقارئ معنى الآية بصورة أو بأخرى ، لِما بين الإعراب والمعنى من ارتباطٍ لا ريبَ فيه))[1] . وفي ذكر هذه الوجوه إثراءٌ وغنًى للنص القرآني.

وسيقف البحث على جملةٍ من الآيات التي وقف عندها الطوسي مبّيناً اختلاف معانيها لاختلاف أوجه إعرابِها ، ومن ذلك :

---

(١) من قضايا اللغة والنحو ٢٠.

(٢) أثر المعنى في الدراسات النحوية ٢٥٢ .

(١) منهج الطوسي ٣٠٢ .

(١) ما يحتمله اللفظ من أوجه الرفع :

ومنه قوله تعالى :﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧] فقد ذكر الشيخ في إعراب (الراسخون) وجهين كلاهما بالرفع[٢]: **أحدهما** : الرفع على أنّه مبتدأ وجملة (يقولون) خبره ، والمعنى : ما يعلُم تأويلَ جميعِ المتشابه (إلا الله) ؛ لأنّ فيه ما يعلُم الناس ، وفيه ما لا يعلُمه الناس من نحو تعيين الصغيرة ... ووقت الساعة. وهو قول أكثر المفسرين[٣] ، إذ يرجِّحون الوقف على لفظ الجلالة ، وتكون الواو عندئذ استئنافية وما بعدها مبتدأ مرفوع ، والتقدير : (والراسخون في العلم يقولون آمنّا به) .

والوجه الثاني : تكون الواو فيه عاطفة ، والتقدير : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) ، وقد أيّد ذلك وقال بالوقف على العِلم غير واحد من المفسرين [٤]. ولم يرجّح الطوسي .كما هو واضح . أحد الوجهين ، وذلك لأنّها من الآيات المتشابهة التي يفضّل عدم الخوض فيها ، على حين رجّح غيره قبول الوجه الذي تحتمله الآية[٥] .

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ...﴾ [البقرة : ١٧٧] . فقد ذكر في إعراب لفظ (الموفون) وجهين كلاهما بالرفع[٦] : الأول : عطفاً على (من آمن) ، وهو رأي الزمخشري[١] ، والثاني رفعاً على المدح ، والتقدير: وهم الموفون وهورأي غير واحد من المفسرين[٢]. ورجّح الطوسي الرأي الثاني لأنّه يعود على الضمير الذي في صلة (مَن) ، إذ ((لا يجوز بعد العطف على الموصوف العطف على ما في

---

(٢) التبيان ٢/٤٠٠ .
(٣) ينظر: معاني القرآن للكسائي٩٦ ، ومعاني القرآن للفراء١/ ١٩١، وجامع البيان٣/١٨٢-١٨٤،والوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/١٩٩-٢٠٠ ، والتفسير الكبير٣/٧/١٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن٤/١٦ .
(٤) ينظر:معاني القرآن الكريم١/٣٥٣-٣٥٤ ،والتبيان في إعراب القرآن١/٢٤ ، والكشاف١/٤١٣.
(٥) تأويل مشكل القرآن ٩٩ -١٠٠ ، وإعراب القرآن ١/٣٥٦ ، والبرهان في علوم القرآن ٢/٧٢ .
(٦) التبيان ٢/٩٨ .
(١) ينظر الكشاف١/٣٣١.
(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه١/٢٤٧، والتبيان في إعراب القرآن١/١٤٤-١٤٥.

الصلة))[3] ، وضعّف الوجه الأول ؛ ((لأنّه يؤدّي إلى التكرار؛ لأنّهم . أي الموفون . دخلوا في قوله : (والمساكين وابن السبيل والسائلين) ...))[4] .

(٢) ما يحتمله اللفظ من أوجه النصب :

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [البقرة ١٠٩] ، فقد علّل الشيخ نصب (حسداً) بأحد أمرين : ((أحدهما : على الجملة التي قبلها بدلاً من الفعل ، كأنّه قال : حَسَدوكم حسداً ، كأنّه قال: نحسدُك حسداً ، والآخر : أن يكون مفعولاً ، كأنّه قال: يردّونكم لأجل الحسد ، كما تقول: جئته خوفاً منه))[5] . أي إمّا أن تكون (حَسَداً)مفعولاً مطلقاً ، أو مفعولاً لأجله ، وكلّ منها يحتمل معنًى غير الآخر ، ويختلف بتعلّقه ، ففي الأوّل يتعلّق المصدر بفعلٍ محذوفٍ ، وفي الثاني يتعلّق بالفعل المذكور قبله (يردّوكم) . وهو لدى الفراء مفعول لأجله أفاد التفسير ، أي التعليل[6] ،على حين يوافق القرطبي رأي الطوسي في احتمال الأمرين[7] .

ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الزمر : ٤٦] . فقد ذكر الشيخ الطوسي في إعراب (فاطر) رأيين من غير أن يرجّح أحدهما ، **أحدهما:** لسيبويه مفادُه أنّه :((لا يجوز أن يكون صفة(اللهُ مّ) ، قال : لأنّه غير اسمٍ في النداء ، ولأنّه لا يُذكَر بهذا الذِكْر إلا بعد ما عُرِّف ، كما لا يُضمر الاسم إلا بعد ما عُرِّف ، فكما لا توصف المُضمَرات ، فكذلك هذا الاسم . وليس يجب مثل ذلك في قولنا: (الله) ؛ لأنّه قد يَذكره العارِف لمن لا يعرفُه ، فيُعرِّفه إيّاهُ بصفتِه ، فيقول : الله فاطرُ السموات والأرض وخالقُ الخَلْق وربُّ العالمين ومالكُ يوم الدين))[1] .

---

[3] و[4] التبيان٢/٩٨.
[5] التبيان ١/٤٠٥ .
[6] معاني القرآن للفراء١/٧٣ .
[7] الجامع لأحكام القرآن ٢/٧٠ .

[1] التبيان ٩/٣٤ ـ ٣٥ ، وينظر الكتاب ٢/١٩٦ .

والآخر: لأبي العباس المبرّد مفادُه : إنّه ((يجوز أن يكون صفة(اللّهُمَّ) حَمْلاً له على (يا الله) فاطر السموات والأرض))[٢] . وسكوتُ الطوسي عن الترجيح دليل على تجويزه الأمرين بأن يكون نصباً على النداء أو على الصفة . ورجّح أبو جعفر النحاس النداء فقط[٣] .

(٣) ما يحتمله اللفظ من أوجه الرفع والنصب :

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام : ١٥٥] . فقد بيّن الشيخ أنّ لفظ (مُبارَك) تحتمل وجهين : الرفع على أنها صفةٌ للكتاب ، والنصب على الحال . وفضَّل الرفع ؛ لأنّه ((يدل على لُزوم الصفة للكتاب ، والنصب يجوز أن يكون لحالةٍ عارضةٍ في وقت الفعل))[٤] . وإنّما حقق الرفعُ لُزوَم الصفة للكتاب ؛ لأنّ به تتّم الجملة الاسمية التي تدلّ على الدوام والثبوت وعدم الانقطاع ، فالبَركة صفة لازِمة لكتاب الله منذ الأزَل وحتى آخر الزمان . أمّا النصب فيكون اللفظ به دالاً على حال للمفعول به وهو ضمير الهاء المتصل بالفعل ، والحال وصفٌ عارضٌ غيرُ دائم ، ولاسّيما أنّه في جملة فعلية ، تختصّ بالدَلالة على التجدّد والحدوث والانقطاع ، وكأنّ البركة عَرَضيّة لا تدوم ، وهو ما لا يجوز وصف كتاب الله به ، ولذا جاءت الآية على قراءة الرفع بالإجماع ، فلم يرد بها خلاف في كتب القراءات ، وما ذكَره الطوسي محضُ احتمالٍ يجوز في غير القرآن.

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة : ٢١٤] إذ قرئت برفع (يقول) وبنصبه[٥] ، وفرّق الطوسي بين القراءتين ((من ثلاث جهات : الأولى : أنّ أحدهما على الحال والآخر على الاستقبال ، والثاني : أنّ أحدهما قد قُضِ والآخر لم يُنقَض ، والثالث : أنّ أحدهما على الغاية والآخر على التأدية ، ومعنى الغاية في الآية أظهر ؛ لأنّ النصب جاء عند قول الرسول ، فلذلك كان الاختيار في القراءة النصب))[٦] .فبالرفع يكون الفعل المضارع دالاً على ((الحال للفعل المذكور ، والحال لكلام المتكلّم ، وذلك القول قد يكون في حالة زلزلةٍ ... والرفع يوجب التأدية بمعنى : أنّ الزلزلة أدّت إلى قول الرسول))[١]وبالنصب يكون الفعل المضارع منصوباً بـ (أن) مُضمرة بعد (حتى) تدلّ على الاستقبال ، فيكون القول هو غاية الزلزلة إذ ((لايكون إلا بعد تقضيها وإن كان متّصلاً بها))[٢] ؛ لأنّ قوله ((وزُلزِلوا ، قد دلّ على وقتٍ، ثّم

---

[٢] التبيان ٣٥/٩ ، وينظر المقتضب ٢٣٩/٤ .
[٣] إعراب القرآن ٨٢٢/٢ .
[٤] التبيان : ٣٢٣/٤ .
[٥] قرأ نافع وحده (حتى يقولُ)رفعاً ، وقرأ الباقون ، (حتى يقولَ) بالنصب ،ينظر :السبعة في القراءات ١٨١ .
[٦] التبيان : ١٩٩/٢ .
[١] و[٢] و[٣]التبيان ١٩٩/٢ .

استأنف بعده الفعل))[3] ، ويتضح ذلك في معنى الآية التي نزلت في يوم الخندق لّما اشتدت مخافة المسلمين بعد أن حوصِروا في المدينة، واستدعاهم الله إلى الصبر ، ووعدهم بالنصر ، فإذا أفادتْ (حتى)التعليل وجبَ رفعُ الفعل ، إذ إنّ الزلزلة تؤدّي إلى القَول ، وإن أفادتْ الغاية وكانت بمعنى (إلى) وجبَ نصب الفعل ؛لأنّ القول هو غاية الزلزلة[4] .

ومنه أيضاً قوله تعالى :﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] فقد أشار الشيخ إلى أنّ (مستقيماً) حُكْمها النصب ، إذ تتحقّق بذلك دَلالتها على ((الحال ، والفائدة : أنّ هذا صراطي وهو مستقيم ، فاجتمع له الأمران ، ولو رفع (مستقيم) لما أفاد ذلك))[5] والمقصود بالأمرين اللذين اجتمعا له ، هما : الإشارة إلى أنّ هذا الصراط هو صراط الله ،وأنّ حالته الاستقامة . ويُلَمح من كلامه اختلاف حالة المُخاطَب في الجملتين ، ففي حالة النصب يكون المُخاطَب غيرَ عالمٍ بحقيقة هذا الصراط ، ولا بطبيعته أو حالته ، وأمّا في حالة الرفع ، فيكون عالماً بحقيقته ولكّنه شاكٌ في استقامته .

والنحو عند الطوسي ((تابعٌ للمعنى يدور حيث يدور ، فالوجوه النحوية تابعة للمعاني القرآنية وتوجيهها يكون بحسب تلك المعاني))[6] ، ولذا فهو يرفُض كل ما يُسيء إلى الذات الإلهّية ، ويرجّح الإعراب الذي يجعل المعنى لائقاً بوصفها ولم يكن يأخُذ بكلّ ما ذكره ، بل هو يناقش ويرجّح ويضعّف الوجوه الإعرابية فيأخُذ ما يراه أقرب إلى الصواب ويرُد ما لا يرضى به .

ويمثّل منهجه هذا امتداداً لمنهج المفسّرين ا لذين لم يُخضِعوا النصوص القرآنية إلى ضوابط النحو ومقاييسه ، بل اتخذوا النحو وسيلةً لإضاءة النص القرآني وبيان دلالته ومعانيه، وهو بذلك يضع قول المبرّد موضع التطبيق. فكلّ ((ما صلُحَ به المعنى فهو جّيد ، وكلّ ما فَسَدَ به المعنى فَمردود))[7] . ويرى بعض المحدثي ن أنّ مُهّمة المُفسّر أو الباحث تقتصر على مُراجعة قواعد النحو إزاء القرآن ، وعرضها على كلام الله ، فما جاء موافقاً لظاهر الكتاب الكريم أبقاه ، وما جاء مخالفاً أهمله من غير أن يقبل فيه تأويلاً[1] ، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ ﴾ [البقرة : ٢٤٥] فقد ذكر فيه قراءتين[2] : رفع (يضاعفُه) عطفاً على

---

[4] ينظر الكتاب ٢٥/٣ ـ ٢٦

[5] التبيان ٣٢٠/٤ .

[6] منهج الطوسي ٣٠٤ .

[7] المقتضب : ٣١١/٤ .

[1] اللغة والنحو بين القديم والحديث :عباس حسن ١١٨ .

[2] قرأها ابن كثير بغير ألف وبرفع الفاء مع تشديد العين (فيضعِّفُهُ)، وقرأها ابن عامر من غير ألف وبفتح الفاء مع تشديد العين(فيضعِّفَهُ)، وقرأها أبو عمر ونافع وحمزة والكسائي بالألف ورفع الفاء (فيضاعفُه) ،ينظر: السبعة في القراءات ١٨٤ ـ ١٨٥ .

(يُقرِضُ) ، ونصبه بالفاء السببية الواقعة في جواب الاستفهام ، ورجّح الطوسي قراءة الرفع؛ ((لأنّ فيه معنى الجزاء ، وجواب الجزاء بالفاء لا يكون إلا رفعاً))[3] ، واختار الجزاء ؛ لأنّ فيه تبيين لفضل الله ومجازاته عباده على أعمالهم الخيّرة ، فلا يُضيع الله أجر المحسنين . وهو الراجح لدى الطبرسي أيضاً ؛ لأنّ الاستفهام عن فاعل الإقراض ، وليس عن الإقراض ، وتعليل قراءة النصب على أنها حَمْلٌ على المعنى، ويكون الاستفهام عن الإقراض ، والتقدير :أيُقرِضُ اللهَ أحدٌ فيضاعفَه له[4] .

(٤) ما يحتمله الفعل من أوجه الرفع والجزم :

ومنه قوله تعالى :﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام : ٩١] ، فقد علّل الطوسي رفع (يلعبون) بعد فعل الأمر (ذَرْهُم) فقال : ((و(يلعبون) رفَعه ؛ لأنّه لم يجعله جواباً لقوله: (ذرهم) ، ولو جعله جواباً لجَزَمه ، كما قال : (ذَرْهم يأكلوا ويتمتّعوا)[5] ، وكان ذلك جواباً . وموضع (يلعبون) نصبٌ على الحال ، وتقديرُه : ذَرْهم لاعبين في خَوْضهم))[6] .إذ خرج الكلام إلى التهديد[7].

(٥) ما يحتمله الإسم من أوجه الرفع والجر :

ومنه قوله تعالى :﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [البقرة : ١٤٨]، فقد ذكر الطوسي قراءةً أخرى لها هي : (ولكلِّ وجهةٍ) بإضافةِ (كلّ) وعدم تنوينه ، وجرِّ (وِجهةٌ) بالإضافة ، وأنكَرها ؛((لأنّه يكون الكلام ناقصاً لا معنى له ولا فائدة))[8] . فالراجح إذن هو رفع (وِجهة) على أنّه مبتدأ مؤخّر خبره شبه الجملة (لكلٍّ) ، فيكون الكلام تامّاً مُحقّقاً للفائدة ، أمّا بالجرِّ ، فتكون الجملة بلا مبتدأ ناقصةً معدومة الفائدة . وأجازَها الطبرسي على تقدير : ولكلِّ وجهةٍ هو موليها وجهةٌ[1] ؛ ولأنّ الطوسيَ يرفُض تقدير الحذف بلا مُسوِّغ ، لذلك فهو يُرجِّح قراءة الرفع .

(٦) ما يحتمله الإسم من أوجه النصب والجر :

---

(٣) التبيان ٢/ ٢٨٦ .
(٤) مجمع البيان ٣٤٨/١ .
(٥) الحجر : ٣
(٦) التبيان ٢٠٠/٤ .
(٧) ينظر:جامع البيان٢٧١/٧، والجامع لأحكام القرآن٣٨/٧ .
(٨) التبيان : ٢٤/٢ .
(١) مجمع البيان ١٠ /٢٣٠ .

ومنه قوله تعالى ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٦٤] ، فقد ذكر الطوسي فيها قراءتين[٢] : بنصب (حافظاً) على الحال ، وبجرِّه على الإضافة، وكلاهما يدلاّن على أنّه تعالى الحافظ ، غير أنّ التعبير الأوّل ،أي قراءة النصب فيها تخصيص الحفظ من لدن الله تعالى ؛ لأنّ ((حقيقة (خيرٌ من كذا) ، أنّه أنفع منه على الإطلاق ، ولا شيء أنفع منه))[٣] .

وذكر أبو جعفر النحاس فيها قراءة النصب على وجهين : إمّا على الحال ،أو على البيان والتمييز[٤] .

(٧) ما يحتمله الإسم من أوجه الرفع والنصب والجر :

ومنه قوله تعالى :﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ١٤] فقد ذكر الطوسي في (فاطِر) ثلاث قراءاتٍ: بالرفعِ عل المَدحِ ، والتقدير : هو فاطُر السموات والأرض ، وبالنصب على المَدح أيضاً ، والتقدير : اذكروا فاطَر السموات والأرض ، وبالجرِّ على أنّه صفةٌ لله تعالى ، ورجّح قراءة الجرِّ ، لملاءمتها ظاهر الآية من غير حذف أو تقدير[٥] .

وهو قول الطبري[٦] ، والزجاج[٧]،والبيضاوي[٨] ،والقرطبي[٩] .

المبحث الرابع

دلالـة حروف المعانـي

الحروف : ألفاظ وُجِدت في اللغة لتدلّ على معنًى متعلّقٍ بغيرها . وقد جعلها سيبويه القسم الثالث من أقسام الكلام فقال : ((الكَلِم اسْم ،وفعلٌ ، وحرف جاء لمعنى))[١] .

وقد عُنِيَ بدراستها سائرُ أهل اللغة والنحو ؛ لأنّها وسائلُ الربط في التركيب الذي ينصبُّ عليه عمل الذ حوي ، كما عُنِيَ بها أهل الفقه والأصول ؛ لأنّ هذه الحروف تدخل في تحديد

---

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف (حافظا) على أنها تمييز أو حال ، ووافقهم ابن محيصن ، وقرأها الباقون (حفظا) على التمييز ، وعن المطوّعي ـ وهو راوية الأعمش آخر القراء الأربعة عشر ـ أنه قرأها (خير حافظٍ) بالإضافة .ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ٢٦٦ .

(٣) التبيان ١٦٤/٦ .

(٤) إعراب القرآن ١٤٧/٢ .

(٥) التبيان ٨٨/٤

(٦) جامع البيان١٥٨/٧.

(٧) معاني القرآن وإعرابه٢٣٢/٢-٢٣٣.

(٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل٣٩٦/٢.

(٩) الجامع لأحكام القرآن٣٩٧/٦.

(١) الكتاب ١٢/١ .

الأحكام الفقهية والأصولية تبعاً لدلالاتها المختلفة . واختلفوا جميعاً في حقيقة دلالتها على المعنى ، هل تدلّ في نـ فسها ؟ أو في غيرها ؟ والغالب لديه ، أنّها تدلّ على معنًى في غيرها[٢] .

أمّا المحدثون فهم على خلافٍ أيضاً ، إذ يرى طائفة[٣] منهم أنها كلمات وظيفية تعبّر عن العلاقات الداخلية بين أجزاء الجملة ، وهي علاقات سياقيّة لها فعل نحويّ أكثر منه لغويّ ، ولذا فإنّ هذه الحـ روف لا تمتلك معنًى معجمياً ، بل لها معنًى وظيفيٌّ عام هو التعلّق ، ثمّ تختصّ تحت هذا العنوان العام بوظيفةٍ خاصّةٍ، مثل النفي والاستفهام والأمر .

على حين يرى غيرهم[٤] أنّ الحروف تدلّ على معانيها في نفسها وهي منفردة ، فحين تقول : (إلى) ، تـفهم أنّه بمعنى بلوغ الغاية ، و(على) بمعنى العُلّو ، و(لن) بمعنى النفي . ولكن معناها هـ ذا مقيّد وليس مطلَق ، مقيّد بالسياق الذي ترِد فيه ، وإنّما وجدت الحروف لتؤدّي معاني الألفاظ المتعلّقة بها ، وليس لتؤدّي معناها الذاتي ؛ لأنّه معنًى غيرُ مكتملٍ ، فهي إذن وسيلة لفـهم اللفظ المتعلّق بها وليس لفـهم معناها الخاص .

واختلف النحاة أيضاً في معاني هذه الحروف ، أتلتزم معانيها الأصلية أم أنّها تخرج إلى معانٍ أُخر . فكانوا على مذهبين ، **الأوّل** : رأي الكوفيين ومَن تابعهم ، وهم يجيزون تنوّع معاني الحرف الواحد[٥] . **والآخر** : رأي البصريين القائل بعدم جواز ذلك ، وضرورة إبقاء الحرف على معناه الأصلي[٦] .

ولكنّ واقع الاستعمال اللغوي لهذه الحروف يفرض تـداخُل معانيها وتـشابُك علاقاتها ، إذ تتعدّد الدلالة النحوية لبعضها ، فتصبح صالحةً أن تقدّم أكثر من معنًى ، تبعاً للسياق الذي ترِد فيه والقرائن الدلاليّة المُحيطة بها[١] . وكتاب الجنى الداني في حروف المعاني لابن قاسم المرادي خيرُ دليلٍ على ذلك ، إذ ((يُثبت المرادي لكلّ حرفٍ عدّة معانٍ مستشهداً لها بشواهد عديدة ، وبالرغم من كثرة المعاني التي أثبتها للحرف الواحد ، فإنّنا لم نقف على نصٍّ ينفي هذا التعدّد ، ونرى أنّ سكوتـه دليلٌ على ترجيحه ذلك))[٢] .

---

[٢] ينظر : الأصول في النحو ٤٢٧/١، ٤٨٣، ٤٩٧ ـ٥٣١، ٢/ ٢٢٣ـ٢٣٠، والجنى الداني في حروف المعاني: حسن بن قاسم المرادي ٢٠ ، وشرح المفصل ٢/٨ ، وتناوب حروف الجر في لغة القرآن : محمد حسن عواد ٧ .

[٣] ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها١٢٤ ـ ١٢٧،والتطور الدلالي بين لغة الشعرالجاهلي ولغة القرآن الكريم ٧٥

[٤] اللامات : دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية : عبد الهادي الفضلي ٥٥ ـ ٥٩

[٥] أدب الكاتب ٥٣٦ ـ ٥٤٩ ، والمخصص ١٤/٤ /٤٤ ـ ٦٩ ، وينظر : الجنى الداني : مقدمة المحقق :د. طه محسن ٣٤ .

[٦] الأصول في النحو ٢١٥/٢ ـ ٢٢٢ ، والخصائص ٣٧٠/٢ ـ ٣٠٨ ، والبحر المحيط ٦٨/١ ، ٦٩ ، وينظر : الجنى الداني: مقدمة المحقق ٣٤ .

[١] اللغة العربية معناها ومبناها ٦٣ .

[٢] الجنى الداني : مقدمة المحقق ٣٦ .

وقد عُنَي الطوسي بهذه الحروف في مؤلَّفه ، وحرص على التفرقة الدقيقة دلاليّاً بينها وتوجيه معانيها تبعاً للمعاني القرآنية، ويتبّين ذلك فيما يأتي :

١ـ حروف الجر : سمّاها حروف الإضافة[٣] متابعاً في ذلك سابقيه[٤] ،وإنّما سمّيت بذلك ؛لأنّ فيها إفضاءَ وإيصالَ معاني الأفعال إلى الأسماء،أي إضافتها إليها، نحو: مررت بزيدٍ ، أُضيف المرور إلى زيدٍ بالباء .

وسمّاها أيضاً حروف الصفات[٥] وهو مصطلح عُرف قبله لدى الخليل[٦] والفرّاء[٧] وابن قتيبة[٨] وابن السكيت[٩]. وسمّيت بهذا الاسم ؛ لأنها تُحدِث صفةً في الاسم كالظرفية،ففي نحو:جلستُ في الدار ،دلّتْ (في) على أنّ الدار وعاءٌ أو ظرفُ مكانٍ للجلوس ؛أو لأنّها تُحدِث صفةً لما قبلها من النكِرات[١٠] .

وكان الطوسي ممّن يُجيزون تناوب هذه الحروف بعضها عن بعض في الدلالة ، وقد أشارَ إلى ذلك في مواضع كثيرة ، فضلاً عن تبيينه للمعاني والدلالات الأصلية لطائفة من هذه الحروف ، ومن ذلك :

إلى : تستعمل لانتهاء الغاية[١] . وقد أشار الشيخ إلى أنّها قد تنوب عن (اللام) ، في مثل قوله تعالى : ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ [هود : ٢٣] ، فبّين أنّ ((معناه : أخبتوا لربِّهم ، فوضع إلى مكان اللام))[٢] .

وقد تأتي (إلى) بمعنى (مع) ، في مثل قوله تعالى :﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ [النساء : ٢] فقد ذكر الطوسي في تفسيره هذه الآيةَ وجهين : **أحدهما**: أن يكون المعنىلا تأكلوا أموالَ اليتامى مع أموالِكم[٣]،وهو ما ذهبَ إليه ابن قتيبة[٤]والرّماني[٥] وابن فارس[٦]. **والآخر** : أن تبقى

---

(٣) التبيان ٤٦٧/٥ .

(٤) ينظر الكتاب٤٩٦/٣-٤٩٧،ومعاني القرآن للأخفش ١١٠/١،ومعاني القرآن للفراء٣٨٥/٢،أدب الكاتب٥٣٦، وتأويل مشكل القرآن٤٢٦،المقتضب١٣٦/٤،والأصول في النحو٥٠٥/١،واللامات للزجاجي٩٧،وسر صناعة الإعراب١٣٩/١،وينظر الجر بالحرف في النحو العربي ٢٥.

(٥) التبيان ٤٥١/٦

(٦) ينظر العين (بعد)٥٢/٢،و(علو)٢٤٦/٢،و(حوش)٢٦٢/٣.

(٧) ينظر معاني القرآن للفراء٢/١،١٧٨،٣٢،٣٨٥/٣١،٣٥٥،٣٢٣،٣٢.

(٨) أدب الكاتب٣٢٢.

(٩) إصلاح المنطق٢٩٩.

(١٠) ينظر الاقتضاب:ابن السيد البطليوسي٢٥٧، وشرح المفصل٧/٨، وشرح التصريح على التوضيح٢/٢، وهمع الهوامع١٩/٢ ،والجر بالحرف في النحو العربي ٢٧.

(١) الكتاب ٢٣١/٤ ، والمقتضب ١٣٩/٤ ، والجنى الداني ،٣٧٣ .

(٢) التبيان ٤٦٧/٥ .

(٣) التبيان ١٠١/٣ .

(إلى) على دلالتها ، ويكون المعنى :لا تأكلوا أموالَ اليتامى مضافةً إلى أموالِكم [٧] ، وهو قول الرّماني[٨] أيضاً والزركشي[٩] .

وقد أجاز الفراء[١٠] أن تأتي (إلى) بمعنى (مع) إذا ضمّمت شيئاً إلى شيء كقول العرب : الذّود إلى الذّود إبل[١١] .

الباء : تستعمل للإلصاق[١٢] ، وهي كذلك لدى الشيخ[١٣] ، وتأتي في وصف الأشياء العارضة للموصوف مثل قولك : به ضلالة وبه جنة ، وبه جوع وعطش[١٤] .وقد تأتي بمعنى (عن) ، في مثل قوله تعالى : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج:١] فالمعنى في تقدير الطوسي : ((سأل سائلٌ عن عذاب واقع))[١٥]، وهو قول غير واحد من علماء اللغة والنحو[١٦] .

عن : تُستعمل للمُجاوَزة وتعدية الشيء[١] ، وهي لدى الشيخ للانحراف عن الجهة[٢]، ويدخل هذا المعنى في تجاوز الشيء وتعدّيه . وذكر أنّها قد تنوب عن الباء ، في مثل قوله تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم :٣] ، والمعنى: (ليس ينطق عن الهوى ، أي : بالهوى ، يقال : رميت بالقوس وعن القوس ...))[٣] وهو قول الفراء[٤] وابن قتيبة[٥] والرّماني[٦] . على حين يرى أبو حيان النحوي أنّ (عن) هنا باقية على بابها ، والمعنى: ما يصدر قوله عن الهوى [٧].

---

[٤] تأويل مشكل القرآن ٤٢٨ .
[٥] معاني الحروف ١١٥ .
[٦] الصاحبي ١٧٩ .
[٧] التبيان ١٠١/٣ .
[٨] معاني الحروف: الرماني ١١٥.
[٩] البرهان في علوم القرآن٢٣٣/٤.
[١٠] معاني القرآن للفراء ٢١٨/١ .
[١١] يضرب المثل في اجتماع القليل إلى القليل حتى تؤدي إلى الكثير . والذود : القطيع من الإبل . ينظر مجمع الأمثال ٢٧٧/١ ، والجنى الداني هامش ص٣٧٣ .
[١٢] الكتاب ٢١٧/٤ ، والخصائص ٢٧١/٢ ، والجنى الداني ١٠٢ .
[١٣] التبيان٤٦٣/٤.
[١٤] التبيان٢٧٣/٤.
[١٥] التبيان١٠/١١٣.
[١٦] ينظر :الصاحبي١٣٣، والجنى الداني٤١، والبرهان في علوم القرآن٢٥٧/٤.

[١] الكتاب ٢٢٦/٤ ، والمخصص ٥٤/١٤/٤ ، والجنى الداني ، ٢٦٠ .
[٢] التبيان ٤٣٣/٢ .
[٣] التبيان ٤٢١/٩ .
[٤] معاني القرآن للفراء ٩٥/٣
[٥] تأويل مشكل القرآن ٤٢٧ .

من :تُستعمل لابتداء الغاية[8]وهي كذلك لدى الطوسي،والراجح أنّها تُستعمل للابتداء عموماً ، سواء أكان الحدث ممتدّاً وله غاية، أم لم يكن ، نحو:اشتريت الكتاب من خالد ، فالشراء حدَثٌ غيرُ ممتدٍّ ، وليس له غاية وإنّما دلّت (من) هاهنا على ابتداء وُقوع الحدَث عموماً[9].

وذكر الطوسي أنّها قد تنوب عن الباء فتحلّ محلّها ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ . . . ﴾ [الرعد : 11] فالمعنى الراجح لديه هو: يحفظونه بأمر الله ؛ لأنّه الوارد في تفسير أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام[10].

وهو ما ذهب إليه غير واحد من المفسرين[11].

الـلام : تُستعمل للمُلكّية والاختصاص[12]، ولم يصرّح الطوسي بهذه الدلالة، ولكّنه أشارَ إليها بصورة غير مباشرة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ [الاسراء :7] ، والمعنى ((...إن أسأتُم فإليها)) ، إذ نابت (اللام) عن (إلى) ، والمسوّغ لذلك في رأيه تقارب المعاني ؛لأنّ ((معنى: أنتَ في منتهى الإساءة ، وأنتَ المختصُّ بالإساءة متقارب))[1]. وفي كلامه إشارة واضحة إلى أنّ (إلى) تفيد بلوغ الغاية أو النهاية ، وأنّ (اللام) تفيد الاختصاص .

وقد قال بالتناوب بين (اللام) و(إلى) في هذه الآية طائفة من علماء اللغة والتفسير[2]. على حين قال غيرهم أنّها باقية على دلالتها الأصلية وهي الاختصاص ؛ لأنّ الإنسان مختصٌّ بجزاء عمله إن كان حسناً أو سيئاً لا يتعدّاه إلى غيره[3].

٢ . حروف الجزم : وهي : لم ولّما ولا الناهية الداخلة على الفعل المضارع .

---

(6) معاني الحروف ٩٥ .
(7) البحر المحيط ١٥٧/٨ ، وينظر تناوب حروف الجر في لغة القرآن ٢٩ ـ ٣٠ .
(8) الكتاب ٢٢٤/٤ ، والمقتضب ١٣٦/٤ ـ ١٣٧ ، والجنى الداني ٣١٤ .
(9) معاني النحو ٧٢ .
(10) التبيان ٢٢٨/٦ .
(11) ينظر تأويل مشكل القرآن ٤٣٠ ، و جامع البيان١٣/١١٧ـ١١٨ ،ومعاني القرآن الكريم ٤٧٧/٣ـ٤٧٨ ،والوجيز في تفسير الكتاب العزيز٥٦٧/١ ،والجامع لأحكام القرآن٢٩٢/٩ ، والبرهان في علوم القرآن ٤٢٠/٤ .
(12) ينظر : الكتاب ٤ / ٢١٧ ، ومنازل الحروف: الرماني ٦٩ ، والمفصل ١٣٢ ، والمخصص ٤ / ١٤ / ٥٠ ، والجنى الداني ١٤٣ .
(1) التبيان ٦ / ٤٥١ .
(2) ينظر : جامع البيان ١٥ / ٣١ ، ومجمع البيان ٣ / ٣٩٨ .
(3) مدارك التنزيل ٢ / ٢٧٩ .

وقد فرّق الطوسي بين حرفي الجزم (لم) و(لّما) وبّين أنّ (لّما) تأتي لنفي الفعل المؤكّد ، و(لم) تأتي لنفي غير المؤكّد ، قال : ((الفرق بين لم ولّما أنّ لّما جواب لقول القائل :قد فَعل فلان . يريد به الحال ، فجوابه : لّما فَعل ، وإذا قال :فعل ، فجوابه : لم يفعل . فلّما كانت (لّما) مؤكّدة بحرف ، كانت جواباً لما هو مؤكّد بحرف ...))[٤].

وأشار في موضع آخر إلى أنّ كليهما ينفي الماضي ، غير أنّ في (لّما)توقّعاً . لذا فهي تأتي جواباً لما أُكّد بـ(قد) ولذا يُكتَفى في الجواب بالوقف على (لّما) ، وليس كذلك في (لم)[٥].

ويتّفق النحويون على أنّ (لم) و(لّما) إذا دخلتا على الفعل المضارع صرفتا معناه إلى المُضي[٦]. وقد ذكر المرادي فروقاً أخرى بين الحرفين فضلاً عمّا ذكره الطوسي ، ومنها جواز دخول (لم) على أدوات الشرط ، وعدم جوازه مع (لّما) ، وجواز إلغاء (لم) وعدم جوازه مع (لّما)[٧]

٣ . حروف الشرط :وهي كثيرة أشارَ الطوسي إلى دَلالات طائفة منها إمّا بالتصريح أو بالتفرقة الدلاليّة . منها :

لو : الشائع أنّها حرف امتناع لامتناع[٨]، وهي لدى الطوسي تفيد ((تعليل الثاني بالأوّل الذي يجب بوجوبه وينتفي بانتفائه على طريقة : إن كان))[٩]. وهو قريب من قول سيبويه أنّ (لو) ((لما كان سيقع لوقوع غيره))[١]يعني أنّها تقتضي فعلاً ماضياً كان يتوقع ثبوته لثبوت غيره والمتوقع غير واقع ، أو بمعنى آخر : أنّها ((حرف يقتضي فعلاً امتنع لامتناع ما كان ثبت لثبوته))[٢]. كقولك : لو قام زيد لقام عمرو .

وبّين أنّ (((لو) في أكثر الأمر يكونُ ما بعدَها أقلّ مما قبلَها ، تقول : أعطِني دابّةً ولو حماراً ، وقد يَجيء ما بعدَها أكثر ممّا قبلَها ، كما يقولُ الرجل : أنا أقاتل الأسد ، فيُستعظَم ذلك منه ، فيقال :أنت تقاتل الأسد ولو كان ضارياً))[٣] .

ويفرّق الطوسي بين (لو) و (إن) الشرطية من حيثُ الحَدَث المُتعلّق ، ففي (لو)هو ممتنعُ الوقوع ، على حين هو في (إن) محتملُ الوقوع ، قال: (((إن)تُعلّق الثاني بالأول الذي يمكن أن يكون ويمكن أن لا يكون ، كقولكَ : إن آمن هذا الكافر استحق الثواب ، وهذا مقدور . وليس

---

[٤] التبيان ٣ / ٤ .
[٥] التبيان ٢ / ٢٠٠ .
[٦] الكتاب ٢ / ٣٠٥ ، والمقتضب ١ / ٩٦ ، والجنى الداني ٢٨٢ ، ٥٣٧ .
[٧] الجنى الداني ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .
[٨] الجنى الداني ٢٨٧ .
[٩] التبيان ٤ / ٤٧٦ .
[١] الكتاب ٤ / ٢٤٤ ، وينظر : مغني اللبيب ١ / ٢٨٣ ، وأوضح المسالك ٣ / ٢٠٣ ، والجنى الداني ٢٠٠ .
[٢] الجنى الداني ٢٨٩ .
[٣] التبيان ٥ / ٣٨٢ .

كذلك (لو) ؛ لأنها قد تدخل على ما لا يمكن أن يكون كقولك : لو كان الجسم قديماً لا ستغنى عن صانع))[٤] .

وفرّق بينهما من حيثُ الدلالة الزمنية ، إذ تفيد لو (الُمضي) وتفيد (إن) الاستقبال[٥]، وذلك لأنّ (لو) تصرِف المضارع إلى المضي ، و(إن) تصرِف الماضي إلى المضارع[٦] .

(لّما) و (إذا) : قال : ((ومعنى (لّما) معنى (إذا) ، إلا أنّ (لّما) الغالب عليها الجزاء ، وهي اسم ؛لأنها تقع في جواب (متى) ، على تقدير الوقت ، كقولك : متى كان هذا ، فيقول السامع ، لّما كان ذلك))[٧] .

وقال أيضاً : ((والفرق بين (لّما) و(إذا) هو الفرق بين (لو) و(إن) في أنّ أحدهما للماضي والآخر للمستقبل ، وكلّ هذه الأربعة تعليقُ أولٍ بثانٍ ، إلا أنّ (لو) على طريقة الشكّ ، و(لّما) لليقين))[٨] ،ثمّ بيّن أنّ (((لّما) و(لو) لا يكونا إلا لما َمضى ، بخلاف (إن) و(إذا) ، فإنّهما لما ُيستقبل ، إلا أنّ (لو) على تقدير نفي وجوب الثاني لانتفاء الأّول و(لّما) يدلّ على وقوع الثاني لوقوع الأول))[٩]. فالتعليق في هذه الحروف هو الذي خصّها بالدلالة الشرطية .

ولّما الشرطّية التعليقّية هي غير لّما الجازمة للفعل المضارع ، فالأولى هي حرف ُوقوعٍ لوقوع[١] ، وَدلالتها عكس َدلالة (لو) ، ولذا يعدّهما بعض النحاة متقابلتين ، إذ تقول : لو قاَم زيدٌ قاَم عمرٌ ، ولكّنه لّما لم َيقُم لم يقم[٢]. ولا يجوز أن ياي (لّما) الشرطية إلا فعل ماض أو مضارع منفي بـ(لم)[٣] ، ويكون الحدث فيها متحقق الوقوع ، وهو معنى قول الطوسي أّنها مبنية على اليقين ، خلافاً لـ(لو) التي يكون فيها الحدث محتمل الوقوع وعدمه ، أي قابلاً للشك في حدوثه .

وجعل (لّما) بمعنى (إذا) ، لأن (إذا) لا يكون الفعل بعدها إلا ماضياً وهي تقلبه إلى المستقبل ، ولا تدخل إلا على المتّيقن وكثير الوقوع خلافاً لـ(إن) التي تستعمل في المشكوك والموهوم والنادر[٤].

---

[٤] التبيان ٤ / ٤٧٦ ـ ٤٧٧.
[٥] التبيان ٤ / ٥٠٢ .
[٦] الجنى الداني ٢٩٤ .
[٧] التبيان ٥ / ٢٦٣ .
[٨] التبيان ٤ / ٥٠٢ .
[٩] التبيان ٥ / ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .
[١] الكتاب ٤ / ٢٣٤ .
[٢] و[٣] الجنى الداني ٥٣٩ .
[٤] الاتقان في علوم القرآن ١ / ١٤٩ ، وينظر : معاني النحو ٤ / ٤٥٢ .

إذ وإذا : ذكر الطوسي أنّ هذين الحرفين يتناوبان المواقع ، من ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ﴾[سبأ:٥١]، والمعنى : إذ يفزعون ، وقوله ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾[سبأ:٣١] ، والمعنى:إذا وقفوا،((فيصبح حينئذ أن يكون القول من الله يوم القيامة، لأنّ هذا لم يقع بعد))[٥] .

والأصل في (إذا) أنّها ظرف لما يستقبل من الزمان[٦]،أمّا(إذ) فهي ((لما مضى من الدهر))[٧]، وهما متقاربان الدلالة ؛ لأنّ ((إذا فيما يُستقبل بمنزلَة إذ فيما مَضى))[٨] .

ويكون التوقّع مع الماضي والمضارع ، أمّا التقريب فلا يكون إلا مع الماضي[٩]، وهما لدى الزمخشري غيرمنفصلين[١٠].

٤ ـ حروف العطف : وهي : الواو، والفاء ، وأو ،وأم ، وثّم ، ولكن ، ولا ، وبل . وقد أشار الطوسي إلى دلالة طائفة منها ، من ذلك :

أو: ولها عدّة معانٍ منها الشكّ والتخيير والإباحة والتقسيم وغير ذلك[١] . وقد أشار إلى دلالتها على التخيير والشك ، ولذ لك فهو لايُجيز وُجودها في قوله تعالى: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء : ٣] ، فلو ((قيل بـ(أو) لظُنَّ أنّه ليس لصاحب مثنًى ثُلاث ولا لصاحب ثُلاث رُباع ...))[٢]، وهو ما ذهبَ إليه القرطبي أيضاً وعدّ الواو هنا بمعنى (بدل) ، أي انكحوا مثنى بدلاً من واحدة ، وثلاثاً بدلاً من مثنى ، ورباعاً بدلاً من ثلاث[٣]، على حين أجاز آخرون أن تكون الواو هنا بمعنى (أو) الدالة على التقسيم[٤] ، ورجّح النحاة ما قال به الطوسي إذ عدّ ابن هشام بقاء الواو على معناها الأصلي هو الأولى لأنّ جميع الدلالات تجتمع فيها[٥].

---

(٥) التبيان ٤ / ٦٥ .
(٦) الكتاب
(٧) الكتاب ٤ / ٢٢٩ .
(٨) الكتاب ٣ / ٦٠ .
(٩) الجنى الداني ٢٧١ .
(١٠) المفصّل ١٤٨ .
(١) ينظر : الكتاب ٣ / ١٨٤ ـ ١٨٥ ، والجنى الداني ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .
(٢) التبيان ١ / ٩٢ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٧/٥ .
(٤) ينظر : معاني القرآن الكريم ١٤/٢ ،والبحر المحيط ٣ / ١٦٣ .
(٥) مغني اللبيب٤٦٨/١.

أم : وهي أنواع المتصلة والمنقطعة والزائدة ، والمتصلة هي العاطفة وتأتي معادلةً لهمزة التسوية نحو قوله تعالى ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾[البقرة :٦]، وتأتي أيضاً معادلة لهمزة الاستفهام نحو: أقام زيد أم قعد؟[٦].

وقد فرق الطوسي بين (أم) و(أو) وبيّن أن (((أم) استفهام وفيها معادَلة الألف ، نحو(أزيد في الدار أم عمرو ؟)وليس ذلك في (أو) ، ولهذا اختلف الجواب فيهما ، فكان في (أم) بالتعيين وفي (أو) بنَعم أو لا))[٧] .

وقد تنّبه النحاة[٨]على هذا الفرق الدلالي، فالسؤال بـ(أو) لا يستوجِب تحديد من في الدار، وإنّما يُكتَفى فيه بقول : نَعم أو لا ، والمعنى (أأحدهما) ، أمّا السؤال بـ(أم) فيستوجب تحديد الموجود في الدار ، ولذلك يجاب عنه بالتعيين ، والمعنى (أيّهما؟) .

٥ ـ قد: وهو مختص بالفعل ، يدخل على الماضي المتصرِّف ، وعلى المضارع المتجرِّد عن الناصب والجازم[٩].

وهي لدى الطوسي تفيد التوقّع ، قال: ((ومعنى (قد) وقوع الخبر على وجه التقريب من الحال ، تقول : قد ركب الأمير ، لقوم يتوقّعون ركوَبه...))[١].ونقل سيبويه عن الخليل : أنّ قولك قد فعلَ ، كلام لقوم ينتظرون الخبر[٢]، أي يتوقّعونه .

٦ ـ اللامات الناصبة: وهي متعدّدة الأنواع ، وترجع إلى قسمين رئيسين: العامِلة ، وتضّم: الجارَّة والجازِمة . وقد سبق ذكرهما . والناصبة ، وغير العاملة ، وتضّم لام الابتداء ، ولام الجواب ، ولام التوطئة ، ولام التعجّب[٣].

ومايعنينا هنا هو اللامات الناصبة التي تشمل: لام العاقبة ، ولام التعليل أو لام كي ، ولام الجحود واللام الزائدة[٤] ،إذ وقف الطوسي عند طائفة منها في أثناء تفسيره لكتاب الله العزيز ، وفرّق بينها دلاليا في أغلب المواضع التي ترِد فيها .

من ذلك حرصه على تمييز (لام العاقبة) من غيرها من اللامات في الدراسة والاستعمال فقد فرّق بينها وبين (لام الغرض) في أكثر من موضع . فالأولى هي (لام الصَيرورة) وتسّمى

---

[٦] الجنى الداني ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .
[٧] التبيان ٣ /٣٠ .
[٨] الكتاب ٤ / ١٧٩ ـ ١٨٣ ، والجمل ٣٤٣ ، وشرح المفصل ٨ /٩٨ ، ومعاني النحو ٣ / ٢٥٠ .
[٩] الجنى الداني ٢٧٠ .
[١] التبيان ٥ / ٤٦٩ .
[٢] الكتاب ٤ / ٢٢٣ ، والجنى الداني ٢٧١ .
[٣]و[٤] اللامات للزجاجي ٤٧ ـ ٧٢ ، ١٢٥ ، والجنى الداني ١٤٣ .

أيضاً (لام المآل) ، ذكرَها طائفة من النحويين[٥]، والأخرى هي (لام كي)التي تُبين غرضَ الحَدث[٦] .

ومّما وقف عنده الطوسي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ﴾ [يونس:٨٨] ، فقد بّين أنّ اللام في (لِيضلّوا) ، هي : ((لام العاقبة ، وهي ما يؤول إليه الأمر ، كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[٧]...))[٨] ، وأنكر كونَها لام غرض ؛ لأنّ ((الله لا يفعل بهم الزينة ويُعطيهم ويُريد منهم أن يَضلّوا ، بل إنّما يفعل لَينتفعوا وُيطيعوا وَيشكروه))[٩]،حاشا لله أن يفعل ذلك ، فهو إذ يمُنّ على عباده بالخير والنعم ، إنّما يريد منهم أن يعمَلوا بأوامره ويمتثلوا لنواهيه ويُشيعوا الخير والمحبة والسلام ويشكروه على فضله . ولذا فإنّ (اللام) هنا ليست لتحديد غرض فعل الله وإنّما هي لتبيين ما آل إليه مصير هؤلاء ، وما كانت عليه عاقبة ضَلالهم ، وهو رأي الطبرسي[١] والقرطبي[٢] أيضاً .

وكذلك فرّق بينهما في قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا﴾[الأنعام:١٢٣]، فاللام هنا ليست للغرض ؛ ((لأنّه تعالى لايُريد أن يَمكروا ، وقد قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣] وإرادةُ القبيحِ قبيحةٌ ، والتقدير : و كذلك جَعلنا في كلّ قريةٍ أكابَر مجرميها ليطيعوني وليمتثلوا لأوامري ، وكان عاقبتهم أن مكروا بالمؤمنين وخدعوهم...))[٤].

على حين بيَّن أنّ اللام في قوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [ابراهيم:١] ، هي لام الغرض ؛ ((لأنّ الله يريد الإيمان من جميع المكلّفين ،لأنّه

---

[٥] اللامات للزجاجي ١٢٥ ، والبرهان في علوم القرآن ٤ / ٣٤٨ ، وتسهيل الفوائد ١٤٥ ، والجنىالداني ١٦٠ .
[٦] اللامات للزجاجي٥٣ ، والجنى الداني ١٥٦ .
[٧] القصص: ٨.
[٨]و[٩] التبيان ٥ / ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .
[١] مجمع البيان١٢٨/٣.
[٢] الجامع لأحكام القرآن٣٧٤/٧.
[٣] الذاريات : ٥٦ .
[٤] التبيان ٤ / ٢٦١ .

ذكر أّنه أنزل كتابه ليخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ...))[٥]، ولايجوز أن تكون لام العاقبة ؛((لأّنها لو كانت كذلك لكانَ الناسُ كلُّهم مؤمنين ، والمعلوم خلافه))[٦] .

وفرّق أيضاً بين لام الغرض ولام التعليل ، حين فسّر قوله تعالى ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ.. ﴾[التوبة:٩٥] ، فقد نقل عن ثعلب قوله ((اللام في قوله تعالى (لتعرضوا عنهم) ليست لام غرض ، وإنّما معناه لإعراضكم))[٧]، وأضاف الطوسي ((وإنّما علّق هاهنا بذلك لئلاّ يُتَوَهم أّنه إذا رَضَي المؤمنون فقد رضِي الله عنهم أيضاً ، فذكَر ذلك ليزول هذا الإلتباس ؛لأنّ المنافقين لم يحلِفوا لهم لكي يعرضوا ، ولكنّهم حلفوا تبرؤاً من النفاق ، ولإعراض المسلمين عنهم ...))[٨]؛ فلام الغرض يكون الفعل المتصل بها غرضاً مترتّباً على الفعل الذي قبلها ، وهو ما ينطبق على هذه الآية . في رأي ثعلب . إذ الإعراض كان سبباً للحِلف . على حين رجّح الطوسي أن يكون الإعراض هو غَرض الحِلف ، إذ قال: ((أي لتصفحوا عنهم ولا توّبخوهم ولا تعنّفوهم ...))[١] .

وهو الراجح في البحث أيضاً ، بدليل أن الله أمرهم بعد ذلك بالإعراض عنهم ، فقال : ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢] . ثّم عاد ليبيّن سبب حلفهم ، وهو إرضاء المؤمنين ، قال : ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة : ٩٦] ، فالحلف إذن كان لغرض إرضاء المؤمنين عن الكفار وإعراضهم عنهم ، وعلى هذا فاللام للغرض وليست للتعليل .

ونخلص من كلّ ذلك إلى أنّ تفسير التبيان غنّي بالبحث النحوي الدلالي، فضلاً عن عنايته بأصول النحو وقوانينه التي فصّل ذكرها دارسيه ، فكان بحق مصدراً نحوياً مهّماً كشفَ عن علم صاحبه بالنحو العربي وتضلّعه في ما يتعلّق بمعانيه ودلالاته .

---

[٥] و[٦] التبيان ٦ / ٢٧١ .
[٧] و[٨] التبيان٥ / ٢٨٢ .
[١] التبيان ٥ / ٢٨٢ .
[٢] التوبة :٩٥ .

الخاتمة

بعدما حططت رحالي من رحلتي العلمية مع الطوسي التي دامت أكثر من سنتين وأثمرت ألواناً من النور القرآني والفيض العلمي الذي أنار عقلي وشرح بالإيمان صدري . وفي هدي هذا النور لابدّ أن نجنّي أهم الثمار التي أينع بها هذا البحث وهي كالآتي :

١ . تبين أن أبا جعفر محمد بن الحسن الطوسي من كبار شيوخ المسلمين وعلمائهم ، ولد وترعرع في طوس وتلقى علومه في بغداد حتى استوى رئيساً للعلم والعلماء ، ثّم انتقل إلى النجف حيث أسس أول مدرسة علمية دينية وخلّف تراثاً فقهياً وأصولياً وتفسيرياً زاخراً .

٢ . وثبت أن لتفسير التبيان أهمية بالغة وقيمة علمية متميزة في تاريخ التفسير الاسلامي، وقد شهد له بذلك كبار مؤرخي العالم الإسلامي،واعتمد عليه بعض مشاهير المفسرين كالطبرسي .

٣ . كشف البحث عن أهم السمات التكوينية لمفهوم الدلالة لدى علماء العربية من لغويين ونحاة وأصوليين وبلاغيين ومفسرين ، ثّم استعرض المفاهيم الدلالية لدى المحدثين وبين أن البحث الدلالي هو من صميم عمل القدماء والمحدثين وفي أغلب الميادين الفكرية .

٤ . سعى البحث إلى محاولة تأصيل المفاهيم الفكرية والأبعاد الدلالية لدى الطوسي إلى جذورها الأولى فكانت مزيجاً من الثقافات الإسلامية والفلسفية والمنطقية والكلامية .

٥ . تبين أنّ مفهوم الدلالة لدى الطوسي قد اتسع وتداخل مع بعض المفاهيم الفلسفية كالعلامة والبرهان ، وجمع تحته أنواع الدلالات اللغوية وغير اللغوية . وارتكز على جملة من القضايا الدلالية ، أهمها: اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول ، والفصل بين الإسم والمسمى ، ثّم الفصل بين الكلام الفعلي والكلام النفسي ، وتأكيد ارتباط الكلام بالمكان الذي يمّيز بين الوجود الحسّي المتمثل بالمرجع أو الشيء الخارجي ، والوجود المعنوي المتمثل بالفكرة أو الصورة الصوتية للدالّ .

٦ . أثبت البحث أن الطوسي قال بجملة من المفاهيم اللغوية الدلالية التي جاء بها المحدثون بعد ستة قرون ، وهي قدرة الإنسان على توليد اللغة ، وأن موطن التوليد هو الفكر ،وأن بين اللغة والفكر صلة وثيقة تتمثل بعناصر المثلث الدلالي: الدليل اللفظي، والمدلول الفكري ، والمرجع الخارجي أو المدلول عليه .

٧ . وتبين أن الطوسي قد أدرك الفرق بين المعنى والدلالة فالمعنى لديه هو ما يفهم من ظاهر النص بعد تفسير مفرداته لغوياً ، أّما الدلالة فهي عملية الاستدلال على معانٍ أُخَر في النص ، كأن تكون مجازية أو فقهية أو تشريعية .

٨ . يقوم البحث الدلالي على دراسة شاملة لعلوم العربية كافّة من صوت وصرف ونحوٍ ومعجمٍ معتمداً الألفاظ والتراكيب .

٩ . أثبت البحث إحاطة الطوسي بجوانب دلالية في التأليف الصوتي للقرآن الكريم ، فقد أدرك أثر الاستبدال الفونيمي في تغير المعنى ما كان منه داخل تركيب الكلمة مثل الصوامت والصوائت ، وما كان منه خارج تركيبها مثل التنغيم . وأدرك أيضاً أثر الدلالة الصوتية في الإيحاء بالمعنى ، وأثر جرس الأصوات في إضفاء صفة التميز الفني والتلاؤم الموسيقي .

١٠ . أثبت البحث أن للطوسي دراية بالدلالة الصرفية وإحاطة بمعاني الأوزان الاسمية والفعلية ، وما يعتري الصيغ من زيادات بنيوية تغّير المعنى ، والأثر الدلالي الذي تحدثه نيابة الصيغ بعضها عن بعض ، وأثر التغير المورفيمي في معاني الألفاظ .

١١ . تبين أن ابن الأعرابي وثعلباً وأبا علي الفارسي وابن فارس لم ينكروا الترادف مطلقاً وإنما قالوا بندرة التام منه ، وحملوا أغلب المترادفات على أنها صفات .

١٢ . يقوم مفهوم الترادف لدى الطوسي على ركنين أساسين ،أولهما: ندرة الترادف التام ، والآخر: شيوع الترادف النسبي .وقد كشفت عن جذور نظرية الحقول الدلالية لدى القدماء ، فقد أرسى الطوسي بعض أصولها في تقسيمه الألفاظ إلى متماثلات ومتقاربات ونظائر ، وفي تقسيم كلٍّ منها إلى حقول معنوية مختلفة تجتمع في معنًى عام وتختلف في فوارق دلالية جزئية.

و يعتمد في كشف الفروق الدلالية بين الألفاظ عدة وسائل ، منها الرجوع إلى الأصل الاشتقاقي ، واعتبار الضدّ والنقيض ، واعتبار العموم والخصوص .

١٣ . تبّين أن أغلب ألفاظ المشترك التي وردت في كتب القدماء تدخل في باب الوجوه والنظائر ؛ لأن المشترك اللفظي الحقيقي هو ما كان في أصل وضعه اللغوي يشترك في معان عدة ليس بينها صلة مجازية أو قرابة لغوية أو تعدّد لهجي ، وأن تدلّ جميعها على شيء واحد وباعتبار واحد .

وتبين أيضاً أن الطوسي لم يفرق بين الاشتراك الحقيقي والاشتراك المجازي فكلا النوعين من المشترك اللفظي لديه ، وقد أعطى للسياق والقرائن النحوية الأهمية البالغة في تحديد دلالة الألفاظ المشتركة والمتضادّة .

١٤ . ثبت في البحث أن التغير الدلالي في الألفاظ سمة عامة في اللغات البشرية ، يحدث تلقائياً وينتج عن تفاعل اللغة والبيئة والمؤثرات الخارجية ،إذ تخضع اللغة لوظيفتها الاجتماعية التي تؤثر على طبيعتها الرمزية في الدلالة .

وقد أدرك الطوسي أثر الاستعمال في التغير الدلالي وعني بالجانب التاريخي في دراسة مفردات القرآن الكريم بدءاً بالأصل اللغوي ،ثّم متابعة مراحل التطور الدلالي وصولاً إلى الدلالة القرآنية ، واستعمل مصطلح(أصل الباب) الذي يمثل المعنى العام المستخلص من جميع الألفاظ المشتقة من ذلك الأصل ، وهو يماثل (الاشتقاق الأصغر) عند ابن جني ، و(المقياس) عند ابن فارس ، و(المعنى المركزي)عند المحدثين .

١٥. تبّن أن النحو نشأ مع نشأة الدراسات القرآنية ، وان كل المعايير التي وضعها علماء النحو كانت من أجل الحفاظ على ذلك النص العظيم .

١٦ . أكد البحث أنّ الدلالة التركيبية تقوم على ثلاث جوانب دلالية : النحوية والسياقية والبلاغية ، وهي تتآزر بعضها مع بعض في منح النص حيويته وفاعليته في التعبير عن المعنى المراد .

١٧ . زخر تفسير التبيان بمباحث علم المعاني وجوانب أخرى من الدلالة النحوية بشكل جلّي أخذ أبعاده الدلالية العميقة .

١٨ . أثبت الطوسي أن الخبر هو أصل الجمل ، وأن الأساليب الإنشائية تبنى عليه بإحدى الأدوات التعبيرية ، وفرّق بين الخبر والإنشاء معنوياً ولفظياً . وأدرك أثرالمخاطب في صياغة الكلام ، وفي توجيه الخبر وغرضه ، إذ يتنوّع الخبر تبعاً لتنوّع حال المخاطب .

١٩ . عني باسلوب الإنشاء وفرّق بين الأمر والدعاء ، وبين الأمر والنهي ، فشرط الأمر الاستعلاء ، وشرط النهي الزجر أّما الدعاء فيرافقه التضرّع والتذلّل ، وأثبت أن أسلوب الاستفهام ناتج عن تحويل تركيب إخباري إلى استفسار باستعمال أدوات خاصة وتنغيم خاص، وأكّد أيضاً أن الاستفهام في أصله للاسترشاد والاستعلام الذي يمثل البنية السطحية له، وقد يخرج إلى دلالات أخر تمثل البنية العميقة له .

٢٠ . تبين أن الطوسي عني بدلالة الجمل الاسمية والفعلية والشرطية ، وأثبت أنّ الأولى تدلّ على الثبوت والدوام ، على حين تدلّ الثانية على تجدّد الحدث ، وتقريبه والإشعار بتحقق وقوعه ، والمبالغة في تصوير وقوع الفعل . وسمّى الجملة الشرطية : الجملة المركبة ، تشبيهاً بالجملة الاسمية التي خبرها جملة ،وأوجب في الشرط أن يرتبط بالجزاء ، وشّبه العلاقة بينهما بعلاقة المبتدأ والخبر .

٢١ . تخضع الجملة لمعيار الرتبة الذي تحكمه ثلاثة أمور ، هي: تصور المتكلّم، وحاجةالمتلقّي ، وتوخّي الصياغة المثالية للجملة وقد أشار الطوسي إلى جملة أغراض دلالية تتحقق بأسلوب التقديم والتأخير مثل :التخصيص ، والعناية بالمقدّم ، وتقديم الأعرف ، وتقديم السبب على المسبب .

٢٢ . اشترط الطوسي في القول بالحذف أن لا يكون ذكر الكلام المحذوف مخلاً بالمعنى وأن يكون حذفه لدلالة مقصودة كالإيجاز وفهم السامع والمبالغة والإفادة من السياق .

٢٣ . تبيّن أن الإعراب من أهم الظواهر المميزة للغة العربية وتعدّ لغة القرآن من أقوى الأدلة على أثر الحركات الإعرابية في المعنى لأن عمق معانيه ودقة أحكامه توجب تحديد الموقع الإعرابي لكلّ كلمة في الآيات .

٢٤ . اتخذ الطوسي القراءات وسيلة لتوجيه المعاني المقصودة في القرآن الكريم وأعرب كثيراً من الألفاظ والتراكيب ، مبيناً الوجوه النحوية المتباينة التي يتباين على إثرها المعنى الذي عليه المدار في الإعراب ، والنحو لديه تابع للمعنى ،إذ يرجِّح الوجه الإعرابي الذي يتفق ومبادئ الدين الإسلامي وأصول الشريعة .

٢٥ . من أهمّ نتائج فصل الدلالة النحوية أنّ الطوسي قد سبق المحدثين إلى القول بأن لكلِّ جملة بنيتين :سطحية وتتمثّل بظاهر النص ،وعميقة وتتمثّل بمعناه الباطن أو الثاني ، وأدرك أيضاً أنّ لكلِّ جملة نواةً تتولّد عنها عدّة جملٍ ، وأنّ لبعضها جملتين نواتين مختلفتين .

٢٦ . تبين أنّ للسياق أثر بالغ في تحديد دلالات الألفاظ والتراكيب ، وله ثلاثة أنواع : اللفظي والحالي والعقلي ، وقد استعمل الطوسي مصطلح القرينة للدلالة على السياق اللفظي الذي يمثل مجموع الألفاظ المصاحبة للفظ المراد تفسيره ، سواء أكانت متأخّرة عنه أم متقدّمة عليه أم مكتنفةً من جانبيه .

٢٧ . واستعان بالسياق الحالي الذي يشمل جميع الظروف والأحوال والمناسبات المحيطة بالنص ، ومنها أسباب النزول التي تكشف عن الظروف الحقيقية المحيطة بالآية القرآنية وتكشف بجلاء عن معناها المقصود .

٢٨ . واستعان أيضاً بالسياق العقلي الذي يعتمد العقل والاستنباط ،وهو لديه وسيلة للوصول إلى الدلالة تقع خارج النص وبعيداً عن ظروفه المحيطة به ، واتخذه وسيلة في تفسيره لنفي صفات التجسيم عن الذات الإلهية ونفي كلّ ما يقدح بعصمة الأنبياء وكذلك في إثبات الحقائق العلمّية المؤيِّدة لحقائق الإيمان .

٢٩ . للقرآن نظمه الخاص المميز إذ تترابط آياته وألفاظه ترابطاً معنوياً وثيقاً يقوم على أساس التناسب الدلالي الذي يكون بين الألفاظ والفواصل القرآنية والآيات التي ترد فيها، وبين الآيات أنفسها في السورة الواحدة إذ تتابع على أساس معني بحت .

٣٠ . تطرأ على التراكيب ظاهرتا العموم والخصوص بتوافر صيغ كلّ منها فإذا توافرت ألفاظ العموم منحت الجملة دلالة عامة وإذا توافرت ألفاظ الخصوص منحت الجملة دلالة خاصة .

٣١ . بين الطوسي أن للعموم غرضين أساسيين هما إطلاق الأحكام الشرعية ، والمبالغة وإرادة الكثرة كماً وكيفاً ، وأنّ للتخصيص أغراضاً أخرى منها الدلالة على شهرة المخصص وعلى شرفه ، و الدلالة على الترغيب ، وعلى الزجر والتهديد .

٣٢ . وأثبت أن للسياق بأنواعه أثراً بالغاً في تخصيص العام ، وفي تعميم الخاص ، وفي تقييد المطلق .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

(أ)

🕮 **ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة :** تأليف عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي (ت ٨٠٢هـ) ، تحقيق :الدكتور طارق الجنابي ، مكتبة النهضة العربية

🕮 **أبحاث في أصوات العربية :** حسام سعيد النعيمي ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٩٨م .

🕮 **أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية :** رشيد العبيدي ، بغداد ١٩٨٨م.

🕮 **ابن جني عالم العربية :** حسام سعيد النعيمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الطبعة الأولى ، بغداد ١٩٩٠ م .

🕮 **ابن قيم الجوزية وجهوده في الدرس اللغوي:** طاهر سليمان حمودة ، دار الجامعات المصرية. الإسكندرية،١٣٩٦هـ. ١٩٧٦م.

🕮 **ابن القّيم وحسّه البلاغي في تفسير القرآن:**عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي ، الطبعة الأولى ، لبنان . بيروت . ١٩٨٢م .

🕮 **أبنية الصرف في كتاب سيبويه:** الدكتورة خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة ، الطبعة الأولى ، بغداد١٣٨٥هـ. ١٩٦٥م .

🕮 **أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية :** علي جابر المنصوري ، الطبعة الأولى ، مطبعة الجامعة ، بغداد ١٩٨٧م .

🕮**الاتجاه العقلي في التفسير (دراسة في قضية المجاز قي القرآن عند المعتزلة) :** نصر حامد أبو زيد ، دار التنوير للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ،بيروت ١٩٨٢م .

🕮 **إتحاف فضلاء البشر في قراءات القراء الأربعة عشر :** أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي (ت ١١١٧هـ)، رواه وصححه وعلق عليه علي محمد الضباع ، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي ، مصر ١٣٥٩هـ .(صحح العنوان الدكتور عبد الرحمن مطلك الجبوري بعد وقوفه على نسخة من مخطوطة هذا الكتاب) .

🕮 **الإتقان في علوم القرآن:**جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ،١٩٧٥ .

🕮 **أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية :** عبد القادر

عبد الرحمن السعدي ، مطبعة الخلود ، الطبعة الأولى بغداد ١٩٨٦م .

🕮 **أثر القرآن في تطورالنقد العربي** : محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٢م .

🕮 **أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث:** توفيق الزيدي ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤م.

🕮 **أثر النحاة في البحث البلاغي** : عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٧٥م .

🕮 **أحكام كلّ وما عليه تدلّ** : تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٥٦هـ) ، تحقيق : د. طه محسن ، دار الشؤون الثقافية ، الطبعة الأولى ، بغداد ٢٠٠٠م .

🕮 **إحياء النحو** : ابراهيم مصطفى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩م .

🕮 **أدب الكاتب** : ابن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الرابعة ، ١٣٨٢هـ. ١٩٦٣م .

🕮 **ارتشاف الضرب من لسان العرب** :أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف(ت ٧٤٥ هـ) ، تحقيق : مصطفى أحمد النّماس ، الطبعة الأولى ١٩٨٤ .

🕮 **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، المعروف بتفسير أبي السعود** : محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت٩٥١هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

🕮 **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول:**محمد بن علي الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) تحقيق:شعبان محمد اسماعيل،دار السلام، مصر، الطبعة الأولى،١٤١٨هـ.١٩٩٨م.

🕮 **أساس البلاغة** :جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت ٥٣٨هـ) ، دار صادر بيروت ١٩٧٩ م .

🕮 **أساليب بلاغية ، الفصاحة ، البلاغة ، المعاني** :الدكتور أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات الكويت ، الطبعة الأولى .:

🕮 **أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين** : قيس اسماعيل الأوسي ، من منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ١٩٨٨ .

🕮 **أسباب اختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية:** مصطفى ابراهيم الزلمي، الدار العربية للطباعة ، الطبعة الأولى ١٩٧٦م .

🕮 **أسباب النزول** : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ) ، الطبعة الثانية ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ١٩٦٨م .

🕮 **أسرار البلاغة** : عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) ، تعليق : أحمد مصطفى المراغي ،

مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٩٣٢

🕮**أسرار التكرار في القرآن** : محمد بن حمزة بن نصرالكرماني (ت هـ) ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ .

🕮**أسرار العربية** : كمال الدين أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) ، تحقيق : محمد بهجة البيطار ، مطبعة الترقي، دمشق ١٣٧٧هـ . ١٩٥٧م .

🕮 **أسس علم اللغة** : ماريوباي ، ترجمة : أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس ، كلية التربية ١٩٧٣ .

🕮 **الأشباه والنظائر في القرآن الكريم** : مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ) ، تحقيق: عبدالله محمود شحاته ،مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩٥هـ . ١٩٧٥ م.

🕮 **أشتات مجتمعات في اللغة والأدب**:عباس محمود العقاد ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٣

🕮 **الإشتقاق**: أبو بكر محمد بن السري بن السرّاج (ت٣١٦هـ) ، تحقيق :محمد صالح التكريتي ، مطبعة المعارف ، الطبعة الأولى ، بغداد ١٩٧٣م .

🕮 **اشتقاق أسماء الله** : أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (٣٧٧هـ) ، تحقيق: عبد الحسين المبارك ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ١٩٧٤م .

🕮**إصلاح المنطق** : أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن السكيت (ت٢٤٤هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر، الطبعة الثالثة ١٩٧٠م .

🕮 **إصلاح الوجوه والنظائر**:االحسين بن محمد الدامغاني (ت٤٧٨هـ) ،تحقيق : عبد العزيز سيد الأهل ، بيروت ١٩٧٠م .

🕮 **الأصوات اللغوية:** الدكتور ابراهيم أنيس، الطبعة الخامسة ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٥٧م.

🕮**الأصوات والإشارات** : أ.كندراتوف ، ترجمة : شوقي جلال ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

🕮 **الأصول** : دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب : تمام حسان ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٨م .

🕮 **أصول السرخسي:** أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت٤٩٠هـ) ،تحقيق: أبي الوفاء الأفغاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ١٩٧٣م .

🕮**أصول الفقه:** محمد أبو زهرة ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ، دار الثقافة العربية للطباعة ١٩٧٣ .

📖 **أصول الفقه** : الشيخ محمد الخضري ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، الطبعة السادسة ، مصر ١٩٦٩

📖**الأصول في النحو**:أبو بكر بن السّراج ، تحقيق: عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧ . ١٩٨٧م .

📖 **الأضداد** : أبو بكر محمد بن الأنباري (ت٣٢٨هـ) ، تحقيق : أبو الفضل ابراهيم ، الكويت ١٩٦٠م .

📖 **أضداد قطرب** : محمد بن المستنبر (ت بعد ٢٠٦هـ)، مجلة اسلاميكا ، المجلد الخامس ١٩٣١ م .

📖**الأضداد في كلام العرب:** أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (ت٣٥١هـ)، تحقيق : الدكتور عزة حسن ، دمشق ١٩٦٣ .

📖 **الأضداد في اللغة** : محمد حسين آل ياسين ، مطبعة دار المعارف ، الطبعة الأولى ، بغداد ١٣٩٤هـ . ١٩٧٤م.

📖**أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة:** نايف خرما، ضمن سلسلة كتب ثقافية الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م .

📖 **الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل نافع بن الأزرق:** الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ،مصر ١٩٧١م .

📖 **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** : مصطفى صادق الرافعي ، راجعه وصححه وضبطه : محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة ، الطبعة السابعة ، القاهرة ١٩٦١م .

📖 **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم** : أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه(ت٣٧٠هـ)، منشورات دار الحكمة دمشق ،مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤١م .

📖 **إعراب القرآن** : أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس(ت ٣٣٨هـ) ، تحقيق : زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٧م.

📖 **إعراب القراءات السبع وعللها وحججها**:الحسين بن أحمد بن خالويه (ت٣٧٠هـ)، تحقيق :الدكتور عبد الرحمن العثيمن ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

📖 **الأعلام:** خير الدين الزركلي، المطبعة العربية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٣٨٩ هـ . ١٩٦٩م .

📖**أعيان الشيعة** : السيد محسن الأمين ، تحقيق: حسن الأمين ، الطبعة الثانية ، مطبعة

الإنصاف ، بيروت ،١٩٦٣م .
📖 **الإغراب في جدل الإعراب** : أبو البركات كمال الدين عبد الرخمن بن محمد الأنباري (ت٥٧٧هـ) ،تحقيق :سعيد الأفغاني ،دار الفكر ،بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧١م .
📖**الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)**:ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .
📖**الألسنية التوليدية التحويلية (النظرية اللسانية)** : الدكتورميشال زكريا،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م .
📖 **الألسنية العربية** : ريمون طحان ، دار الكتاب اللبنابي ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٢.
📖 **الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام** : ميشال زكريا ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٣م .
📖 **الألفاظ المترادفة** :أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٤٨هـ) ، اعتنى بشرحه والتزم طبعه :محمد محمود الرفعي ، مصر ، د.ت .
📖 **أمالي المرتضى** : غرر الفوائد ودرر القلائد: للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي ، تحقيق: محمد أبي الفضل ابراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى، مصر ١٩٥٤م .
📖 **أمّية بن أبي الصلت حياته وشعره** : دراسة وتحقيق : بهجة عبد الغفور الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٥ .
📖 **الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء** : محمد جعفر الكرباسي، مطبعة الآداب ، النجف ١٩٨٧م .
📖 **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**:القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ) ، تحقيق وتعليق وتقديم : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر ، مطبعة السنة المحمّدية ،الطبعة الثانية مصر ١٣٨٢هـ . ١٩٦٣م .
📖 **الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين**:أبو البركات الأنباري(ت٥٧٧هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ت ،
📖 **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** : البيضاوي (ت٧٩١هـ) تحقيق : عبد القادر عرفات العشا حسونة ، دار الفكر بيروت ١٩٩٦ هـ .

📖 **أوزان الفعل ومعانيها** :هاشم طه شلاش ، مطبعة الآداب، النجف الأشرف ١٩٧١م.

🕮 **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** : أبو محمد بن عبدالله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ) ، دار الجيل ، الطبعة الخامسة ، بيروت ١٩٧٩م .

🕮 **الإيضاح في علل النحو**: أبو القاسم الزجاجي (ت٣١١هـ) ، تحقيق : مازن المبارك ، دار النفائس ، الطبعة الرابعة ١٩٨٢م .

🕮 **الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)**: جلال الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (٧٣٩هـ) ، شرح وتعليق وتنقيح:الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ،الطبعة الخامسة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م.

(ب)

🕮 **البحث النحوي عند الأصوليين**: الدكتور مصطفى جمال الدين ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٠م .

🕮 **البحر المحيط (تفسير القرآن الكريم)**: أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ،الطبعةالثانية ١٩٧٨م .

🕮 **بحوث لغوية** : الدكتورأحمد مطلوب ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م

🕮 **بحوث ومقالات في اللغة**: الدكتور رمضان عبد التواب ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدني ، مصر ١٤٠٣هـ. ١٩٨٢م.

🕮 **بدائع الفوائد** : أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، عُني بتصحيحه ومقابلة أصوله والتعليق عليه : إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، د .ت .

🕮 **البرهان في أصول الفقه** : أبو المعالي عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني (ت٤٧٨هـ) ، حققه وقدم له : الدكتور عبد العظيم محمود الديب ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،الطبعة الرابعة ١٩٩٧م .

🕮 **البرهان في علوم القرآن** : بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ) ،تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩١هـ. ١٩٧٢م.

🕮 **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن** : كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت٦٥١هـ) ، تحقيق: الدكتورة خديجة الحديثي والدكتور أحمد مطلوب ، مطبعة العاني بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٧٤م .

🕮 **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، القاهرة ١٩٦٩م .

🕮 **بغيـة الوعاة في طبقات اللغويين والنحـاة:** عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطـي (ت٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية،بيروت ، د . ت .

🕮 **البلاغة العربية ، قراءة أخرى** : محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

🕮 **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية:** محمد حسنين أبو موسى ، دار الحمامي للطباعة ، مصر (د.ت) .

🕮 **البلاغة والأسلوبية** : محمد عبد المطلب ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.

🕮 **البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث** : أبو البركات الأنباري(ت٥٧٧هـ) ، تحقيق وتقديم: الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ .

🕮 **البناء الصوتي في البيان القرآني** : محمد حسن شرشر ، دار الطباعة المحمدية ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

🕮 **البنى النحوية** : نوام جومسكي : ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة مجيد الماشطة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى١٩٨٧م .

🕮 **بنية العقل العربي:** محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

🕮 **بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)** : أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي (ت٣٣٨هـ) ، تحقيق : محمد خلف ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف مصر ، د.ت .

🕮 **البيان في غريب إعراب القرآن:** أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري (ت٥٧٧ هـ) ، تحقيق : الدكتور طه عبد الحميد ومراجعة مصطفى السقى ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٩م .

🕮 **البيـان والتبيين** : أبو عثمان عمرو بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السـلام محمد هارون ، مؤسسة الخانجي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، د. ت .

(ت)

🕮 **تأثير التفكير الديني في البلاغة العربية:**الدكتور مهدي صالح السامرائي، دمشق ،المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٩٧٧م .

🕮 **تأويل مشكل القرآن** : عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ) ، شرح وتحقيق : السيد أحمد صقر ، دار احياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي د .ت .

📖 **تاج العروس من جواهر القاموس :** محبّ الدين أبي الفيض محمد بن مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) ، دار صادر ، بيروت١٣٨٦ هـ . ١٩٦٦م .

📖 **تاريخ آداب اللغة العربية :** جرجي زيدان ، تعليق ومراجعة : الدكتور شوقي ضيف ، دار الهلال ١٩٥٧ م .

📖 **تاريخ ابن خلدون ، المقدمة :**عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت هـ) ، دار القلم بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٨م .

📖 **تاريخ العربية :** الدكتورنهاد موسى ، المؤسسة الصحفية الاردنية ، عمان ١٩٧٦م .

📖 **التبصرة والتذكرة :**أبو محمد عبد الله بن علي بن اسحاق الصيمري (من نحاة القرن الرابع الهجري) ، تحقيق : فتحي أحمد مصطفى ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م .

📖 **التبيان في إعراب القرآن :** أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) ،تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ، د .ت .

📖 **التبيان في أقسام القرآن :** محمد بن أبي بكر أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، دار الفكر ، د.ت .

📖 **التبيان في تفسير القرآن :** أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) ، تحقيق وتصحيح : أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب قصير ، المطبعة العلمية ومطبعة النعمان ، النجف ١٩٥٧ . ١٩٦٥م .

📖 **التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين:** أبو البقاء العكبري ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمن ، بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، الطبعة الأولى ١٩٦٨م .

📖 **التحرير والتنوير :** تأليف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٨٤م .

📖 **الترادف في اللغة :** حاكم مالك لعيبي ، دار الحرية للطباعة ودار الرشيد للنشر ١٩٨٠م .

📖 **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :** جال الدين محمد بن عبدالله بن مالك ، تحقيق : محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٧هـ . ١٩٦٧م .

📖 **التشبيهات القرآنية والبيئة العربية:**واجدة الاطرقجي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٨م .

📖 **التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، فونولوجيا العربية :**الدكتور سلمان العاني ، ترجمة : الدكتور ياسر الملاح ،الطبعة الأولى ، السعودية . جدة ١٩٨٣م .

🕮 **تصحيح الفصيح:** عبدالله بن جعفر بن درستويه (ت٣٤٧هـ) ، تحقيق: عبدالله الجبوري، مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٧٥م .

🕮 **التصريف الملوكي** : أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد سعيد بن مصطفى النعسان ، تعليق : أحمد الخاني ومحيي الدين الجراح ، دار المعارف ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ . ١٩٧٠م .

🕮 **التصور اللغوي عند الأصوليين** : الدكتور السيد أحمد عبد الغفار ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ . ١٩٨١م .

🕮 **التضاد في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنة**:ربحي كمال ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٥م .

🕮 **تطور البحث الدلالي دراسة في النقد البلاغي واللغوي** : الدكتور محمد حسين الصغير ، بغداد دار الكتب العلمية ١٩٨٨م .

🕮 **تطور تفسير القرآن ،قراءة جديدة** : الدكتور محسن عبد الحميد ،مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ١٩٨٩م .

🕮 **التطور الدلالي بين لغة الشعرالجاهلي ولغة القرآن الكريم** ،دلاسة دلالية مقارنة: عودة خليل أبو عودة ، مكتبة المنار ، الطبعة الأولى ، الأردن . الزرقاء ١٤٠٥. ١٩٨٥م .

🕮 **التطور اللغوي : مظاهره وعلله وقوانينه** : رمضان عبد التواب ، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض ، الطبعة الثانية ١٩٩٠ م .

🕮 **التطور اللغوي والتاريخي** : ابراهيم السامرائي ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٩٨١ .

🕮 **التعبير القرآني** : الدكتور فاضل السامرائي ، دار الكتب ، الموصل ١٩٨٨م .

🕮 **التعريفات** :لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت٨١٦هـ) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٦م .

🕮 **تفسير أسماء الله الحسنى:** أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الزّجّاج(ت٣١١هـ) ، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق ، دار الثقافة العربية ، دمشق ١٩٧٤م .

🕮 **التفسير البياني للقرآن الكريم** : عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢م

🕮 **تفسير غريب القرآن** : أبو محمد عبدالله مسلم بن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد الصقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م .

- **تفسير القرآن العظيم** : اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ .
- **تفسير القرآن العظيم المسمّى** : أولى ما قيل في آيات التنزيل : رشيد عبد الكريم الخطيب الموصلّي الموصل، ١٩٧٢.
- **التفسير القيّم** : ابن القيّم الجوزية(ت٧٥١هـ) ،جمعه محمد أوس الندوي ، مطبعة السّنة المحمدية ١٩٤٩م .
- **التفسير الكبير** : الإمام الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الرابعة ، بيروت . لبنان ٢٠٠١م .
- **تفسير مجاهد بن جبر المخزومي (ت١٠٤هـ)** ، تحقيق : عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي ، المنشورات العلمية بيروت .
- **تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم:** مجمع البيان الحديث : سميح عاطف الزين ، الشركة العالمية للكتاب ، دار الكتاب العالمي ، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م .
- **التفسير والمفسرون** : محمد حسين الذهبي ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة الأولى ١٩٦١م.
- **التفكير البلاغي عند العرب** : أسسه وتطوّره إلى القرن السادس حمّادي حمود ، منشورات الجامعة التونسية ، المطبعة الرسمية ١٩٨١م .
- **التفكير الصوتي عند الخليل** :
- **التفكير اللساني في الحضارة العربية:** عبد السلام المسدّي ،الدار العربية للكتاب ليبيا. تونس ١٩٨١م .
- **التقفية في اللغة** : أبو بشر اليمان بن أبي اليمان البندنيجي (ت٢٨٤هـ) ،تحقيق : خليل ابراهيم العطية ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٦م .
- **تلخيص البيان في مجازات القرآن** : الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) ،تحقيق: محمد عبد الغني حسن ،دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٥ م .
- **التلخيص في علوم البلاغة** :للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب (ت٧٣٩هـ)، ضبطه وشرحه الأديب عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٣٢م .
- **التلخيص في معرفة أسماء الأشياء** : أبو هلال العسكري (ت بعد٣٩٥هـ) ، تحقيق : عزة حسن ، دمشق ١٩٦٦هـ .
- **تناوب حروف الجر في لغة القرآن** : محمد حسن عواد ، دار الفرقان ، الطبعة الأولى

١٩٨٢م .
📖 **تنزيـه القرآن عن المطاعن** :القاضي عماد الدين أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد (ت٤١٥هـ) ،دار النهضة الحديثة ، بيروت ، لبنان، د.ت .
📖 **التنغيم اللغوي في القرآن الكريم** : سمير ابراهيم وحيد العزاوي ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .
📖 **تهافت التهافت** : محمد بن أحمد بن محمد بن رشد(ت هـ) ، تحقيق سليمان دينا ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م .
📖 **تهافت الفلاسفة المسّمى معيار العلم:** أبو حامد الغزالي(ت٥٠٥هـ) ،تحقيق:سليمان دينا، دار المعارف ، مصر ١٩٦١ م .
📖 **تهذيب الألفاظ** : أبو يوسف يعقب بن اسحاق بن السكيت(ت٢٢٤هـ) ،كتاب مختصر تهذيب الألفاظ ،عني بطبعه وضبطه وتعليق فهارسه :لويس شيخو ،مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٨٩٧م ،
📖 **تهذيب اللغة** : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق : يعقوب بن عبد النبي ، مراجعة محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع كل العرب بالقاهرة .

(ث)

📖 **ثلاثة كتب في الأضداد** : للأصمعي والسجستاني وابن السكيت ويليها ذيل في الأضداد للصغاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٩١٣ .

(ج)

📖 **جامع البيان عن تأويل أي القرآن** : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، دار الفكر ،بيروت ١٤٠٥هـ .
📖 **الجامع لأحكام القرآن** : محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ .
📖 **جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب:**الدكتورماهر مهدي هلال ، دار الرشيد ، بغداد ١٩٨٠م .
📖 **جمالية المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير:** أحمد ياسوف ، دار المكتبي ،سورية الطبعة الأولى ١٩٩٤م .
📖 **الجمان في تشبيهات القرآن** : ابن ناقيا عبدالله أبو القاسم البغدادي(ت٤٨٥هـ) ،

تحقيق: الدكتورأحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي ، دار الجمهورية بغداد ١٩٦٨م

🕮 **الجمل في النحو**: أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي (٣٣٧هـ) ،نشر: أبي شنب، باريس ١٩٥٧م .

🕮 **جمهرة اللغة** : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (ت٣٢١هـ) ، طبعة بالأوفسيت ، دار صادر ، بيروت .

🕮 **جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية** : عبد المنعم سيد عبد العال ، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٧٧م .

🕮 **الجنى الداني في حروف المعاني** : حسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ) ، تحقيق: طه محسن ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ١٩٧٥م .

🕮 **جوامع الجامع** :أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ،مؤسسة الطبع والنشر في جامعة طهران ، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ .

🕮 **جوانب من نظرية النحو**: نوام جومسكي، ترجمة مرتضى جواد باقر، مطابع جامعة الموصل.

🕮 **جواهر الحسان في تفسير القرآن**:عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي(ت٤٢٩هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت .

🕮 **جوهر القاموس في الجموع والمصادر** : محمد بن شفيع القزويني(من علماء القرن الثاني عشر الهجري) ، تحقيق: محمد جعفر الكرباسي ، مطبعة الآداب النجف ١٩٨٢م .

(ح)

🕮 **حاشية الخضري على شرح ابن عقيل** : شمس الدين محمد بن مصطفى الخضري (ت١٨٧٠م)، القاهرة ١٢٨٧هـ .

🕮 **حاشية الصبان على شرح الاشموني على ألفية ابن مالك** : محمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ) ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٤٧م .

🕮 **الحجّة في علل القراءات السبع** : أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي(٣٧٧هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي ، القاهرة ١٩٦٥م .

🕮 **الحدود** (ضمن المصطلح الفلسفي عند العرب) : ابن سينا(ت٤٢٨هـ) ، تحقيق عبد الأمير الأعسم ، مكتبة الفكر العربي ،بغداد١٩٨٤ م .

🕮 **الحدود في النحو** (ضمن رسالتان في اللغة): أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، تحقيق وتعليق وتقديم : ابراهيم السامرائي ، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان ١٩٨٤م .

🕮 **الحيوان** : الجاحظ ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثالثة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٩م .

(خ)

🕮 **الخصائص** : أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ) ، تحقيق: محمد علي النجار وآخرين ، عالم الكتب ، بيروت . لبنان (د .ت) .

🕮 **خصائص التراكيب** : محمد حسنين أبو موسى ، دار التضامن ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٠م .

(د)

🕮 **دائرة المعارف الإسلامية** : نقله إلى العربية : أحمد الشنتناوي وآخرين ، مطبعة الاعتماد مصر ١٩٣٣م .

🕮 **دراسات في أصول تفسير القرآن** : الدكتور محسن عبد الحميد ، مطبعة الوطن العربي ، بغداد ١٩٨٠م .

🕮 **دراسات في علم اللغة** : القسم الثاني : كمال محمد بشر ، مطابع دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٧١م .

🕮 **دراسات في فقه اللغة** : صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧١ م .

🕮 **دراسات في فلسفة النحو والصرف والرسم** : مصطفى جواد ، مطبعة أسعد ، بغداد ١٩٦٨م .

🕮 **دراسات في القرآن** : السيد أحمد خليل ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٩م .

🕮 **دراسات في اللغة والنحو** : عدنان محمد سلمان ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ١٩٩١م .

🕮 **الدراسات اللغوية عند العرب إلى القرن الثالث** : محمد حسين آل ياسين ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

🕮 **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني** :حسام سعيد النعيمي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٠م .

🕮 **الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري** : فاضل صالح السامرائي ، مطبعة الإرشاد دار النذير ١٩٧١م .

🕮 **دراسة السمع والكلام** : سعد مصلوح ،عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٠م .

🕮 **دراسة الصوت اللغوي:** أحمد مختار عمر،عالم الكتب ، القاهرة،الطبعة الأولى ١٩٧٦ م .
🕮**دراسة في المعاني والبديع** : شفيع السيد ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، د . ت .
🕮 **دراسة المعنى عند الأصوليين** :طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، مصر ١٩٨٣ م .
🕮 **درّة الغواص في أوهام الخواص** : القاسم بن علي الحريري (ت٥١٦هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة القاهرة .
🕮 **دروس في الألسنية العامة** : فردينان دي سوسير ، تعريب: صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ليبيا ١٩٨٥م .
🕮 **دقائق التصريف** : القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب(ت بعد ٣٣٨هـ) ، تحقيق :الدكتور أحمد ناجي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن والدكتور حسين تورال ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م .
🕮 **دلائل الإعجاز** : عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) ، حققه وقدم له : الدكتورضوان الداية ،والدكتور فايز الداية ، مكتبة سعد الدين ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٩٨٧م .
🕮 **دلالات التراكيب دراسة بلاغية** : محمد حسنيين أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .
🕮 **دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء** : بتول قاسم ناصر، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م .
🕮 **دلالة الألفاظ** :الدكتور ابراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م .
🕮 **دلالة الألفاظ وتطورها** : محاضرات ألقاها الدكتور مراد كامل على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في القاهرة ١٩٦٣ م .
🕮 **الدلالة الزمنية في الجملة العربية:** الدكتورعلي جابر المنصوري ، مطبعة الجامعة ، بغداد ١٩٨٤ .
🕮 **الدلالة اللغوية عند العرب** : الدكتورعبد الكريم مجاهد ، دار الضياء ١٩٨٥م .
🕮 **دور الكلمة في اللغة:** ستيفن أولمان ، ترجمة:الدكتور كمال محمد بشر ، الطبعة العاشرة ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٨٦م .
🕮 **ديوان الأدب** :أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي (ت٣٥٠هـ) ،تحقيق: د. أحمد مختار عمر ود. ابراهيم أنيس ، مطبعة الأمانة ، مصر ١٩٧٦م .
🕮 **ديوان الأعشى** ،شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين دار الكتب العلمية ،بيروت

لبنان ١٩٨٧م .

🕮 **ديوان امرئ القيس** ، تحقيق : محمد أبي الفضل ابراهيم ، دار المعارف ١٩٥٨م .

🕮 **ديوان أوس بن حجر بن مالك** ، تحقيق وشرح : محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت ١٩٦٠م .

🕮 **ديوان الحطيئة** ، بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني : نعمان أمين طه ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الأولى ١٩٥٨م .

🕮 **ديوان دريد بن الصمة** ، جمع وتحقيق وشرح : محمد خير البقاعي ، دار قتيبة ١٩٨١م

🕮**ديوان رؤبة بن العجاج**

🕮 **ديوان شعر ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوي** ، تصحيح : كارلير هنري ، مطبعة كلية كمبريج ١٩١٩م .

🕮 **ديوان عدي بن زيد :**

🕮**ديوان النابغة الذبياني** ، تحقيق وشرح : كرم البستاني ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٩٦٣م .

(ذ)

🕮 **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** : الطهراني أغا بزرك ، الجزء الثاني ، مطبعة الغري ، النجف ١٣٥٥هـ .

🕮 **الرجال** : تقي الدين الحسن بن علي بن داود (ت٧٠٧هـ) ، الطبعة الثانية ١٩٦٦م .

🕮 **رجال الطوسي:** أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ١٩٦١م .

🕮 **رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء** : بطرس البستاني ، دار صادر للطباعة والنشر ١٩٧٥م.

🕮 **الرسالة الرمزية في أصول الفقه:** عادل فاخوري ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٨م .

🕮 **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** : شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

🕮 **روضات الجنان** : الجوانساري ، تحقيق : أسد الله اسماعيليان ، ايران ، قم ١٣٩٠هـ .

(ز)

🕮**الزاهر في معاني كلمات الناس** : أبو بكر بن الأنباري ، تحقيق : حاتم الضامن ، دار

الشؤون الثقافية العامة وآفاق عربية ، الطبعة الثانية ١٩٨٩ م .

🕮 **الزينة في الكلمات الإسلامية** : أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي (٣٢٢هـ) ، عارضه بإصوله وعلق عليه : حسين فيضي الهمداني ، الطبعة الثانية ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، القاهرة ١٩٥٧م .

(س)

🕮 **الساق على الساق في ما هو الفارياق** : أحمد فارس الشدياق ، تقديم وتعليق : الشيخ نسيب وهيبة الخازن ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت .

🕮 **سبب وضع علم النحو:** عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق:مروان العطية ، الطبعة الأولى ، دار الهجرة ، دمشق ١٩٨٨م .

🕮 **السبعة في القراءات:** أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ١٩٧٢م .

🕮 **ست محاضرات في الصوت والمعنى:** رومان ياكوبسون ، ترجمة: حسن ناظم ، وعلي حاكم صالح ،المركز الثقافي العربي ،بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٤م .

🕮 **سر صناعة الإعراب:** أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين ،الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى البابي ١٣٧٤هـ. ١٩٥٤م .

🕮 **سر الفصاحة** : أبو عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) ، شرح وتصحيح ، عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح ، ١٩٦٦م .

🕮 **سنن الترمذي** : أبو عيسى محمد بن سورة (ت٢٩٧هـ٩ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة مصطفي البابي الحلبي ، الطبعة الأولى ، مصر ١٣٣٧هـ .

(ش)

🕮 **الشافية:** جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب ، تحقيق: أحمد عثمان ، المكتبة المكّيّة ، مكة المكرمة١٩٩٥م .

🕮 **شذا العرف في فن الصرف** : الشيخ أحمد الحملاوي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة السادسة عشر ، ١٩٦٥م .

🕮 **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** : ابن العماد الحنبلي(ت١٠٨٩هـ) ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، د. ت.

🕮 **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** : بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي الهمداني (ت٧٦٩هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الثانية ،

دار الفكر ، دمشق١٩٨٥م .

📖 **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك** : الأشموني(ت٩٢٩هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٩٥٥م .

📖 **شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم** : أبو عبدالله بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك عني بتصحيحه وتنقيحه:محمد بن سليم اللبابيدي، طهران ، ايران .

📖**شرح التصريح على التوضيح** : الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري(٩٠٥هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة الاستقامة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٩٥٤م .

📖 **شرح جمل الزجاجي** : ابن عصفورالاشبيلي ، تحقيق: صاحب أبو جناح ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ١٩٨٠م .

📖 **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى:** لأبي العباس أحمد بن يحيي ثعلب ، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢م .

📖 **شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي** : محمد محيي الدين عبد الحميد.

📖 **شرح شافية ابن الحاجب:** رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي النحوي(ت٦٨٦هـ) ضبط وشرح : محمد نواف الحسن ومحمد الزقزاق ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ١٣٩٥هـ . ١٩٧٥م .

📖 **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب** : أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، د.ت .

📖 **شرح قطر الندى وبل الصدى** : تصنيف : أبي محمد عبد الله جمال الدين عبدالله بن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ،مطبعة السعادة ، الطبعة الثامنة ١٩٦٠م .

📖**شرح المفصل** : يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ) صححه وعلق عليه: مشيخة الأزهر، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، د.ت .

📖 **الشعر** : أرسطو طاليس ، ترجمة وتحقيق : شكري عياد ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٧م .

📖 **شعر الأخطل** برواية أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي عن أبي سعيد السكري عن ابن الاعرابي ، نشربعناية الأب انطوان صالحاني اليسوعي ، دار المشرق ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

📖**الشيخ الطوسي** : حسن عيسى الحكيم ، الطبعة الأولى ، مطبعة الآداب ١٩٧٥م .

(ص)

📖 **الصاحبي:** لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة د. ت .

📖**الصافي في تفسير كلام الله** :المولى محسن الملقّب بالفيض الكاشاني(ت١٠٩١هـ) ، دار المرتضى للنشر، مشهد ، الطبعة الأولى .

📖**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** :أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ،دار الكتاب العربي بمصر .

📖 **صحيح ابن خزيمة** : محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري ، (ت ٣١١هـ) ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٩٧٠م .

📖 **صحيح مسلم** : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

📖 **الصناعتين** ،الكتابة والشعر:أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(ت ٣٩٥هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٧١م .

📖**الصيغ الزمنية في اللغة العربية** :الدكتور مالك المطلبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٦م .

(ط)

📖 **طبقات الشافعية الكبرى** : تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت٧٧١هـ) ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الأولى ١٩٢٨م .

📖**طبقات المعتزلة** : أحمد بن يحيى بن المرتضى(ت هـ) ، تحقيق:سوسنة ديفلد . فكرز ، المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،١٩٦١ .

📖 **طبقات المفسرين** :الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي : تحقيق : علي محمد عمر ، الطبعة الأولى ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، مصر١٣٩٢هـ . ١٩٧٢م .

📖 **طبقات المفسرين** :جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، طبعة ليدن ١٨٨٣٩م.

📖 **الطبيعة في القرآن الكريم** : الدكتور كاصد ياسر الزيدي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٠م .

📖 **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز** : يحيى بن حمزة بن إبراهيم

العلوي (ت ٧٤٥هـ) ، منشورات مؤسسة النصر ، مهران ، طبع بمطبعة المقتطف بمصر ١٣٣٢هـ . ١٩١٤م .

🕮 **الطريق إلى الله**

(ظ)

🕮 **الظاهرة القرآنية**:مالك بن نبي ، ترجمة:الدكتورعبد الصبور شاهين ،دار الفكر ١٩٦١ م.

(ع)

🕮 **العربية الفصحى،دراسة في البناء اللغوي**: هنري فليش ، تعريب وتحقيق وتقديم :عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ،القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٩٧م .

🕮 **عروس الأفراح** : بهاء الدين السبكي (ضمن شروح التلخيص) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، د.ت .

🕮 **العقل ، فهم القرآن** :الحارث المحاسبي (ت٢٣٤هـ) ،تحقيق :حسين القوتلي، دار الفكر، بيروت ١٩٧١م .

🕮 **علم أصول الفقه**:عبد الوهاب محمد خلاف ، دار العلم الحديث، الطبعة العاشرة ١٩٧٢م .

🕮 **علم الأصوات** : برتيل مالمبرج : تعريب ودراسة : الدكتورعبد الصبور شاهين ، مطبعة التقدّم ، القاهرة ، مصر ١٩٨٥ م .

🕮 **علم الأصوات العام . أصوات اللغة العربية** : الدكتور بسام بركة ،مركز الإنماء القومي ، بيروت ١٩٨٨م .

🕮 **علم البيان** : الدكتور عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٢م .

🕮 **علم الدلالة** : أحمد مختار عمر ، دار العروبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م .

🕮 **علم الدلالة** : بالمر ، ترجمة عبد المجيد الماشطة ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، الجامعة المستنصرية ١٩٨٥م .

🕮 **علم الدلالة** : بيارغيرو ، ترجمة: انطوان أبو زيد ، الطبعة الأولى ، منشورات عويدات (بيردن . باريس) ، بيروت ١٩٨٦م .

🕮 **علم الدلالة** : جون لاينز ، ترجمة : مجيد عبد الحليم الماشطة ، وحليم حسين فالح وكاظم حسين باقر ، مطبعة جامعة البصرة ،البصرة ١٩٨٠م .

🕮 **علم الدلالة ، أصوله ومباحثه في التراث العربي**: منقور عبد الجليل ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠١

📖 **علم الدلالة دراسةً وتطبيقاً** : الدكتورة نور الهدى لوشن ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م .
📖 **علم الدلالة العربي:** فايز الداية ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٨١م .
📖 **علم الدلالة العربي،النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية:** الدكتور فايزالداية ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ .
📖 **علم اللغة** : علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة السابعة ١٩٤٥م .
📖 **علم اللغة الاجتماعي عند العرب:** الدكتورهادي نهر، ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره ،الطبعة الأولى ١٩٨٨م .
📖 **علم اللغة بين التراث والمعاصرة** : الدكتور عاطف مدكور ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٧م .
📖 **علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة** : الدكتورمحمود فهمي حجازي ، الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م .
📖 **علم اللغة بين القديم الحديث** : عبد الغفار حامد هلال ، مطبعة الجبلاوي ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م .
📖 **علم اللغة العام** : فردينان دي سوسير ،ترجمة: الدمتور يؤيل يوسف عزيز ، مراجعة النص العربي ، الدكتور مالك يوسف المطلبي ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ١٩٨٨م.
📖 **علم اللغة العربية ، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية** : الدكتور محمود فهمي حجازي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٣م .
📖 **علم اللغة المبرمج،الأصوات والنظام الصوتي:** الدكتوركمال ابراهيم البدري، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٩٨٨ .
📖 **علم اللغة ،مقدمة للقارئ العربي:**الدكتورمحمود السعران،دار المعارف بمصر ١٩٦٢م .
📖 **عوامل التطور اللغوي** : الدكتور أحمد عبد الرحمن حماد ، بيروت ١٩٨٣م .
📖 **العين:** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي **(ت١٧٥هـ)** ، **تحقيق:** مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ١٩٨١م .

(غ)

🕮**غريب الحديث** : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ) ، تحقيق: محمد عبد المعيد خان ، دار الكتاب العربي ،بيروت ،الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ .
🕮 **غريب الحديث** :عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ،تحقيق الدكتور عبدالله الجبوري، مطبعة العاني ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ .

(ف)

🕮 **الفائق في غريب الحديث:** جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ،تحقيق:علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، لبنان.
🕮 **الفروق في اللغة** : أبو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٣ .
🕮 **فصول في فقه العربية** : رمضان عبد التواب ، دار الحمامي للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٣م .
🕮 **الفصيح** : أبو العباس ثعلب ، تحقيق ودراسة : الدكتور صبيح التميمي ، دار الشهاب ، الجزائر ١٩٨٥م .
🕮 **الفعل زمانه وأبنيته** : الدكتور ابراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ . ١٩٨٠م .
🕮 **فعلت وأفعلت** : أبو حاتم السجستاني(ت ٢٥٥هـ) ، حققه ودرسه : الدكتور خليل ابراهيم العطية ١٩٧٩م .
🕮 **فقه اللغة** : علي عبد الواحد وافي ، لجنة البيان العربي ، الطبعة السادسة ١٩٦٨م .
🕮 **فقه اللغة العربية** : كاصد ياسر الزيدي ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ١٩٨٧م .
🕮 **فقه اللغة وخصائص العربية** : محمد المبارك ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة السابعة ١٩٨١م .
🕮 **فقه اللغة وسر العربية** : عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٩٥٩م .
🕮 **فلسفة اللغة العربية** : عثمان أمين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، المكتبة الثقافية ، القاهرة ١٩٦٥م .
🕮 **الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية** :جرجي زيدان ، مراجعة وتعليق : الدكتور مراد كامل ،

دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٩٨٢م
📖 **الفهرست** : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، الطبعة الثانية ١٩٦١م .
📖 **الفيصل في ألوان الجموع** : عباس أبو السعود ، دار المعارف مصر ١٩٧١م .
📖 **في ظلال القرآن** :سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة السابعة ، بيروت لبنان١٤٠٦ هـ. ١٩٧١م .
📖 **في علم اللغة العام** : عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ١٩٨٤م .
📖 **في فقه اللغة وقضايا العربية** : سميح أبو مغلي ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ١٩٨٧م .
📖 **في اللهجات العربية** : الدكتور ابراهيم أنيس ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٩٧٣م .
📖 **في النحو العربي قواعد وتطبيق** : الدكتورمهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، الطبعة الثانية ، بيروت . لبنان ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م .
📖 **في النحو العربي نقد وتوجيه** : الدكتور مهدي المخزومي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٤م .

(ق)

📖 **قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح** : الدكتور عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا . تونس (مشترك) ١٩٨٤م .
📖 **القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة** : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) ، دار العلم للجميع ، بيروت، لبنان ، د.ت .
📖 **القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية:** عبد العال سالم مكرم، دار المعارف ، مصر ١٩٦٨م .
📖 **القرآن والتفسير:** عبدالله محمود شحاتة ، الهيأة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٤م .

(ك)

📖 **الكافية في النحو**:جمال الدين أبو عمرعثمان بن عمرالمعروف بابن الحاجب(ت٦٤٦هـ)، شرح رضي الدين الاستراباذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م .
📖**الكامل في التاريخ** : ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير(ت٦٣٧هـ)
📖 **الكامل في اللغة والأدب**:أبو العباس المبرد(ت٢٨٥هـ) ،تحقيق:محمد أبو الفضل ابراهيم ،

دار نهضة مصر للطبع والنشر (د.ت) .

📖 **الكتاب** : سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٣م .

📖 **كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى** : أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) ، دار الرائد العربي ، بيروت . لبنان ١٩٨٣م .

📖 **كتاب التفسير** : أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش المعروف بالعياشي(ت ٣٤٠هـ)، تعليق وتحقيق : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، قم ١٣٨٠هـ .

📖 **كتاب الممدود والمقصور** :أبو علي الفارسي : تحقيق ودراسة أحمد عبد المجيد هريدي ، جامعة القاهرة ، الآداب ١٩٧٢م .

📖 **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان د.ت .

📖 **كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر** : ابن العماد(ت٨٨٧هـ) ، تحقيق ودراسة : فؤاد عبد المنعم أحمد والدكتور محمد سليمان داود ، مؤسسة شباب الجامعة ، الجامعة الاسكندرية ١٩٧٧م .

📖 **الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها**: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت هـ)، تحقيق : الدكتور محيي الدين رمضان ن ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١م .

📖 **كلام العرب : من قضايا اللغة العربية** : حسن ظاظا ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٦م .

📖 **الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)** : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ) ، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ١٩٩٨ م .

(ل)

📖 **اللامات** : أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت٣٣٧هـ) ، تحقيق: الدكتور مازن المبارك ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٦٩م .

📖 **اللامات** : الدكتور عبد الهادي الفضلي ، دار القلم ، بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

📖 **لباب النقول في أسباب النزول** : جلال الدين السيوطي ، ملحق بكتاب تفسير فاتحة الكتاب

: الشيخ محمد عبدة ، دار التحرير ، القاهرة ١٣٨٢هـ .
📖 **لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة** :عبد العزيز مطر ،الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦م .
📖 **لسان العرب** : جمال الدين بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت، الطبعة الأولى .
📖 **لسان الميزان** : شهاب الدين بن حجر العسقلاني(ت ٨٥٣هـ) ، حيدر آباد الدكن ، الطبعة الأولى ١٣٣٠هـ .
📖 **اللسانيات واللغة العربية**:نماذج تركيبية ودلالية ، الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري ، الطبعة الأولى ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ١٩٨٥م .
📖 **اللغة** : جوزيف فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومجمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي١٩٥٠م .
📖 **اللغة العربية عبر القرون** : محمود فهمي حجازي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٨م .
📖 **اللغة العربية معناها ومبناها** : الدكتور تمام حسان ، مطابع الهيأة المصرية العامة ، القاهرة ١٩٧٣م .
📖**اللغة والفكر** :نوري جعفر
📖 **اللغة والمجتمع** : علي عبد الواحد وافي ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ١٩٥٢م .
📖 **اللغة والمجتمع** : رأي ومنهج : محمود السعران ، دار المعارف مصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٣م .
📖 **اللغة والمعنى والسياق** :جون لاينز ، ترجمة : الدكتور عباس صادق الوهاب ، مراجعة : الدكتور يوئيل عزيز ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٧م .
📖 **اللغة والنحو بين القديم والحديث** : عباس حسن ،دار المعارف ، مصر ١٩٦٦م .
📖 لغويات : عبده عبد العزيز قلقيلة ، مكتبة الأنجلو المصرية،مصر ١٩٧٧م .
📖 **اللمع في أصول الفقه** : أبو اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي(ت٤٧٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م .
📖 **اللمع في العربية** : أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : حامد المؤمن ، مطبعة العاني ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م .

📖 **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**: الدكتور عبده الراجحي ،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية ١٩٩٦ م.

📖 **ليس في كلام العرب**:الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطا ، مكّة المكّرمة ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م .

(م)

📖 **ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد** : محمد بن يزيد المبرد، بعناية عبد العزيز الميمني ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ١٣٥٠هـ .

📖 **مباحث في علم اللغة واللسانيات**: رشيد العبيدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م .

📖 **المباحث اللغوية في العراق** : محاضرات ألقاها الدكتور مصطفى جواد على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية ١٩٥٥م ، مطبعة لجنة البيان العربي .

📖 **المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين** (ضمن المصطلح الفلسفي عند العرب) : الآمدي ، تحقيق :عبد الأمير الأعسم ،مكتبة الفكر العربي ،بغداد ١٩٨٤م .

📖 **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** : ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير(ت٦٣٧هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٩م .

📖 **المجاز في البلاغة العربية** : مهدي صالح السامرائي ، دار الدعوة ، سورية ، الطبعة الأولى ١٩٧٤م .

📖 **مجاز القرآن** : ابو عبيد معمر ابن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ) ، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٩٧٠م .

📖 **المجاز وأثره في الدرس اللغوي** : الدكتور محمد بدري عبد الجليل ، دار الجامعات المصرية ١٩٧٥م .

📖 **مجالس ثعلب** : أبو العباس أحمد بن يحيى ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٠م .

📖 **مجمع الأمثال**: أبو الفضل أحمد بن النيسابوري الميداني (٥١٨هـ) ، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،لبنان ، د.ت . .

📖 **مجمع البيان في تفسير القرآن** : أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ، بيروت، دار احياء التراث العربي ١٣٧٩هـ .

- **مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية** (صححه وعلق عليه عبد الصمد شرف الدين) مطبعة (ق) بمباي ، الهند ١٣٧٤هـ. ١٩٥٤م .
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** : أبو الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين ، لجنة احياء التراث الإسلامي القاهرة ١٨٦هـ .
- **المحصول في علم أصول الفقه** : فخر الدين الرازي ، دراسة وتحقيق : طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ١٩٩٧م .
- **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة** : أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ) ،تحقيق :الدكتور مراد كامل ،الطبعة الأولى ١٩٧٢م .
- **المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها** : محمد الأنطاكي ، مكتبة دار الشرق ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٢م .
- **مختصر في شواذ القراءات، من كتاب البديع**(المطبوع خطأً بعنوان :مختصر في شواذ القرآن) :ابن خالويه ،عني بنشره :ج.برجشتراسر ، المطبعة الرحمانية ،مصر ١٩٣٤م .
- **مختصر المذكر والمؤنث** : المفضل بن سلمة (ت٣٠٠هـ) تحقيق: رمضان عبد التواب ، جامعة عين شمس الآداب ، القاهرة ١٩٧٢م .
- **مختصر المعاني** : التفتازاني ، طبع ضمن شروح التلخيص ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر .
- **المخصص** : أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي المعروف بابن سيده (ت٤٥٧هـ) ،المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، د.ت .
- **المدخل إلى دراسة البلاغة العربية** :أحمد خليل ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان ١٩٦٨م .
- **مدخل إلى السيموطيقا** : (مقالات مترجمة) باشراف سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد ، دار الياس العصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨٦م .
- **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي** : الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرفاعي بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ. ١٩٨٢م .
- **مدخل إلى علم اللغة** : محمد حسن عبد العزيز ، دار النمر للطباعة ١٩٨٣
- **مدخل إلى المنطق:** مهدي فضل الله ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٧م .
- **المذكر والمؤنث** : أبو العباس المبرد، حققه رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي ،

مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م .
🕮 **المذكر والمؤنث** : لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) تحقيق: رمضان عبد التواب ، مكتبة دار التراث القاهرة ١٩٧٥م .
🕮 **مراتب النحويين** : أبو الطيب اللغوي ، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، الطبعة الثانية (د .ت) .
🕮 **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، دار غحياء الكتب العربية ، الطبعة الرابعة ١٩٥٨م .
🕮 **مسائل خلافية في النحو**: أبو البقاء العكبري ،تحقيق: محمد خيري الحلواني ، دار الشرق العربي ، بيوت ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .
🕮 **المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات:** أبو علي الحسين بن أحمد الفارسي ،دراسة وتحقيق :صلاح الدين عبدالله السنكاوي ،مطبعة العاني ،بغداد١٩٨٣ م .
🕮 **المسائل العسكريات في النحو العربي:**أبو علي الحسين بن أحمد الفارسي، دراسة وتحقيق: الدكتور علي جابر المنصوري ، مطبعة جامعة بغداد ، الطبعة الثانية ١٩٨٢م .
🕮 **المسائل والأجوبة:** ابن قتيبة ، تحقيق: شاكر العاشور، مجلة المورد ،المجلد الثالث ، العدد الرابع ١٩٧٤م .
🕮 **المستصفى من علم الأصول** : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، الطبعة الأولى ١٣٢٢هـ .
🕮 **مسند الامام أحمد بن حنبل** (ت٢٤١هـ) ، دار صادر ، بيروت (د . ت) .
🕮 **المشترك اللفظي ، نظريةً وتطبيقاً** :توفيق محمد شاهين ،مطبعة الدعوة الإسلامية ، القاهرة ،الطبعة الأولى ١٩٨٠ م.
🕮 **المصباح المنير** : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت٧٧٠هـ) ، المكتبة العلمية بيروت ، د.ت .
🕮 **المصطلح الفلسفي عند العرب**:دراسة وتحقيق: عبد الأمير الأعسم ، مكتبة الفكر العربي ، بغداد ١٩٨٤م .
🕮 **المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث** : محمد أحمد أبو الفرج ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، مصر ١٩٦٦م .
🕮 **معالم الدين وملاذ المجتهدين** :زين الدين العاملي ، إخراج وتعليق وتحقيق : عبد الحسين

محمد البقال ، مطبعة الآداب النجف ، الطبعة الأولى ١٩٧١م .
- **معاني الأبنية في العربية** : الدكتور فاضل صالح السامرائي ، جامعة الكويت ، الكويت، الطبعة الأولى١٤٠١ هـ . ١٩٨١م .
- **المعاني في ضوء أساليب القرآن** : عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٧٨م .
- **معاني القرآن** :الأخفش الأوسط الإمام أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي(ت٢١٥هـ)، تحقيق : الدكتور فائز فارس ، دار البشير ، دار الأمل ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ .١٩٨١م .
- **معاني القرآن:** أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧هـ) ، تحقيق: الكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م .
- **معاني القرآن الكريم:** أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ، تحقيق: محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .
- **معاني القرآن واعرابه** : أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ٩ ، شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبدو شلبي ، عالم الكتب ، بيوت ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .
- **المعاني الكبير في أبيات المعاني** : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف الإسلامية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، الطبعة الأولى ١٩٤٩م .
- **معاني النحو**: الدكتور فاضل صالح السامرائي ،مطبعة التعليم ،الموصل ١٩٨٧.١٩٨م .
- **المعتمد في أصول الفقه** : أبو الحسين محمد بن علي بن طيب البصري (ت ٤٣٦هـ) ، تهذيب وتحقيق : محمد حميد الله وآخرين ، دمشق ١٩٦٥م .
- **معجم البلدان** : ياقوت بن عبدالله الحموي(ت٦٢٦هـ) ، دار صادر بيروت .
- **معجم الجملة القرآنية** :الدكتور طالب الزوبعي ، بغداد ١٩٨٨م .
- **معجم رجال الحديث** : أبو القاسم الخوئي ،مطبعة الآداب ، النجف الأشرف الطبعة الأولى
- **المعجم الصافي في اللغة العربية** : صالح العلي الصالح وزوجته ، مطابع الشرق الأوسط الرياض ، الطبعة الأولى ١٩٨٩م .
- **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها** : الدكتور أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٦م .
- **معجم المعاني المترادف والمتوارد والنقيض من أسماء وأفعال وأدوات وتعابير** : نجيب اسكندر ، مطبعة الزمان ، بغداد ١٩٧١م .

📖 **المعجم الفلسفي** : يوسف كرم ومراد وهبة ، مطابع كوستاتوماس وشركاه ، القاهرة ١٩٦٦م .
📖 **معجم مفردات ألفاظ القرآن** : أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المشهور بالراغب الأصفهاني (ت ٤٠٢هـ) تحقيق نديم مرعشلي ، دار الكتاب العربي .
📖 **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ،:محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م .
📖 **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** : أبو محمد عبدالله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة (د .ت) .
📖 **المغني في أبواب التوحيد والعدل**:القاضي عبد الجبار الأسد آبادي ،حقق بإشراف : الدكتور طه حسين والدكتورابراهيم مدكور ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر ١٩٦٠ .١٩٦٥م.
📖 **مفتاح العلوم** : أبو يعقوب يوسف ين أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، مطبعة التقدم العلمية ، مصر ١٣٤٨هـ .
📖 **المفصل في النحو**: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) (د.ت) .
📖 **مقاييس اللغة** : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٦٦هـ .
📖 **المقتضب** : صنعة أبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، صدر باشراف محمد توفيق عويضة ، القاهرة ١٣٨٦هـ .
📖 **مقدمة ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت ٥٠٥هـ) ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، بيروت ١٩٧٨م .
📖 **المقّرب** : علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٩هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الستار الجواري وعبد الجبوري ، مطبعة العامل ، بغداد .
📖 **المقصد الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى:** الغزالي ، تحقيق : محمد عثمان الخشت ، مكتبة القرآن ، القاهرة ١٩٨٥م .
📖 **المقصور والممدود على حروف المعجم**:أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد (ت٣٣٢هـ) بعناية : بولس برونله، ليدن مطبعة بريل ١٩٠٠م .
📖 **الممدود والمقصور** : أبوعلي القالي ، تحقيق ودراسة: أحمد عبد المجيد هريدي ، جامعة القاهرة الآداب ١٩٧٢ .

🕮 **المنقوص والممدود** : لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ومعه (التنبيهات لعلي بن حمزة) ، تحقيق : عبد العزيز الميمني الراكوتي ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٧م .

🕮 **من أسرار اللغة** إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلوا المصرية ، الطبعة الخامسة ١٩٧٥م .

🕮 **مناهج البحث في اللغة:** تمام حسان، دار الثقافة للنشر ،الدار البيضاء ، المغرب ١٩٧٩م .

🕮 **مناهل العرفان في علوم القرآن** : الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البادي الحلبي وشركاه ، الطبعة الثالثة (د. ت) .

🕮 **المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان:** أبو عبدالله محمد بن إدريس الحلّي(ت٥٩٨هـ) ،مكتبة المرعشي النجفي ، قم ، الطيعة الأولى١٤٠٩هـ .

🕮 **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، مطبعة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ، الطبعة الأولى ١٩٣٩م .

🕮 **المنجد في اللغة:**أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي المشهور بكراع النمل (ت ٣١٠هـ)، تحقيق أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي ، عالم الكتب القاهرة ١٩٧٦م .

🕮 **المنصف** : شرح أبي الفتح عثمان بن جني لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني النحوي ، تحقيق : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين

🕮 **المنطق:** الشيخ محمد رضا المظفر ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م.

🕮 **منطق أرسطو:** حققه وقدم له: الدكتور عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٨٠م .

🕮 **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** : حازم القرطاجني(ت ٦٨٤هـ) ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية تونس ١٩٦٩م .

🕮 **المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي** : الدكتور عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان ١٤٠٠هـ . ١٩٨٠م .

🕮 **المنهج الوصفي في كتاب سيبويه:**نوزاد حسن أحمد ،منشورات جامعة قار يونس ، ليبيا ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

🕮 **ميزان الأصول في نتائج العقول:** محمد بن أحمد السمرقندي (ت القرن السادس الهجري)، تحقيق: عبد الملك السعدي ، مطبعة الخلود ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

🕮 **الميزان في تفسير القرآن** :السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) ، دار الكتب

الإسلامية ،طهران ، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ .

(ن)

- **نتائج الفكر في النحو:** أبو القاسم السهيلي (ت٥٨١هـ) ، تحقيق: محمد البنا ، دار الرياض للنشر والتوزيع .
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** :جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ)، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣م .
- **نحو المعاني:** أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، يغداد ١٩٨٧م.
- **نحو وعي لغوي**:الدكتور مازن المبارك ،مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م.
- **النحو وكتب التفسير** :ابراهيم عبدالله رفيدة ،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الجماهيرية العربية الليبية ، الطبعة الثالثة ١٩٩٠م .
- **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر** : ابن الجوزي ، تحقيق : محمد عبد الكريم الراضي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .
- **النشر في القراءات العشر**:الحافظ أبو الخيرمحمد بن محمد الدمشقي الشهيرابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، تعليق:علي محمد الضباع ،طبعة مصورة بالأوفسيت، مكتبةالمثنى بغداد .
- **نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث** : الدكتور نهاد الموسى المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت (د.ت) .
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:** برهان الدين ابراهيم بن عمرالبقاعي (ت٨٨٥ هـ)،مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٢م .
- **نقائض جرير والفرزدق** : طبع في مطبعة ليدن المحروسة بمطبعة بريل ١٩٠٧ ،وأعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى ببغداد .
- **نهاية الإقدام في علم الكلام**:محمد عبد الكريم الشهرستاني (ت هـ) ، حرره وصححه الفريد جيوم ، أعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى بغداد (د.ت)
- **النوادر في اللغة** :أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (ت٢١٥هـ) ، دار الكتاب العربية ، بيروت . لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٦٧م .

(هـ)

- **همع الهوامع شرح جمع الجوامع:** السيوطي ، عني بتصحيحه : السيد محمد بدر الدين

النعساني ، دار المعرفة بيروت .

(و)

🕮 **الوافي بالوفيات:** صلاح الدين بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ) ، بعناية : هلموت ريبر ، مطبعة وزارة المعارف ، استنبول ١٩٤٩م .

🕮 **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم** : هارون بن موسى (ت١٧٠هـ) ، تحقيق: الدكتور حاتم الضامن ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٨م .

🕮 **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ) ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، دار القلم والدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

🕮 **الوجيز في فقه اللغة:** محمد الأنطاكي ، منشورات دار الشرق ، الطبعة الثانية ١٩٦٩م .

الرسائل الجامعية

🕮 **ابن الأعرابي، مع دراسة وتحقيق كتاب النوادر وجمع مروياته** : كامل سعيد عواد ، رسالة ماجستير ،جامعة بغداد كلية ، الآداب ١٩٧٦م .

🕮 **أثر المعنى في الدراسات النحوية حتى القرن الرابع الهجري:** كريم حسين ناصح الخالدي،أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٩٠م .

🕮 **البحث الدلالي عند ابن سينا في ضوء علم اللغة الحديث** : مشكور كاظم العوادي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ١٩٩٠م .

🕮 **البحث الدلالي عند الغزالي في ضوء اللسانيات** : علي حاتم الحسن ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ١٩٩٤م .

🕮 **البحث الدلالي عند المعتزلة:** علي حاتم الحسن، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، كلية التربية ، ١٩٩٩م .

🕮 **البحث الدلالي في تفسير الميزان** : مشكور كاظم العوادي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الكوفة ، كلية القائد ، ١٩٩٥م .

🕮 **البحث اللغوي عند الإمام الواحدي (ت ٤٦٨هـ)** : عبد المجيد كاظم رشيد ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٩٥م .

🕮**البحث اللغوي عند الجويني (ت ٤٧٨هـ)** : هادي أحمد فرحان الشجيري ، رسالة

ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٩٦م .
🕮**البحث اللغوي عند فخر الدين الرازي:** عبد الرسول سلمان الزيدي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٩٠م .
🕮 **البحث اللغوي والنحوي عند ابن تيمية:** هادي أحمد فرحان الشجيري ، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ٢٠٠٠م .
🕮 **البحث اللغوي والنحوي في تفسير التبيان** : عبد علي حسين صالح ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الكوفة كلية القائد ، ١٩٩٥م .
🕮 **التقابل الدلالي في القرآن الكريم** : منال صلاح الدين الصفار ، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٩٩٣م .
🕮 **الجر بالحرف في النحو العربي:** صادق حسين كنيج ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٨٣م .
🕮 **الجملة الفعلية ودلالاتها في آيات الآخرة** ، مجيد طارش عبد ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ١٩٩٧م .
🕮 **جهود المبرد اللغوية والصرفية والنحوية في كتاب الكامل:**بشرى خيون لازم رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ١٩٩٣م .
🕮 **الدال والمدلول بين القدماء والمحدثين** : سيدنا علي جوب ، رسالة ماجستير ، جامعة صدام العلوم الإسلامية ، ١٩٩٦م .
🕮 **الدرس النحوي في كتب الأمالي في القرن الرابع الهجري:**خزعل فتحي زيدان رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٩٨٩م .
🕮 **الدلالة القرآنية في جهود الشريف المرتضى** : حامد كاظم عباس ، أطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ٢٠٠٠م .
🕮 **السياق ودلالته في توجيه المعنى** :فوزي ابراهيم عبد الرزاق ، أطروحة دكتوراه ،جامعة بغداد ، كلية الآداب ١٩٩٦م .
🕮 **ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية** : عبد الكريم حافظ العبيدي ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ١٩٨٩م .
🕮 **ظاهرة النيابة في العربية ، دراسة وصفية تحليلية:**عبدالله صالح عمر ، أطروحة دكتوراه الجامعة المستنصرية ،كلية الآداب،١٩٩٧م .
🕮 **العموم والخصوص في الجملة العربية** : رجاء عجيل ابراهيم ، رسالة ماجستير ، جامعة

بغداد ، كلية التربية للبنات ١٩٩٧م .
📖 **الفروق اللغوية مع ملحق بها** : علي كاظم مشري ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ١٩٩٠م .
📖 **المباحث اللغوية والنحوية والصرفية عند ابن قتيبة**:رافع عبدالله مالو، أطروحة دكتوراه ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، أيلول ١٩٩٥م .
📖 **المباحث النحوية في تفسير مجمع البيان للطبرسي**:عامر عيدان الامي ،أطروحة دكتوراه الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ١٩٩٧م .
📖 **المصادر والمشتقات في لسان العرب** : خديجة زبار عنيزان ، أطروحة دكتوراه جامعة بغداد ،
📖 **المصطلح الصرفي في العين والكتاب ودقائق التصريف، دراسة موازنة** : علي جميل السامرائي أطروحة دكتوراه ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ،١٩٩٠م
📖 **منهج الطوسي في تفسير القرآن الكريم** : كاصد ياسر الزيدي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٧٦م .
📖 **النحو في شروح ديوان الحماسة لأبي تمام** : مكي نومان مظلوم ، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ١٩٩٠م .
📖 **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم** ، تاريخ وتطور : عبد الرحمن مطلك الجبوري ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٨٦م .

البحوث المطبوعة

📖 **الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية:** مجيد عبد الحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .
📖 **الاشتراك والترادف:** محمد تقي الحكيم ،مستل من المجلّد الثاني عشر من مجلّة المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع ١٩٦٥ .
📖 **الأنماط التحويلية في الجملة الإستفهامية** :سمير شريف ستيتية مجلة المورد ، المجلد الثامن عشر ، العدد الأول ١٩٨٩ م.
📖 **تفسير القرآن بالقرآن: نشأته وتطوره حتى عصر الجلالين:** الدكتور كاصدياسر الزيدي مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، العدد الثاني عشر ، كانون الأول

١٩٨٠م
📖 **التحول الداخلي في الصيغة الصرفية وقيمته البيانية أو التعبيرية** :مصطفىالنحاس،مجلة اللسان العربي ، المجلد الثامن عشر، الجزء الأول ، ١٩٨٠م .
📖 **الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي** :الدكتور كاصد ياسرالزيدي مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل ، العدد السادس والعشرون ، ١٩٩٥م .
📖 **الدلالة في النحو العربي**:الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي ، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ، العدد الثامن ، ١٩٩٧.
📖 **ظاهرة التعدد في الأبنية الصرفية** : وسمية المنصور ، مجلة الدراسات اللغوية ، المجلد الرابع ، العدد الثالث ، ٢٠٠٣م .
📖 **ظاهرة التقابل في علم الدلالة** : أحمد نصيف الجنابي ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد العاشر ،١٩٨٤م .
📖 **ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث** : د . علي زوين، مجلة آفاق عربية ، العدد الخامس ١٩٩٠ هـ
📖 **الفونيم بين النحو العربي القديم وعلم اللغة الحديث**: الدكتورعبد المنعم ناصر ، آفاق عربية ، العدد الثامن ،السنة الخامسة عشرة ، آب ، بغداد ،١٩٩٠م .
📖 **في الدلالة والتطور الدلالي** : أحمد محمد قدور مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد السادس والثلاثين ،السنة الثالثة عشرة ، عمان ١٩٨٩م .
📖 **المجال الدلالي بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة** : الدكتور علي زوين ، مجلة آفاق عربية ، العدد الأول، السنة السابعة عشرة ،كانون الثاني ١٩٩٢م .
📖 **مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه**:الدكتوركريم حسين ناصح الخالدي مجلة المورد ، المجلد الثلاثون ، العدد الثالث ، ٢٠٠٢ م .
📖 **معاني الكينونة والفلسفة التحليلية** : سامي أدهم ،مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، العدد ٥٩.٥٨ ،١٩٨٩ م .
📖 **مفهوم الدلالة عند ابن فارس في كتابه الصاحبي**: صبحي البستاني ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الإنماء القومي ،بيروت ، العددان ١٩.١٨ ، ١٩٨٢م .
📖 **المفهومات الأساسية للتحليل اللغوي عند العرب**: عبد الرحمن أيوب ، مجلة اللسان العربي المجلد السادس عشر، الجزء الأول ، ١٩٧٨م .
📖 **النحو المعقول** :محمد كامل حسين ، مجلة مجمع اللغة العربي المصري ، العدد الخامس

والثلاثين ،١٩٧١م .

📖 **نظرة جديدة في دلالة الكلمة القرآنية** :عبد الصبور شاهين ضمن كتاب (بحوث في اللغة والأدب) الكويت ١٩٧٨م .

📖 **نظرية الدلالة وتطبيقاتها:** مطاع صفدي مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، العدد ١٨ . ١٩ سنة ١٩٨٢م .

📖 **الوصـف بالمصـدر** ، نظـرة أخـرى فـي قضـايا النحـو : أحمـد عبـد السـتار الجـواري ، مجلـة المجمع العلمي العراقي ،المجلد٣٥، الجزء١ ١٩٨٤م .

The Semantic research in illustration of interpretation of Quran
For
Abi Jafar Mohamed Bin al- Hasan al- Tusi

Dissertation submitted by
Ibtihal Gasid Yaser al- Zaydi
To the board of college of education for girls – Baghdad university
It is part of requirements of Ph.D. in Arabic

Supervisor
Assistant professor
Dr. Ali Jameel al- Samarra'e

2003 1422 hijri

This dissertation sought to reveal the efforts made by Abi Jafar Mohamed Bin al- Hasan al- Tusi who died in (460) hijri and was one of the famous Moslem scientists greatly affected the progress of scientific development especially in the fields of jurisprudence, principles and interpretation.

The research specialized in revealing his semantic efforts in interpretation that is considered one of the most important publications; it is a preface, two sections and five chapters. The first section tackled individual semantics and included three chapters. The first and second chapters tackled the phonetic and syntactic semantics and it was clear that al- Tusi was aware of many semantic aspects in phonetic composition of the Holly Quran as well as his awareness of syntactic semantics as to the semantic of names verbs, letters and alternation of forms.

The second chapter included the semantic relations between the pronunciations in three researches , semantic synonymy and differences, the verbal and contrastive participation, and the semantic synonymy . It revealed the efforts of al- Tusi in these three researches who was interested in the semantic differences in pronunciations emphasizing on rareness of full synonymy and spreading of less than synonymy . He was also interested in homonymy and contrast and gave the context a great role in specifying its semantic. And in the research of antonymy we found him describing pictures of antonymy in the holly Quran putting them in groups drawing on what modernists mentioned.

The third chapter tackles the semantic change in pronunciation in three researches, specification of semantics, generalization of semantics and the change in semantic field. This chapter revealed the contributions of al- Tusi and his special semantic stands in this field drawing on the attitudes of modernists and even came before them.

The second section specialized in the compound semantics and it comprises two chapters, the first one on the grammatical semantics which came in four researches: semantics of meaning of speech, semantics and types of sentences, semantics of syntax and semantics of letters.

In this chapter, al-Tusi registered special presence and attention as he established many semantic aspects in syntax as to predicate, composition, versification, nominal clause, verbal clause, conditional clause, the impact of syntax on meaning, semantics of prepositions, conjunctions, condition and apocopate in holly Quran.

The second chapter of this section is entitled context and its semantics, and it tackled the concept of context and its three types: verbal, situational, and mental as well as the impact of context in determining pronunciation of semantics of the Holly Quran and al- Tusi made use of these three contexts in his interpretation.

It also tackled the impact of context in directing semantics as to semantic proportionality, and generalization and specification and its impact on determining imperative semantics and common pronunciation.

I ended my research with conclusion in which I summarized the major results followed by list of bibliography that included some (490) modern and old books in language, syntax, interpretation, rhetorics, jurisprudence, principles and others.